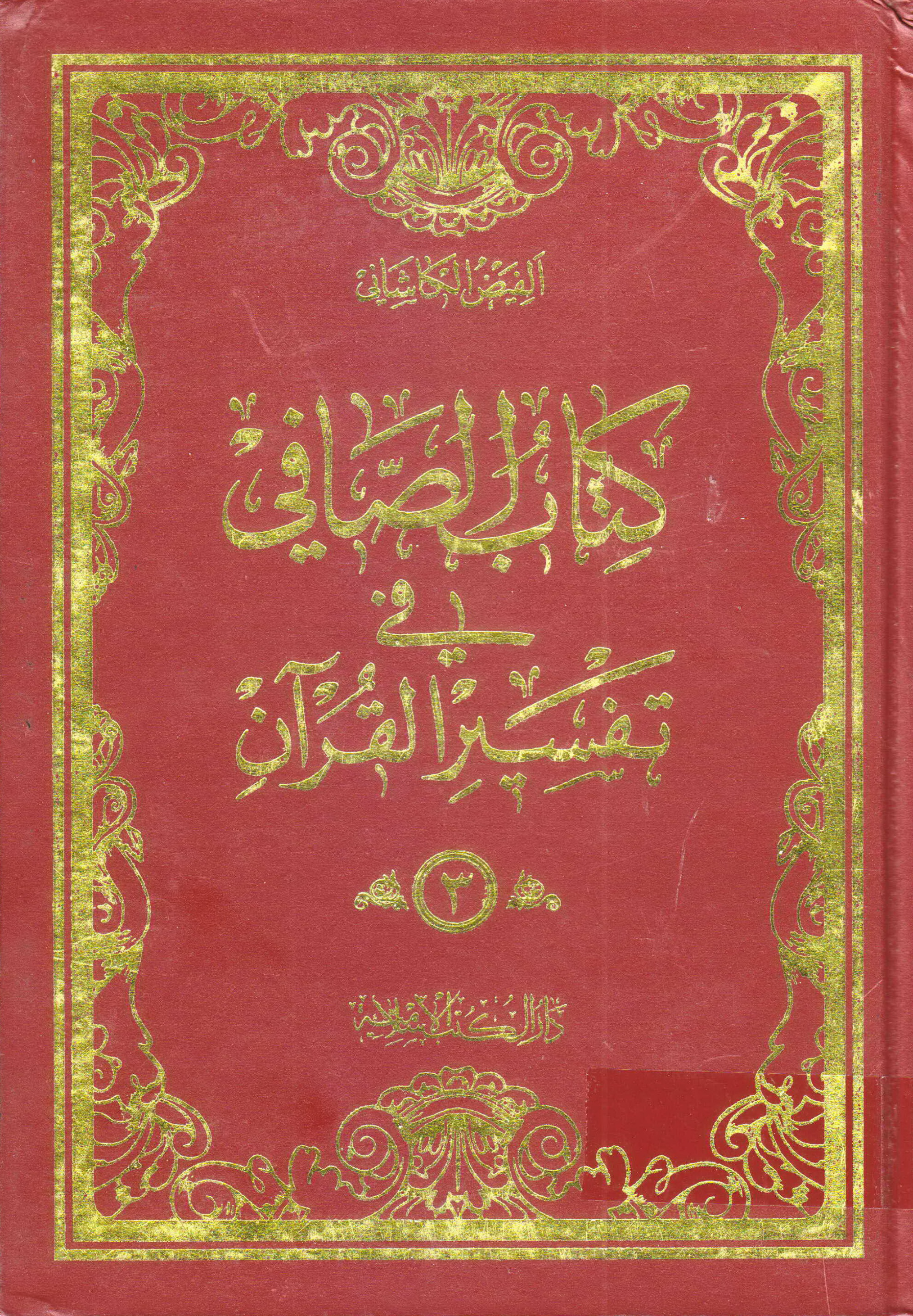
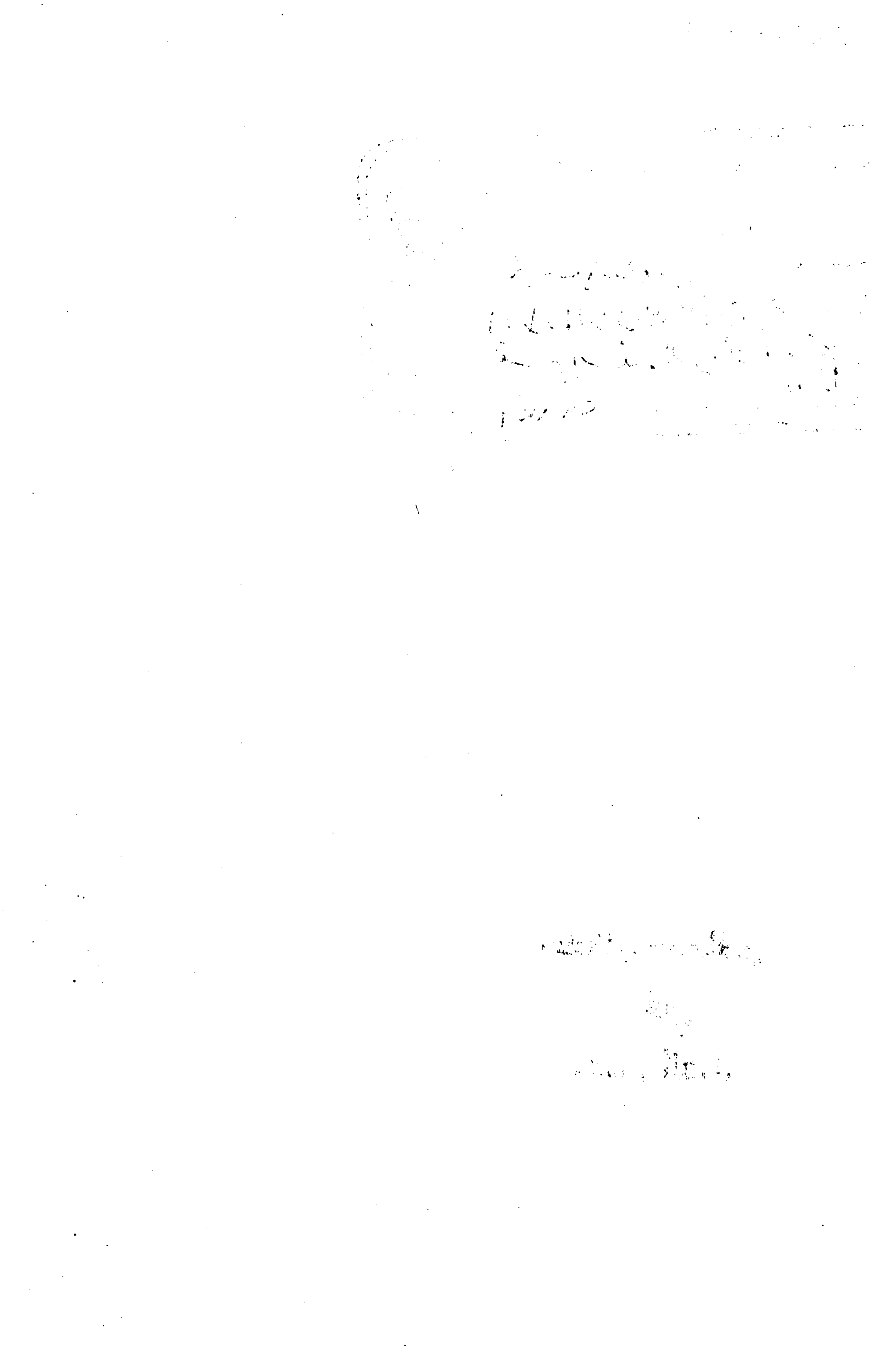
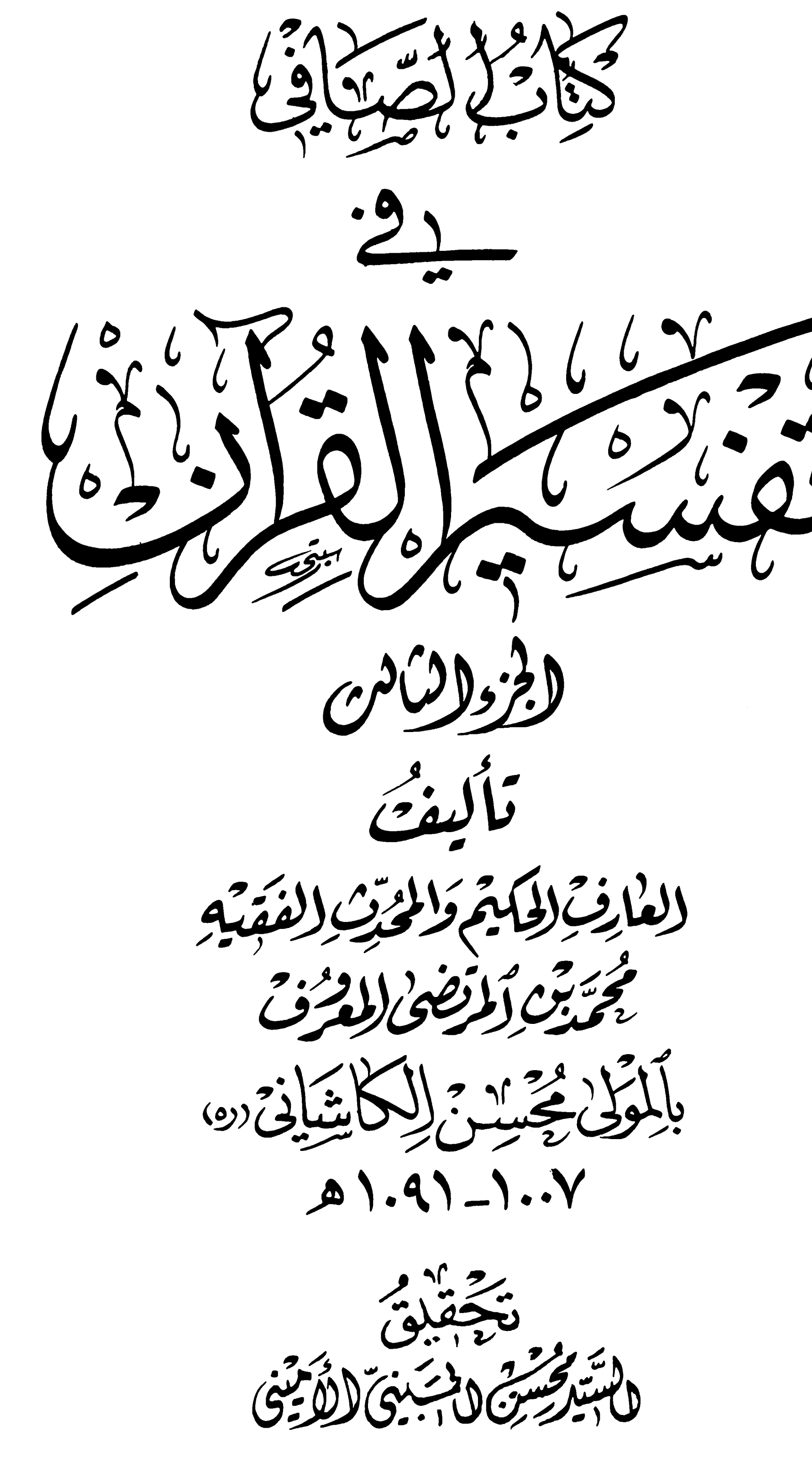

الفيض الكاشاني
كتاب الصافي
في
تفسير القرآن
٣
دار الكتب الإسلامية





كتاب الصافي

في

تفسير القرآن

الجزء الثالث

تأليف

العارف الحكيم والمحدّث الفقيه

محمّد بن المرتضى المعروف

بالمولى محسن الكاشاني (ره)

١٠٠٧-١٠٩١ هـ

تحقيق

السيّد محسن الحسيني الأميني

﴿الجزء الثالث﴾

٭ هوية الكتاب:

٭ اسم الكتاب: كتاب الصافي في تفسير القرآن.

٭ المؤلف: العارف الحكيم والمحدّث الفقيه محمد بن مرتضى المدعو بـ«المولى محسن» الملقب بالفيض الكاشاني.

٭ تحقيق: العلّامة السيد محسن الحسيني الأميني.

٭ الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ ـ ١٣٧٧ ش.

٭ المطبعة: مروى.

٭ الكميّة: ٢٠٠٠

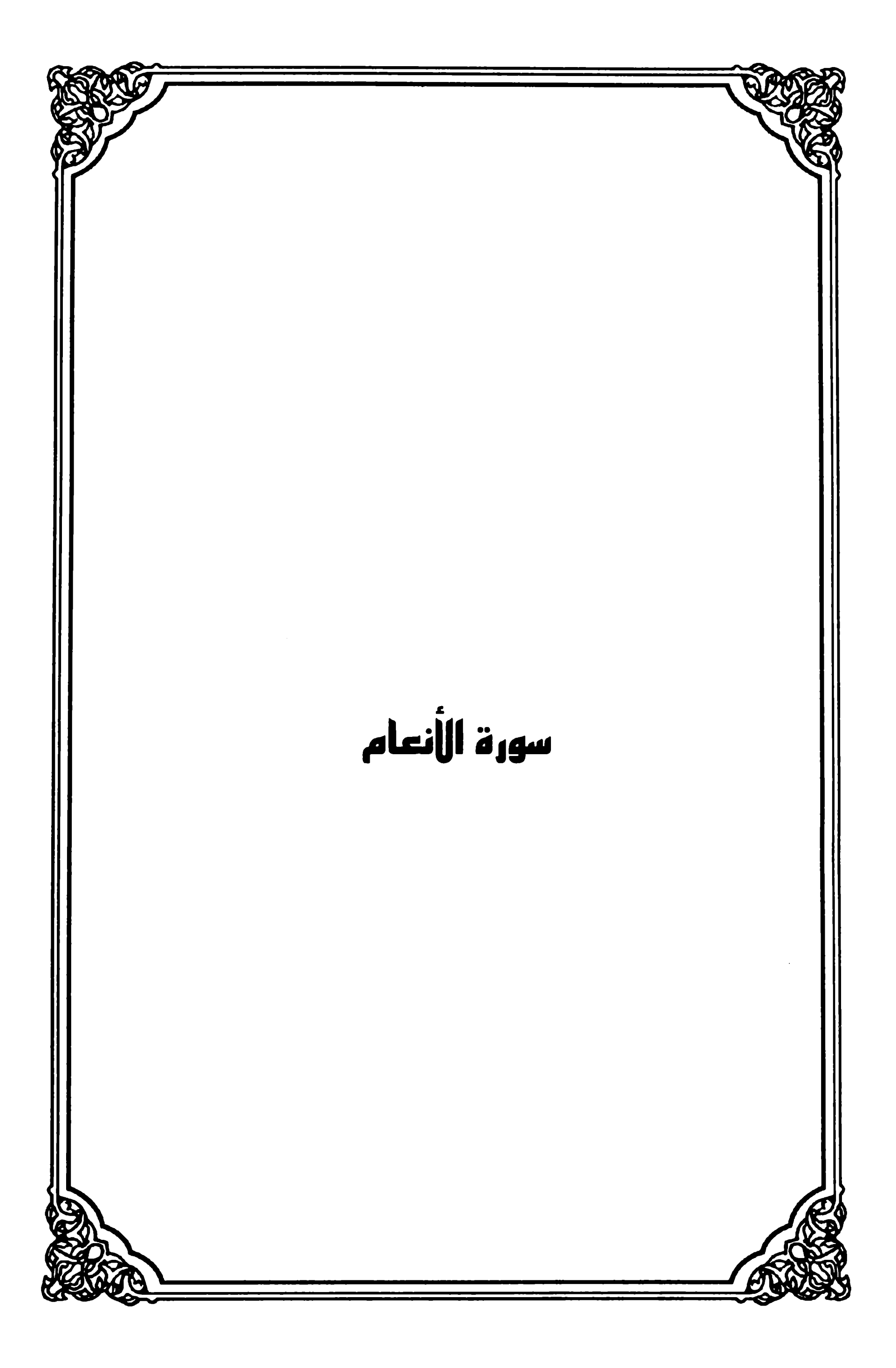
٭ الناشر: دارالكتب الإسلاميّة ـ ايران ـ طهران ـ بازار سلطاني رقم ٩٩

٭ تلفون: ٥٦٢٧٤٤٩ ـ ٥٦٢٠٤١٠ فاكس: ٣٩١٦٩٤٤

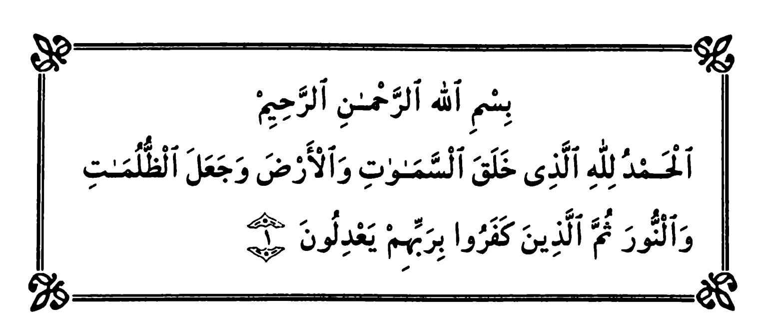
٭ شابك الجزء الثالث: ٩٦٤ ـ ٤٤٠ ـ ٠٨٢. ISBN: 964 - 440 - 082.

٭ شابك الدورة الكاملة سبعة أجزاء: ٩٦٤ ـ ٤٤٠ ـ ٠٨٧ ـ ٩

ISBN - SFT: 964 - 440 - 087 - 9 VOL: 7.



سورة الأنعام



سورة الأنعام: هي مكيّة غير ست آيات «وَمٰا قَـدَروا الله حَـقَّ قَـدْرِه»[1] إلى آخـر ثـلاث آيات، «قُلْ تَعٰالوا أتلُ ما حَرَّمَ رَبُّكم عَلَيْكُمْ»[2] إلى آخر ثلاث آيات فإنّهن نزلن بـالمدينة وعدد آيها مائة وخمس وستون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: وصف نفسه بما نبّه به على أنّه المستحقّ للحَمدْ، حُمِدَ أو لَم يُحْمد ليكون حجّة عَلى العادلين به[3].

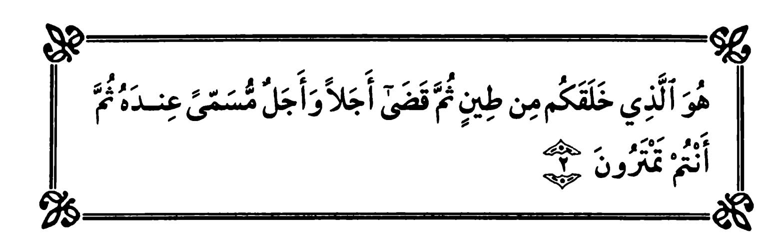
﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ﴾: أنشأهما، والفرق بين الخلق والجعل؛ أنّ الخلق فيه معنى التقدير، والجعل فيه معنى التّصيير كإنشاء شيء من شيء.

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يعني أنّه خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه، ثمّ هم يسوّون به ما لا يقدر على شيء منه، ومعنىٰ «ثمّ» استبعاد عدوهم بعد هذا الوضوح.

---

١ ـ الأنعام: ٩١. ٢ ـ الأنعام: ١٥١.

٣ – العادل: الواضع كل شيء موضعه. وعدلوا بالله: أشركوا به وجعلوا له مثلاً، ومنه حديث علي عليه‌السلام: كـذب العادلون بك، إذ أشبهوك بأصنامهم. وفي الدعاء: نعوذ بك من العديلة عند الموت: أي العدول عن الحق. مجـمع البحرين: ج ٥، ص ٤٢١ ـ مادة «عدل».



في الإحتجاج: عن الصّادق عليه السلام في حديث في نزول هذه الآية إنّها ردّ على ثلاثة أصناف لمّا قال: «الحمدُ لله الّذي خلق السّموات والأرض» كان ردّاً على الدّهريّة الّذين قالوا إنّ الأشياء لا بدو لها وهي قائمة، ثمّ قال: «وجعل الظّلمات والنّور» فكان ردّاً على الثّنويّة[1] الذين قالوا إنّ النّور والظّلمة هما المدبّران، ثم قال: «ثمّ الّذين كفروا بربّهم يعدلون» فكان ردّاً على مشركي العرب الّذين قالوا إنّ أوثاننا آلهة[2].

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِن طِينٍ﴾: أي إبتدأ خلقكم منه.

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً﴾: كتب وقدّر أجلاً محتوماً لموتكم لا يتقدّم ولا يتأخّر.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمّىً عِندَهُ﴾: لموتكم أيضاً يمحوه ويثبت غيره لحكمة الصّدقة والدّعاء وصلة الرّحم، وغيرها ممّا يحقّق الخوف والرّجاء، ولوازم العبوديّة، فإنّ بها وبأضدادها يزيد العمر وينقص، وفيه سرّ البداء وقد بيّنّاه في كتابنا الموسوم[3] بالوافي مستوفى[4].

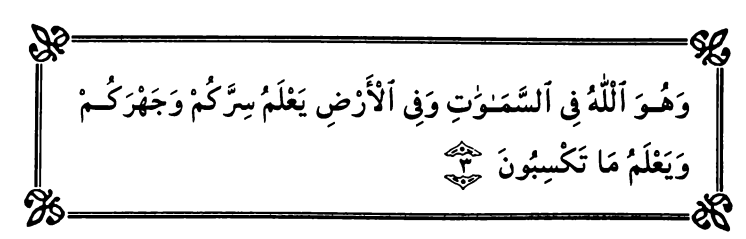
---

١ - الثنوية: هؤلاء أصحاب الإثنين الأزليين، يزعمون أنّ النور والظلمة أزليّان قديمان، بخلاف المجوس فإنّهم قالوا بحدوث الظلام، وذكروا سبب حدوثه، وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم، واختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، والخير، والمكان، والأجناس، والأبدان، والأرواح. قاله الشهرستاني في الملل والنحل: ج ٣، ص ٧٢.

وذكر الطريحي: الثنوية من يثبت مع القديم قديماً غيره، قيل: وهم فرق المجوس يثبتون مبدأين: مبدأ للخير، ومبدأ للشر، وهما النور والظلمة، ويقولون: بنبوة إبراهيم عليه السلام. وقيل: هم طائفة يقولون: إنّ كل مخلوق: مخلوق للخلق الأوّل وقد شهد ببطلان قولهم قوله عليه السلام في وصف الحق تعالى «لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان» وبهذا يبطل جميع حجج الثنوية وشبههم. مجمع البحرين: ج ١، ص ٧٨ مادة «ثنا».

٢ - الاحتجاج: ج ١، ص ٢٤ ـ ٢٥ ـ احتجاج النبي صلى الله عليه وآله على جماعة من المشركين.

٣ ـ وفي نسخة: [المسمّى].   ٤ ـ الوافي: ج ١، ص ٥٠٧ ـ ٥١٦، باب ٥٠ ـ البداء.



في الكافي: عن الباقر عليه السلام في تفسيرها قال: أجلان: أجل محتوم، وأجل موقوف[١].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام الأجل المقضيّ: هو المحتوم الّذي قضاه الله وحتمه، والمسمّى: هو الّذي فيه البداء يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، والمحتوم ليسَ فيه تقديم ولا تَأخير[٢].

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾: تشكّون فيه، وفي بعثه إيّاكم إستبعاداً لإمترائهم بعد ما ثبت أنّه خالقهم وخالق أُصولهم، ومُحييهم إلى آجالِهم، فإنّ من قدر على خلق الأُصول وجمعها وإبداع الحياة فيها وإبقائها ما يشاء وتوقيفهم في الأجل بعد حتمه إيّاه في الخوف والرجاء بعد قضائه الأمر كان حقيقاً بأن يعبد، وكان أقدر على جمع الأُصول وإحيائها ثانياً. فالآية الأُولى: دليل التّوحيد، والثّانية: دليل التّوحيد والبعث جميعاً.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾: هو المعبود فيهما، والمعروف بالإلـهيّة والوحدانيّة مثل قوله: «وهو الذي في السّماء إلـه وفي الأرض إلـه»[٣].

في التوحيد: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية كذلك هو في كلّ مكان، قيل: بذاته، قال: ويحك الأماكن أقدار فإذا قلت: في مكان بذاته لزمك أن تقول: في أقدار وغير ذلك، ولكن هو بائن من خلقه، محيط بما خلق علماً وقدرةً، وإحاطةً، وسلطاناً، وليس علمه بما في الأرض بأقلّ ممّا في السماء لا يبعد عنه شيء، والأشياء عنده سواء، علماً، وقدرةً، وسلطاناً، وملكاً وإحاطة[٤].

---

١ – الكافي: ج ١، ص ١٤٧، ح ٤، باب البداء.
٢ – تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٤.
٣ ـ الزخرف: ٨٤.
٤ – التوحيد: ص ١٣٢ ـ ١٣٣، ح ١٥، باب ٩ ـ القدرة.

وَمَا تَأْتِيهِم مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِن قَرْنٍ مَكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾: القمّي: قال: السّر: ماأسرّ في نفسه، والجهر: ماأظهره[1].

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾: من خير وشرٍّ فيثيب عليه ويعاقب.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: تاركين النّظر فيها غير ملتفتين إليها.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: بما جاء به محمّد صلّى الله عليه وآله.

﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾: فكيف لا يعرضون عن غيره.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: فسيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤون عند نزول العذاب بهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِن قَرْنٍ﴾: من أهل زمان.

﴿مَكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أعطيناهم من البسطة في الأجسام، والسّعة في الأموال.

﴿مَالَمْ نُمَكِّن لَكُمْ﴾: ما لم نعطكم يا أهل مكّة، وفي الكلام التفات.

---

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٤.

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْـدِيهِمْ لَـقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ ٱلأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾: المطر.

﴿عَلَيْهِم مِدْرَاراً﴾: مغزاراً.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلأَنْهَـٰرَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾: فعاشوا في الخصب بين الأنهار والثّمار.

﴿فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: ولم يغن ذلك عنهم شيئاً.

﴿وَأَنْشَأْنَا﴾: وأحدثنا.

﴿مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً ءَاخَرِينَ﴾: بدلاً منهم يعني إنّا كما قدرنا أن نهلك من قبلكم كعاد وثمود وننشيء مكانهم آخرين، قدرنا أن نفعل ذلك بكم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰباً فِي قِرْطَاسٍ﴾: مكتوباً في ورق.

﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾: ولم يقتصر بهم على الرّؤية لئلا يقولوا: سكّرت أبصارنا.

﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: لعظم عنادهم وقسوة قلوبهم.

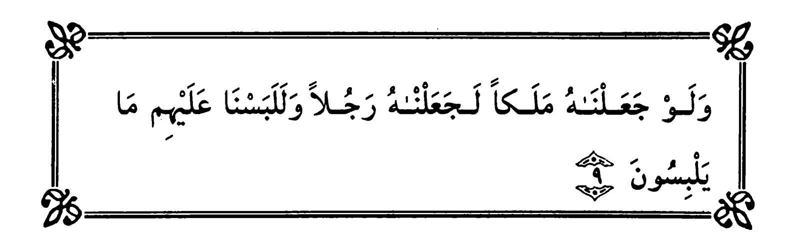
﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾: يصدّقه ويكلّمنا إنّه نبيّ لقوله: «لَولا أُنْزِلَ إِلَيْهِ ملك فَيكونَ معه نذيراً»[١].

﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ ٱلأَمْرُ﴾: لحق إهلاكهم، فإنّ سنّة الله جرت بذلك فيمن قبلهم.

﴿ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾: لا يُمهلون بعد نزوله طرفة عين.

---

١ ـ الفرقان: ٧.



﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلاً﴾: جواب ثانٍ أو جواب لإقتراحٍ ثانٍ فإنّهم كانوا تارة يقولون: لولا اُنزل عليه ملك، وتارة يقولون: لو شاء ربّنا لأنزل ملائكة، والمعنى لو جعلنا قريناً لك ملكاً يصدّقك ويعاينوه أو جعلنا مكانك ملكاً كما اقترحوه لمثّلناه رجلاً كما مثّل جبرئيل في صورة دحية. فإنّ القوّة البشريّة لا تقوى على رؤية الملك في صورته.

﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ﴾: ولخلطنا عليهم ما يخلطُون على أنفسهم فيقولون: ما هذا إلّا بشر مثلنا وكذّبوُه كما كذبوك. في تفسير الإمام عليه السلام في سورة البقرة[١].

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام: قال قلت لأبي علي بن محمّد عليهما السلام: هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يناظرُ اليهود والمشركين إذا عاتبوه ويحاجّهم؟ قال: بلى مراراً كثيرة، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان قاعداً ذات يوم بفناء الكعبة إذ ابتدأ عبدالله بن أبي اُميّة المخزوميّ فقال: يا محمّد لقد ادّعيت دعوى عظيمة، وقلت مقالاً هائلاً زعمت أنّك رسول ربّ العالمين، وما ينبغي لربّ العالمين وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله بشراً مثلنا، ولو كنت نبيّاً لكان معك ملك يصدّقك ونشاهده، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيّاً لكان إنّما يبعث إلينا ملكاً لا بشراً مثلنا، ما أنت يا محمّد إلّا مسحوراً، ولست بنبيّ.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللّهم أنت السّامع لكل صوت، والعالم بكّل شيء، تعلم ما قاله عبادك. فأُنزل عليه يا محمّد «وقالوا لولا أُنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر» إلى قوله تعالى: «وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ» ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وأمّا قولك لي ولو كنت نبيّاً لكان معك ملك يصدّقك ونشاهده بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيّاً لكان إنّما يبعث إلينا

---

١ - تفسير الإمام العسكري: ص ٥٠٠ ـ ٥٠٦.

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

ملكاً لا بشراً مثلنا، فالملك لم تشاهده حواسّكم لأنّه من جنس هذا الهواء لا عيان منه، ولو شاهدتموه بأن يزاد في قوى أبصاركم لقلتم ليس هذا ملكاً بل هذا بشر، لأنّه إنّما كان يظهر لكم بصورة البشر الّذي ألفتموه لتفهموا عنه مقالته وتعرفوا خطابه ومراده فكيف كنتم تعرفون[1] صدق الملك وإنّ ما يقوله حقّ بل إنّما بعث الله بشراً[2] وأظهر على يده المعجزات الّتي ليست في طبائع البشر الّذين قد علمتم ضمائر قلوبهم فتعلمون بعجزكم عمّا جاء به أنّه معجزة، وأنّ ذلك شهادة من الله بالصّدق له، ولو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما يعجزه[3] البشر لم يكن في ذلك ما يدلّكم أنّ ذلك ليس في طبائع سائر أجناسه من الملائكة حتى يصير ذلك معجزاً. ألا ترون أنّ الطّيور الّتي تطير ليس ذلك منها بمعجز لأنّ لها أجناساً يقع منها مثل طيرانها، ولو أنّ آدمياً طار كطيرانها كان ذلك معجزاً فالله عزّ وجلّ سهّل عليكم الأمر وجعله منكم بحيث تقوم عليكم حجّته وأنتم تقترحون عمل الصّعب الّذي لا حجّة فيه[4]، الحديث بطوله، ويأتي نُبذ منه في سورة الإسراء، وآخر في سورة الفرقان، وآخر في سورة الزخرف إن شاء الله تعالى.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ﴾: تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله على ما يرى من قومه.

﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: فأحاط بهم الّذي

---

١ ـ وفي نسخة [تعلمون] كما في المصدر.

٢ ـ وفي نسخة [بعث الله بشراً رسولاً، وأظهر].

٣ ـ وفي نسخة [ما يعجز عنه البشر] كما في المصدر.

٤ ـ الاحتجاج: ج ١، ص ٢٦ ـ ٣٠. احتجاج النبي صلى الله عليه وآله على جماعة من المشركين.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢﴾

يستهزؤون به من العذاب.

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: قيل: أي سافروا فيها[١].

﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ بأبصاركم وتفكّروا بقلوبكم. القمّي: أي انظروا في القرآن، وأخبار الأنبياء فانظروا[٢]، وقد مضى نظيره عن الصّادق عليه السلام في سورة آل عمران[٣].

﴿كَيۡفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾: المستهزئين بالرّسل من الأُمم السّالفة حيث استأصلهم العذاب[٤].

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: سؤال تبكيت[٥].

﴿قُل لِّلَّهِ﴾: تقرير لهم أي هو لله لا خلاف بيني وبينكم في ذلك، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئاً منه إلى غيره.

﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾: أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته، والعلم بتوحيده بنصب الأدلّة، وإنزال الكتب والإمهال على الكفر والذنوب لتدارك ما فرط.

---

١ - قاله الطبرسي في جوامع الجامع: ج ١، ص ٣٦٨.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٤.

٣ - ذيل الآية ١٣٧ من سورة آل عمران.

٤ـوفي نسخة: [بالعذاب].

٥ - التبكيت: التقريع والتوبيخ، كما يقال له: يا فاسق أما استحييت، أما خفت الله، قال الهروي: ويكون باليد والعصاء، ويقال: بكته بالحجّة إذا غلبه، وقد يكون التبكيت بلفظ الخبر كما في قول إبراهيم: «بل فعله كبيرهم هذا» الأنبياء / ٦٣ فإنّه تبكيت، وتوبيخ على عبادتهم الأصنام. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٩٢. مادة «بكت».

وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾: قرناً بعد قرن.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: قيل: استيناف، ووعيد على إشراكهم، وإغفالهم النظر[1].

وقيل: بدل من الرّحمة فإنّه منها[2].

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بتضييع رأس مالهم الّذي هو الفطرة الأصليّة.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فإنّ إبطال الفطرة أدّاهم إلى الإصرار على الكفر.

﴿وَلَهُۥ﴾: وَلله.

﴿مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: ما تمكّن وحلّ من السّكنى. ذكر في الأوّل السّماوات والأرض المشتملين على الأمكنة جميعاً، وهنا اللّيل والنّهار المشتملين على الأزمنة جميعاً ليعمّ الموجودات الّتي تندرج تحت الظّرفين.

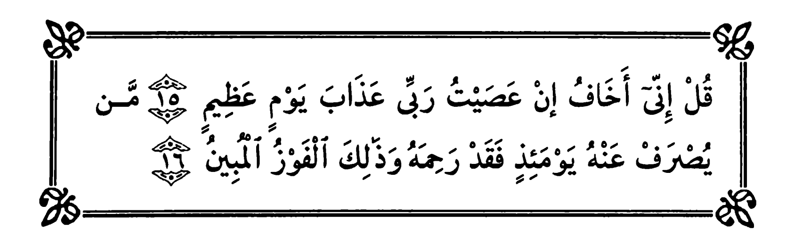
﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: لا يخفى عليه شيء.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾: إنكار لاتّخاذ غير الله وليّاً لا لاتخاذ الوليّ، ولذلك قدّم غير وأُولىَ الهمزة.

---

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٤.

٢ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٤.



﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: منشؤهما ومبدعهما، ابتدأ بقدرته وحكمته من غير احتذاء مثال.

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾: يرزق ولا يرزق يعني أنّ المنافع كلّها من عنده، ولا يجوز عليه الإنتفاع.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ﴾: أي أمرني ربّي.

﴿أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾: لأنّ النّبي سابق امّته في الإسلام.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: وقيل لي: «ولا تكوننّ من المشركين»، ويجوز عطفه على «قل»[١].

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: مبالغة أُخرى في قطع أطماعهم، وتعريض لهم بأنّهم عصاة مستوجبون للعذاب.

العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله «إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» حتّى نزلت سورة الفتح فلم يعد إلى ذلك الكلام[٢].

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾: يعني العذاب، وقرئ بالبناء للفاعِل.

﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾: وتفضل عليه.

في المجمع: عن النّبي صلى الله عليه وآله والّذي نفسي بيده ما من النّاس أحد يدخل الجنّة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلّا أن يتغمّدني الله برحمة منه وفضل[٣].

---

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٥.

٢ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٠، ح ١٢.

٣ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢٨٠.

وَإِنْ يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: ببليّة كمرض وفقر.

﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾: فلا قادر على كشفه.

﴿إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾: بنعمة كصحّة، وغنىً.

﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: يقدر على إدامته وإزالته.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: تصوير لقهره وعلوّه بالغلبة والقدرة يعني أنّهم تحت تسخيره وتذليله.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: في أمره وتدبيره.

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: بالعباد، وخفايا أحوالهم، وبكلّ شيء.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً﴾: أعظم شهادة، وأصدق.

﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: قيل: الله جواب، وشهيد: مستأنف بتقدير هو[1].

وقيل: بل الله شهيد سادّ مسدّ الجواب[2].

---

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٥.

٢ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٥.

أقول: لعلّه أُريد أنّه لا يحتاج إلى الجواب، ويكون معنى السّؤال أنّه غير خاف أنّ الله هو أكبر شيء شهادة وأنتم أيضاً تعلمون ذلك، ومعنى «الله شهيد»: أنّ الله الّذي هو أكبر شيء شهادة هو الّذي يشهد لي بالنبوّة، وإنّما جاز إطلاق الشّيء على الله تعالى لإخراجه عن حدّ التّعطيل، ولكنّه شيء بخلاف الأشياء كذا في الكافي: عن الصّادق عليه السلام[1].

القمّي: عن الباقر عليه السلام أنّ مشركي أهل مكّة قالوا: يا محمّد ما وجد الله رسولاً يرسله غيرك؟ ما نرى أحداً يصدّقك بالّذي تقول؟ وذلك في أوّل ما دعاهم، وهو يومئذ بمكّة، قالوا: ولقد سألنا عنك اليهود والنّصارى فزعموا أنّه ليس لك ذكر عندهم فأْتنا بأمر يشهد أنّك رسول الله صلى الله عليه وآله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله شهيد بيني وبينكم[2].

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾: قيل: يعني أُنذركم، وأُنذر سائر من بلغه إلى يوم القيامة[3].

وفي المجمع[4]، والكافي[5]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية ومن بلغ أن يكون إماماً من آل محمّد (صلوات الله عليهم): فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله صلى الله عليه وآله[6].

والقمّي: ما في معناه[7].

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾: تقرير لهم مع إنكار واستبعاد.

﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾: بما تشهدون.

---

١ - الكافي: ج ١، ص ٨١، ذيل ح ٥، باب حدوث العالم وإثبات المحدث.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٥.

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٥.

٤ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٢٨٢.

٥ - الكافي: ج ١، ص ٤١٦، ح ٢١ وص ٤٢٤، ح ٦١، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٦ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧، ح ١٤.

٧ - تفسير القمّي: ج ١، ص ١٩٥.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝٢١﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: بل أشهد أن لا إلـه إلّا هو.

﴿وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾: به من الأوثان وغيرها.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾: يعرفون رسول الله ﷺ بحليته المذكورة في التوراة والإنجيل.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾: بحلاهم[1].

القمّي: نزلت في اليهود والنّصارى لأنّ الله قد أنزل علَيهم في التّوراة والإنجيل والزّبور صفة محمّد ﷺ وصفة أصحابه ومهاجره، وهو قوله تعالى: «محمّد رسول الله» ﷺ إلى قوله: «ذٰلك مثلهم في التّوريٰة ومثلهم في الإنجيل»[2]، فهذه صفة رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل وصفة أصحابه فلمّا بعثه الله عزّ وجلّ عرفه أهل الكتاب كما قال جلّ جلاله: «فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به»[3][4].

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: من أهل الكتاب والمشركين.

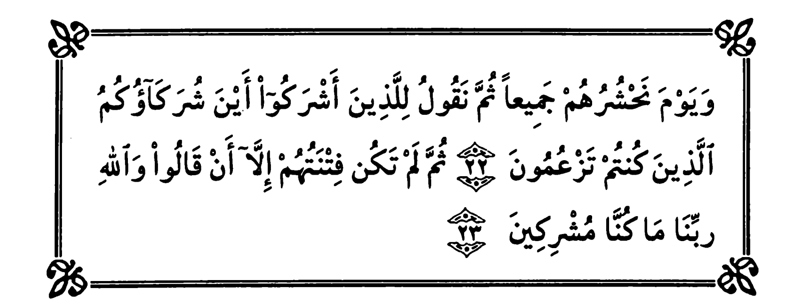
﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لتضييعهم ما به يكسب الإيمان.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: كقولهم: الملائكة بنات الله، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾: كأن كذّبوا بالقرآن والمعجزات وسمّوها سحراً، وإنّما ذكر

---

١ – الحلية بالكسر بمعنى الصفة، منه قدّس سرّه.
٢ ـ الفتح: ٢٩.
٣ – البقرة: ٨٩.
٤ – تفسير القمي: ج ١، ص ٣٣.



«أو» وهم قد جمعوا بين الأمرين تنبيهاً على أنّ كلاًّ منهما وحده بالغ غاية الإفراط في الظّلم.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: فضلاً عمّن لا أحد أظلم منه.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾: منصوب بمضمر تهويلاً للأمر.

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾: قيل: أي آلهتكم الّتي جعلتموها شركاء لله تعالى[(١)].

ويأتي ما ورد فيه، وأنّ المراد بها شركاؤهم في الولاية، وقرئ يحشر، ويقول: بالياء.

﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أي تزعمونهم شركاء توبيخ لهم بعدم انتفاعهم بها.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾: في المجمع: عن الصّادق عليه السلام يعني معذرتهم[(٢)].

أقول: يعني معذرتهم الّتي يتوهمّون أن يتخلّصوا بها من فتنت الذّهب إذا خلصته، وقرئ لم تكن بالتّاء، وفتنتهم بالرّفع وبالياء والنّصب.

﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾: يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بأنّه لا ينفع من فرط الحسرة[(٣)] والدّهشة، وقرئ ربّنا بالنّصب.

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام[(٤)]، والقمّي: عن الصادق عليه السلام يعنون بولاية عليّ صلوات الله وسلام عليه[(٥)].

---

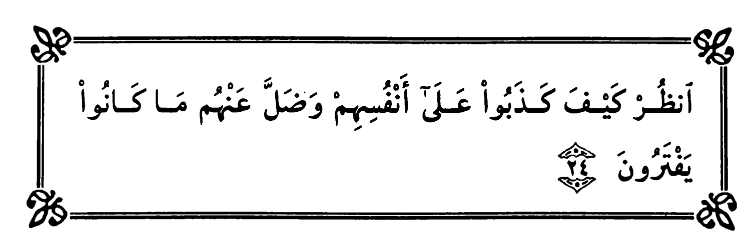
١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٦.

٢ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٢٨٤.

٣ ـ وفي نسخة: [الحيرة].

٤ - الكافي: ج ٨، ص ٢٨٧، ح ٤٣٢.

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٩.



﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: من الشركاء.

في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر فيه أهوال يوم القيامة، ثمّ يجتمعون في موطن آخر ويستنطقون فيه، فيقولون: والله ربّنا ما كنّا مشركين، وهؤلاء خاصّة هم المقرّون في دار الدّنيا بالتّوحيد فلم ينفعهم إيمانهم بالله تعالى مع مخالفتهم رسله وشكّهم فيما أتوا به عن ربّهم، ونقضهم عهودهم في أوصيائهم، واستبدالهم الّذي هو أدنى بالّذي هو خير فكذّبهم الله فيما انتحلوه من الإيمان بقوله: «انظر كيف كذبوا على أنفسهم»[١].

والقمّي: مقطوعاً قال: إنّها في قدريّة[٢] هذه الأمّة يحشرهم الله تعالى يوم القيامة مع الصابئين والنّصارى والمجوس فيقولون: «والله ربّنا ما كنّا مشركين» يقول الله تعالى: «انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون».

قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ لكلّ أمّة مجوساً ومجوس هذه الأمّة الّذين يقولون: لا

---

١ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٠. احتجاجه عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة، تحتاج إلى التأويل على أنّها تقتضي التناقض والإختلاف فيه، وعلى أمثاله في أشياء أُخرى.

٢ - في الحديث ذكر القدرية وهم المنسوبون إلى القدر، ويزعمون أنّ كلّ عبد خالق فعله، ولا يرون المعاصي والكفر بتقدير الله ومشيّته، فنسبوا إلى القدر لأنّه بدعتهم وضلالتهم، وفي شرح المواقف قيل: القدرية: هم المعتزلة لإسناد أفعالهم إلى قدرتهم، وفي الحديث: لا يدخل الجنّة قدري. وهو الذي يقول: لا يكون ما شاء الله ويكون ما شاء إبليس. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٥١، مادة «قدر».

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

قَدَر، ويزعمون أنّ المشيّة والقدرة إليهم ولهم[1].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: حين تتلوا القرآن.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية جمع كنان وهو ما يستر الشّيء.

﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: كراهة أن يفقهوه.

﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْراً﴾[2]: يمنع من استماعه كناية عن نبوّ[3] قلوبهم وأسماعهم عن قبوله.

﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾: لفرط عنادهم، واستحكام التّقليد فيهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾: يخاصمونك.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: الأساطير: الأباطيل، وأصله السّطر، بمعنى الخطّ والمعنى بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنّهم يجادلونك، ويناكرونك، ويجعلون كلام الله الّذي هو أصدق الحديث خرافات الأوّلين، وهي غاية التكذيب.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾: القمّي: قال: بنو هاشم كانوا ينصرون رسول

---

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٩.

٢ - الوقر: بالفتح: الثقل في الأذن. الصحاح: ج ٢، ص ٨٤٨، مادة «وقر».

٣ - نبا الشيء عنّي ينبو: أي تجافى وتباعد. الصحاح: ج ٦، ص ٢٥٠٠، مادّة «نبا».

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾

الله ﷺ ويمنعون قريشاً عنه، وينأون عنه، أي: يباعدونه ولا يؤمنون به[1].

﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾: وما يهلكون بذلك.

﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: إنّ ضررهم لا يتعدّاهم إلى غيرهم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: جوابه محذوف، يعني لو تراهم حين يوقفون على النّار حتّى يعاينوها أو حين يطّلعون عليها بالدّخول لرأيته أمراً فظيعاً، وقرئ «وَقَفُوا» على البناء للفاعل.

القمّي: قال: نزلت في بني أُميّة[2].

﴿فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾: تمنّوا أن يرجعوا إلى الدّنيا.

﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: عطف على نردّ أو ابتداء كلام، وقرئ بالنّصب فيهما على الجواب بإضمار «أن» بعدالواو إجراء لها مجرى ـ الفاء ـ، وبرفع الأوّل ونصب الثّاني.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾: من نفاقهم، وقبائح أعمالهم، فتمنّوا ما تمنّوا ضجراً لا عزماً على أنّهم لو ردّوا لآمنوا.

﴿وَلَوْ رُدُّواْ﴾: أي إلى الدّنيا بعد الوقوف والظّهور.

---

١ - تفسير القمّي: ج ١، ص ١٩٦.

٢ - تفسير القمّي: ج ١، ص ١٩٦.

وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾

﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾: من الكفر والمعاصي.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: فيما وعدوا من أنفسهم لا يفون به.

العيّاشي: عن الصادق عليه السلام أنّهم ملعونون في الأصل[1].

﴿وَقَالُوٓاْ﴾: عطف على عادوا أو إبتداء.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾: الضّمير للحياة.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: للتوبيخ والسّؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه كناية عن اطّلاعهم على الربّ وجزائه، والوقوف: بمعنى الإطّلاع.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾: تعيير من الله لهم على تكذيبهم بالبعث.

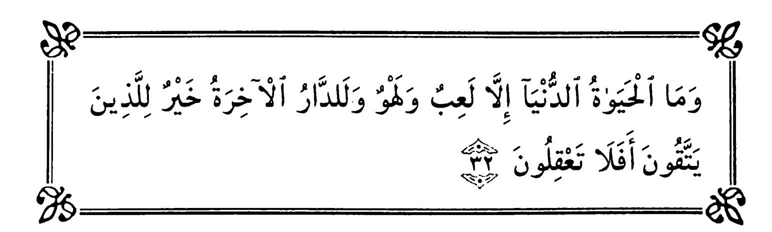
﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾: أقرّوا وأكّدوا باليمين لإنجلاء الأمر غاية الجلاء.

﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بسبب كفركم.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: ببلوغ الآخرة وما يتّصل به من الجزاء إذ

---

١ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٣٥٩، ح ١٩.



فاتهم النّعيم، واستوجبوا العذاب المقيم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: غاية لكذّبوا لا لخسر لأنّ خسرانهم لا غاية له.

﴿بَغْتَةً﴾: فجأة.

﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا﴾: أي تعالى فهذا أوانك.

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾: قصّرنا فيها.

قيل: أي في الدّنيا وإن لم يجر لها ذكر للعلم بها أو في السّاعة أي في شأنها والإيمان بها أو في الجنّة يعني في طلبها والعمل لها، لما روي عن النبي ﷺ في هذه الآية يرى أهل النّار منازلهم من الجنّة فيقولون: يا حسرتنا[1].

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾: تمثيل لإستحقاقهم آصار الآثام.

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: بئس شيئاً يزرونه وزرهم.

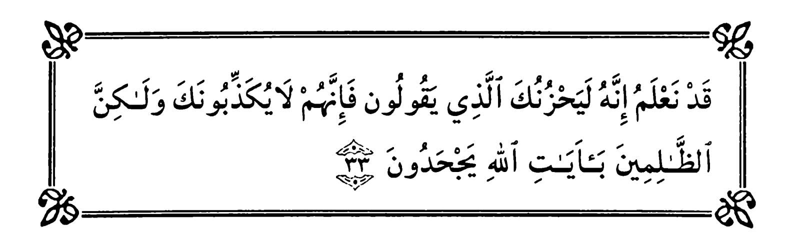
﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: وما أعمالها إلّا لعب ولهو يلهي النّاس ويشغلهم عمّا يعقّب منفعة دائمة ولذّة حقيقيّة، وهي جواب قولهم: «إن هي إلّا حياتنا الدّنيا»[2].

﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: لدوامها وخلود لذّاتها ومنافعها. وقرئ ولدار الآخرة.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أيّ الأمرين خير، وقرئ على الخطاب.

---

١ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٢٩٢.
٢ ـ الأنعام: ٢٩.



﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُون فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: في الحقيقة.

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: ولكنّهم يجحدون آيات الله ويكذّبونه، و«الباء» لتضمّن الجحود معنى التّكذيب، وقرئ بالتّخفيف من أكذبه إذا وجده كاذباً أو نسبه إلى الكذب.

وفي الكافي[1]: والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام قرأ رجل على أمير المؤمنين عليه السلام «فإنّهم لا يكذّبونك»، فقال: بلى والله لقد كذّبوه أشدّ التّكذيب، ولكنّها مخففة «لا يكذبونك» لا يأتون بباطل يكذبون به حقّك[2].

ونسبه القمّي إلى الصّادق عليه السلام إلاّ أنّه قال: لا يأتون بحقّ يبطلون حقّك[3].

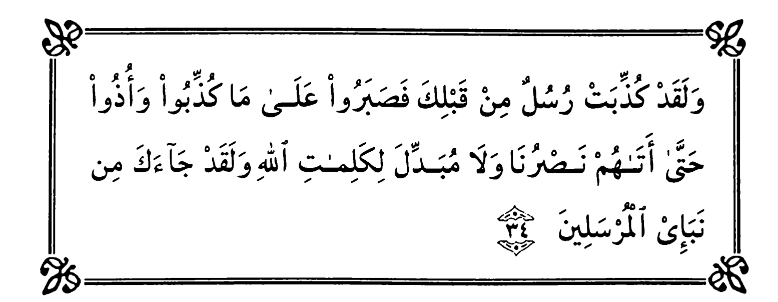
ويؤيّد هذا ثبوت التكذيب، والعيّاشي: عنه عليه السلام أي لا يستطيعون إبطال قولك[4].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه كان يقرأ لا يكذّبونك، ويقول: إنّ المراد بها أنّهم لا يأتون بحقّ أحقّ من حقّك[5].

وفيه عن أكثر المفسّرين لا يكذّبونك بقلوبهم إعتقاداً، قال: ويشهد لهذا ما روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لقي أبا جهل فصافحه فقيل له في ذلك فقال: والله إنّي لأعلم أنّه صادق ولكنّا متى كنّا تبعاً لعبد مناف، فأنزل الله تعالى الآية[6].

---

١ - الكافي: ج ٨، ص ٢٠٠، ح ٢٤١.
٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٥٩، ح ٢٠.
٣ - تفسير القمّي: ج ١، ص ١٩٦.
٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٥٩، ح ٢١.
٥ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٢٩٤.
٦ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٢٩٤.


وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰ أَتَٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾: تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰ أَتَٰهُمْ نَصْرُنَا﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام إنّ من صَبَرَ صبراً قليلاً، وإنّ من جزع جزعاً قليلاً، ثمّ قال: وعليك بالصّبر في جميع اُمورك فإنّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وأمره بالصّبر والرّفق قال: فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى نالوه بالعظائم، ورموه بها فضاق صدره فأنزل الله عزّ وجلّ: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صدرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ الْسَّاجدينَ»[1]، ثمّ كذّبوه ورموه، فحزن لذلك فأنزل الله عزّ وجلّ: «قَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَيَحْزُنكَ الّذى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبونَكَ وَلَكِنّ الْظّالِمِينَ بِآيَاتِ الله يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَاُوذُواْ حَتّى أَتاهُم نَصْرُنَا»، فألزم النّبي صلى الله عليه وآله نفسه الصّبر الحديث[2].

والقمّي: عنه عليه السلام ما يقرب منه[3].

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: قيل: اي لمواعيده[4] من قوله: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ»[5].

---

١ – الحجر: ٩٧ ـ ٩٨.

٢ – الكافي: ج ١، ص ٨٨، ح ٣، باب الصبر.

٣ – تفسير القمّي: ج ١، ص ١٩٦ ـ ١٩٧.

٤ – قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٨.

٥ – الصافات: ١٧١ ـ ١٧٢.

وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقاً فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِى ٱلسَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: من قصصهم وما كابدوا[١] من قومهم.

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾: عظم وشقّ.

﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾: عنك، وعن الإيمان بما جئت به.

القمّي: عن الباقر عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّ إسلام الحارث بن نوفل بن عبد مناف دعاه وجهد به أن يسلم فغلب عليه الشّقاء فشقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله هذه الآية[٢].

﴿فَإِنْ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقاً فِى ٱلْأَرْضِ﴾: منفذاً تنفذ فيه إلى جوف الأرض.

﴿أَوْ سُلَّماً فِى ٱلسَّمَاءِ﴾: أو مصعداً تصعد به إلى السّماء.

﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾: فتطلع لهم آية من الأرض أو تنزل آية من السماء يؤمنون بها وجوابه محذوف أي فافعل، والجملة جواب الشّرط الأوّل، والمقصودبيان حرصه البالغ على إيمان قومه، وأنّه لو قدر على ذلك لفعل، ولكنّه لا يقدر نظيره «فلعلّك باخع[٣] نفسك»[٤].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: بأن تأتيهم آية يخضعوا لها، ولكن لا يفعل لخروجه عن الحكمة.

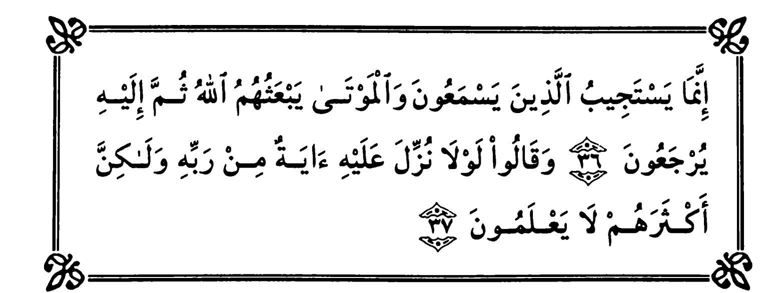
---

١ - الكَبَدُ: بالتحريك: ـ الشدّة والمشقّة، من المكابدة للشيء، وهي تحمّل المشاق في شيء. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٣٥، مادة «كبد».

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٨.

٣ - بخع نفسه بخعاً: أي قتلها غمّاً ووجداً. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٩٧، مادة «بخع».

٤ - الكهف: ٦.



في الإكمال: عن النّبي ﷺ يا عليّ إنّ الله قد قضى الفرقة والإختلاف على هذه الأُمّة فلو شاء الله لجمعهم على الهدى حتى لا يختلف إثنان من هذه الأُمّة، ولا ينازع في شيء من أمره، ولا يجحد المفضول لذي الفضل فضله[1].

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾: القمّي: مخاطبة للنّبي ﷺ والمعنيّ النّاس[2].

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾: بتفهّم وتدبّر. يعني إنّ الّذين تحرص على إيمانهم بمنزلة الموتى الّذين لا يسمعون.

﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾: فيحكم بينهم[3].

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: فحينئذ يسمعون، وأمّا قبل ذلك فلا سبيل إلى إسماعهم.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: ممّا اقترحوه، تركوا الإعتداد بما نزلت عليه من الآيات[4] والمعجزات مع كثرتها كأنّه لم ينزل عليه شيء من الآيات عناداً منهم.

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَنْ يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾: يخضعوا لها، وقرئ ينزل بالتّخفيف.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: إنّه يقدر عليه، وإنّ حكمته لا يقتضي ذلك.

القمي: قال: لا يعلمون إنّ الآية إذا جاءت ولم يؤمنوا بها هلكوا[5].

---

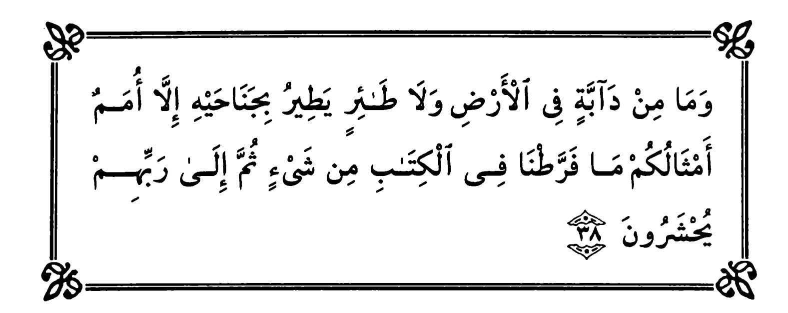
١ - إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٦٤، ح ١٠، باب ٢٤ ـ ما روي عن النبي ﷺ في النص على القائم عليه السلام وأنّه الثاني عشر من الأئمّة عليهم السلام.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٨.

٣ ـ وفي نسخة: [فيهم].

٤ ـ وفي نسخة: [آيات الله].

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٨.



وعن الباقر عليه السلام في هذه الآية: سيريكم في آخر الزّمان آيات. منها: دابّة الأرض، والدّجّال، ونزول عيسى بن مريم، وطلوع الشّمس من مغربها[١].

﴿وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: تدبّ على وجهها.

﴿وَلَا طَـٰئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾: في الهواء.

قيل: وصفه به قطعاً لمجاز السّرعة ونحوها[٢].

﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: محفوظة أحوالها، مقدّرة أرزاقها، مكتوبة آجالها، مخلوقة أبدانها، مربوبة أرواحها كما أنتم كذلك.

القمّي: يعني خلق مثلكم قال: وقال: كلّ شيء ممّا خلق خلق مثلكم[٣].

قيل: المقصود من ذلك الدّلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره وليكون كالدّليل على أنّه قادر على أن ينزّل آية[٤].

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾: شيئاً من التّفريط لأنّ «فرط» لا يتعدّى بنفسه وقد عدّى بـ«في» إلى الكتاب، وقرئ بالتّخفيف، ويعني بالكتاب: القرآن كما يستفاد من كثير من الأخبار كحديث اختلاف العلماء في الفتيا.

---

١ – تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٨.

٢ – قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٩.

٣ – تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٨.

٤ – قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٩.

في نهج البلاغة: عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟ أم كانوا شركاء له فعليهم أن يقولوا: وعليه أن يرضى؟ أم أنزل الله ديناً تامّاً فقصّر الرّسول عن تبليغه وأدائه؟ والله سبحانه يقول: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» وفيه تبيان كلّ شيء[1].

وحديث وصف الإمامة عن الرضا عليه السلام في العيون[2]، وغيره: جهل القوم وخدعوا عن أديانهم إنّ الله لم يقبض نبيّه صلى الله عليه وآله حتّى أكمل الدّين، وأنزل عليه القرآن: فيه تفصيل كلّ شيء بيّن، فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه كملاً، فقال عزّ وجلّ: ««ما فرّطنا في الكتاب من شيء»[3].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾: يعني الأمم كلّها.

في الفقيه: عن الصادق عليه الصّلاة والسّلام أيّ بعير حجّ عليه ثلاث سنين جعل من نَعَمِ الجنّة[4].

قال: وروي سبع سنين[5].

وفيه أنّ النّبي صلى الله عليه وآله أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها فقال: أين صاحبها مروه فليستعدّ غداً للخصومة[6].

وفي الخصال: عن النّبي صلى الله عليه وآله في حديث القيامة قال: لن يركب يومئذ إلّا أربعة: أنا،

---

١ - نهج البلاغة: ص ٦٠ ـ ٦١، الخطبة ١٨. في ذم اختلاف العلماء في الفتيا.

٢ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢١٦، باب ٢٠.

٣ - إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٦٧٥، ح ٣١، باب ٥٨ ـ في نوادر الكتاب.

٤ - من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٩١، ح ٨٧٢/ ٦، باب ٩٣ ـ ما يجب من العدل على الجمل وترك ضربه واجتناب ظلمه. وفيه: «يجعل من نعم الجنّة».

٥ - من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٩١، ح ٨٧٣/ ٧، باب ٩٣ ـ ما يجب من العدل على الجمل وترك ضربه واجتناب ظلمه.

٦ - من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٩١، ح ٨٦٧/ ١، باب ٩٣ ـ مايجب من العدل على الجمل وترك ضربه واجتناب ظلمه.

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾

وعليّ، وفاطمة، وصالح نبي الله. فأمّا أنا: فعلى البراق، وأمّا فاطمة ابنتي: فعلى ناقتي العضباء، وأمّا صالح: فعلى ناقة الله الّتي عقرت، وأمّا علي: فعلى ناقة من نور زمامها من ياقوت عليه حلّتان خضراوان[1].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ﴾: عن الهدى.

﴿وَبُكْمٌ﴾: لا يتكلّمون بخير.

﴿فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾: يعني ظلمات الكفر، كذا رواه القمّي عن الباقر عليه السلام في تفسير الآية[2].

﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾: يخذله فيضلّ لأنّه ليس من أهل الهدى.

﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: يرشده إلى الهدى بلطفه لأنّه من أهل الهدى واللّطف.

القمّي: عن الباقر عليه السلام نزلت في الّذين كذّبوا الأوصياء، هم صُمٌّ وبُكمٌ كما قال الله: «في الظّلمات» من كان من ولد إبليس فإنّه لا يصدّق بالأوصياء، ولا يؤمن بهم أبداً، وهم الّذين أضلّهم الله، ومن كان من ولد آدم آمن بالأوصياء وهم على صراط مستقيم[3].

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾: أرأيت أنفسكم معناه أخبروني.

---

١ - الخصال: ص ٢٠٤، ح ٢٠، باب الركبان يوم القيامة أربعة.

٢ - تفسير القمّي: ج ١، ص ١٩٨.

٣ - تفسير القمّي: ج ١، ص ١٩٩. وفيه: «بأوصيائهم».

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِالْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾: في الدّنيا.

﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: يعني القيامة، من تدعون.

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾: تبكيت لهم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: بأنّ الأصنام آلهة.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾: بل تخصّون الله بالدعاء دون الآلهة.

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾: ما تدعون إلى كشفه.

﴿إِنْ شَآءَ﴾: أن يتفضّل عليكم بكشفه.

﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾: وتتركون آلهتكم لما ركز في العقول أنّه القادر على كشف الضّر دون غيره أو لا تذكرونها في ذلك الوقت من شدّة الأمر وهو له.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: يعني الرّسل فكذبوهم.

﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِالْبَأْسَآءِ﴾: بالشدّة والفقر.

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: والمرض، ونقصان الأنفس والأموال.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: لكي يتضرعوا، ويخضعوا، ويتذلّلوا، ويتوبُوا عن ذنوبهم.

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: معناه نفي تضرّعهم في ذلك الوقت جاء بـ«لولا» ليدلّ على أنّه

فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾

لم يكن لهم عذر في ترك التضرّع إلّا عنادهم وقسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم الّتي زينها الشّيطان لهم.

في نهج البلاغة: من كلامه عليه السلام ولو أنّ النّاس حين تنزل بهم النّقم، وتزول عنهم النّعم فزعوا إلى ربّهم بصدق من نياتهم ووَلَهٍ من قلوبهم لردّ عليهم كلّ شارد وأصلح لهم كلّ فاسد[1].

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾: من البأساء والضّراء يعني تركوا الاتعاظ به.

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من الصحّة والتّوسعة في الرّزق، وقرئ فتّحنا بالتّشديد حيث وقع.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾: من الخير والنّعم واشتغلوا بالنّعم عن المنعم.

﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾: مفاجأة من حيث لا يشعرون.

﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾: آيسون من النّجاة والرّحمة متحسّرون[2].

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: أي آخرهم لم يترك منهم أحد من دبره إذا تبعه.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: على إهلاك أعدائه وإعلاء كلمته فإنّ تخليص أهل الأرض من سوء عقائدالكفار وقبيح أعمال العصاة والفجّارنعمة جليلة يحقّ أن يحمد عليها.

---

١ - نهج البلاغة: ص ٢٥٧، الخطبة ١٧٨. في الشهادة والتقوى.

٢ ـ وفي نسخة: [متحيرون].

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾

في المجمع: عن النّبي ﷺ إذا رأيت الله تعالى يعطي على المعاصي فإنّ ذلك استدراج منه، ثم تلا هذه الآية، وعن أمير المؤمنين عليه السلام يا ابن آدم إذا رأيت ربّك تتابع عليك نعمه فاحذره[1].

القمّي: عن الباقر عليه السلام «فلمّا نَسُوا ما ذكرّوا به» يعني فلمّا تركوا ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد أُمروا بها «فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء» دولتهم في الدّنيا وما بسط لهم فيها «أخذناهم بغتة» يعني بذلك قيام القائم (صلوات الله عليه) حتّى كأنّهم لم يكن لهم سلطان قطّ[2].

والعيّاشي: عنه عليه السلام لمّا تركوا ولاية علي صلوات الله عليه وقد أُمروا بها «أخذناهم بغتة» الآية قال: نزلت في ولد العبّاس[3].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ﴾: بأن يصمّكم ويعميكم.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾: بأن يغطّي عليها ما يذهب عقلكم ويسلب تميزكم.

﴿مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾: بذلك. القمّي: عن الباقر عليه السلام إن أخذ الله منكم الهدى[4].

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: قال: يعرضون.

---

١ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٠٢.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٠.

- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٠، ح ٢٣.   ٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠١.

قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾: من غير مقدّمة وظهور إمارة.

﴿أَوْ جَهْرَةً﴾: بتقدّم أمارة، قابل البغتة بالجهرة لما في البغتة من معنى الخفية.

﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلّا الّذين ظلموا بكفرهم وفسادهم.

القمّي: نزلت لمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأصاب أصحابه الجهد والعلل والمرض، فشكوا ذلك إليه يعني لا يصيبكم إلّا الجهد والضّر في الدّنيا، فأمّا العذاب الأليم الّذي فيه[١] هو الهلاك فلا يصيب إلّا القوم الظّالمين[٢].

العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام يؤاخذ بني أُميّة بغتة، وبني العبّاس جهرةً[٣].

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾: المؤمنين بالجنة.

﴿وَمُنذِرِينَ﴾: الكافرين بالنّار.

﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: من العذاب.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: بفوتِ الثّواب.

---

١ ـ وفي نسخة: [الذي هو الهلاك].

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠١.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٠، ح ٢٤.

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾: جعل العذاب ماسّاً لهم كأنّه الطّالب للوصول إليهم يفعل بهم ما يريد.

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بسبب خروجهم عن التّصديق والطّاعة.

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾: في التوحيد[1]، والمعاني[2]، والمجالس: عن الصادق عليه السلام لمّا صعد موسى على نبيّنا وآله و عليه السلام إلى الطّور فنادى ربّه عزّ وجلّ قال: يا ربّ أرني خزائنك، فقال تعالى: يا موسى إنّما خزائني إذا أردت شيئاً أن أقول له كن فيكون[3].

﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: الّذي اختصّ الله بعلمه، وإنّما أعلم منه ما يعلّمني الله.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾: من جنس الملائكة أقدر على ما يقدرون عليه.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾: ما أُنبّئكم بما كان وما يكون إلّا بالوحي تبرّأ من دعوى الأُلوهيّة والملكيّة، وادّعىٰ النّبوّة الّتي هي من كمالات البشر ردّاً لإستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدّعاه.

في العيون: عن الرّضا عليه السلام إنّه سئل يوماً وقد اجتمع عنده قوم من أصحابه، وقد كانوا يتنازعون في الحديثين المختلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله في الشيء الواحد فقال عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ حرّم حراماً وأحلّ حلالاً، وفرض فرائض، فما جاء في تحليل ما حرّم الله أو تحريم

---

١ - التوحيد: ص ١٣٢، ح ١٧، باب ٩ ـ القدرة.　　٢ - معاني الأخبار: ص ٤٠٢، ح ٦٥.

٣ - الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٤١٣، ح ٤، المجلس السابع والسبعون.

وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

ما أحلّ الله أو رفع فريضة في كتاب الله رسمها قائم بلا نسخ نسخ ذلك فذلك شيء لا يسع الأخذ به لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن ليحرّم ما أحلّ الله ولا ليحلّل ما حرّم الله، ولا ليغيّر فرائض الله وأحكامه، وكان في ذلك كلّه متّبعاً مسلّماً مؤدّياً عن الله عزّ وجلّ، وذلك قول الله عزّ وجلّ: «إن أتّبع إلّا ما يوحى إليّ» فكان متّبعاً لله مؤدّياً عن الله ما أمر به من تبليغ الرّسالة[١].

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: قيل: الضّالّ والمهتدي[٢].

والقمّي: قال: من لا يعلم، ومن يعلم[٣]. ونسبه في المجمع إلى أهل البيت عليهم السلام[٤].

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾: فلا تكونوا ضالّين أشباه العميان وتنصفوا من أنفسكم.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: في المجمع: عن الصادق عليه السلام وأنذر بالقرآن الّذين يرجون الوصول إلى ربّهم، وترغبهم فيما عنده فإنّ القرآن شافع مشفع[٥].

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾: يعبدونه على الدّوام.

---

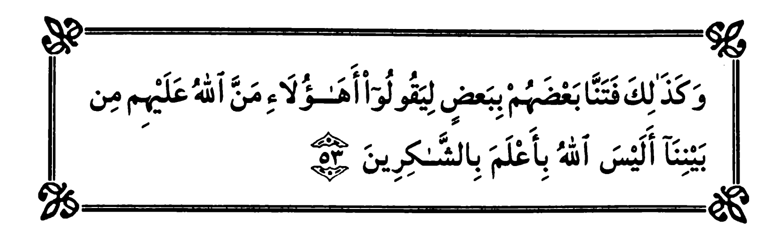
١ - عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٢٠، ح ٤٥، باب ما جاء في الحديثين المختلفين.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١١، س ١٠.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠١، س ٢٠.

٤ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ٣٠٤، س ١٨.

٥ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥.



﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: يبتغون مرضاته مخلصين له، وقرئ بالغَدْوة.

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾: جواب النّفي.

﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: جواب النّهي، القمّي: قال: كان سبب نزولها أنّه كان بالمدينة قوم فقراء مؤمنون يسمّون أصحاب الصّفّة وكان رسول الله ﷺ أمرهم أن يكونوا في الصفّة يأوون إليها وكان رسول الله ﷺ يتعاهدهم بنفسه، وربما يحمل إليهم ما يأكلون، وكانوا يختلفون إلى رسول الله ﷺ فيقرّبهم ويقعد معهم ويؤنسهم، وكان إذا جاء الأغنياء والمترفون من أصحابه ينكرون عليه ذلك، ويقولون: له أُطردهم عنك، فجاء يوماً رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وعنده رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من أصحاب الصّفّة قد لزق برسول الله ﷺ ورسول الله يحدّثه فقعد الأنصاري بالبعد منهما، فقال له رسول الله ﷺ: تقدّم فلم يفعل، فقال له رسول الله ﷺ: لعلّك خفت أن يلزق فقره بك، فقال الأنصاري: أُطرد هؤلاء عنك، فأنزل الله، ولا تطرد الذين يدعون ربّهم[1]، الآية.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك الفتن، وهو اختلاف أحوال النّاس في أُمور الدّنيا.

﴿فَتَنَّا﴾: ابتلينا.

﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: في أمر الدّين فقدمنا هؤلاء الضّعفاء على أشراف قريش بالسّبق إلى الإيمان.

﴿لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾: أي هؤلاء من أنعم الله عليهم

---

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٢.

وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾

بالهداية والتّوفيق لما يسعده دوننا ونحن الأكابر والرؤساء وهم المساكين والضّعفاء، وهو إنكار لأن يخصّ هؤلاء من بينهم بإصابة الحقّ والسّبق إلى الخير كقولهم: «لو كانوا خيراً ما سبقونا إليه» واللام للعاقبة.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّـٰكِرِينَ﴾: بمن يقع منه الإيمان والشّكر فيوفّقه، وبمن لا يقع منه فيخذله.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾: قيل: نزلت في الّذين نهى الله عزّ وجلّ نبيّه عن طردهم، وكان النّبي صلى الله عليه وآله إذا رآهم بدأهم بالسلام، وقال: الحمد لله الذي جعل في أُمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام[1].

وقيل: نزلت في حمزة، وجعفر، وعمّار، ومصعب بن عمير، وغيرهم[2].

وقيل: إنّ جماعة أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إنّا أصبنا ذنوباً كثيرة فسكت عنهم فنزلت[3].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام إنّها نزلت في التائبين[4].

ويؤيّده تمام الآية، ولا تنافي بين الرّوايات.

﴿أَنَّهُ﴾: استيناف يفسّر الرّحمة، وقرئ بالفتح على البدل منها.

---

١ ـ قاله عكرمة، كما ذكره الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٠٧، في شأن نزول الآية.

٢ ـ قاله عطا كما ذكره الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٠٧ في شأن نزول الآية.

٣ ـ قاله أنس بن مالك كما ذكره الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٠٧ في شأن نزول الآية.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٠٧ في شأن نزول الآية.

وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءَا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾: بالتّدارك.

﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: وقرئ بالفتح.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثل ذلك التّفصيل الواضح.

﴿نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾: آياتُ القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرّين منهم والأوّابين.

﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: قرئ بالتاء، ونصب السّبيل على الخطاب وبالتاء ورفعها[1].

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ﴾: صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلّة، وأُنزل علي من الآيات في أمر التوحيد.

﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾: تأكيد لقطع أطماعهم، وإشارة إلى الموجب للنّهي وعلّة الإمتناع من متابعتهم وإستجهال لهم، وبيان مبدأ ضلالهم، وإنّ ما هم عليه هوىً وليس بهدى، وتنبيه لمن تحرّى الحقّ على أن يتّبع الحجّة ولا يقلّد.

﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً﴾: أي إن اتّبعت أهواءكم فقد ضللت.

﴿وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾: أي في شيء من الهدى حتّى أكون من عدادهم، وفيه

---

١ ـ قرأ أهل المدينة: «وَلِتَسْتَبِينَ» بالتاء. «سبيل» بالنصب، وقرأ أهل الكوفة غير حفص «وَلِيَسْتَبِينَ» بالياء. «سبيل» بالرفع، وقرأ زيد عن يعقوب «وليستبين» بالياء. «سبيل» بالنصب، وقرأ الباقون «ولتستبين» بالتاء. «سبيل» بالرفع. مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٠٨، في القراءة.

قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾

تعريض بأنّه كذلك.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: على حجّة واضحة.

﴿مِن رَّبِّي﴾: من معرفة ربّي، وأنّه لا معبود سواه، أو صفة لبيّنة.

﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾: أنتم حيث أشركتم به غيره.

﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: قيل: يعني العذاب الّذي استعجلوه بقولهم: «فَأَمْطِر عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»[١][٢].

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: في تعجيل العذاب وتأخيره.

﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾: أي قضاء الحقّ في كلّ ما يقضي من التّأخير والتعجيل، وقرئ يقصّ الحقّ أي يتبعه من قصّ أثره[٣].

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: القاضين.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: من العذاب.

﴿لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: لأهلكتكم عاجلاً غضباً لربّي، وانقطع ما بيني وبينكم.

---

١ ـ الأنفال: ٣٢.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١٣.

٣ ـ وفي مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٠٩ ـ في القراءة ـ قال: قرأ أهل الحجاز وعاصم «يَقُصُّ ٱلْحَقَّ» بالصاد، والباقون «يَقْضِي ٱلْحَقَّ». منه قدّس سرّه.

وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: في معنى الإستدراك كأنّه قال: ولكنّ الأمر إلى الله وهو أعلم بمن ينبغي أن يؤخذ، وبمن ينبغي أن يمهل كذا قيل[1].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في حديث وقال الله عزّ وجلّ لمحمّد صلى الله عليه وآله: «قل لو أنّ عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بيني وبينكم» قال: لو إنّي أُمرت أن أعلمكم الّذي أخـفيتم في صدوركم من استعجالكم بموتي لتظلموا أهل بيتي من بعدي فكان مثلكم كما قال الله عزّ وجلّ: «كمثل الّذى استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوله»[2] يقول: أضاءت الأرض بنور محمّد صلى الله عليه وآله كما تضيء الشّمس الحديث[3].

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: خزائنه إن كان جمع المفتح بـفتح المـيم بمـعنى المخـزن أو مفاتيحه إن كان جمع المِفتح بكسر الميم بمعنى المفتاح أي ما يتوصّل به إلى المـغيبات، وقـرئ مفاتيح.

﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾: فيظهرها على ما اقتضته حكمته.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾: معطوفات على ورقة.

﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾: قيل: أي علم الله، أو اللّوح المحفوظ، أو القرآن، بـدل مـن

---

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١٣، س ١٤.

٢ - البقرة: ١٧.

٣ - الكافي: ج ٨، ص ٣٨٠، ح ٥٧٤.

الإستثناء الأوّل، وقرئت المعطوفات بالرّفع عطفاً على محلّ من «ورقة»، أو على «الإبتداء»، والخبر «إلاّ في كتاب»[١].

في الفقيه: في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام «وما تسقط من ورقة» من شجرة[٢].

وفي الكافي[٣]، والمعاني[٤]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام[٥] والقمّي: الورقة: السّقط، والحبّة: الولد، وظلمات الأرض: الأرحام، والرّطب: ما يحيى الناس، واليابس: ما يقبض، وكلّ ذلك: في كتاب مبين[٦].

والعيّاشي: عن الكاظم عليه السلام الورَقة: السّقط، يسقط من بطن اُمّه من قبل أن يهلّ الولد، والحبّة: الولد في بطن اُمّه إذا هلّ وسقط من قبل الولادة، والرطب: المضغة إذا أسكنت في الرّحم قبل أن يتمّ خلقها قبل أن تنتقل، واليابس: الولد التّام، والكتاب المبين: الإمام المبين[٧].

وفي الإحتجاج: عن الصّادق عليه السلام في حديث وقال: لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب»[٨]. وقال الله عزّ وجلّ: «ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين» وعلم هذا الكتاب عنده[٩].

---

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ٣١٣.

٢ - من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٣٢٦، ح ١٤٨٦ / ٣٠، باب ٧٩ ـ صلاة العيدين.

٣ - الكافي: ج ٨، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩، ح ٣٤٩. وفيه: «ما يحيى من الناس... كل ذلك في إمام مبين».

٤ - معاني الأخبار: ص ٢١٥، ح ١، باب معنى الورقة، والحبّة، وظلمات الأرض، والرطب، واليابس، وفيه: «والرطب: ما يحيى، واليابس: ما يغيض».

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦١، ح ٢٨، وفيه: «والرطب: ما يحيى، واليابس: ما يغيض».

٦ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٣، وفيه: «والرطب: ما يبق ويحيى، واليابس: ما يغيض الأرحام».

أقول: غاض الشيء: يعني نقص، فيكون المراد: ما تنقص الأرحام من السقط.

٧ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦١، ح ٢٩، بتفاوت يسير.

٨ - الرعد: ٤٣.

٩ - الإحتجاج: ج ٢، ص ١٤٠. احتجاجات الإمام الصادق عليه السلام.

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾

أقول: قد مضى معنى الكتاب من جهة التّأويل في أوّل سورة البقرة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾: يقبض أرواحكم عن التصرّف بالنّوم كما يقبضها بالموت.

﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾: أي ما كسبتم من الأعمال.

﴿بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾: ثمّ ينبّهكم من نومكم في النّهار.

﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: لتستوفوا آجالكم. القمّي: عن الباقر عليه السلام في قوله: «لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى» قال: هو الموت(١).

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: بالموت.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالمجازاة.

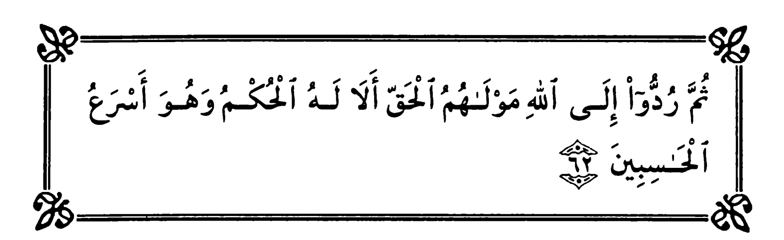
﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: المقتدر المستعلي على عباده.

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾: يحفظونكم ويحفظون أعمالكم، ويذبّون عنكم مردة الشّياطين، وهوام الأرض، وساير الآفات، ويكتبون ما تفعلون.

قيل: الحكمة في كتابة الأعمال: أنّ العباد إذا علموا أنّ أعمالهم تكتب عليهم وتعرض على رؤوس الأشهاد كانوا أزجر من القبائح، وأنّ العبد إذا وثق بلطف سيّده واعتمد على

---

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٣.



عطفه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمة المتطلّعين عليه[١].

ويأتي ما يقرب منه عن الصادق عليه السلام في سورة الإنفطار[٢] إن شاء الله.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾: ملك الموت وأعوانه كما سبق بيانه في سورة النّساء[٣]، وقرئ توفّاه بألف ممالة.

﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: لا يقصّرون بالتّواني والتأخير.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى حكمه وجزائه.

﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾: الّذي يتولّى أمرهم.

﴿ٱلْحَقِّ﴾: العدل الّذي لا يحكم إلّا بالحقّ.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: يومئذ لا حكم لغيره.

﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾: يحاسب الخلائق في مقدار لمح البصر كما مرّ في سورة البقرة[٤].

وفي الإعتقادات: إنّ الله تعالى يخاطب عباده من الأوّلين والآخرين يوم القيامة بمجمل حساب عملهم مخاطبة واحدة يسمع منها كل واحد قضيّته دون غيره، ويظنّ أنّه المخاطب دون غيره، لا يشغله عزّ وجلّ مخاطبة عن مخاطبة، ويفرغ من حساب الأوّلين والآخرين في مقدار نصف ساعة من ساعات الدّنيا[٥].

---

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١٤.

٢ - سورة الإنفطار، ذيل الآية: ١٢.

٣ - سورة النساء: ذيل الآية ٩٧.

٤ - سورة البقرة: ذيل الآية ٢٠٢.

٥ - الاعتقادات في دين الإمامية: ص ٥٢.

قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: من شدائدهما استعيرت الظّلمة للشّدة لمشاركتها في الهول وإبطال الأبصار، فقيل: لليوم الشّديد: يوم مظلم[1].

﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا﴾: متضرّعين بألسنتكم.

﴿وَخُفْيَةً﴾: ومسرّين في أنفسكم.

﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾: على إرادة القول أي قائلين لئن أنجيتنا من هذه الظّلمة والشّدة، وقرئ «لئن أنجانا» لتوافق قوله: «تدعونه».

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ * قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾: وقرئ بالتخفيف.

﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾: غمٍّ سواها.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾: تعودون إلى الشّرك، ولا توفون بالعهد بعد قيام الحجّة عليكم.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ﴾: يرسل.

---

١ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١٤.

﴿عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِن فَوْقِكُمْ﴾: كما أمطر على قوم لوط، وعلى أصحاب الفيل الحجارة.

﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: كما أغرق فرعون، وخسف بقارون.

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾: يخلطكم.

﴿شِيَعاً﴾: فرقاً مختلفي الأهواء، كلّ فرقة منكم متابعة للإمام[١]، ومعنى خلطهم أن يختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال.

﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾: يقتل بعضكم بعضاً.

﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَـٰتِ﴾: بالوعد والوعيد.

﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: العيّاشي[٢]، والقمي: عن الباقر عليه السلام «عذاباً من فوقكم»: هو الدّخان، والصّيحة، «أو من تحت أرجلكم»: هو الخسف، «أو يلبسكم شيعاً»: هو الإختلاف في الدّين، وطعن بعضكم على بعض، «ويذيق بعضكم بأس بعض»: هو أن يقتل بعضكم بعضاً، وكلّ هذا في أهل القبلة، يقول الله: «انظر كيف نصرّف الآيات لعلّهم يفقهون»[٣].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام، «من فوقكم»: من السّلاطين الظّلمة، «ومن تحت أرجلكم»: العبيد السّوء، ومن لا خير فيه، «أو يلبسكم شيعاً»: يضرب بعضكم ببعض بما يلقيه بينكم من العداوة، والعصبيّة، «ويذيقَ بعضكم بأس بعض»: هو سوء الجوار[٤].

وعن النّبي صلى الله عليه وآله سألت ربّي أن لا يظهر على أُمّتي أهل دين غيرهم، فأعطاني، وسألته أن لا يهلكهم جوعاً فأعطاني، وسألته أن لا يجمعهم على ضلال فأعطاني، وسألته أن لا يلبسهم شيعاً فمنعني[٥].

قال: وفي الخبر أنّه صلى الله عليه وآله قال: إذا وضع السيف في أمّتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة[٦].

---

١ ـ وفي نسخة: [مشايعة الإمام].

٢ ـ لم نعثر عليه في تفسير العياشي، والظاهر إنّه سهو من قلمه الشريف.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٤.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣١٥.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣١٥.

٦ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣١٥.

وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾: قيل: أي بالقرآن[١]، وقيل: أي بالعذاب[٢].

﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الصّدق أو الواقع لابدّ أن ينزّل.

﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بحفيظ.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾: وقت استقرار ووقوع.

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: عند وقوعه.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾: بالتكذيب والإستهزاء بها والطّعن فيها.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: فلا تجالسهم، وقم من عندهم.

العيّاشي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: الكلام في الله، والجدال في القرآن، قال: منه القُصّاص[٣].

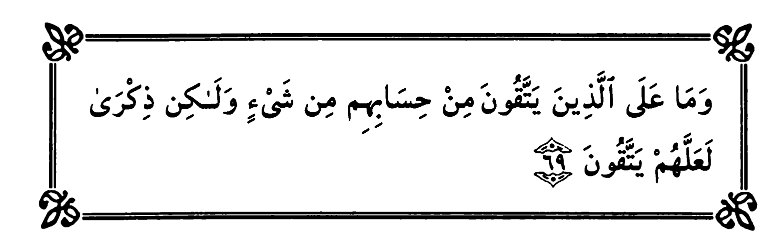
﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾: غير ذلك.

---

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١٥.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١٥.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٢، ح ٣١.



﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: النّهي، وقرئ ينسينك بالتّخفيف.

﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: بعد أن تذكّره.

﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي معهم، فوضع الظّاهر موضعه تنبيهاً على أنّهم ظلموا بوضع التّكذيب والإستهزاء موضع التّصديق والإستعظام.

في العلل: عن السّجاد عليه السلام ليس لك أن تقعد مع من شئت لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: «وإذا رأيت الّذين يخوضون» الآية[1].

والقمّي: عن النّبي صلى الله عليه وآله من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يسبّ فيه إمام أو يغتاب فيه مسلم، إنّ الله تعالى يقول في كتابه: «وإذا رأيت الّذين يخوضون في آياتنا» الآية[2].

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: وما يلزم المتقين الّذين يجالسونهم.

﴿مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾: ممّا يحاسبون عليه من قبائح أعمالهم وأقوالهم.

﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾: ولكن عليهم ذكرى أو عليهم أن يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: يجتنبون ذلك حبّاً أو كراهةً لمسائتهم.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام لمّا نزل «فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين» قال

---

١ - علل الشرائع: ص ٦٠٤ - ٦٠٥، ح ٨٠، باب ٣٨٥ - نوادر العلل.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٤.

وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسُ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمُ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

المسلمون: كيف نصنع إذا كان كلّما استهزأ المشركون قمنا وتركناهم فلا ندخل إذاً المسجد الحرام، ولا نطوف بالبيت الحرام فأنزل الله: «وما عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شِيءٍ» أمر بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعُوا[1].

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً﴾: حيث سخروا به واستهزؤوا منه وبنوا أمر دينهم على التشهّي أو جعلوا عيدهم الّذي جعل ميقات عبادتهم زمان لعب ولهو، والمعنى أعرض عنهم، ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم.

﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: فألهتهم عن العقبى.

﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾: أي بالقرآن.

﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسُ بِمَا كَسَبَتْ﴾: مخافة أن تسلّم إلى الهلاك وترتهن بسوء عملها، وأصل البسل: المنع.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾: يدفع عنها العذاب.

﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾: وإن تفد كلّ فداء، والعدل: الفدية، لأنّها تعادل المفدى، أُريد به هاهنا الفداء.

﴿لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾: أي سلّموا إلى العذاب بسبب

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣١٦، في شأن نزول الآية.

قُلْ أَنَدْعُواْ مِنْ دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللهُ كَالَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾

أعمالهم القبيحة، وعقائدهم الزّائفة.

﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾: تأكيد، وتفصيل لذلك، والمعنى هم بين ماءٍ مغليّ يتجرجر في بطونهم، ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم.

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ﴾: نعبد.

﴿مِنْ دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: لا يقدر على نفعنا وضرّنا.

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾: ونرجع عن دين الإسلام إلى الشّرك.

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللهُ كَالَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: كالذي ذهبت به مردة الجنّ في المهامة[1] من هوى إذا ذهب، وقرئ استهواه بألف ممالة.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: متحيّراً ضالاً عن الطّريق.

﴿لَهُ أَصْحَٰبٌ﴾: لهذا المستهوي رفقة.

﴿يَدْعُونَهُ إِلَى ٱلْهُدَى﴾: إلى الطّريق المستوي أو إلى أن يهدوه الطّريق المستقيم.

﴿ٱئْتِنَا﴾: يقولون له: ائتنا وقد اعتسف التّيه تابعاً للجنّ لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبنيّ على ما تزعمه العرب أنّ الجنّ يستهوي الإنسان كذلك.

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللهِ﴾: الّذي هو الإسلام.

﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾: وحده وما سواه ضلال.

---

١ – المهامة: المفازة لا ماء لها. الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٦٣.

وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: من جملة المقول.

﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾: أي أمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا يعني للإسلام، ولإقامة الصلاة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: فيجازي كلّ عامل منكم بعمله.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: قائماً بالحقّ والحكمة.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾: قيل: أي قوله الحقّ يوم يقول: كقولك: القتال يوم الجمعة، واليوم: بمعنى الحين، والمعنى: أنّه خالق السماوات والأرض، وقوله: «الحقّ» نافذ في الكائنات، أو يوم معطوف على السماوات، وقوله: «الحقّ» مبتدأ وخبر أو فاعل يكون على معنى، وحين يقول: لقوله: «الحقّ» أي لقضائه «كن فيكون»، والمراد حين يكوّن الأشياء ويحدثها[١].

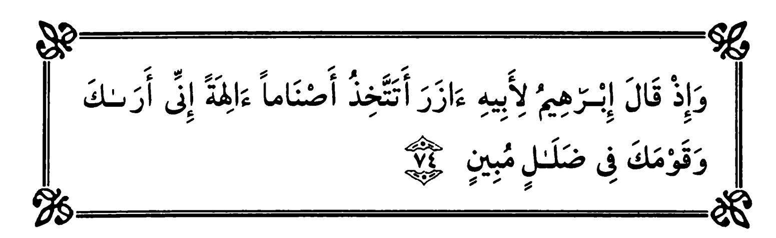
﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: كقوله: «لمن الملك اليوم لله الواحد القهار»[٢].

والصّور: قرن من نور التقمه إسرافيل فينفخ فيه كذا عن النبي ﷺ[٣].

---

١ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١٧.   ٢ - غافر: ١٦.

٣ - الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ج ٧، ص ٢٠، ح ١٣، ص ٢٣٩، ومجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٢١، و ج ٥ ـ ٦، ص ٤٩٦، س ٢٦، وروح المعاني (تفسير الآلوسي): ج ٧، ص ١٩١، و ج ٢٠، ص ٣٠، وتفسير أبي السعود: ج ٦، ص ٣٠٣، وتفسير القرآن العظيم (ابن كثير): ج ٢، ص ١٢٨، و ج ٣، ص ٣٢٤.



وروي أنّ فيه بعدد كلّ إنسان ثقبة فيها روحه[١]، ووصف بالسّعة والضّيق واختلف في أنّ أعلاه ضيّق وأسفله واسع أو بالعكس ولكلّ وجه، ويأتي في بيانه وصفة النّفخ فيه حديث في سورة الزمر[٢]. إن شاء الله.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: أي هو عالم الغيب والشّهادة.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾: وهذا كالفذلكة للآية.

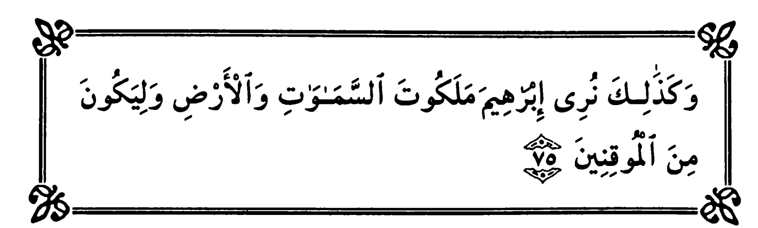
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾: في المجمع: قال عن الزّجّاج: ليس بين النسّابين اختلاف في أنّ إسم أبي إبراهيم تارخ.

قال: وهذا يقوّي ما قاله أصحابنا إنّ آزر كان جدّ إبراهيم لأُمّه أو كان عمّه من حيث صحّ عندهم أنّ آباء النّبي صلى الله عليه وآله إلى آدم عليه السلام كان كلّهم موّحدينَ وأجمعت الطّائفة على ذلك، ورووا عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: لم يزل ينقلني الله تعالى من أصلاب الطّاهرين إلى أرحام المطّهرات حتّى أخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهليّة ولو كان في آبائه كافر لم يصف جميعهم بالطّهارة مع قوله: «إنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ[٣]»[٤].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام أنّ آزر[٥] أبا إبراهيم عليه السلام كان منجّماً لنمرود، وساق

---

١ – الدر المنثور: ج ٣، ص ٢٣، س ١٣.
٢ – ذيل الآية: ٦٨.
٣ – التوبة: ٢٨.
٤ – مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٢١.
٥ – يمكن أن يقال: إنّ آذر يكتم إيمانه ولم يؤمر بإظهاره لأحد حتى إبراهيم عليه السلام، أو علم هو بإيمانه وكان نزاعهما من باب المصناعة مع الناس لمصالح خفيّة عندهما. منه قدّس سرّه.



الحديث إلى أن قال: ووقع آزر بأهله فعلقت بإبراهيم الحديث[١].

والعياشي: عنه عليه السلام أنّه سئل عن قوله تعالى: «وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر» قال: كان إسم أبيه آزر[٢]، والعلمُ عند الله.

﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً ءَالِهَةً إِنِّي أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَـٰلٍ﴾: عن الحقّ.

﴿مُبِينٍ﴾: ظاهر الضّلالة.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾: مثل هذا التّبصير نبّصره وهو حكاية حال ماضية.

﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ربوبيّتها وملكها، والملكوت أعظم الملك، والتّاء فيه للمبالغة.

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾: أي ليراه، وليكون، أو وفعلنا ذلك ليكون.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام كشط[٣] الله عن الأرضين حتّى رآهن وما تحتهنّ، وعن السّماوات حتّى رآهنّ وما فيهنّ من الملائكة وحملة العرش[٤].

والعيّاشي[٥]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام كشط له عن الأرض ومن عليها، وعن السّماء ومن فيها، والملَك الّذي يحملها والعرش ومن عليه[٦].

---

١ - الكافي: ج ٨، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٨، ح ٥٥٨.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٢، ح ٣٢.

٣ - الكشط: الكشف. وإذا السماء كشطت أي كشفت وأُزيلت. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٧٠، مادة «كشط».

٤ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٢٢.

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٣، ح ٣٣.

٦ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٥.

وزادالقمّي وفعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام[١]: وفي رواية والأئمة عليهم السلام[٢].

وفي رواية العيّاشي: عن الباقر عليه السلام وفعل بمحمّد صلى الله عليه وآله كما فعل بإبراهيم عليه السلام وإنّي لأرى صاحبكم قد فعل به مثل ذلك[٣].

وعنه عليه السلام قال: أعطى بصره من القوة ما نفذ السّماوات فرآى ما فيها، ورآى العرش وما فوقه، ورآى ما في الأرض وما تحتها[٤].

وفي المناقب: عنه عليه السلام أنّه سأله جابر بن يزيد عن هذه الآية فرفع بيده وقال: إرفع رأسك قال: فرفعته فوجدت السّقف متفرّقاً، ورمق ناظري في ثلم حتّى رأيت نوراً حار عنه بصري، فقال: هكذا رآى إبراهيم عليه السلام ملكوت السّماوات والأرض، وأُنظر إلى الأرض ثم ارفع رأسك. فلمّا رفعته رأيت السّقف كما كان، ثم أخذ بيدي وأخرجني من الدّار، وألبسني ثوباً وقال: غمّض عينيك ساعة، ثم قال: أنت في الظّلمات الّتي رآى ذو القرنين، ففتحت عينيّ فلم أر شيئاً ثمّ تخطّى خُطىً فقال: أنت على رأس عين الحياة للخضر عليه السلام، ثمّ خرجنا من ذلك العالم حتى تجاوزنا خمسة أقاليم، فقال: هذا ملكوت الأرض، ثم قال: غمّض عينيك، وأخذ بيدي فإذا نحن بالدار الّتي كُنّا فيها، وخلع عنّي ما كان ألبست. قلت جعلت فداك كم ذهب من اليوم؟ فقال: ثلاث ساعات[٥].

وفي الكافي[٦]، والمجمع[٧]، والقمّي[٨]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام لمّا رآى إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض رآى رجلاً يزني فدعا عليه فمات، ثم رآى آخر فدعا عليه فمات، ثم رآى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا فأوحى الله إليه يا إبراهيم إنّ دعوتك مستجابة فلا تدع على عبادي فإنّي لو شئت أن أُميتهم لدعائك ما خلقتهم، فإنّي خلقت خلقي على

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٥.

٢ ـ الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٨٦٦ ـ ٨٦٧، ح ٨١ و ٨٣، فصل في نوادر المعجزات.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٣، ح ٣٤.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٤، ح ٣٦.

٥ ـ مناقب ابن شهرآشوب: ج ٤، ص ١٩٤.

٦ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٠٥، ح ٤٧٣.

٧ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٢٢.

٨ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦، والنص له.

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَباً قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾

ثلاثة أصناف: صنف يعبدني ولا يشرك بي شيئاً فأثيبه، وصنف يعبد غيري فليس يفوتني، وصنف يعبد غيري فأخرج من صلبه من يعبدني[1].

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾: أظلم عليه وستره بظلامه.

﴿رَءَا كَوْكَباً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾: على سبيل الإنكار والإستخبار لأنّ قومه كانوا يعبدون الكواكب أو على وجه النّظر والإستدلال لأنّه كان طالباً في حداثة سنّه.

﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾: غاب.

﴿قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾: فضلاً عن عبادتهم فإنّ الإنتقال والإحتجاب والإستتار دليل الحدوث والفقر.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغاً﴾: مبتدءاً في الطّلوع.

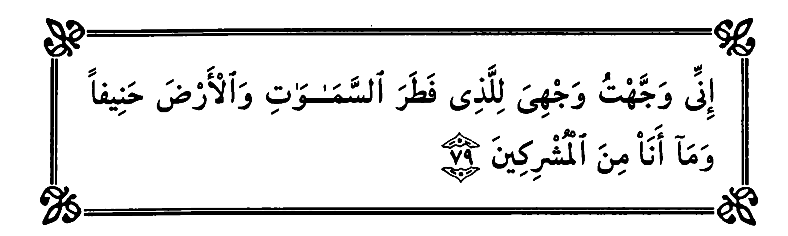
﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾: استعجز نفسه واستعان بربّه في درك الحقّ فإنّه لا يهتدي إليه إلّا بتوفيقه إرشاداً لقومه وتنبيهاً لهم على أنّ القمر أيضاً لتغيّر حاله لا يصلح للألوهيّة وإنّ من اتّخذه إلهاً فهو ضالّ.

العيّاشي: عنهما عليهما السلام لأكوننّ من القوم الضّالين ناسياً للميثاق[2].

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾: قيل: ذكر اسم الإشارة لتذكير الخبر

---

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٤، ح ٣٧.
٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٤، ح ٣٩.



وصيانةً للربّ عن شبهة التّأنيث[1].

﴿هَٰذَا أَكْبَرُ﴾: كبّره إظهاراً لشبهة الخصم أو إستدلالاً له.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾: من الأجرام المحدثة المفتقرة إلى محدث يحدثها ويخصّ أحوالها بما خصّت به ثم لمّا تبرّأ عنها توجّه إلى موجدها، ومبدعها الّذي دلّت هي عليه فقال.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: في العيون: عن الرّضا عليه السلام أنّه سأله المأمون فقال: له يا ابن رسول الله أليس من قولك أنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى. قال: فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: «فلمّا جنّ عليه اللّيل رآى كوكباً قال هذا ربّي» فقال الرّضا عليه السلام: إنّ إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثة أصناف: صنف يعبد الزّهرة، وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشّمس، وذلك حين خرج من السَّرَب[2] الّذي أُخفي فيه فلمّا جنّ عليه اللّيل رآى الزّهرة قال: «هذا ربّي» على الإنكار والإستخبار «فلمّا أفل» الكوكب قال: «لا أُحبّ الآفلين» لأنّ الأُفول من صفات المحدث لا

---

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١٨.

٢ - السَّرَبُ بالتحريك: ـ جُحْر الثعلب، والأسد، والضَّبُع، والذئب. والسَّرَب: الموضع الذي يدخل فيه الوحشي والجمع أسراب، وانسرب الوحشي في سربه، والثعلب في جحره. وتسرّب: دخل، والسَّرَب: الحفيرة، وقيل: بيت تحت الأرض. تاج العروس: ج٣، ص٤٩ـ ٥٠، مادّة «سرب». وقال الجوهري: السّرب أيضاً: بيت في الأرض تقول انسرب الوحش في سربه، وانسرب الثعلب في جحره وتسرّب، أي دخل. الصحاح: ج١، ص١٤٧.

والمراد الغار الّذي ولد فيه هربت إليه أُمّه من خوف النمرود وولدته فيه وربته بإعانة جبرئيل عليه السلام: حتى مر عليه سنوات فخرج من الغار وبرز وشرع في الدعوة. منه رحمه الله.

من صفات القديم «فلمّا رآى القمر بازغاً قال هذا ربّي» على الإنكار والإستخبار «فلمّا أفل قال لئن[١] لم يهدني ربّي لأكونّن من القوم الضّالين» فلمّا أصبح «ورآى الشّمس بازغة قال هذا ربّي هذا أكبر» من الزّهرة والقمر، على الإنكار والإستخبار لا على الإخبار والإقرار «فلّما أفلت قال» للأصناف الثّلاثة من عبدة الزّهرة والقمر والشّمس: «يا قوم إنّي بريء ممّا تشركون * إنّي وجّهت وجهي للّذي فطر السّماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين» وإنّما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال: أن يبيّن لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم أنّ العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض وكان ما احتجّ به على قومه ما ألهمه الله وآتاه كما قال الله تعالى: «وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجاتٍ من نشاء»[٢]، فقال المأمون: لله درّك يا ابن رسول الله[٣].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام إنّ آزر أبا إبراهيم عليه السلام كان منجّماً لنمرود بن كنعان فقال له: إنّي أرى في حساب النجوم أنّ هذا الزّمان يحدث رجلاً فينسخ هذا الدّين، ويدعو إلى دين آخر، فقال له نمرود: في أيّ بلاد يكون؟ قال: في هذه البلاد، وكان منزل نمرود بكوثاريا، فقال له نمرود: قد خرج إلى الدنيا؟ قال آزر: لا، قال: فينبغي أن يفرّق بين الرّجال والنّساء ففرّق، فحملت أُمّ إبراهيم بإبراهيم عليه السلام ولم يتبيّن حملها، فلّما حان ولادتها قالت: يا آزر إنّي قد اعتللت وأُريد أن أعتزل عنك، وكان في ذلك الزمان المرأة إذا اعتلّت اعتزلت عن زوجها فخرجت واعتزلت في غار، ووضعت إبراهيم عليه السلام وهيّئته وقمّطته ورجعت إلى منزلها وسدّت باب الغار بالحجارة فأجرى الله لإبراهيم عليه السلام لبناً من إبهامه، وكانت أُمّه تأتيه ووكّل نمرود بكلّ إمرأة حامل، وكان يذبح كلّ ولد ذكر. فهربت أُمّ إبراهيم بإبراهيم عليه السلام من الذّبح، وكان يشبّ إبراهيم في الغار يوماً كما يشبّ غيره في الشّهر حتّى أتى له في الغار ثلاثة عشرة سنة، فلمّا كان بعد ذلك زارته أُمّه، فلمّا أرادت أن تفارقه تشّبث بها فقال: يا أُمّي

---

١ - وفي نسخة [لئن لم يهدني ربي لكنت من القوم الضالين].

٢ - الأنعام: ٨٣.

٣ - عيون أخبار الرضا: ج١، ص ١٩٧، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء.

﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَـٰجُّونِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠﴾

أخرجيني، فقالت له: يا بني إنّ الملك إن علم أنّك ولدت في هذا الزّمان قتلك، فلمّا خرجت اُمّه خرج من الغار وقد غابت الشّمس نظر إلى الزّهرة في السّماء، فقال: «هذا ربّى» فلمّا غابت الزّهرة قال: لو كان ربّي ما تحرّك وما برح، ثمّ قال: «لا اُحب الآفلين»، والآفل: الغائب «فلمّا رآى القمر بازغاً قال هذا ربّي هذا أكبر» وأحسن، فلمّا تحرّك وزال قال: «لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ من القوم الضّالّين» فلمّا أصبح وطلعت الشّمس ورآى ضوءها وقد أضاءت الدّنيا بطلوعها[1] «قال هذا ربّي هذا أكبر» وأحسن فلمّا تحرّكت وزالت كشط الله له عن السّماوات حتّى رآى العرش ومن عليه وأراه الله ملكوت السماوات والأرض فعند ذلك قال: «يا قوم إنّي برئ ممّا تشركون * إنّي وجهت وجهي للّذى فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين» فجاء إلى اُمّه وأدخلته إلى دارها وجعلته بين أولادها[2].

قال: وسئل أبو عبدالله عليه السلام عن قول إبراهيم عليه السلام «هذا ربّي» أشرك في قوله: هذا ربّي؟ قال: من قال هذا اليوم فهو مشرك، ولم يكن من إبراهيم عليه السلام شرك، وإنّما كان في طلب ربّه، وهو من غيره شرك[3].

والعيّاشي: مثله، وزاد عن أحدهما عليهما السلام إنّما كان طالباً لربّه ولم يبلغ كفراً، وإنّه من فكّر من النّاس في مثل ذلك فإنّه بمنزلته[4].

﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ﴾: خاصموه في التّوحيد.

---

١ ـ وفي نسخة: [لطلوعها].

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٤، ح ٣٨.

وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰناً فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

﴿قَالَ أَتُحَـٰجُّونِّى فِى ٱللهِ﴾: في وحدانيته، وقرئ بتخفيف النون.

﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾: إلى توحيده.

﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾: أي لا أخاف معبوداتكم قطّ، لأنّها لا قدرة لها على ضرّ ولا على نفع[1].

﴿إِلَّآ أَنْ يَشَاءَ رَبِّى شَيْئاً﴾: أن يصيبني بمكروه وكأنّه جواب عن تخويفهم إيّاه من جهة آلهتهم.

﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً﴾: فلا يستبعد أن يكون في علمه إنزال مخوف بي.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: فتميّزوا بين القادر والعاجز.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾: ولا يتعلّق به ضرر.

﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللهِ﴾: وهو حقيق بأن يخاف منه كلّ الخوف لأنّه إشراك للمصنوع بالصانع، وتسوية بين المقدور والعاجز والقادر الضّارّ النّافع.

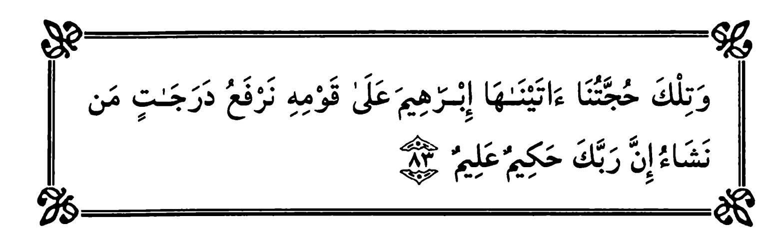
﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰناً﴾: حجّة، والمعنى وما لكم تنكرون عليّ الأمن في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف.

﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾: الموحّدون أو المشركون.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾: ولم يخلطوا.

---

١ ـ وفي نسخة: [أو نفع].



﴿إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾: في المجمع: عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أنّه من تمام قول إبراهيم عليه السلام[1].

وعن ابن مسعود: لمّا نزلت هذه الآية شقّ على النّاس، وقالوا يا رسول الله وأيّنا لم يظلم نفسه، فقال: إنّه ليس الّذي تعنون ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصّالح عليه السلام «يا بنيّ لا تشرك بالله إنّ الشّرك لظلمٌ عظيم[2]»[3].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية قال: الظّلم: الضّلال فما فوقه[4].

وعنه عليه السلام: إنّه سئل: «ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهم بِظُلْم» الزّنا منه قال: أعوذ بالله من أُولئك لا، ولكنّه ذنب إذا تاب تاب الله عليه، وقال: مدمن الزّنا، والسّرقة، وشارب الخمر، كعابد الوثن[5].

وفي رواية قال: أُولئك الخوارج، وأصحابهم[6].

وفي الكافي[7]، والعيّاشي: عنه عليه السلام: إنّ الظّلم هنا: الشّك[8].

وعنه عليه السلام: «ولم يلبسوا إيمانهم بظلم» قال: آمنوا بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله من الولاية، ولم يخلطوها بولاية فلان وفلان[9].

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَـٰهَا إِبْرَٰهِيمَ﴾: أرشدناه إليها، وعلّمناه إيّاها.

---

١ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨.
٢ - لقمان: ١٣.
٣ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ـ ص ٣٢٧.
٤ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٣٦٦، ح ٤٧.
٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٦، ح ٤٦.
٦ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٧، ح ٥٠.
٧ - الكافي: ج ٢، ص ٣٩٩، ح ٤، باب الشك.
٨ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٦، ح ٤٨.
٩ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧، ح ٤٩.

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾

﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَن نَشَاءُ﴾: في العلم والحكمة، وقرئ بالتّنوين.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: في رفعه وخفضه.

﴿عَلِيمٌ﴾: بحال من يرفعه واستعداده له.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾: أي كلًّا منهما.

﴿وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾: يعني هديناهم لنجعل الوصيّة في أهل بيتهم، كذا عن الباقر عليه السلام رواه في الكافي[١]، والإكمال: في حديث اتّصال الوصيّة من لدن آدم[٢].

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾: العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام والله لقد نسب الله عيسى بن مريم في القرآن إلى إبراهيم عليه السلام من قبل النّساء، ثمّ تلا هذه الآية[٣].

وفي العيون: عن الكاظم عليه السلام في جواب هارون في هذه المسألة إنّما اُلحق عيسى عليه السلام بذراري الأنبياء من طريق مريم، وكذلك اُلحقنا بذراري النّبي صلّى الله عليه وآله من قبل

---

١ - الكافي: ج ٨، ص ١١٦، ح ٩٢ ـ حديث آدم عليه السلام مع الشجرة. والحديث طويل.

٢ - إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢١٦، ح ٢، باب اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٧، ح ٥٢.

وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾

أمّنا فاطمة عليها السلام[1].

﴿وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ * وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُواْ﴾: مع فضلهم وعلوّ شأنهم.

﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: فكانوا كغيرهم.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: يريد به الجنس.

﴿وَٱلْحُكْمَ﴾: والحكمة أو الحكم بين النّاس.

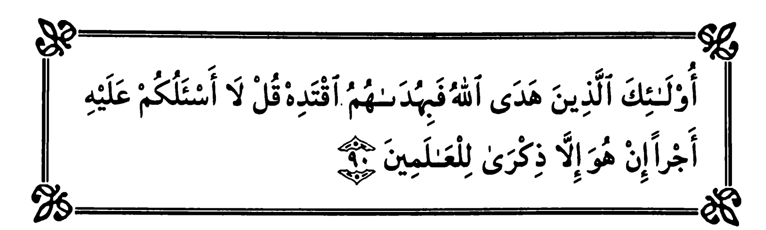
﴿وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾: أي بالنّبوة أو الثّلاثة.

﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: يعني قريشاً.

﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ﴾: في المحاسن: عن الصّادق عليه السلام قوماً

---

١ - عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٨٤، ح ٩، باب ٧ ـ جمل من أخبار موسى بن جعفر عليهما السلام مع هارون الرشيد.



يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة ويذكرون الله كثيراً[١].

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾: يريد الأنبياء المقدّم ذكرهم.

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾: فاقتصّ طريقهم بالإقتداء، والهاء للوقف.

في مصباح الشريعة: عن الصّادق عليه السلام لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الإقتداء، لأنّه المنهج الأوضح والمقصد الأصحّ قال الله لأعزّ خلقه محمّد صلى الله عليه وآله: «أُولـٰئك ٱلّذين هَدَى الله فبهدىٰهم اقتده» فلو كان لدين الله مسلك أقوم من الإقتداء لندب أنبياءه وأولياءه إليه[٢].

والقمّي: عن النّبي صلى الله عليه وآله وأحسن الهدى: هدى الأنبياء[٣].

وفي نهج البلاغة: اقتدوا بهدى نبيّكم فإنّه أفضل الهدى[٤].

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التّبليغ.

﴿أَجْرًا﴾: جعلاً من جهتكم كما لم يسأل من كان قبلي من النّبيين، وهذا من جملة ما أمر بالإقتداء بهم.

﴿إِنْ هُوَ﴾: أي التّبليغ.

﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾: تذكيراً وعظةً لهم.

---

١ - المحاسن: ج ٢، ص ٤١٩، ح ٢٤٦٦ / ٩١، باب ١٧ ـ فضل الخبز وما يجب من إكرامه.

٢ - مصباح الشريعة: ص ١٥٧، باب ٧٤ ـ في الإقتداء.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩١ ذيل الآية ٤١ من سورة التوبة.

٤ - نهج البلاغة: ص ١٦٣، خطبة ١١٠ ـ في أركان الدين «الإسلام».

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: وما عرفوه حق معرفته، وما عظّموه حقّ عظمته، وما وصفوه بما هو أهل أن يوصف به من الرّحمة على عباده واللّطف بهم.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الله لا يوصف، وكيف يوصف وقد قال في كتابه: «وما قدروا الله حقّ قدره» فلا يوصف بقدر إلّا كان أعظم من ذلك[1].

ويأتي فيه حديث آخر في سورة الزّمر[2] إن شاء الله تعالى.

﴿إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾: حين أنكروا الوحي وبعثة الرّسل وذلك من أعظم رحمته وأجلّ ألطافه.

القمّي: هم قريش واليهود[3].

﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾: اُلزموا بما لابدّ لهم من الإقرار به مع توبيخهم بتحريفهم بإبداء بعض وإخفاء بعض، وجعلها ورقات متفرقة ليتمكنّوا بما حاولوه.

العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية قال: كانوا يكتمون ما شاؤوا،

---

١ - الكافي: ج ١، ص ١٠٣، ح ١١، باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى.

٢ - ذيل الآية ٦٧. انظر الكافي: ج ٢، ص ١٨٢، ح ١٦، باب المصافحة.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٠.

وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

ويبدون ما شاؤوا[١].

وفي رواية كانوا يكتبونه في القراطيس، ثم يبدون ما شاؤوا، ويخفون ما شاؤوا[٢].

والقمّي: يخفون يعني من أخبار رسول الله ﷺ[٣]، وقرئ بالياء.

﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ﴾: أي أنزله الله، قيل: أمره بأن يجيب عنهم إشعاراً بأنّ الجواب متعيّن لا يمكن غيره، وتنبيهاً على أنّهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب.

﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾: القمّي: يعني ما خاضوا فيه من التّكذيب[٤].

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾: كثير النّفع والفائدة.

﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: الكتب الّتي قبله.

﴿وَلِتُنذِرَ﴾: وقرئ بالياء أي الكتاب.

﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾: يعني مكّة سمّيت بها لأنّها دحيت الأرض من تحتها، فكأنّها تولّدت منها.

والقمي: قال: سمّيت أُمّ القرى لأنّها أوّل بقعة خلقها الله من الأرض[٥].

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أهل المشرق والمغرب[٦].

---

١ – تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٩، ح ٥٨.

٢ – تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٩، ح ٥٩.

٣ – تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٠.

٤ – تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٠.

٥ – تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٠.

٦ –وفي نسخة: [أهل الشرق والغرب].

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ ٱللهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: فإنّ من صدّق بالآخرة خاف العاقبة، ولا يزال الخوف يحمله على النّظر والتدبّر حتّى يؤمن به ويحافظ على الطّاعة، وتخصيص الصّلاة لانّها عماد الدّين وعلم الإيمان.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ ٱللهُ﴾: في الكافي[1]، والعيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام نزلت في ابن أبي سرح[2] الّذي كان عثمان استعمله على مصر، وهو ممّن كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكّة هدر دمه، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله فإذا أنزل الله عزّ وجلّ «إنّ الله عزيز حكيم» كتب «إنّ الله عليم حكيم» فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: دعها فإنّ الله عليم حكيم، وكان ابن أبي سرح يقول للمنافقين: إنّي لأقول من نفسي مثل ما يجئ به فما يغيّر عليّ فأنزل الله تبارك وتعالى فيه الّذي أنزل[3].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام قال: إنّ عبدالله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان بن عفّان

---

١ - الكافي: ج ٨، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١، ح ٢٤٢.

٢ ـ أي عبدالله بن سعد بن أبي سرح كما نص عليه بما جاء في تفسير القمي عن الصادق عليه السلام في الرواية الآتية وبما جاء في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٣٥، س ١٧.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ـ ح ٦٠.

من الرّضاعة أسلم وقدم المدينة وكان له خطّ حسن، وكان إذا نزل الوحي على رسول الله ﷺ دعاه فكتب ما يمليه عليه رسول الله ﷺ فكان إذا قال له رسول الله ﷺ سميع بصير يكتب سميع عليم، وإذا قال له: والله بما تعملون خبير يكتب بصير، ويفرّق بين التّاء والياء وكان رسول الله ﷺ يقول: هو واحد، فارتدّ كافراً ورجع إلى مكّة، وقال لقريش: والله ما يدري محمّد ﷺ ما يقول. أنا أقول: مثل ما يقول فلا ينكر عليّ ذلك، فأنا أنزل مثل ما ينزل فأنزل الله على نبيّه في ذلك «ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قالَ سأنزل مثل ما أنزل الله» فلّما فتح رسول الله ﷺ مكّة أمر بقتله فجاء به عثمان، وقد أخذ بيده ورسول الله ﷺ في المسجد فقال: يا رسول الله اُعف عنه، فسكت رسول الله ﷺ، ثمّ أعاد فسكت، ثمّ أعاد فقال: هو لك، فلّما مرّ قال رسول الله ﷺ: لأصحابه ألم أقل من رآه فليقتله فقال رجل: كانت عيني إليك يا رسول الله أن تشير إليّ فأقتله، فقال رسول الله ﷺ: إنّ الأنبياء لا يقتلون بالإشارة، فكان من الطّلقاء[1].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام في تأويله من ادّعى الإمامة دون الإمام عليه السلام[2].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾: شدائده من غمره الماء إذا غشيه.

﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾: لقبض أرواحهم كالمتقاضي المتسلّط.

﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾: يقولون لهم: تغليظاً وتعنيفاً[3].

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾: الهوان، القمّي: قال: العطش[4].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام العطش يوم القيامة[5].

﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: لا تؤمنون بها.

---

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٠ - ٢١١.   ٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٠، ح ٦١.

٣ - التعنيف: التغيير واللوم، والعنف - مثلث العين: الشدّة والمشقة، ضد الرفق وكلّما في الرفق من الخير في العنف من الشر مثله. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٠٤. مادة «عنف».

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١١.   ٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٠، ح ٦٢.

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم ﴿٩٤﴾

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾: عن أموالكم، وأولادكم، وأوثانكم.

﴿كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: على الهيئة الّتي ولدتم عليها.

في الخرائج: عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قرأ على فاطمة بنت أسد هذه الآية، فقالت: وما فرادى؟ فقال: عراة، فقالت: واسوأتاه، فسأل الله أن لا يبدي عورتها، وأن يحشرها بأكفانها[1].

وفي معناها حديث في الكافي عن الصادق عليه السلام[2].

وعنه عليه السلام تنوّقوا[3] في الأكفان فإنّكم تبعثون بها[4].

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام أنّه سئل عن النّاس أيحشرون عراة؟ قال: بل يحشرون في أكفانهم، قيل: أنّى لهم بالأكفان وقد بليت؟ قال: إنّ الّذي أحيا أبدانهم جدّد أكفانهم، قال: فمن مات بلا كفن؟ قال: يستر الله عورته بما يشاء من عنده[5].

﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ﴾: ما ملّكناكم به في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة.

﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾: لم تحتملوا منه شيئاً.

---

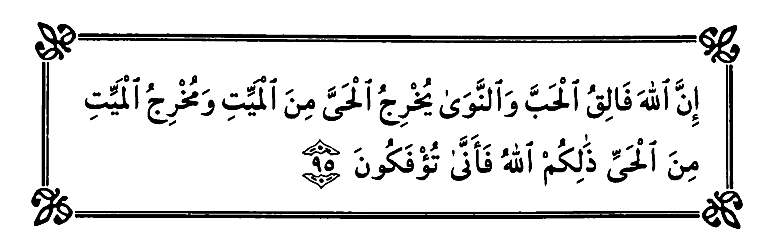
١ - الخرائج والجرائح: ج ١، ص ٩٠ ـ ٩١، ح ١٥٠، فصل من روايات الخاصّة.

٢ - الكافي: ج ١، ص ٤٥٣، ح ٢، باب مولد أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

٣ - وفي الحديث: تنوّقوا بأكفانكم فإنكم تبعثون بها: أي اطلبوا حسنها وجودتها من قولهم: تنوق وتنيق في مطعمه وملبسه: تجوّد وبالغ: مجمع البحرين. ج ٥، ص ٢٤٢، مادة «نوق».

٤ - الكافي: ج ٣، ص ١٤٩، ح ٦، باب ما يستحب من الثياب للكفن وما يكره.

٥ - الاحتجاج: ج ٢، ص ٩٨. فيما احتج الصّادق عليه السلام على زنديق.



﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ﴾: أي شركاء الله في ربوبيّتكم، واستحقاق عبادتكم.

﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: أي تقطّع وصلكم وتشتّت جمعكم ـ والبين ـ من الأضداد يستعمل للوصل والفصل، وقرئ بالنّصب على إضمار الفاعل أي ما بينكم.

﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾: ضاع وبطل.

﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: القمّي: عن الصّادق عليه السلام نزلت هذه الآية في معاوية، وبني أُميّة وشركائهم وأئمتهم. «لقد تقطّع بينكم»: يعني المودة[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾: بالنّبات والشّجر.

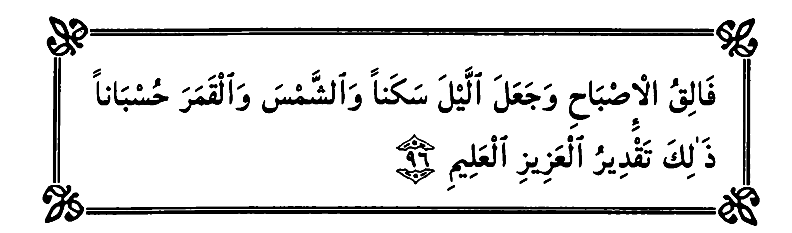
﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: ما ينمو من الحيوان والنّبات ممّا لا ينمو كالنّطفة والحبّ.

﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾: ومخرج ذلك من الحيوان والنبات[2].

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام في حديث الطّينة، الحبّ: طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبّته، والنّوى: طينة الكافرين الّذين نأوا عن كلّ خير، وإنّما سمّي النّوى من أجل أنّه نأى عن كلّ خير وتباعد منه، فقال الله: «يُخرجُ الحيّ من الميّت ومخرج الميّت من الحيّ» فالحيّ: المؤمن الّذي تخرج طينته من طينة الكافر، والميّت الّذي يخرج من الحيّ: هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن[3].

---

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١١.
٢ ـ وفي نسخة: [ما لا ينمو ممّا ينمو].
٣ - الكافي: ج ٢، ص ٥، ح ٧، باب طينة المؤمن والكافر.



والقمّي قال: الحبّ: ما أحبّه، والنّوى: ما نأى[1] عن الحقّ، وقال أيضاً: فالقُ الحب: أي يفلق العلم عن الأئمّة، والنّوى: ما بعد عنه[2].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام الحبّ: المؤمن وذلك قوله: «وألقيت عليك محبّة مني»[3] والنّوى: الكافر الّذي نأى عن الحقّ فلم يقبله[4].

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ﴾: أي الّذي يحقّ له العبادة.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عنه إلى غيره.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾: شاقّ عمود الصّبح عن ظلمة اللّيل:

﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً﴾: يسكن فيه الخلق كما قال: «لتسكنوا فيه»[5].

في نهج البلاغة: ولا تسر أوّل اللّيل فإنّ الله جعله سكناً، وقدّره مقاماً لا ظعناً[6] فأرح فيه بدنك وروّح ظهرك[7].

---

١ ـ نأى: أي تباعد بناحيته وقربه، والنّأْيُ: البعد، يقال: نأيت عنه نأياً: أي بعدت. مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٠٤، مادة «ناء».

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢١١. وفيه: «ما ناء عن الحق».

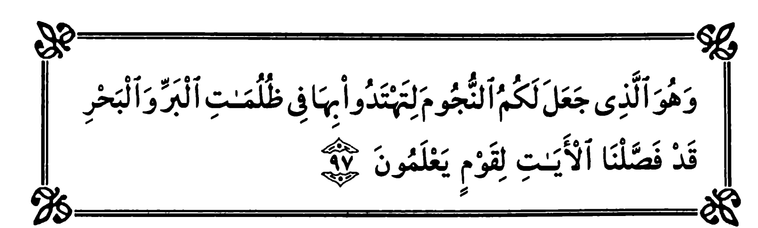
٣ ـ طه: ٣٩.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٠، ح ٦٥.

٥ ـ يونس: ٦٧.

٦ ـ ظعن: ظعْناً وظعَناً بالإسكان والتحريك من باب نفع سار وارتحل. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٧٨. مادة «ظعن».

٧ ـ نهج البلاغة: ص ٣٧٢، ومن وصية له عليه السلام وصّى بها معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام.



وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام تزوّج باللّيل، فإنّ الله جعله سكناً[١]، والعياشي: مثله[٢].

وفي رواية: ولا تطلبوا الحوائج باللّيل فإنّه مظلم[٣].

وفي الكافي: كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يأمر غلمانه أن لا يذبحوا حتى يطلع الفجر[٤].

ويقول: إنّ الله جعل اللّيل سكناً لكلّ شيء[٥]، وقرئ وجاعل اللّيل.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾: على أدوار مختلفة تحسب بها الأوقات.

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾: الّذي قهرهما وسيّرهما على الوجه الخاصّ.

﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: بتدبيرهما.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: في ظلمات اللّيل في البرّ والبحر، وإضافتها إليهما للملابسة، أو في مشتبهات الطّرق، أو الأُمور سمّاها ظلمات على الإستعارة.

القمّي: مقطوعاً قال: «النجوم»: آل محمّد عليهم السلام[٦].

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾: بيّناها فصلاً فصلاً.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: فإنّهم منتفعون به.

---

١ - الكافي: ج ٥، ص ٣٦٦ - ٣٦٧، ح ٣، باب ما يستحب من التزويج بالليل.

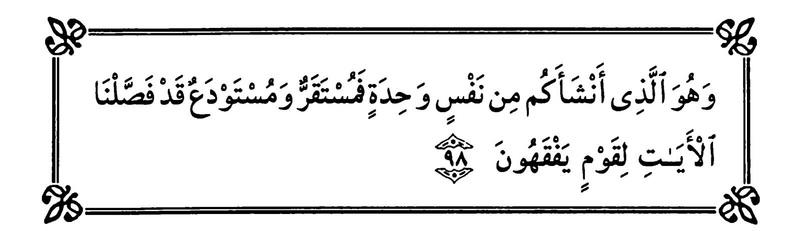
٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٠، ح ٦٦.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧١، ح ٦٨.

٤ - الكافي: ج ٦، ص ٢٣٦، ح ٢، باب الأوقات التي يكره فيها الذبح.

٥ - الكافي: ج ٦، ص ٢٣٦، ح ٣، باب الأوقات التي يكره فيها الذبح.

٦ - تفسير القمّي: ج ١، ص ٢١١.



﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۝٩٨﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: وهو آدم عليه السلام.

﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾: وقرئ بكسر القاف أي قارّ.

﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّه قال لأبي بصير حين سأله عن هذه الآية: ما يقول أهل بلدك الّذي أنت فيه؟ قال: يقولون: مستقرّ: في الرّحم، ومستودع: في الصّلب، فقال: كذبوا، المستقرّ: من استقرّ الإيمان في قلبه فلا ينزع منه أبداً، والمستودع: الّذي يستودع الإيمان زماناً ثمّ يسلبه، وقد كان الزّبير منهم(١).

وعن الصادق عليه السلام: أنّه سئل عنها؟ فقال: مستقرّ: في الرّحم، ومستودع: في الصّلب، وقد يكون مستودع الإيمان ثم ينزع منه، ولقد مشى الزّبير في ضوء الإيمان ونوره حين قبض رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى مشى بالسّيف، وهو يقول: لا نبايع إلّا عليّاً(٢).

وفي رواية: قال: المستقرّ: الثّابت، والمستودع: المعار(٣).

وعن الكاظم عليه السلام في هذه الآية: ما كان من الإيمان المستقرّ: فمستقرّ إلى يوم القيامة أبداً، وما كان من الإيمان المستودع(٤) سلبه الله قبل الممات(٥).

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّ الله خلق النّبيين على النّبوة فلا يكونون إلّا أنبياء، وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلّا مؤمنين، وأعار قوماً إيماناً فإن شاء تمّمه لهم وإن شاء

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧١، ح ٦٩.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧١، ح ٧١. ٣ – تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٢، ح ٧٤.

٤ ـ وفي نسخة: [وما كان مستودعاً سلبه الله] كما في المصدر.

٥ – تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧١ ـ ٣٧٢، ح ٧٢.

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

سلبهم إيّاه، قال: وفيهم جرت «فمستقر ومستودع»، وقال: إنّ فلاناً كان مستودعاً إيمانه فلمّا كذب علينا سلب إيمانه ذلك[1].

أقول: وكنّى بفلان عن أبي الخطّاب محمّد بن مقلاص الغالي كما يستفاد من حديث آخر[2].

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾: قيل: ذكر مع ذكر النّجوم يعلمون لأنّ أمرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لأنّ إنشاءهم من نفس واحدة، وتصريفهم بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج إلى إستعمال فطنة وتدقيق نظر[3].

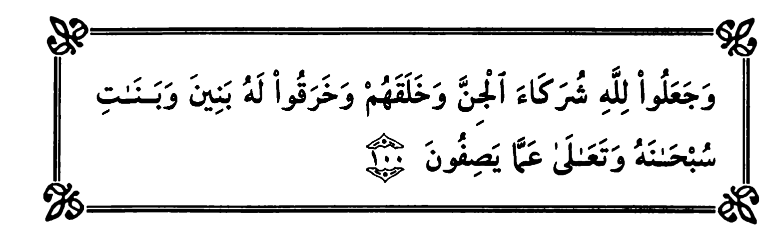
﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾: على تلوين الخطاب[4].

﴿بِهِۦ﴾: بالماء.

﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾: نبت كلّ شيء من أصناف النّبات، والمعنى إظهار القدرة في إنبات الأنواع المختلفة بماءٍ واحد كما قال: «يسقى بماءٍ واحد ونفضّل بعضها على

---

١ - الكافي: ج ٢، ص ٤١٨، ح ٤، باب المعارين.
٢ - الكافي: ج ٢، ص ٤١٨، ح ٣، باب المعارين.
٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٣.
٤ - تلوين الخطاب لغيره: من أسلوب إلى آخر، وهو من البلاغة. منه ﷺ.



بعض في الأكل»[١].

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً﴾: نبتاً غضّاً أخضر، وهو الخارج من الحبّة المتشعّب.

﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾: من الخضر.

﴿حَبّاً مُتَرَاكِباً﴾: قد ركّب بعضه على بعض، وهو السّنبل.

﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾: أعذاق[٢]: جمع قنو، كصنوان: جمع صنو.

﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبة من التّناول.

﴿وَجَنَّـٰتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ﴾: بعضها متشابه في الهيئة والمقدار واللّون والطّعم، وبعضها غير متشابه.

﴿ٱنظُرُواْ إِلَىٰ ثَمَرِهِ﴾: إلى ثمر كل واحد من ذلك، وقرئ بضمّ الثّاء على الجمع.

﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾: إذا أخرج ثمره كيف يكون صغيراً حقيراً لا يكاد ينتفع به.

﴿وَيَنْعِهِ﴾: وإلى حال نضجه أو إلى نضيجه كيف يعود ضخماً ذا نفع ولذّة مصدر ينعت الثّمرة: إذا أدركت أو جمع يانع.

﴿إِنَّ فِى ذَ ٰلِكُمْ لَأَيَـٰتٍ﴾: على وجود صانع عليم حكيم قدير، يقدّره، ويدبّره، وينقله من حال إلى حال.

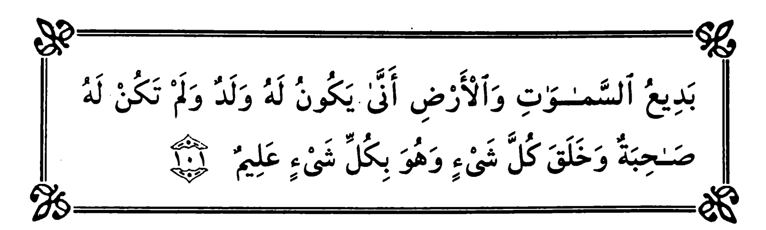
﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: فإنّهم المنتفعون.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾: الملائكة جعلوهم أنداداً لله فعبدوهم وقالوا: إنّهم

---

١ – الرعد: ٤.

٢ – العَذْق كفلس: النخلة بحملها وأما العِذق بالكسر فالكباسة وهي عنقود التمر. مجمع البحرين: ج٥، ص٢١٢.



بنات الله، سمّاهم جنّاً لاجتنانهم[1]، وتحقيراً لشأنهم[2] ونحوه وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً.

وقيل: بل أُريد بالجنّ: الشّياطين لأنّهم أطاعوهم كما يطاع الله، أو عبدوا الأوثان بتسويلهم، أو قالوا إنّ الله خالق الخير، وإبليس خالق الشرّ[3].

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾: أي وقد علموا أنّ الله خالقهم دون الجنّ، وليس من يخلق كما لا يخلق.

﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ﴾: واختلقوا لله.

﴿بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ﴾: فإنّ المشركين قالوا: الملائكة بنات الله، وأهل الكتابين: عزيرٌ ابن الله، والمسيح: ابن الله، وقرئ وخرّقوا للتّكثير.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه، ولكن جهلاً منهم بعظمة الله.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: وهو أنّ له شريكاً وولداً.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي هو مبدعها ومنشؤهما بعلمه ابتداء لا من شيء ولا على مثال، سبق كذا في المجمع: عن الباقر عليه السلام[4].

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾: من أين وكيف يكون له ولد.

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾: يكون منها الولد.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: ومن كان بهذه الصفة[5] فهو غنيّ عن كلّ شيء.

---

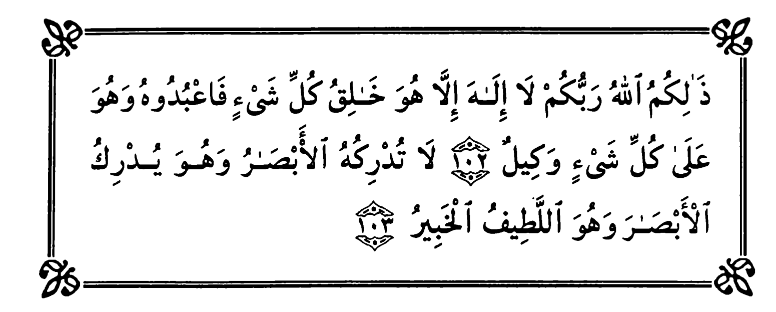
١ – أي لإستتارهم من جنة الليل، وعليه جنّاً وأجنه ستره وكل ماستره وكل ماستر عنك فقد جن عنك. منه قدس سره.

٢ – إن أُريد التمشي بهم، منه قدس سره.

٣ – قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٤.

٤ – مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٤٣.

٥ ـ وفي نسخة: [الصفات].



﴿ذَٰلِكُمُ﴾: الموصوف بهذه الصّفات.

﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: في الخصال: عن الباقر عليه السلام[١]، وفي العيون: عن الرضا عليه السلام: أفعال العباد مخلوقة، خلق تقدير لا خلق تكوين، والله خالق كلّ شيءٍ، ولا نقول بالجبر والتّفويض[٢].

﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾: فإنّ من استجمع هذه الصّفات استحقّ العبادة.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: حفيظ مدبّر.

وقيل: هو مع تلك الصّفات متولّي أموركم فكلوها إليه، وتوسّلوا بعبادته إلى انجاح مآربكم، ورقيب على أعمالكم فيجازيكم عليها[٣].

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾: في الكافي[٤]، والتّوحيد: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية يعني إحاطة الوهم، ألا ترى إلى قوله: «وقد جاءكم بصائر من ربّكم»[٥] ليس يعني بصر العيون فمن أبصر فلنفسه ليس يعني من البصر بعينه، ومن عمى

- الخصال: ص ٦٠٨، ح ٩، باب خصال من شرائع الدين من أبواب المائة فما فوقه.
- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٣١٥، ح ٩٠، باب ٢٨ ـ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من خبار المتفرقة.
- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٥، س ٤.
- الكافي: ج ١، ص ٩٨، ح ٩، في قوله تعالى: «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار».
- الأنعام: ١٠٤.

فعليها لم يعن عمى العيون إنّما عنى إحاطة الوهم كما يقال: فلان بصير بالشعر، وفلان بصير بالفقه، وفلان بصير بالدراهم، وفلان بصير بالثياب، الله أعظم من أن يرى بالعين[١].

وعن الباقر عليه السلام في هذه الآية: أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السّند، والهند، والبلدان الّتي لم تدخلها ولم تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون؟[٢].

وفي التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام: وقد سأله رجل عمّا اشتبه عليه من الآيات، وأمّا قوله: «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» فهو كما قال: «لا تدركه الأبصار» لا تحيط به الأوهام، وهو يدرك الأبصار يعني يحيط بها[٣].

وفي المجمع[٤]، والعيّاشي: عن الرّضا عليه السلام إنّه سئل عمّا اختلف النّاس من الرّؤية فقال: من وصف الله سبحانه بخلاف ما وصف به نفسه فقد أعظم الفرية على الله تعالى وهو كما قال: «لا تدركه الأبصار» وهذه الأبصار ليست هذه الأعين إنّما هي الأبصار الّتي في القلوب، لا يقع عليه الأوهام[٥].

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾: في الكافي[٦]، والتّوحيد[٧]، والعيون: عن الرّضا عليه السلام وأمّا اللّطيف فليس على قلّة وقضافة[٨] وصغر، ولكن ذلك على النّفاذ في الأشياء، والإمتناع من أن يدرك، كقول الرّجل: لطف عنّي هذا الأمر، ولطف فلان في مذهبه، وقوله:

---

١ - التوحيد: ص ١١٢، ح ١٠، باب ٨ - ما جاء في الرؤية.

٢ - التوحيد: ص ١١٣، ح ١٢، باب ٨ - ما جاء في الرؤية.

٣ - التوحيد: ص ٢٦٢، ح ٥، باب ٣٦ - الرد على الثنوية والزنادقة.

٤ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٤٤. ٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٣، ح ٧٩.

٦ - الكافي: ج ١، ص ١٢٢، ح ٢، باب آخر الفرق ما بين المعاني التي تحت أسماء الله وأسماء المخلوقين.

٧ - التوحيد: ص ١٨٩، ح ٢، باب ٢٩ - أسماء الله تعالى والفرق بين معانيها وبين معاني أسماء المخلوقين.

٨ - القُضافة - بالضم - والقَضف - محركة -: النحافة، والقَضَفْ: الدّقة. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٠٩، مادة «قضف».

قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾

يخبرك أنّه غمّض فيه العقل وفات الطّلب وعاد متعمّقاً متلّطفاً لا يدركه الوهم فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدرك بحدّ أو يحدّ بوصف، واللّطافة منّا الصّغر والقلّة فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى، قال: وأمّا الخبير: فالّذي لا يعزب عنه شيء، ولا يفوته شيء، ليس للتجربة ولا للإعتبار بالأشياء فتفيده التّجربة والإعتبار علماً، ولولا هما ما علم لأنّ من كان كذلك كان جاهلاً، والله تعالى لم يزل خبيراً بما يخلق، والخبير من النّاس المستخبر عن جهل المتعلّم فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى[1].

﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾: البصيرة للقلب كالبصر للبدن.

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾: الحق وآمن به.

﴿فَلِنَفْسِهِ﴾: أبصر لأنّ نفعه لها.

﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾: عن الحقّ وضلّ.

﴿فَعَلَيْهَا﴾: وباله.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: وإنّما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها، وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلّى الله عليه وآله[2].

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: ومثل ذلك التّصريف نصرّف وهو إجراء المعنى الدّائر في المعاني المتعاقبة من الصّرف وهو نقل الشّيء من حال إلى حال.

---

١ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٤٨، ح ٥٠، باب ١١ ـ ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليه السلام من الأخبار في التوحيد.

٢ - اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٥.

ٱتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾

﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾: أي «وليقولوا درست» صرفنا، واللام للعاقبة، والدّرس: القراءة والتعلّم، وقرئ «دارست» أي دارست أهل الكتاب وذاكرتهم، ودرست: من الدّروس أي: قدمت هذه الآيات، وعفت كقولهم: «أساطير الأوّلين»[١].

القمّي: كانت قريش تقول لرسول الله ﷺ: إنّ الّذي تخبرنا به من الأخبار تتعلّمه من علماء اليهود وتدرسه[٢].

﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾: و«اللّام» هنا على أصله، لأنّ التّبيين مقصود التّصريف، والضّمير للآيات باعتبار المعنى.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: فإنّهم المنتفعون به.

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: بالتّديّن به.

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: اعتراض.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: ولا تحتفل[٣] بأقوالهم، ولا تلتفت إلى آرائهم.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾: في المجمع: في تفسير أهل البيت عليهم السلام ولو شاء الله أن يجعلهم كلّهم مؤمنين معصومين حتّى كان لا يعصيه أحد لما كان يحتاج إلى جنّة ولا إلى نار، ولكنّه أمرهم ونهاهم وامتحنهم وأعطاهم ما له عليهم به الحجّة من الآلة والإستطاعة

---

١ ـ الأنعام: ٢٥، والأنفال: ٣١، والنحل: ٢٤، والمؤمنون: ٨٣، والفرقان: ٥.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٢.

٣ ـ أي تعتن كمال الإعتناء بأقوالهم من الإحتفال بمعنى حسن القيام بالامور. منه قدّس سرّه.

وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

ليستحقّوا الثّواب والعقاب(١). القمّي: ما يقرب منه(٢).

﴿وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾: رقيباً.

﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: تقوم بأُمورهم.

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: ولا تذكروا آلهتهم الّتي يعبدونها بما فيها من القبائح.

﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَا﴾: تجاوزاً عن الحقّ إلى الباطل.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به.

في المجمع(٣)، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن قول النّبي صلى الله عليه وآله: إنّ الشّرك أخفى من دبيب النّمل على صفا سوداء، في ليلة ظلماء فقال: كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله. فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون، فنهى الله المؤمنين عن سبّ آلهتهم لكيلا يَسبُّ الكفّار إلـه المؤمنين فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون(٤).

وفي الكافي: عنه عليه السلام في حديث طويل وإيّاكم وسبّ أعداء الله حيث يسمعونكم فيسبّوا الله عدواً بغير علم(٥).

---

١ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٤٦.
٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٢.
٣ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٤٧.
٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٣.
٥ - الكافي: ج ٨، ص ٧، س ١٤، ح ١، رسالة أبي عبدالله عليه السلام إلى جماعة الشيعة.

والعيّاشي: عنه عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية فقال: أرأيت أحداً يسبّ الله؟ فقيل: لا، وكيف؟ قال: من سبّ وليّ الله فقد سبّ الله[١].

وفي إعتقادات الصدوق رحمه الله: عنه عليه السلام إنّه قيل: إنّا نرى في المسجد رجلاً يعلن بسبّ أعدائكم ويسبّهم، فقال: ما له لعنه الله تعرّض بنا، قال الله: «ولا تسبّوا الذين يدعون» الآية[٢].

قال: وقال الصّادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: لا تسبّوهم فإنّهم يسبّون عليكم[٣].

وقال: من سبّ وليّ الله فقد سبّ الله[٤].

قال النّبي صلى الله عليه وآله لعليّ صلوات الله عليه: من سبّك فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله فقد كبّه[٥] الله على منخريه في نار جهنّم[٦].

﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾: في الخير والشّر[٧].

والقمّي: يعني بعد اختبارهم ودخولهم فيه، فنسبه الله إلى نفسه والدّليل على أنّ ذلك لفعلهم المتقدّم: قوله «بما كانوا يعملون»[٨].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بالمحاسبة والمجازاة.

---

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤، ح ٨٠.

٢ - الإعتقادات في دين الإماميّة: ص ٨٢، باب ٣٩ ـ الإعتقاد في التقيّة.

٣ - الإعتقادات في دين الإماميّة: ص ٨٢، ب ٣٩ ـ الإعتقاد في التقيّة.

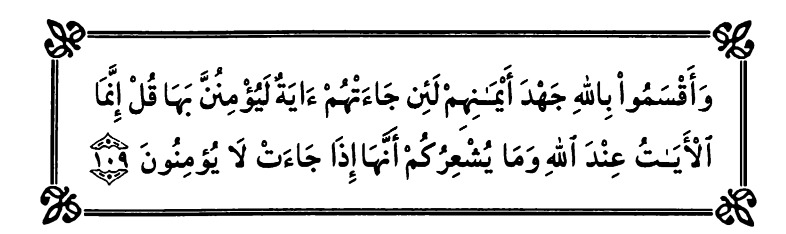
٤ - الإعتقادات في دين الإماميّة: ص ٨٢، باب ٣٩ ـ الإعتقاد في التقيّة.

٥ - يقال كببت فلاناً كبّاً: ألقيته على وجهه فأكب هو بالألف. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٥١، مادة «كبب».

٦ - الإعتقادات في دين الإماميّة: ص ٨٢، باب ٣٩ ـ الاعتقاد في التقيّة.

٧ ـ قيل: أي مثل ذلك التزيين: زَيّنّا لكل أُمّة من أُمم الكفار عملهم، أي خليناهم وما عِملوا، ولم نمنعهم حتّى حسن عندهم عملهم السّيء، والتعميم كما فعلناه أظهر وأصوب، منه قدس سره.

٨ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٣.



﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾: حلفوا به مجدّين مجتهدين، القمّي: يعني قريشاً[١].

﴿لَئِن جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾: من مقترحاتهم.

﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَـٰتُ عِنْدَ ٱللهِ﴾: هو قادر عليها يظهرُ منها ما يشاء على مقتضى الحكمة، ليس شيء منها بقدرتي وإرادتي.

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: وما يدريكم استفهام إنكار.

﴿أَنَّهَا﴾: إنّ الآية المقترحة.

﴿إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بها يعني أنا أعلم إنّها إذا جاءت لا يؤمنون بها، وأنتم لا تدرون بذلك.

قيل: وذلك أنّ المؤمنين كانوا يطمعون في إيمانهم عند مجيء الآية، ويتمنّون مجيئها فأخبرهم الله سبحانه أنّهم ما يدرون ما سبق علمه به من أنّهم لا يؤمنون، ألا ترى إلى قوله: «كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة»[٢][٣] وقيل: «لا» مزيدة[٤].

وقيل: «إنّ» بمعنى «لعلّ» ويؤيّده قراءة أُبي لعلّها، وقرئ «إنّها» بالكسر، على أنّ الكلام قد تمّ قبله، ثم أخبرهم بعلمه فيهم وهذا أوضح، ولا تؤمنون ـ بالتاء ـ على أنّ

---

١ – تفسير القمّي: ج ١، ص ٢١٣.

٢ ـ الأنعام: ١١٠.

٣ ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٥٧، س ٣.

٤ – انظر أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٦، س ١٦، والكشاف: ج ٢، ص ٥٧ ـ ٥٨.

وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

الخطاب للمشركين[1].

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾: عطف على لا يؤمنون، أي وما يشعركم إنّا حينئذٍ نقلّب أفئدتهم عن الحقّ فلا يفقهونه، وأبصارهم فلا يبصرونه، فلا يؤمنون بها.

﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: أي بما أنزل الله من الآيات. والقمّي: يعني في الذر، والميثاق[2].

﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: وندعهم متحيّرين، ولا نهديهم هداية المؤمنين.

القمّي: عن الباقر عليه السلام «ونقلّب أفئدتهم»، يقول: ننكّس قلوبهم فيكون أسفل قلوبهم أعلاها، ونعمي أبصارهم فلا يبصرون الهدى، وقال عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه: إنّ أوّل ما يقلبون عليه من الجهاد: الجهاد بأيديكم، ثمّ الجهاد بألسنتكم، ثمّ الجهاد بقلوبكم، فمن لم يعرف قلبه معروفاً، ولم ينكر منكراً، نكس قلبه، وجعل أعلاه أسفله، فلم يقبل خيراً أبداً[3].

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾: كما اقترحوا فقالوا: «لولا أُنزِل علينا الملائكة»[4] «فأتوا بآبائنا»[5] «أو تَأْتِي بالله وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ

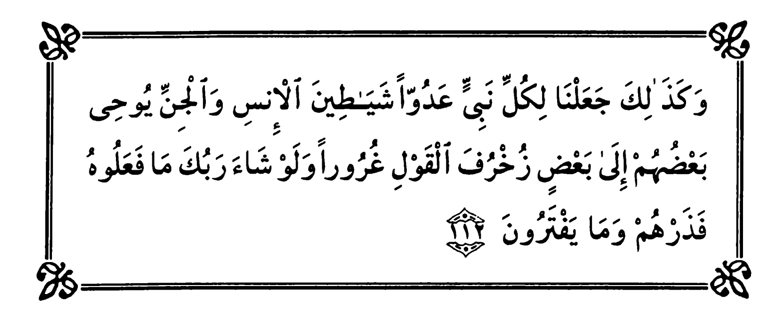
---

١ - الكشاف: ج ٢، ص ٥٧، أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٦.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٣.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٣. وفيه: «إنّ أوّل ما يغلبون عليه».

٤ - الفرقان: ٢١. ٥ - الدخان: ٣٦.



قبيلاً»[١][٢]. القمّي: قُبُلاً: أي عياناً[٣].

وفسّر بمعان أُخر، وقرئ «قِبَلاً» بكسر القاف وفتح الباء وهو بمعناه المذكور.

﴿مَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلَّآ أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾: إنّهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمُونَ بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون، ولذلك اسند الجهل إلى أكثرهم مع أنّ مطلق الجهل يعمّهم، ولكن أكثر المسلمين يجهلون إنّهم لا يؤمنون، فيتمنّون نزول الآية طمعاً في إيمانهم كذا قيل[٤].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً﴾: أي كما جعلنا لك عدوّاً جعلنا لكلّ نبي سبقك عدواً بمعنى التّخلية بينهم وبين أعدائهم للإمتحان.

القمّي: عن الصّادق عليه السلام ما بعث الله نبيّاً قطّ إلّا وفي اُمّته شيطانان يؤذيانه ويضلّان النّاس بعده، فأمّا صاحبا نوح ففعيطيوش[٥]، وحزام، وأمّا صاحبا إبراهيم فمكثّل[٦]، ورزام، وأمّا صاحبا موسى فالسّامريّ ومرعقيبا، وأمّا صاحبا عيسى فبولينس[٧]، ومريتون[٨]، وأمّا

---

١ ـ الإسراء: ٩٢.

٢ ـ أي قبيلاً قبيلاً، وقيل: عياناً وقبلاً: أي أصنافاً جمع قبيل أي صنف صنف. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٤٦، مادة «قبل».

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٢١٣.

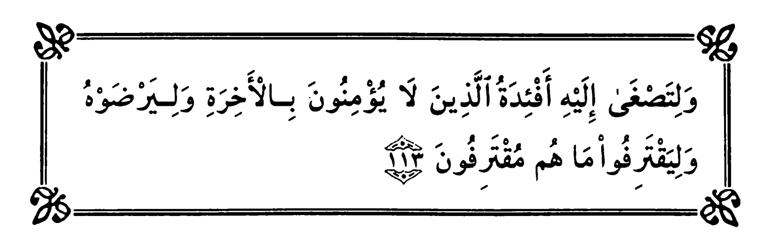
٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٧.

٥ ـ وفي نسخة [ففيطيقوس] وفي المصدر فقنطيفوص.

٦ ـ وفي نسخة كما في المصدر [مكيل].

٧ ـ وفي نسخة: [فبولس] وفي المصدر فبولس.

٨ ـ وفي نسخة كما في المصدر [مريبون].



صاحبا محمّد صلى الله عليه وآله فحبتر وزريق[١].

وقيل: زريق: بتقديم الزّاء على الراء مصغّر زرق، والحبتر بتقديم المهملة ثمّ الموحدة ثمّ المثنّاة من فوق ثمّ الراء على وزن ـ جعفر ـ: الثّعلب، وإنّما كنّى عنهما بهما لزرقة عين أحدهما، ولشبه الآخر بالثّعلب في الحيلة[٢].

﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾: مردتهما.

﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوراً﴾: الأباطيل المموّهة[٣] من زَخْرَفَهُ: إذا زيّنه.

القمّي: يقول بعضهم إلى بعض: لا تؤمنوا بزخرف القول، فهذا الوحي كذب[٤].

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام في حديث طويل من لم يجعله الله من أهل صفة الحقّ فأُولئك شياطين الإنس والجنّ[٥].

وفي الخصال: عنه عليه السلام الإنس على ثلاثة أجزاء: فجزء تحت ظلّ العرش يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه، وجزء عليهم الحساب والعذاب، وجزء وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشّياطين[٦].

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾: تميل.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٤، س ٥. ٢ – وفي نسخة: [وتشبيه الآخر بالثعلب في حيلته].

٣ – مَوَّهْتُ الشيء ـ بالتشديد: ـ إذا طليته بفضّة أو ذهب وتحت ذلك نحاس أو حديد. ومنه التمويه: وهو التلبيس. وقول مُمَوَّه: أي مزخرف أو ممزوج من الحق والباطل. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٣٦٣، مادة «موه».

٤ ـ تفسيرالقمي: ج ١، ص٢١٤. ٥ ـ الكافي: ج٨،ص١١، ح ١، رسالة أبي عبدالله عليه السلام إلى جماعة الشيعة.

٦ – الخصال: ص ١٥٤، ح ١٩٢، باب الثلاثة. الجن على ثلاثة أجزاء، والإنس على ثلاثة أجزاء.

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلاً وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾

﴿أَفْئِدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ﴾: لأنفسهم.

﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ﴾: وليكتسبوا.

﴿مَا هُم مُقْتَرِفُونَ﴾: من الآثام.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً﴾: يعني قل لهم: أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم، ويفصل المحقّ منّا من المبطل؟

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: القرآن.

﴿مُفَصَّلاً﴾: مبيّناً فيه الحقّ والباطل بحيث ينفي التّخليط والإلتباس.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التّوراة والإنجيل.

﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾: لتصديق ما عندهم إيّاه ولتصديقه ما عندهم مع أنّه صلّى الله عليه وآله لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم، وقرئ منْزل بالتشديد.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: في أنّهم يعلمون ذلك أو في أنّه منّزل بجحود أكثرهم فيكون من باب التّهييج كقوله: «ولا تكوننّ من المشركين»[١] ومن قبيل إياك أعني واسمعي يا جارة.

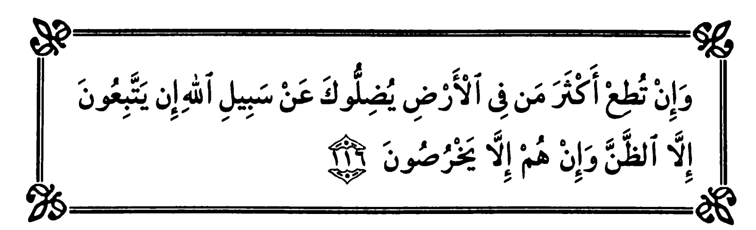
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: ما تكلّم به من الحجّة وقُرِئت «كلمات ربّك».

قيل: يعني بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده[٢].

---

١ - الأنعام: ١٤.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٨، س ٦.


وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾

﴿صِدْقاً﴾: في الأخبار والمواعيد.

﴿وَعَدْلاً﴾: في الأقضية والأحكام.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِ﴾: لا أحد يبدّل شيئاً منها بما هو أصدق وأعدل.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لما يقولون.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بما يضمرون. في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الإمام يسمع في بطن اُمّه فإذا ولد خطّ بين كتفيه[1]، وفي رواية بين عينيه[2].

وفي أخرى: على عضده الأيمن «وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً» الآية فإذا صار الأمر إليه جعل الله له عموداً من نور يبصر به ما يعمل أهل كلّ بلدة[3].

وفي رواية فبهذا[4] يحتجّ الله على خلقه[5]. والقمّي[6]، والعيّاشي: ما يقرب منه[7].

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: لأنّ الأكثر في الغالب يتّبعون الأهواء.

---

١ - الكافي: ج ١، ص ٣٨٧، ح ٤، باب مواليد الأئمة عليهم السلام.

٢ - الكافي: ج ١، ص ٣٨٨، ح ٦، باب مواليد الأئمة عليهم السلام.

٣ - الكافي: ج ١، ص ٣٨٧، ح ٣، باب مواليد الأئمة عليهم السلام.

٤ - أي فيمن يكون على هذه الصفة. منه قدّس سرّه.

٥ - الكافي: ج ١، ص ٣٨٧، ح ٢، باب مواليد الأئمة عليهم السلام.

٦ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

٧ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٤، ح ٨٢ و ٨٣.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَد فَصَّلَ لَكُم ما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: وهو ظنّهم أنّ آباءهم كانوا محقّين وهم يقلّدونهم، أو جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة[١].

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يقولون: عن تخمين.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ﴾: أي بمن يضلّ أو استفهام.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: أي أعلم بالفريقين.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: مسبب عن إنكار اتّباع المضلّين الّذين يحرّمون الحلال ويحلّون الحرام وذلك أنّهم قالوا للمسلمين: أتأكلون ممّا قتلتم أنتم ولا تأكلون ممّا قتل ربّكم؟ فقيل: كلوا ممّا ذكر اسم الله على ذبحه خاصّة دون ما ذكر عليه اسم غيره، أو مات حتف أنفه.

﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾: فإنّ الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحلّه الله واجتناب ما حرّمه.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: وأي غرض لكم بأن تتحرّجوا عن

---

١ ـ بمعنى أن الظن يطلق على ما يقابل العلم. كما ورد في أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٢٨.

وَذَرُواْ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

أكله وما يمنعكم منه.

﴿وَقَد فَصَّلَ لَكُمْ ما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: ممّا لم يحرّم بقوله: «حرّمت عليكم الميتة»[1]، وقرئ «فُصّل» على البناء للمفعول و«حرّم» على البناء للفاعل.

﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: ممّا حرّم عليكم فإنّه أيضاً حلال حال الضّرورة.

﴿وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ﴾: بتحليل الحرام، وتحريم الحلال، وقرئ بضمّ الياء.

﴿بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين الحـقّ إلى الباطل، والحلال إلى الحرام.

﴿وَذَرُواْ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥ﴾: ما يعلن وما يسرّ. القمّي: قال: الظّاهر من الإثم: المعاصي، والباطن: الشّرك والشّك في القلب[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾: القمّي: يعملون[3].

﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُـذْكَـرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَـلَيْهِ﴾: في الفـقيه[4]، والتّهـذيب: عـن الباقر عليه السلام إنّه سئل عن مجوسي قال: بسم الله وذبح؟ فقال: كل، فقيل: مسلم ذبح ولم يـسم؟

---

١ - البقرة: ١٧٣.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٥.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٥.

٤ - من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢١٠، ح ٩٧٣ / ٦٣ - باب ٩٦ - الصيد والذباحة.

فقال: لا تأكل إنّ الله يقول: «فكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه»[١] «ولا تأكلوا ممّا لم يـذكر اسم الله عليه»[٢].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن ذبائح أهل الكتاب؟ فقال: لا بأس إذا ذكر اسم الله عليه، ولكنّي أعني منهم من يكون على أمر موسى وعيسى عليهما السلام[٣].

وعنه عليه السلام: إنّه سئل عن ذبائح اليهود والنّصارى؟ فقال: الذّبيحة اسم ولا يؤمن على الإسم إلّا مسلم[٤].

وفي التهذيب: عن الباقر عليه السلام في ذبيحة النّاصب واليهودي والنّصراني، قال: لا تأكل ذبيحته حتّى تسمعه يذكر اسم الله عليه أما سمعت قول الله: «ولا تأكلوا ممّا لم يـذكر اسم الله عليه»[٥].

أقول: هذا الحديث يوضّح سابقيه ويحكم عليهما، ويفصّل إجمالهما، كما أنّ أوّلهما يحكم عليه، والثّلاثة توفّق بين كلّ ما ورد في هذا المعنى مع كثرته واختلافه.

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن رجل ذبح ولم يسمّ، فقال: إن كـان نـاسياً فليسمّ حين يذكر، ويقول بسم الله على أوّله وآخره[٦].

وعنه عليه السلام: إذا ذبح المسلم ولم يسمّ ونسي فكل من ذبيحته وسمّ الله على ما تأكل[٧].

وفيه: عنه عليه السلام أنّه سئل عن رجل ذبح فسبّح أو كبّر أو هلّل أو حمد الله، قال: هذا كلّه

---

١ ـ الأنعام: ١١٨.

٢ - تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٦٩، ح ٢٩٣ / ٢٨، باب ٢ ـ الذبائح والأطعمة وما يحل من ذلك وما يحرم منه.

٣ - الكافي: ج ٦، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١، ح ١٤، باب ذبائح أهل الكتاب.

٤ - الكافي: ج ٦، ص ٢٤٠، ح ١٢، باب ذبائح أهل الكتاب.

٥ - تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٦٨، ح ٢٨٧ / ٢٢، باب ٢ ـ الذبائح والأطعمة وما يحل من ذلك ومـا يحـرم منه.

٦ - الكافي: ج ٦، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤، ح ٤، باب ما ذبح لغير القبلة أو ترك التسمية والجنب يذبح.

٧ - تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٢٢٢، ح ٧٤٧ / ٨٦، باب ١٦ ـ الذبح.

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٢٢﴾

من أسماء الله تعالى، ولا بأس به[1].

﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾: فإنّ الفسق: ما أُهلّ لغير الله به لقوله تعالى: «أو فسقاً أُهلّ لغير الله به»[2].

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾: ليوسوسون.

﴿إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾: من الكفار.

﴿لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾: بقولهم: تأكلون ما قتلتم أنتم، وجوارحكم، وتدعون ما قتله الله.

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾: في إستحلال ما حرّم.

﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾: فإنّ من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتّبعه في دينه فقد أشرك بالله.

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً﴾: وقرئ بالتّشديد.

﴿فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾: يعني مثل من هداه الله وأنقذه من الضلالة وجعل له حجّة يهتدي بنور ربّها كمن صفته البقاء في الضّلالة لا يفارقها بحال أبداً.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام «ميتاً»: لا يعرف شيئاً، و «نوراً يمشي به في النّاس»: إماماً

---

١ - الكافي: ج ٦، ص ٢٣٤، ح ٥، باب ما ذبح لغير القبلة أو ترك التسمية، والجنب يذبح.

٢ - الأنعام: ١٤٥.

يؤتم به، «كمن مَثَلهُ في الظّلمات»: الّذي لا يعرف الإمام[١]. والعيّاشي: مثله[٢].

وعنه عليه السلام الميّت: الذي لا يعرف هذا الشأن يعني هذا الأمر، و «جعلنا له نوراً» إماماً يأتمّ به يعني عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه «كمن مثله في الظّلمات» قال: بيده هكذا هذا الخلق الّذي لا يعرفون شيئاً[٣].

وفي المناقب: عن الصّادق عليه السلام كان ميتاً عنّا فأحييناه بنا[٤].

والقمّي: كان جاهلاً عن الحقّ والولاية فهديناه إليها، قال: «النّور»: الولاية، «في الظّلمات»: يعني ولاية غير الأئمة عليهم السلام[٥].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام في حديث قال الله تعالى: «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيّ» فالحيّ: المؤمن الّذي يخرج طينته من طينة الكافر، والميّت الّذي يخرج من الحيّ: هو الكافر الّذي يخرج من طينة المؤمن، فالحيّ: المؤمن، والميّت: الكافر، وذلك قوله عزّ وجلّ: «أو من كان ميتاً فأحييناه» فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، وكان حياته حين فرّق الله بينهما بكلمته كذلك يخرج الله عزّ وجلّ المؤمن في الميلاد من الظّلمة بعد دخوله فيها إلى النّور، ويخرج الكافر من النّور إلى الظّلمة بعد دخوله إلى النّور، وذلك قوله عزّ وجلّ: «لينذر من كان حيّاً وَيَحِقَّ القول على الكافرين[٦]»[٧].

﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام إنّ الآية نزلت في عمّار بن ياسر، وأبي جهل[٨].

---

١ - الكافي: ج ١، ص ١٨٥، ح ١٣، باب معرفة الإمام والرد إليه.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦، ح ٨٩.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٦، ح ٩٠.

٤ - مناقب ابن شهرآشوب: ج ٣، ص ٢٧٠ في المفردات من مناقبه.

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٥.

٦ - يـٰس: ٧٠.

٧ - الكافي: ج ٢، ص ٥ ـ ٦، ح ٧، باب طينة المؤمن والكافر.

٨ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٥٩. في شأن نزول الآية.

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِنْدَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾: أي كما جعلنا في مكّة والمعنى خلّيناهم وشأنهم.

﴿لِيَمْكُرُواْ فِيهَا﴾: ولم نكفّهم عن المكر، وإنّما خصّ الأكابر لأنّهم أقوى على استتباع النّاس والمكر بهم.

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: لأنّ وباله يحيق بهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: ذلك.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ﴾: القمّي: قال الأكابر[1].

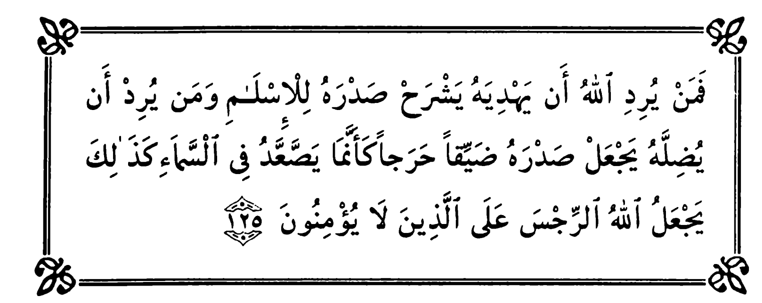
﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾: روي أنّ أبا جهل قال: تزاحمنا[2] بنو عبد مناف في الشّرف حتّى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا: منّا نبيّ يوحى إليه والله لا نرضى به ولا نتّبعه أبداً إلّا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت[3].

---

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦.

٢ - قوله: «تزاحمنا» أي ضايقنا الأمر عليهم من كلّ وجه، ولم نقصر عنهم في شرف حتى صرنا كالفرسين المتسابقين في ميدان الاستباق، يهتم في سبق كل منهما على الآخر، فلا نسلم أبداً لهم شرفاً لا يكون مثله لنا فلا نؤمن بالآيات المنزلة فيهم إلّا أن ينزل مثلها فينا حتى لا نقصر عنه. منه ﷺ.

٣ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٦١ في شأن نزول الآية، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٠.



ونحوه قوله عزّ وجلّ: «بل يريد كلّ امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة»[١].

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾: استيناف للردّ عليهم بأنّ النّبوة ليست بالنّسب والمال، وإنّما هي بفضائل نفسانيّة يخصّ الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم أنّه يصلح لها، وهو أعلم بالمكان الّذي فيه يضعها، وقرئ رسالاته[٢].

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ﴾: ذلّ وحقارة بعد كبرهم.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: يوم القيامة، وقيل: من عند الله[٣].

﴿وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾: القمّي: أي يعصون الله في السر[٤].

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾: يعرّفه الحقّ ويوفّقه للإيمان.

﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾: فيتّسع له ويفسح[٥] فيه مجاله، وهو كناية عن جعل القلب قابلاً للحقّ مهيّئاً لحلوله فيه، مصفّى عمّا يمنعه وينافيه.

في المجمع: قد وردت الرّواية الصّحيحة انّه لمّا نزلت هذه الآية سئل رسول الله ﷺ:

---

١ - المدثر: ٥٢.

٢ - اقتباس من تفسير أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٠.

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٠.

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦.

٥ - الفُسحة بالضم: السعة، وفسح المكان ككرم وأفسح وتفسح وانفسح فهو فسيح وفسح له كمنع وسع كتفسح فيفسح له: أي للإسلام صدره ويفسح أي يسع في الصدر مجال الإسلام أي محل دورانه منه ﷺ.

عن شرح الصّدر وما هو؟ فقال: نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح، قالوا: فهل لذلك من إمارة يعرف بها؟ فقال: نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتّجافي عن دار الغرور، والإستعداد للموت قبل نزول الموت[١].

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾: بحيث ينبو[٢] عن قبول الحقّ فلا يدخله الإيمان، وقرئ ضَيْقاً بالتّخفيف، وحَرِجاً بالكسر أي شديد الضّيق.

في المعاني: عن الصّادق عليه السلام: في هذه الآية قال: قد يكون ضيّقاً وله منفذ يسمع منه ويبصر، والحَرِج: هو الملتئم الّذي لا منفذ له، يسمع به ولا يبصر منه[٣].

والعيّاشي: عنه عليه السلام: إنّه قال لموسى بن أسمر أتدري ما الحرج؟ قال: قلت: لا، فقال بيده وضمّ أصابعه: كالشيء المصمت الّذي لا يدخله فيه شيء، ولا يخرج منه شيء[٤].

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَاءِ﴾: يتصعّد، وقرئ بالتّخفيف، ويصّاعد بمعنى يتصاعد مبالغة في ضيق صدره. بتشبيهه بمن يزاول ما لا يقدر عليه فإنّ صعود السّماء مثل فيما يبعد عن الإستطاعة ويضيق عند القدرة.

﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: العيّاشي: عن الصادق عليه السلام: هو الشكّ[٥].

وفي الكافي: عنه عليه السلام: إنّ القلب ليتخلخل في الجوف يطلب الحقّ فإذا أصابه إطمأنّ به وقرّ، ثمّ تلا «فمن يرد الله أن يهديه» الآية[٦]، والعيّاشي: مثله[٧].

---

١ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٦٣.

٢ ـ نَبَا السيف ينبو ـ من باب قتل ـ نبوّاً على فعول: كَلّ ورجع من غير قطع. مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٠٦، مادة «نبا».

٣ - معاني الأخبار: ص ١٤٥، ح ١، باب معنى الحرج.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٧، ذيل الحديث ٩٥. وفيه: «موسى بن أشيم».

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٧، ح ٩٦.

٦ - الكافي: ج ٢، ص ٤٢١، ح ٥، باب سهو القلب: وفيه: «إنّ القلب ليتجلجل» بمعنى التحرك مع الصوت.

٧ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٦، ح ٩٣.

وفي رواية: قال: إنّ القلب ينقلب عن موضعه إلى حنجرته ما لم يصب الحقّ فإذا أصاب الحقّ قرّ، ثم تلا هذه الآية[١]، وفي المجمع: عنه عليه السلام: مثله[٢].

أقول: يتخلخل بالخاءين المعجمتين أو الجيمين أي يتحرّك.

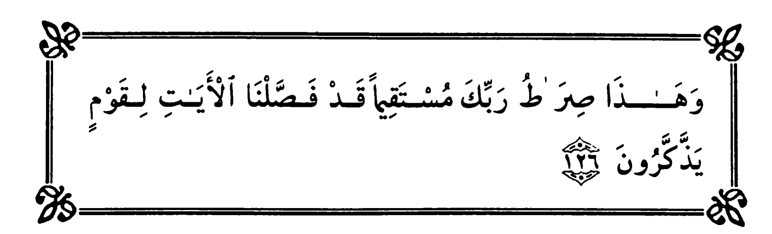
وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور فأضاء لها سمعه وقلبه حتّى يكون أحرص على ما في أيديكم منكم، وإذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء فأظلم لها سمعه وقلبه، ثم تلا: «فمن يرد الله أن يهديه» الآية[٣].

وفيه[٤]، وفي التوحيد[٥]، والعيّاشي: عنه عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور، وفتح مسامع قلبه، ووكّل به ملكاً يسدّده، وإذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء سدّ مسامع قلبه، ووكّل به شيطاناً يضلّه، ثمّ تلا هذه الآية[٦].

وفي الكافي: عنه عليه السلام: في حديث واعلموا أنّ الله إذا أراد بعبد خيراً شرح الله صدره للإسلام، فإذا أعطاه ذلك نطق لسانه بالحقّ، وعقد قلبه عليه فيعمل به. فإذا جمع الله له على ذلك تمّ له إسلامه، وكان عند الله إن مات على ذلك الحال من المسلمين حقّاً، وإذا لم يرد الله بعبد خيراً وكّله إلى نفسه فكان صدره ضيّقاً حرجاً فإن جرى على لسانه حقّ لم يعقد قلبه عليه، وإذا لم يعقد قلبه عليه لم يعطه الله العمل به، فإذا اجتمع ذلك عليه حتّى يموت وهو على تلك الحال كان عند الله من المنافقين، وصار ما جرى على لسانه من الحقّ الّذي لم يعطه الله

---

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٧، ح ٩٥.
٢ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٦٤.
٣ - الكافي: ج ٢، ص ٢١٤، ح ٦، باب في ترك دعاء الناس.
٤ - الكافي: ج ٢، ص ٢١٤، ح ٧، باب في ترك دعاء الناس.
٥ - التوحيد: ص ٤١٥، ح ١٤، باب ٦٤ ـ التعريف والبيان والحجّة والهداية.
٦ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧، ح ٩٤.



أن يعقد قلبه عليه ولم يعطه العمل به حجة[١] عليه فاتّقوا الله وسلوه أن يشرح صدوركم للإسلام وأن يجعل ألسنتكم تنطق بالحكمة حتّى يتوفّاكم وأنتم على ذلك[٢].

وفي التوحيد[٣]، والمعاني[٤]، والعيون: عن الرضا عليه السلام: إنّه سئل عن هذه الآية فقال: من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا وإلى جنّته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتّسليم لله، والثّقة به، والسّكون إلى ما وعده من ثوابه حتّى يطمئنّ إليه، ومن يرد أن يضلّه عن جنته ودار كرامته في الآخرة لكفره به وعصيانه له في الدنيا يجعل صدره ضيّقاً حرجاً حتّى يشكّ في كفره ويضطرب من اعتقاد قلبه حتّى يصير «كأنّما يَصَّعَّدُ في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الّذين لا يؤمنون»[٥].

﴿وَهَـٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾: قيل يعني طريقته وعادته في التّوفيق والخذلان[٦].

﴿مُسْتَقِيماً﴾: عادلاً مطّرداً لا إعوجاج فيه.

القمّي: يعني الطريق الواضح[٧].

---

١ – فإنّ العلم إذا لم يقارن العمل فهو مخاصم صاحبه. منه قدّس سرّه.

٢ – الكافي: ج ٨، ص ١٣ ـ ١٤، في ذيل رسالة أبي عبدالله عليه السلام: إلى جماعة الشيعة.

٣ – التوحيد: ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣، ح ٤، باب ٣٥ ـ تفسير الهدى والضلالة والتوفيق والخذلان من الله تعالى.

٤ – معاني الأخبار: ص ١٤٥، ح ٢، باب معنى الحرج.

٥ – عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٣١، ح ٢٧، باب ١١ ـ ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليهما السلام: من الأخبار في التوحيد.

٦ – قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزل: ج ١، ص ٣٣٠.

٧ – تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦.

لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: فيعلمون أنّ القادر هو الله، وأنّ كلّ ما يحدث من خير أو شرّ فهو بقضائه، وأنّه عليم بأحوال العباد حكيم عدل فيما يفعل بهم.

﴿لَهُمْ﴾: للّذين تذكّروا وعرفوا الحقّ.

﴿دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ﴾: دار الله أو دار السّلامَة من كلّ آفة وبليّة. القمّي: يعني في الجنّة، والسّلام: الأمان والعافية والسّرور(١).

ويأتي في سورة يونس(٢) فيه(٣) حديث بالمعنى الأوّل.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: في ضمانه يوصلهم إليها لا محالة.

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾: قيل: مولاهم ومحبّهم(٤).

القمّي: أي أولى بهم(٥).

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: وبسبَب أعمالهم.

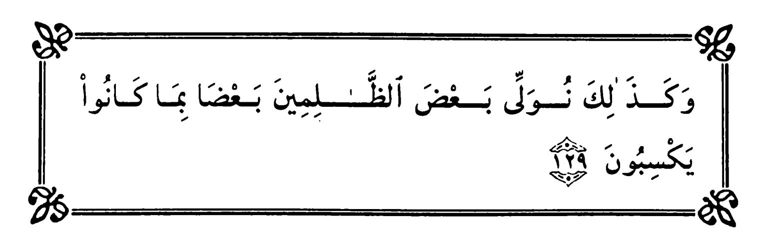
---

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦. ٢ - ذيل الآية ٢٥، فراجع.

٣ ـ أي في قوله تعالى: «دار السلام».

٤ - لم نعثر على هذا القول، بل ورد في الكشاف «مواليهم ومحبهم» ج ٢، ص ٦٤، وهكذا في تفسير غرائب القرآن للنيسابوري: ج ٥، المجلد الثامن، ص ٢٢، وورد في تفسير أبي السعود: ج٣، ص١٨٤، «مولاهم وناصرهم».

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦.



﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾: واذكر يوم نحشرهم أو يوم يحشرهم، وقرئ بالياء.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾: يعني الشّياطين.

﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِنَ ٱلْإِنْسِ﴾: أضللتم منهم كثيراً. القمّي: قال: كلّ من والى قوماً فهو منهم، وإن لم يكن من جنسهم[1].

﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِنَ ٱلْإِنْسِ﴾: الّذين اتبعوهم وأطاعوهم.

﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: أي انتفع الإنس بالشّياطين حيث دلّوهم على الشّهوات وما يوصل إليها، وانتفع الشّياطين بالإنس حيث أطاعوهم وحصّلوا مرادهم.

﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا ٱلَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾: القمّي: يعني القيامة[2].

﴿قَالَ﴾: قال الله لهم.

﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾: مقامكم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: مؤبّدين.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: في أفعاله.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمال الثقلين وأحوالهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضَا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: نكل بعضهم إلى بعض.

القمّي: قال: نولي كلّ من يولّي أولياءهم فيكونون معهم[3].

وفي الكافي[4]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: ما انتصر الله من ظالم، إلّا بظالم وذلك قوله

---

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦.
٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦.
٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٦.
٤ - الكافي: ج ٢، ص ٣٣٤، ح ١٩، باب الظلم.

يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾

عزّ وجلّ: «وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً»[١].

﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾: يعني يوم القيامة. في العيون: في خبر الشّامي أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام: هل بعث الله نبيّاً إلى الجنّ؟ فقال: نعم. بعث الله نبيّاً يقال له: يوسف فدعاهم إلى الله فقتلوه[٢].

وعن الباقر عليه السلام: في حديث أنّ الله عزّ وجلّ أرسل محمّداً صلى الله عليه وآله: إلى الجنّ والإنس[٣].

أقول: وعموم رسالته صلى الله عليه وآله للثّقلين مستفيض.

﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾: بالجرم والعصيان، وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب.

﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ﴾: ذمّ لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فإنّهم اغترّوا بالحياة الدّنيا واللّذات

---

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٦، ح ٩٢.

٢ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٤٢، ح ١، باب ٢٤ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام: من خبر الشامي وما سأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام: في جامع الكوفة.

٣ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٥٥ ـ ٥٦، ح ٢١، باب ٦ ـ النصوص على الرضا عليه السلام: بالإمامة في جملة الأئمة الإثنا عشر عليهم السلام.

ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾

المخدجة[1] وأعرضوا عن الآخرة بالكليّة حتّى كان عاقبة أمرهم أن اضطرّوا إلى الشّهادة على أنفسهم بالكفر والإستسلام للعذاب المخلّد تحذيراً للسّامعين من مثل حالهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي إرسال الرسل.

﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾: ظالماً أو بسبب ظلم فعلوه.

﴿وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ﴾: لم ينبّهوا برسول.

﴿وَلِكُلٍّ﴾: من المكلفين.

﴿دَرَجَـٰتٌ﴾: مراتب.

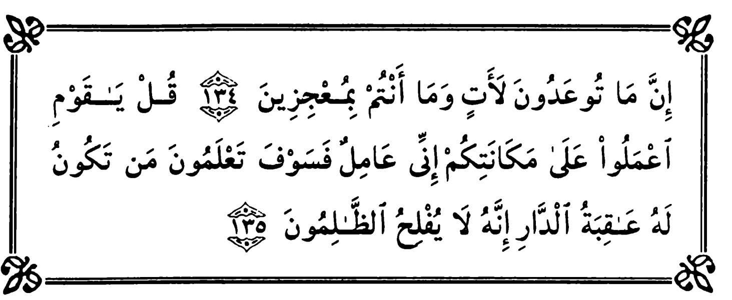
﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: فيخفى عليه عمل أو قدر ما يستحقّ به من ثواب أو عقاب، وقرئ بالخطاب.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾: عن عباده، وعن عبادتهم.

﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾: يترحّم عليهم بالتّكليف ليعرضهم للمنافع العظيمة التي لا يحسن إيصالهم إليها إلّا بالإستحقاق.

---

١ - خدجت الناقة فهي خادج: إذا ألقت ولدها قبل تمام الأيّام وإن كان تام الخلق. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٩٠، مادة «خدج».



﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: أيّها العصاة.

﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾: وينشئ من بعد هلاككم وإذهابكم خلقاً غيركم يطيعونه يكونوا خلفاً لكم.

﴿كَمَا أَنْشَأَكُم مِن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾: قرناً بعد قرن.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾: من الحشر والثواب والعقاب.

﴿لَأَتٍ﴾: لكائن لا محالة.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: بخارجين من ملكه يقال: أعجزني كذا أي فاتني وسبقني.

﴿قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: قيل: على غاية تمكّنكم واستطاعتكم أو على حالتكم الّتي أنتم عليها، وقرئ مكاناتكم حيث ما وقع[1].

﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾: على مكانتي الّتي أنا عليها وهو تهديد، والمعنى أثبتوا على كفركم وعداوتكم فإنّي ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: أيّنا تكون له العاقبة الحسنى الّتي خلق الله لها هذه الدّار؟ وقرئ يكون بالياء، والتّهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد وتسجيل على المأمور بأنّه لا يأتي منه إلّا الشرّ وهذا كقوله تعالى: «اعملوا ما شئتم»[2].

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: وضع الظّالمين موضع الكافرين لأنّه أعمّ وأكثر فائدة.

---

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٢.

٢ - فصلت: ٤٠.

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾: يعني مشركي العرب.

﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾: ممّا خلق الله.

﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾: من غير أن يؤمروا به، وقرئ بضمّ الزّاي وكذا فيما يأتي.

﴿وَهَـٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾: أصنامهم التّي أشركوها في أموالهم.

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: حكمهم هذا.

روي أنّهم كانوا يعيّنون شيئاً من حرث ونتاج لله ويصرفونه إلى الضّيفان والمساكين، وشيئاً منها لآلهتهم وينفقون على سدنتها[١] ويذبحون عندها ثمّ إن رأوا ما عيّنوا الله أزكى بدّلوه بما لآلهتهم وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبّاً لآلهتهم واعتلّوا لذلك بأنّ الله غنيّ[٢].

وفي المجمع: عن أئمّتنا عليهم السلام: كان إذا اختلط ما جعل للأصنام بما جعل لله ردّوه وإذا اختلط ما جعل لله بما جعلوه للأصنام تركوه، وقالوا: الله غني وإذا إنخرق الماء من الّذي لله في الّذي للأصنام لم يسدّوه وإذا انخرق من الّذي للأصنام في الّذي لله سدّوه وقالوا إنّ الله غنّي[٣].

---

١ - السادن بكسر الدال: خادم الكعبة، والجمع سَدَنة مثل كافر وكفرة والسدانة بالكسر: الخدمة. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٦٤، مادة «سدن».

٢ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٣.

٣ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٧٠.

وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَـٰذِهِ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـٰمٌ لَا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

قيل: وفي قوله «ممّا ذرأ» تنبيه على فرط جهالتهم فإنّهم أشركوا الخالق في خلقه جماداً لا يقدر على شيء ثمّ رجّحوه عليه بأن جعلوا الزاكي له[1].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثل ذلك التزيين.

﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ﴾: بالوأد خيفة العيلة أو العار أو بالنّحر لآلهتهم.

﴿شُرَكَاؤُهُمْ﴾: من الشّياطين أو السّدَنة.

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: ليهلكوهم بالإغواء.

﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه.

﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَقَالُواْ هَـٰذِهِ﴾: إشارة إلى ما جعل لآلهتهم.

﴿أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾: حرام.

﴿لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾: من غير حجّة.

---

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٣.

وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾

القمّي: قال: كانوا يحرّمونها على قوم[١].

﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ﴾: حرام.

﴿ظُهُورُهَا﴾: القمّي: قال: يعني البحيرة، والسّائبة، والوصيلة، والحام[٢].

﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾: في الذّبح والنّحر.

وقيل: لا يحجّون عليها ولا يلبّون على ظهورها، والمعنى إنّهم قسّموا أنعامهم فقالوا: هذه أنعام حجر، وهذه أنعام محرّمة الظّهور، وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها أجناساً بدعواهم الباطلة، ونسبوا ذلك التقسيم إلى الله[٣].

﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾: أي فعلوا ذلك كلّه على جهة الإفتراء.

﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ * وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾: القمّي: كانوا يحرّمون الجنين الّذي يخرجونه من بطون الأنعام على النّساء، فإذا كان ميتاً يأكله الرّجال والنّساء[٤].

قيل: وأُنث ـ خالصة ـ لأنّ ما في معنى الأجنّة، والتّاء فيه للمبالغة كما في رواية الشّعر، أو هو مصدر كالعافية، وقرئ تكن بالتّاء وميتة بالنّصب، وبوجوه أُخر[٥].

---

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٧.
٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٧.
٣ - الكشاف: ج ٢، ص ٧١.
٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٨.
٥ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾: أي جزاء وصفهم الكذب على الله في التّحريم والتّحليل من قوله: «لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ»[١].

﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ﴾: كانوا يقتلون بناتهم مخافة السّبي والفقر، وقرئ «قتّلوا» بالتّشديد بمعنى التّكثير.

﴿سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: لخفّة عقلهم وجهلهم بأنّ الله رازق أولادهم. لا هم.

﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾: من البحائر، ونحوها.

﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾: إلى الحقّ والصّواب.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ﴾: من الكروم.

﴿مَّعْرُوشَـٰتٍ﴾: مرفوعات على ما يحملها.

﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ﴾: ملقيات على وجه الأرض.

﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ﴾: أكل ذلك أي ثمره الّذي يؤكل في اللّون والطّعم والحجم والرّائحة.

---

١ - النحل: ١١٦.

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهاً وغَيْرَ مَتَشَـٰبِهٍ﴾: يتشابه بعض أفرادهما في الطّعم واللّون والحجم ولا يتشابه بعضها.

﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ﴾: من ثمر كلّ واحد من ذلك.

﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾: وإن لم يدرك ولم يينع بعد، وقيل: فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حقّ الله[1].

أقول: وإنّما يصحّ ذلك إذا خرص ما يأكل.

﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: وقرئ بكسر الحاء[2].

في قرب الإسناد: إنّه قرئ عند الرضا عليه السلام: فقال للقارئ: هكذا يقرؤها من كان قبلكم؟ قال: نعم قال: افتح الفم بالحاء[3].

كأنّه كان يقرؤها: بالكسر، وكأنّ القمي أيضاً بهذا أشار حيث قال: كذا نزلت[4].

قيل: يريد بالحقّ: ما يتصدّق به يوم الحصاد، لا الزكاة المقدّرة، لأنّ الزّكاة فرضت بالمدينة، والآية مكية[5].

وقيل: بل هو: الزّكاة أي لا تؤخّروه عن أوّل وقت يمكن فيه الإيتاء، والآية مدنيّة[6].

والمروي عن أهل البيت عليهم السلام: إنّه غير الزّكاة[7].

فني الكافي[8]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام: في الزّرع حقّان: حقّ تؤخذ به، وحقّ

---

١ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٤.

٢ ـ قرأ أهل البصرة والشام وعاصم «حَصَادَهُ» بالفتح، والباقون «حِصَاده» بالكسر. مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٧٤، في القراءة.

٣ - قرب الإسناد: ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨، ح ١٣١٦.

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٨.

٥ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٤.

٦ - الكشاف: ج ٢، ص ٧٣، أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٤.

٧ - جوامع الجامع: ج ١، ص ٤١٤.

٨ - الكافي: ج ٣، ص ٥٦٤، ح ١، باب الحصاد والجداد.

تعطيه، أمّا الّذي تؤخذ به: فالعشر ونصف العشر، وأمّا الّذي تعطيه فقول الله عزّ وجلّ: «وآتوا حقّه يوم حصاده» فالضغث[١] تعطيه ثمّ الضغث حتى تفرغ[٢][٣].

وعن الباقر عليه السلام: هذا من الصّدقة تعطي المساكين القبضة بعد القبضة، ومن الجداد:[٤] الحفنة[٥] بعد الحفنة[٦].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام: في هذه الآية قال: الضّغث: من السّنبل، والكفّ من التمر إذا خرص[٧].

والعيّاشي: عنه عليه السلام: فيها قال: إعط من حضرك من مشرك وغيره[٨].

والأخبار في هذا المعنى: كثيرة[٩].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام: لا تصرم[١٠] بـاللّيل، ولا تحـصد بـاللّيل، ولا تـضحّ باللّيل، ولا تبذر باللّيل إلى قوله: وإن حصدت باللّيل لم يأتك السّؤال وهو قول الله: «وآتوا حقّه يوم حصادِهِ» يعني القبضة بعد القبضة إذا حصدته فإذا خرج فالحفنة بعد الحفنة، وكذلك

---

١ - الضغث ـ بالكسر والفتح ـ: قبضة الحشيش المختلط رطبها ويابسها، ويـقال: مـلئ الكـف مـن القـضبان والحشيش أو الشماريخ. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٥٧. مادة «ضغث».

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٨، ح ١٠١.

٣ ـ لفظ هذا الحديث من العياشي، وفي الكافي زيادات لا مدخل لها في فهم المعنى، منه رحمه الله.

٤ - الجَداد ـ بالفتح والكسر ـ: صرام النخل، وهو قطع ثمرتها، يقال جد الثمرة يجدها جداً ـ مـن بـاب قـتل ـ: قطعها. وجد الشيء: قطعه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٢، مادة «جدد».

٥ ـ الحفنة ـ بالمهملة ـ: الكف من الطعام، والعياشي أورد هذا الحديث هكذا نصّة: «هذا مـن غـير الصـدقة» وكأنّه عليه السلام أراد بالصدقة الزكاة لقوله تعالى: «إنّما الصدقات للفقراء» الآية. فكأنّ هذه النسخة أصح. مـنه رحمه الله، راجع تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٨، ح ١٠٤.

٦ ـ الكافي: ج ٣، ص ٥٦٥، ح ٢، باب الحصاد والجداد.

٧ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٨.

٨ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٧، ح ٩٩.

٩ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٧ ـ ٣٨٠، ح ١٠٠ و ١٠٩ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤.

١٠ - صرمت الشيء صرماً مـن بـاب ضرب: قـطعته. والصرام: جـذاذ النـخل. وهـذا أوّل الصرام بـالفتح والكسر. والصرمة: القطعة من النخل نحواً من ثلاثين. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٠١ مادة «صرم».

عند الصّرام، وكذلك عند البذر لا تبذر باللّيل لأنّك تعطي من البذر كما تعطي في الحصاد[1].

وعنه عليه السلام: في هذه الآية تعطي المساكين يوم حصادك الضّغث، ثمّ إذا وقع في البيدر، ثمّ إذا وقع في الصّاع العشر ونصف العشر[2].

والقمّي: قال: فرض الله يوم الحصاد من كل قطعة أرض قبضة للمساكين، وكذا في جذاذ[3] النّخل وفي التّمر، وكذا عند البذر، وإنّ الرضا عليه السلام: سئل إن لم يحضر المساكين وهو يحصد كيف يصنع؟ قال: ليس عليه شيء[4].

وأنّ الصّادق عليه السلام: سئل هل يستقيم إعطاؤه إذا أدخله؟ قال: لا هو أسخى لنفسه قبل أن يدخله بيته[5].

﴿وَلَا تُسْرِفُواْ﴾: في التّصدّق، كقوله: «ولا تبسطها كلّ البسط»[6].

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: لا يرتضي فعلهم. في الكافي[7]، والعياشي: عن الرّضا عليه السلام: إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: كان أبي يقول: من الإسراف في الحصاد والجذاذ أن يتصدّق الرّجل بكفيّه جميعاً، وكان أبي إذا حضر شيئاً من هذا فرآى أحداً من غلمانه يتصدّق بكفّيه صاح به إعط بيد واحدة القبضة بعد القبضة، والضّغث بعد الضّغث من السّنبل[8].

وعن الصّادق عليه السلام: إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: كان فلان بن فلان الأنصاري

---

١ - الكافي: ج ٣، ص ٥٦٥، ح ٣، باب الحصاد والجداد.

٢ - الكافي: ج ٣، ص ٥٦٥، ح ٤، باب الحصاد والجداد. وفيه: «تعطي المسكين».

٣ـ الجذاذ: ضماً وكسراً والضم أفصح: قطع ما يكسر، والجذ: القطع والجذاذ بالكسر: صرام النخل لغة في الجذاذ. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٧٨ ـ ١٧٩، مادة «جذذ».

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٨.

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٨.

٦ـ الإسراء: ٢٩.

٧ - الكافي: ج ٣، ص ٥٦٦، ح ٦، باب الحصاد والجداد.

٨ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٩، ح ١٠٦.

وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾

وسمّاه كان له حرث، وكان إذا أخذه تصدّق به، ويبقى هو وعياله بغير شيء فجعل الله عزّ وجلّ ذلك سرفاً[١].

وفي الكافي: عنه عليه السلام: في حديث قال: وفي غير آية من كتاب الله يقول: «إنّه لا يحبّ المسرفين» فنهاهم عن الإسراف، ونهاهم عن التّقتير، لكن أمر بين أمرين لا يعطي جميع ما عنده ثمّ يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيب له[٢].

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾: وأنشأ من الأنعام ما تحمل الأثقال، وما ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش.

﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: في تحريم شيء منها من عند أنفسكم.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾: بدل من حمولة وفرشاً أو مفعول «كلوا»، «ولا تتّبعوا» معترض، والزّوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه، وقد يقال: لمجموعها.

---

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٧٩، ح ١٠٥. وفيه: «وبقي هو وعياله».

٢ - الكافي: ج ٣، ص ٦٧، ح ١، س ٨، باب دخول الصوفية على أبي عبدالله عليه السلام: واحتجاجهم عليه فيما ينهون الناس عنه من طلب الرزق.

وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾

﴿مِنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: الأهليّ والوحشيّ.

﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾: الأهليّ والوحشيّ، وقرئ بفتح العين.

﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾: ذكر الضّأن وذكر المعز.

﴿حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: أم انثيهما.

﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: أو ما حملته أُناث الجنسين ذكراً كان أو أُنثى.

﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ﴾: بأمر معلوم يدلّ على أنّ الله حرّم شيئاً من ذلك.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: في دعوى التّحريم عليه.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ﴾: العراب[١] والبخاتي[٢].

﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾: الأهلي والوحشي، وقيل: أُريد بالإثنين الذّكر والأنثى من كلّ صنف[٣]، والصواب ما قلناه كما يأتي بيانه.

---

١ - الابل العِرَاب: خلاف البخاتي. والخيل العِراب: خلاف البراذين: مجمع البحرين: ج ٢، ص ١١٩، مادة «عرب». وفي هامش المخطوط: الإبل العراب: العربيّة، والبخاتي: الخراسانيّة واحدها بخت بالضم، منه ﷺ.

٢ - البُخْت: نوع من الإبل، الواحد بختي مثل روم ورومي، والأُنثى بختية، والجمع بخاتيّ غير مصروف لأنّه جمع الجمع. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٩١، مادة «بخت».

٣ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٥.

﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾: كما مرّ والمعنى إنكار أنّ الله حرّم من الأجناس الأربعة أهليّاً كان أو وحشيّاً ذكراً كان أو أُنثى وما تحمل أُناثها ردّاً عليهم فإنّهم كانوا يحرّمون ذكور الأنعام تارةً، وأُناثها تارة، وأولادها كيف كانت تارة زاعمين أنّ الله تعالى حرّمها.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾: بل كنتم حاضرين شاهدين.

﴿إِذْ وَصَّـٰكُمُ ٱللهُ بِهَـٰذَا﴾: حين وصّاكم بهذا التّحريم فإنّكم لا تؤمنون بالرّسل فلا طريق لكم إلى معرفة أمثال ذلك إلّا المشاهدة أو السّماع.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَىٰ ٱللهِ كَذِباً﴾: فنسب إليه تحريم ما لم يحرّم، والمراد كبراؤهم المقرّرون لذلك، أو عمرو بن لحيّ المؤسّس له الّذي بحَرَ البحائر، وسيّب السّوائب.

﴿لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: القمّي: فهذه الّتي أحلّها الله في كتابه في قوله: «وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج»[١] ثمّ فسّرها في هذه الآية فقال عليه السلام: من الضأن اثنين عنى الأهليّ والوحشي «الجبليّ»، ومن المعز اثنين عنى الأهليّ والوحشيّ «الجبليّ» ومن البقر اثنين عنى الأهليّ والوحشيّ «الجبليّ»، ومن الإبل اثنين يعني البخاتي والعراب، فهذه أحلها الله[٢].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: حمل نوح عليه السلام: في السفينة الأزواج الثمانية التي قال الله عزّ وجلّ: «ثمانية أزواج من الضّأن اثنين» الآية فكان من الضّأن اثنين زوج داجنة يربّيهاالنّاس، والزّوج الآخر الضّأن الّتي تكون في الجبال الوحشيّة أحلّ لهم صيدها، ومن المعز اثنين زوج داجنة يربّيها النّاس والزّوج الآخر الظّباء الّتي تكون في المفاوز، ومن الإبل اثنين البخاتي والعراب، ومن البقر اثنين زوج داجنة للنّاس، والزّوج الآخر البقر الوحشيّة، وكلّ طير طيّب وحشيّ وأنسيّ[٣].

---

١ - الزمر: ٦. ٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٩.

٣ - الكافي: ج ٨، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤، ح ٤٢٧.

قُل لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾

وفيه[1]، وفي الفقيه: عن داود الرّقي قال: سألني بعض الخوارج عن هذه الآية «من الضّأن اثنين» الآية ما الّذي أحلّ الله من ذلك وما الّذي حرّم؟ فلم يكن عندي فيه شيء فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام: وأنا حاجّ فأخبرته بما كان، فقال: إنّ الله تعالى أحلّ في الأُضحيّة بمنى الضّأن والمعز الأهليّة، وحرّم أن يضحّى بالجبليّة، وأمّا قوله: «ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين» فإنّ الله تعالى أحلّ في الأضحية الإبل العراب، وحرّم منها البخاتي[2] وأحلّ البقر الأهليّة أن يضحّى بها، وحرّم الجبليّة فانصرفت إلى الرجل فأخبرته بهذا الجواب، فقال: هذا شيء حملته الإبل من الحجاز[3].

أقول: لعلّ الخارجي كان قد سمع تحريم الأُضحية ببعض هذه الأزواج الثّمانية مع حلّها كلّها فأراد أن يمتحن بمعرفته داود، ولعلّ علّة تحريم الأضحية بالجَبَليّة منها بمنى كونها صيداً وتحريمها بالبخت لعلّةٍ أُخرى.

﴿قُل لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً﴾: طعاماً محرّماً.

---

١ - الكافي: ج ٤، ص ٤٩٢، ح ١٧، باب ما يستحب من الهدي وما يجوز منه وما لا يجوز.

٢ - الظاهر إنّ المراد بالبخاتي في هذا الخبر هو الوحشي من الإبل أيضاً ولعله كان أصلاً في إطلاق البخاتي عليه في عصر الإمام عليه السلام ثم عمّم بعض الأهلي منه أيضاً تشبيهاً للملحق بالملحق به وإلّا فالفتوى على خلافه. منه قدس سره.

٣ - من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٩٣ - ٢٩٤، ح ١٤٥١ / ٧، باب ١٩٩ - الأضاحي.

﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾: فيه إيذان بأنّ التّحريم إنّما يثبت بالوحي لا بالهوى.

﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ﴾: الطعام.

﴿مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً﴾: مصبوباً كالدّم في العروق، لا كالكبد والطّحال والمختلط باللّحم لا يمكن تخليصه منه.

﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾: قذر.

﴿أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللهِ بِهِ﴾: سمّي ما ذبح على إسم الصّنم فسقاً لتوغله في الفسق.

﴿فَمَنْ ٱضْطُرَّ﴾: فمن دعته الضّرورة إلى تناول شيء من ذلك.

﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لا يؤاخذه بأكله، وقد مضى تفسير الباغي والعادي في سورة البقرة[١].

فإن قيل: لم خصّ هذه الأشياء الأربعة هنا بذكر التّحريم مع أنّ غيرها محرّم أيضاً، فإنّه سبحانه ذكر في المائدة[٢] تحريم المنخنقة والموقوذة والمتردّية وغيرها، وقد وردت الأخبار الصّحيحة بتحريم كلّ ذي مخلب من الطير، وكلّ ذي ناب من الوحش، وما لا قشر له من السّمك، إلى غير ذلك.

قلنا: أمّا المذكورات في المائدة فكلّها يقع عليه اسم الميتة فيكون في حكمها فأجمل هاهنا وفصّل هناك، وأمّا غيرها فليس بهذه المثابة في الحُرمة فخصّ هذه الأشياء بالتّحريم تعظيماً لحرمتها، وبيّن تحريم ما عداها رسول الله ﷺ: وورد أنّه ممّا يعاف عنه[٣].

وأمّا ما قيل: إنّ هذه السّورة مكيّة، والمائدة مدنيّة فيجوز أن يكون غير ما في هذه الآية من المحرّمات إنّما حرّم فيما بعد فلا تساعده الأخبار الواردة في ذلك عن أهل البيت عليهم السلام.

وكذا ما قاله القمّي فإنّه قال: قد احتجّ قوم بهذه الآية على أنّه ليس شيء محرّم

---

١ - ذيل الآية: ١٧٣. ٢ - ذيل الآية: ٣.

٣ - انظر تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٦، ح ١٦ / ١٦، باب ١ ـ الصيد والذكاة.

إلّا هذا وأحلّوا كلّ شيء من البهائم: القردة، والكلاب، والسّباع، والذّئاب، والأسد، والبغال، والحمير، والدواب، وزعموا أنّ ذلك كلّه حلال، وغلطوا في ذلك هذا غلطاً بيّناً، وإنّما هذه الآية ردّ على ما أحلّت العرب وحرّمت لأنّ العرب كانت تحلّل على نفسها وتحرّم أشياء فحكى الله ذلك لنبيّه ﷺ: ما قالوا، فقال: «وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا»[١] الآية فكان إذا سقط الجنين أكله الرجال وحرّم على النّساء، وإذا كان ميّتاً أكله الرجال والنساء، انتهى كلامه[٢].

وإنّما قلنا إنّ القولين لا تساعده الأخبار لأنّها وردت بأنّ الحرام ليس إلّا ما حرّم الله وتليت هذه الآية، وذلك حين سألوا عن حرمة غير المذكور فيها من الحيوان.

ففي التهذيب، عن الصّادق عليه السلام[٣]: والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: إنّه سئل عن الجرّي[٤] والمارماهي[٥] والزّمير[٦] وما ليس له قشر من السّمك حرام هو؟ فقال لي: يا محمد إقرأ هذه الآية الّتي في الأنعام: «قل لا أجد فيما أُوحي إليّ محرّماً على طاعم يطعمه» فقال: فقرأتها حتى فرغت منها، فقال: إنّما الحرام ما حرّم الله ورسوله في كتابه، ولكنّهم قد كانوا يعافون عن أشياء فنحن نعافها[٧].

---

١ ـ الأنعام: ١٣٩.
٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢١٩.
٣ - تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٦، ح ١٦ / ١٦، باب ١ ـ الصيد والذكاة.
٤ - الجري بالكسر: سمك طويل أملس لا يأكله اليهود وليس عليه فصوص. القاموس المحيط: ج ١، ص ٣٨٨، مادة «جرر».

وقال الطريحي: الجري بالجيم والراء المشددة المكسورتين والياء المشددة أخيراً: ضرب من السمك عديم الفلس، ويقال له: الجريث بالثاء المثلثة. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٤٤، مادة «جرر».
٥ - المارماهي: هو بفتح الراء معرّب، وأصله حيّة السمك مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٨٥، مادة «مور».
٦ - الزمير: كسكيت نوع من السمك، وفي بعض ما روي الزمار من المسوخ. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣١٩، مادة «زمر».
٧ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٢، ح ١١٩.

وعن الباقر عليه السلام[١]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام: إنّه سئل عن سباع الطّير والوحش حتّى ذكر له القنافذ، والوطواط[٢]، والحمير، والبغال، والخيل؟ فقال: ليس الحرام إلّا ما حرّم الله في كتابه، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله: يوم خيبر عن أكل لحوم الحمير، وإنّما نهاهم من أجل ظهورهم أن يفنوها[٣] وليست الحمير بحرام، ثم قال: إقرأ هذه الآية: «قل لا أجد» الآية[٤].

وعنه عليه السلام: إنّه سئل عن الجرّيث؟ فقال: وما الجرّيث؟ فنعت له فقال: «لا أجد» الآية ثم قال: لم يحرّم الله شيئاً من الحيوان في القرآن إلّا الخنزير بعينه، ويكره كلّ شيء من البحر ليس له قشر مثل الورق، وليس بحرام وإنّما هو مكروه[٥].

وعن أحدهما عليهما السلام: إنّ أكل الغراب ليس بحرام إنّما الحرام ما حرّم الله في كتابه، ولكنّ الأنفس تتنزّه عن كثير من ذلك تقزّزاً[٦][٧].

قال صاحب التهذيب: قوله: «ليس الحرام إلّا ما حرّم الله في كتابه» المعنى فيه أنّه ليس الحرام المخصوص المغلّظ الشديد الحظر إلّا ما ذكره الله في القرآن وإن كان فيما عداه أيضاً محرّمات كثيرة إلّا أنّها دونه في التغليظ[٨].

---

١ – تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٤٢، ح ١٧٦ / ١٧٦، باب ١ ـ الصيد والذكاة.

٢ – الوطواط: الخطاف، وقيل الخفاش، والجمع الوطاوط. ولما اُحرق بيت المقدس كانت الوطواط على ما نقل تطفيه بأجنحتها. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٧٩، مادة «وطوط».

٣ – أي من أجل ما ظهر من حالهم أنّهم لو أكلوها بتلك الأكلة الشديدة لأفنوها، أو من أجل اجتماعهم على أن يفنوها أو من أجل اشتداد أكلهم خوفاً أن يفنوها وحاصل الوجوه واحد. منه قدس سره.

٤ – تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٣٨٢، ح ١١٨.

٥ – تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٥، ح ١٥ / ١٥ باب ١ ـ الصيد والذكاة.

٦ – التقزز: بالقاف والزائين المعجمتين: التباعد عن الدنس، والمبالغة في التطهير. منه قدس سره.

٧ – تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ١٨، ح ٧٢ / ٧٢ باب ١ ـ الصيد والذكاة.

٨ – تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٤٢، ذيل ح ١٧٦ / ١٧٦ فراجع.

وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ ٱلْحَوَايَا أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾: من دابّة أو طير.

﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾: الثروب وشحوم الكلى.

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾: أي ما علقت بظهورهما.

﴿أَوِ ٱلْحَوَايَا﴾: أو ما اشتمل على الأمعاء.

﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: وهو شحم الإلية فإنّه متّصل بالعصعص[1].

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾: بسبب ظلمهم.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: في الإخبار والوعد والوعيد.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾: فيما تقول.

﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾: لا يعجل بالعقوبة فلا تغترّوا بإمهاله فإنّه لا يهمل إذا جاء وقته.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: حين ينزل.

---

١ - العصص ـ بضم عينيه ـ: عظم الذنب وهو عظم يقال له: أول ما يخلق وآخر ما يبلى. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٧٥ مادة «عصعص».

سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي مثل هذا التكذيب لك في أنّ الله منع من الشّرك ولم يحرّم ما حرّموه «كذّب الّذين من قبلهم الرّسل».

﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾: الّذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم.

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾: من أمر معلوم يصحّ الإحتجاج به على ما زعمتم.

﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾: فتظهروه لنا.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: ما تتّبعون في ذلك إلّا الظنّ.

﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾: تكذبون على الله تعالى.

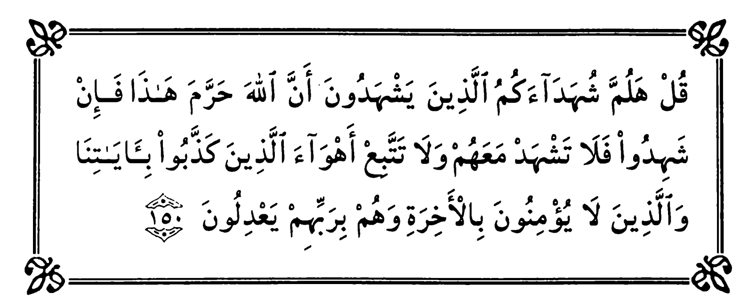
﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾: البيّنة الواضحة الّتي بلغت غاية المتانة، والقوّة على الاثبات.

﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: بالتّوفيق لها والحمل عليها. القمّي قال: لو شاء لجعلكم كلّكم على أمر واحد، ولكن جعلكم على الاختلاف[1].

وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام أنّ لله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة، وحجّة باطنة،

---

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٠.



فأمّا الظّاهرة: فالرّسل والأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وأمّا الباطنة: فالعقول[1].

وعن الباقر عليه السلام: نحن الحجّة البالغة على من دون السّماء وفوق الأرض[2].

والعيّاشي: عنه عليه السلام مثله[3].

وفي الأمالي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن قوله تعالى: «فلله الحجّة البالغة» فقال: إنّ الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنت عالماً؟ فإن قال: نعم. قال له: أفلا عملت بما علمت؟ وإن كان جاهلاً قال له: أفلا تعلّمت حتّى تعمل؟ فيخصمه. فتلك الحجّة البالغة[4].

وفي رواية: عن الصّادق عليه السلام الحّجة البالغة التي تبلغ الجاهل من أهل الكتاب فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه[5].

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾: احضروهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا﴾: يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجّة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنّه لا متمسّك لهم كمن يقلّدهم، ولذلك قيّد الشّهداء

---

١ - الكافي: ج ١، ص ١٦، ح ١٢. والحديث طويل، باب ١.

٢ - الكافي: ج ١، ص ١٩٢، ح ٣، باب إنّ الأئمّة عليهم السلام ولاة أمر الله وخزنة علمه.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٣، ح ١٢٢.

٤ - الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٩، ح ١٠/ ١٠، المجلس الأوّل.

٥ - عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٢٣٨، ذيل حديث ١، باب ٥٩ - الأسباب التي من أجلها قتل المأمون علي ابن موسى الرضا عليه السلام بالسم، ومستدرك وسائل الشيعة: ج ١٨، ص ٣٢ - ٣٣، ح ٢، باب ٢٨ - إنّه يكره أن يقيم الحد في حقوق الله من لله عليه حد مثله.

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَالِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

بالإضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم.

﴿فَإِنْ شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾: فلا تصدّقهم فيه وبيّن لهم فساده.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: فيه إشعار بأنّ التكذيب مُسَبَّب عن متابعة الهوى، والتّصديق مسبّب عن متابعة الحجّة.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ﴾: كعبدة الأصنام.

﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يجعلون له عديلاً.

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ﴾: أقرأ.

﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾: لمّا أوجب ترك الشّرك، والإحسان إلى الوالدين، فقد حرّم الشّرك والإساءة إليهما، لأنّ إيجاب الشّيء نهي عن ضدّه، فيصحّ أن يقع تفصيلاً لما حرّم.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾: وأحسنوا بهما إحساناً، وضعه موضع النّهي عن الإساءة إليهما للمبالغة والدلالة على أنّ ترك الإساءة في شأنهما غير كاف.

القمّي: مقطوعاً قال: الوالدين رسول الله، وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما[1].

---

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٠.

وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّـٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِنْ إِمْلَـٰقٍ﴾: من أجل فقر أو من خشية فقر لقوله: «خشية إملاق»[1].

﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: كبائر الذنّوب أو الزّنا.

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: في الكافي[2]، والعياشي: عن السّجاد عليه السلام: ما ظهر: نكاح إمرأة الأب، وما بطن: الزّنا[3].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام ما ظهر: هو الزّنا: وما بطن المخالّة [4][5].

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: كالقود، وقتل المرتدّ، ورجم المحصن.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: إشارة إلى ما ذكر مفصّلاً.

﴿وَصَّـٰكُم بِهِ﴾: بحفظه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: إلّا بالخصلة الّتي هي أحسن ممّا يفعل بماله كحفظه وتثميره.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: قوّته، وهو بلوغ الحلم، وكمال العقل.

---

١ - الإسراء: ٣١.

٢ - الكافي: ج ٥، ص ٥٦٧، ح ٤٧، باب النوادر.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٣، ح ١٢٤.

٤ - المخالّة بالتشديد من الخلة يعني إتخاذ الخليل قال الله تعالى: «ولا متخذات أَخْدَان»، منه قدس سره. النساء: ٢٥.

٥ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٨٢.

في الفقيه[١]، والتّهذيب: عن الصّادق عليه السلام إنقطاع يُتم اليَتيم: الاحتلام، وهو أشدّه، وإن احتلم ولم يؤنس منه رشده وكان سفيهاً أو ضعيفاً فليمسك عنه وليّه ماله[٢].

وفيها[٣]، وفي الكافي: عنه عليه السلام إذا بلغ أشدّه ثلاث عشرة سنة ودخل في الأربع عشرة وجب عليه ما وجب على المحتلمين احتلم أو لم يحتلم، وكتبت عليه السّيئات، وكتبت له الحسنات، وجاز له كلّ شيء إلّا أن يكون ضعيفاً أو سفيهاً[٤].

﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والتّسوية.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾: إلّا ما يسعها ولا يعسر عليها في اتّباع إيفاء الكيل والميزان[٥] بذلك تنبيه على تعسّره وإنّ ما وراء الوسع فيه معفّو.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾: في حكومة ونحوها.

﴿فَاعْدِلُواْ﴾: فيه.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾: ولو كان المقول له أو عليه من ذوي قرابتكم.

﴿وَبِعَهْدِ ٱللهِ أَوْفُواْ﴾: يعني ما عهد إليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشّرع.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّـٰكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتّعظون به، وقرئ بتخفيف الذّال.

العيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّه كان متّكئاً على فراشه إذ قرأ الآيات المحكمات الّتي لم ينسخهن شيء من الأنعام فقال: شيّعها سبعون ألف ملك[٦] «قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ ما حرَّمَ رَبُكُم

---

١ – من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٦٣، ح ٥٦٩/ ١، باب ١١٣ ـ انقطاع يتم اليتيم.

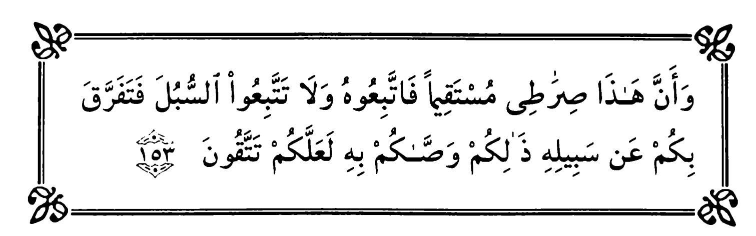
٢ – تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ١٨٣، ح ٧٣٧/ ١٢، باب ٨ ـ وصية الصبي والمحجور عليه.

٣ – من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٦٤، ح ٥٧١/ ٣، باب ١٣ ـ انقطاع يتم اليتيم. وتهذيب الأحكام: ج ٩، ص ١٨٣ ـ ١٨٤، ح ٧٣٩/ ١٤، باب ٨ ـ وصية الصبي والمحجور عليه.

٤ – الكافي: ج ٧، ص ٦٩، ح ٧، باب الوصي يدرك ايتامه فيمتنعون من أخذ مالهم ومن يدرك ولا يؤنس منه الرشد وحد البلوغ.

٥ ـ وفي نسخة: [والوزن].

٦ – إمّا خبر مبتدأ محذوف، أي هي «قل تعالوا»، وإمّا بدل من مفعول شيعهن بناء على جواز الإبدال من ضمير الغائب، وإمّا عن مرجعه. منه رحمه الله.



عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» الآيات[١].

وفي المجمع: عن ابن عبّاس هذه الآيات محكمات لم ينسخهنّ شيء من جميع الكتب وهي محرّمات على بني آدم كلّهم، وهنّ أمّ الكتاب من عمل بهنّ دخل الجنّة، ومن تركهنّ دخل النّار، وقال كعب الأحبار: والذّي نفس كعب بيده إنّ هذا لأوّل شيء في التّوراة «بِسمِ اللهِ الرَّحمـٰنِ الرَّحِيم «قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ» الآيات[٢].

﴿وَأَنَّ﴾: ولأنّ تعليل للأمر باتباعه.

﴿هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيماً﴾: قيل: الإشارة فيه إلى ما ذكر في السّورة فإنّها بأسرها في إثبات التّوحيد والنّبوة، وبيان الشّريعة، وقرئ «إنّ» بالكسر على الإستيناف وبالفتح والتّخفيف، وصِرَاطِي: بفتح الياء وبالسين[٣].

﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾: الأديان المختلفة المنشعبة على الأهوية المتباينة.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾: فتفرّقكم وتزيلكم.

﴿عَن سَبِيلِهِ﴾: الّذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الإتّباع.

﴿وَصَّـٰكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: الضّلال، والتفرّق عن الحقّ، في روضة الواعظين: عن النّبي ﷺ في هذه الآية، سألت الله أن يجعلها لعليّ عليه السلام ففعل[٤].

---

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٣، ح ١٢٣. ٢ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٨٤ - ٣٨٥.

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٣٨.

٤ - روضة الواعظين: ج ١، ص ١٠٦.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَاماً عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام في خطبة الغدير معاشر النّاس: إنّ الله قد أمرني ونهاني، وقد أمرت عليّاً ونهيته فعلم الأمر والنّهي من ربّه، فاسمعوا لأمره تسلموا، وأطيعوه تهتدوا، وانتهوا لنهيه ترشدوا، وصيروا إلى مراده، ولا تتفرّق بكم السّبل عن سبيله.

معاشر النّاس: أنا الصّراط المستقيم الذي أمركم باتّباعه، ثمّ عليّ من بعدي، ثم ولدي من صلبه: «أئمة يهدون بالحقّ وبه يعدلون»[١].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّه قال لبريد العجلي: تدري ما يعني بـ «صراطي مستقيماً»؟ قال: قلت لا، قال: ولاية علي والأوصياء عليهم السلام، قال: وتدري ما يعني «فاتبعوه»؟ قال: قلت: لا، قال: يعني عليّ بن أبي طالب، قال: وتدري ما يعني «ولا تتبّعوا السّبل»؟ قال: قلت: لا، قال: ولاية فلان وفلان والله، قال: وتدري ما يعني: «فتفرّق بكم عن سبيله» قال: قلت: لا، قال: يعني سبيل عليّ عليه السلام[٢].

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾: عطف على وصّاكم، و «ثمّ» للتراخي في الإخبار أو للتفاوت في الرتبة كأنّه قيل: «ذلكم وصّاكم به» قديماً وحديثاً، ثم أعظم من ذلك إنّا آتينا موسى الكتاب.

﴿تَمَاماً﴾: للكرامة والنّعمة.

﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾: على من أحسن القيام به.

﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَىْءٍ﴾: وبياناً مفصّلاً لكل ما يحتاج إليه في الدّين.

---

١ - الإحتجاج: ج ١، ص ٧٨ ـ ٧٩، حديث الغدير.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤، ح ١٢٥.

وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَٰبُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾: لعلّ بني إسرائيل.

﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: بلقائه للجزاء.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾: يعني القرآن.

﴿أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾: كثير النّفع.

﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: باتّباعه والعمل بما فيه.

﴿أَن تَقُولُوا﴾: أنزلناه كراهة أن تقولوا.

﴿إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾: اليهود والنصارى.

﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾: قراءتهم.

﴿لَغَٰفِلِينَ﴾: لا ندري ما هي.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَٰبُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾: لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا، ولذلك تلّقفنا فنوناً من العلم كالقصص والأشعار والخطب على إنّا أُمّيون.

﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ حجّة واضحة تعرفونها.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾: لمن تأمّل فيه وعمل به.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾: بعد أن عرف صحّتها أو تمكن من معرفتها.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

﴿وَصَدَفَ﴾: أعرض أو صدّ، القمّي: أي دفع[١].

﴿عَنْهَا﴾: فضلّ وأضلّ.

﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: شدّته.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾: بإعراضهم وصدّهم.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: إنكار يعني ما ينتظرون.

﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: ملائكة الموت أو العذاب، وقرئ بالياء.

﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾: أي أمره بالعذاب.

﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾: في الاحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في معنى هذه الآية إنّما خاطب نبيّنا صلى الله عليه وآله هل ينتظر المنافقون والمشركون «إلّا أن تأتيهم الملائكة» فيعاينوهم «أو يأتي ربّك أو يأتي بعض آيات ربك»: يعني بذلك أمر ربّك والآيات هي العذاب في دار الدّنيا كما عذّب الأمم السّالفة والقرون الخالية[٢].

وفيه[٣]، وفي التوحيد: عنه عليه السلام يخبر محمداً صلى الله عليه وآله عن المشركين والمنافقين الّذين لم يستجيبوا لله ولرسوله فقال: «هل ينظرون إلّا أن تأتيهم الملئكة» حيث لم يستجيبوا لله

---

١ - تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٢١.

٢ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٢، س ١٢، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٣ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٢ - ٣٦٣، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

ولرسوله «أو يأتي ربّك أو يأتي بعض ءَايَـٰت ربّك» يعني بذلك العذاب يأتيهم في دار الدنـيا كما عذّب القرون الأولى[١].

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَـٰنِهَا خَيْراً﴾: كأنّ المعنى إنّه لا ينفع الايمان حينئذ نفساً غير مقدّمة إيمانها أو مقدّمة إيمانها غير كاسبة في إيمانها خيراً.

في التّوحيد: في الحديث السابق «من قبل»: يعني من قبل أن تجيء هذه الآية، وهذه الآية طلوع الشّمس من مغربها[٢]، ومثله في الإحتجاج: عنه عليه السلام[٣].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام نزلت أو اكتسبت في إيمانها خيراً قال: إذا طلعت الشّمس من مغربها من آمن في ذلك اليوم لم ينفعه إيمانه أبداً[٤].

وفي الخصال: عنه عليه السلام فإذا طلعت الشمس من مـغربها آمـن النّـاس كـلّهم في ذلك اليوم، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها[٥].

ومثله في الكافي[٦]، والعياشي: عنهما عليهما السلام في قوله «يوم يأتي بعض آيات ربّك» قال: طلوع الشّمس من المغرب، وخروج الدجّال، والدّخان، والرّجل يكـون مـصرّاً ولم يـعمل عمل الايمان، ثم تجيء الآيات فلا ينفعه إيمانه[٧].

وعن أحدهما عليهما السلام في قوله: «أو كسبت في إيمانها خيراً» قال: المؤمن العاصي حـالت

---

١ - التوحيد: ص ٢٦٦، ح ٥، باب ٣٦ - الرد على الثنوية والزنادقة.

٢ - التوحيد: ص ٢٦٦، ح ٥، باب ٣٦ - الرد على الثنوية والزنادقة.

٣ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٣، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٢.

٥ - الخصال: ص ٢٧٤، ح ١٨، باب ٥ - بعث الله النبي صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف.

٦ - الكافي: ج ٥، ص ١٠، ح ٢، باب وجوه الجهاد.

٧ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٤ - ٣٨٥، ح ١٢٨.

بينه وبين إيمانه كثرة ذنوبه وقلّة حَسَناته فلم يكسب في إيمانه خيراً[١].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام «من قبل» يعني في الميثاق «أو كسبت في إيمانها» خيراً قال: الإقرار بالأنبياء والأوصياء وأمير المؤمنين عليهم السلام خاصّة قال: لا ينفع إيمانها لأنّها سلبت[٢].

وفي الإكمال: عنه عليه السلام في هذه الآية يعني: خروج القائم المنتظر[٣].

وعنه عليه السلام: قال: «الآيات»: هم الأئمّة عليهم السلام، والآية المنتظرة القائم عليه السلام فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها[٤].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر فيه خروج الدّجال وقاتله، يقول: في آخره ألا إنّ بعد ذلك الطّامّة الكبرى، قيل: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال خروج دابّة الأرض من عند الصّفا معها خاتم سليمان عليه السلام وعصا موسى عليه السلام تضع الخاتم على وجه كلّ مؤمن فينطبع فيه هذا مؤمن حقّاً، وتضعه على وجه كلّ كافر فيكتب هذا كافر حقّاً، حتى أنّ المؤمن لينادي الويل لك يا كافر، وأنّ الكافر لينادي طوبى لك يا مؤمن وددت أنّي كنت مثلك فأفوز فوزاً عظيماً، ثم ترفع الدابّة رأسها فيراها من بين الخافقين[٥] بإذن الله جلّ جلاله وذلك بعد طلوع الشّمس من مغربها فعند ذلك ترفع التوبة فلا تقبل توبة ولا عمل يرفع «ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنَت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» ثم فسّر صعصعة راوي هذا الحديث طلوع الشمس من مغربها بخروج القائم عليه السلام[٦].

---

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٥، ح ١٣٠.

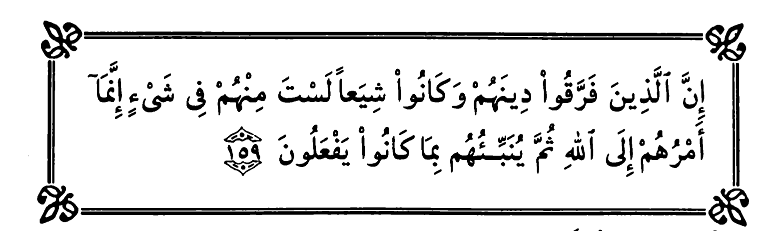
٢ - الكافي: ج ١، ص ٤٢٨، ح ٨١، باب فيه كنت ونتف من التنزيل في الولاية.

٣ - إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٣٥٧، ح ٥٤، باب ٣٣، ما روي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام من النص على القائم عليه السلام وذكر غيبته وأنّه الثاني عشر من الأئمّة عليهم السلام.

٤ - إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٣٣٦، ح ٨، باب ٣٣، ما روي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام من النص على القائم عليه السلام وذكر غيبته وأنّه الثاني عشر من الأئمّة عليهم السلام.

٥ - الخافقان: جانبا الجو من المشرق إلى المغرب. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٥٥. «مادة خفق».

٦ - إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨، ح ١، والحديث طويل، باب ٤٧ ـ حديث الدجال وما يتصل به من أمر القائم عليه السلام.



﴿قُلِ ٱنْتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾: وعيد لهم وتهديد، أي انتظروا إتيان أحد الثّلاثة فإنّا منتظرون له، وحينئذ لنا الفوز ولكم الويل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾: بدّدوه[١] فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه، وقرئ فارقوا أي باينوا، ونسبها في المجمع: إلى أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام قال: كان علي عليه السلام يقرأها فارقوا دينهم، قال: فارق والله القوم[٣].

﴿وَكَانُواْ شِيَعاً﴾: فرقاً يشيّع كلّ فرقة إماماً.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام إنّهم أهل الضّلال وأصحاب الشّبهات والبدع من هذه الأُمّة[٤].

والقمّي: قال: فارقوا أمير المؤمنين عليه السلام وصاروا أحزاباً[٥].

وعن الصّادق عليه السلام في هذه الآية: فارق القوم والله دينهم[٦].

وفي الحديث النّبوي: ستفرّق امّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلّا واحدة وهي الّتي تتّبع وصييّ عليّاً[٧].

---

١ - بدد الله عظامه يوم القيامة: فرقها. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١١ مادة «بدد».

٢ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٨٨.

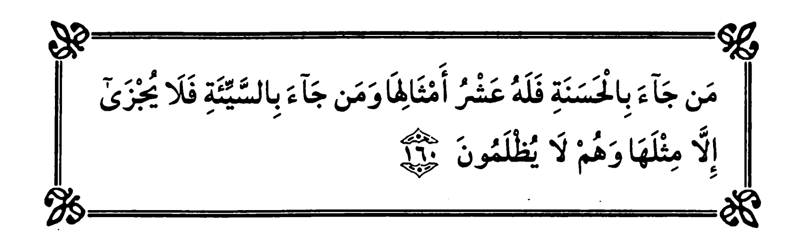
٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٥، ح ١٣١.

٤ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٨٩.

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٢.

٦ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٢.

٧ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٩١ ـ ٣٩٢، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام في مسائل متفرقة. واعلم أنّ هذا الحديث مشهور بين الطائفتين مع الاختلاف في ألفاظ الحديث، فقد أخرجه الترمذي في سننه، وأحمد في مسنده، وأبي نعيم في حليته، ودواد في سننه، والطبراني، والحاكم، وغيرهم، كما أخرجه المجلسي قدس سره في بحاره، والعلامة في نهج الحق، وابن أبي جمهور في عوالي اللئالئ، والطبرسي في جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٢٣، وغيرهم.



﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِى شَيْءٍ﴾: قيل: أي من السّؤال عنهم وعن تفرّقهم[(١)].

وقيل: معناه إنّك على المباعدة التّامّة من الإجتماع معهم في شيء من مذاهبهم الفاسدة[(٢)].

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ﴾: والحكم بينهم في اختلافهم.

﴿إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾: بالمجازاة.

﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾: أي عشر حسنات أمثالها فضلاً من الله تعالى.

في المجمع: عن الصّادق عليه السلام لمّا نزلت هذه الآية «من جاء بالحَسَنة فله خَير مِنها»[(٣)] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ربّ زدني فأنزل الله سبحانه: «من جاء بالحَسَنة فله عشر أمثالها» الحديث[(٤)].

القمّي: هذه ناسخة لقوله: «من جاء بالحسنة فله خير منها»[(٥)].

أقول: هذا أقل ما وعد من الأضعاف، وقد جاء الوعد بسبعين، وسبع مائة، وبغير حساب.

---

١ - قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٨٣.

٢ - قاله الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣٨٩.

٣ - النمل: ٨٩.

٤ - مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٤٩.

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٢.

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل هل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الفضائل والأحكام والحدود وغير ذلك؟ فقال: لا، هما يجريان في ذلك مجرى واحد، ولكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالهما وما يتقربان به إلى الله عزّ وجلّ، قيل: أليس الله عزّ وجلّ يقول: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»؟ وزعمت أنّهم مجتمعون على الصّلاة والزكاة والصّوم والحجّ مع المؤمن، قال: أليس قد قال الله: «فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً»[1] فالمؤمنون هم الّذين يضاعف الله عزّ وجلّ لهم حسناتهم لكلّ حسنة سبعين ضعفاً فهذا فضل المؤمن، ويزيده الله في حسناته على قدر صحّة إيمانه أضعافاً كثيرة، ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير[2].

والقمّي: عنه عليه السلام في هذه الآية هي للمسلمين عامّة، قال: فإن لم يكن ولاية دفع عنه بما عمل من حسنة في الدنيا «وماله في الآخرة من خلاق»[3][4].

﴿وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾: عدلاً من الله سبحانه.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بنقص الثّواب وزيادة العقاب. القمّي: عن الصّادق عليه السلام لمّا أعطى الله سبحانه إبليس ما أعطاه من القوّة قال آدم: يا ربّ سلّطته على ولدي وأجريته فيهم مجرى الدّم في العروق وأعطيته ما أعطيته فما لي ولولدي؟ فقال: لك ولولدك السّيئة بواحدة، والحسنة بعشر أمثالها، قال: ربّ زدني، قال: التوبة مبسوطة إلى أن تبلغ النّفس الحلقوم، فقال: يا ربّ زدني، قال: أغفر ولا أُبالي، قال: حسبي[5].

أقُولُ: لعلّ السّرّ في كون الحسنة بعشر أمثالها والسّيئة بمثلها إنّ الجوهر الإنساني المؤمن بطبعه مائل إلى العالم العلويّ لأنّه مقتبس منه، وهبوطه إلى القالب الجسماني غريب من طبيعته، والحسنة إنّما ترقى إلى ما يوافق طبيعة ذلك الجوهر لأنّها من جنسه، والقوّة الّتي

---

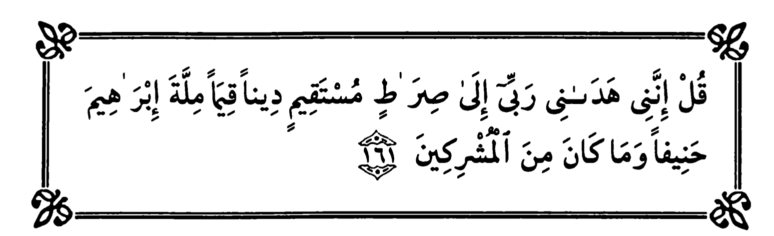
١ ـ البقرة: ٢٤٥.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢٦ ـ ٢٧، ح ٥، باب إنّ الإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لا يشرك الإيمان.

٣ ـ البقرة: ٢٠٠.

٤ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ١٣١.

٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٤٢.



تحرّك الحجر إلى ما فوق ذراعاً واحداً هي بعينها إن استعملت في تحريكه إلى أسفل حركته عشرة أذرع وزيادة، فلذلك كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ومنها ما يؤتى[1] أجرها بغير حساب، والحسنة الّتي لا يدفع تأثيرها سمعة أو رياء أو عجب كالحجر الّذي يدور من شاهق لا يصادفه دافع لأنّه لا يتقدّر مقدار هبوطه بحساب حتى يبلغ الغاية.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: بالوحي والإرشاد.

﴿دِيناً﴾: هداني ديناً.

﴿قِيَماً﴾: فَيعل من قام كالسيّد والهيّن، وقرئ قِيَماً بكسر القاف خفيفة الياء على المصدر.

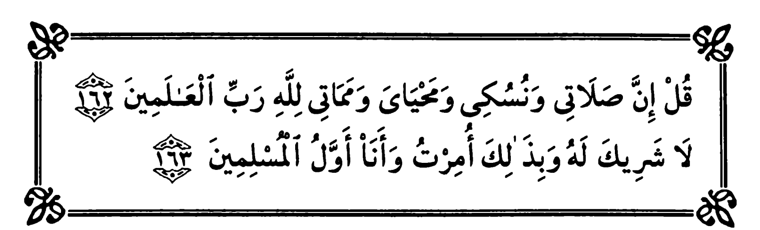
﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً﴾: هداني وعرّفني ملّة إبراهيم في حال حنيفيّته[2].

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: العيّاشي: عن الباقر عليه السلام ما أبقت الحنيفيّة شيئاً حتى

---

١ ـ وفي نسخة: [ما يوفى].

٢ ـ الحنيف: المسلم المايل إلى الدين المستقيم والجمع حنفاء، والحنيف: المسلم لأنّه تحنّفَ أي تحرّى الدين المستقيم، والحنف محركة الاستقامة ومنه قوله: «دين محمد حنيف» أي مستقيم لا عوج فيه «والحنيف» عند العرب من كان على دين إبراهيم عليه السلام وأصل الحنف الميل، ومنه: «بعثت بالحنفيّة السمحة السهلة» أي المستقيمة المائلة عن الباطل إلى الحق، ومثله: «احب دينكم إلى الله الحنيفية» أي الطريقة الحنيفيّة التي لا ضيق فيها قوله تعالى: «حنفاء» أي مائلين عن جميع الأديان إلى دين الإسلام مسلمين مؤمنين بالرسل كلهم. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٠ ـ ٤١ ـ مادة «حنف».



إنّ منها قصّ الأظفار، والأخذ من الشّارب، والختان[١].

وعنه عليه السلام: ما من أحد من هذه الأمّة يدين بدين إبراهيم غيرنا، وغير شيعتنا[٢].

وعن السّجاد عليه السلام: ما أحد على ملّة إبراهيم عليه السلام إلّا نحن وشيعتنا، وساير النّاس منها براء[٣].

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: عبادتي وقرباني.

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾: وما أنا عليه في حياتي، وأموت عليه من الايمان والطّاعة.

﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خالصة له.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾: لا أشرك فيها غيره.

﴿وَبِذَٰلِكَ﴾: أي الإخلاص لله.

﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾: قيل: لأنّ إسلام كلّ نبيّ متقدّم على إسلام أمّته[٤].

أقولُ: بل لأنّه صلى الله عليه وآله أوّل من أجاب في الميثاق في عالم الذّر كما ورد عنهم عليهم السلام فإسلامه متقدم على إسلام الخلائق كلّهم.

العيّاشي: عن النّبي صلى الله عليه وآله في حديث قد ذكر فيه إبراهيم عليه السلام فقال: دينه ديني، وديني دينه، وسنّته سنّتي، وسنّتي سنّته، وفضلي فضله، وأنا أفضل منه[٥].

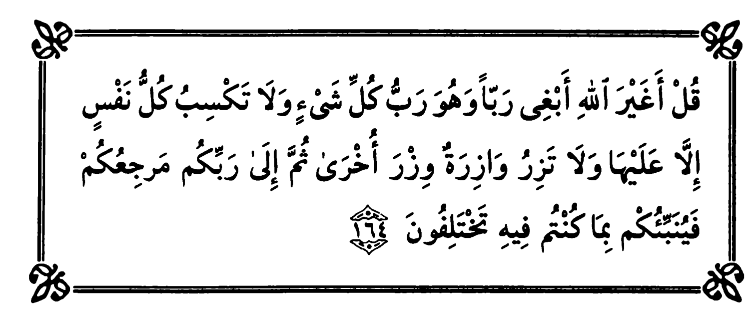
---

١ – تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٨، ح ١٤٣. ٢ – تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٨، ح ١٤٤.

٣ – تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٨، ح ١٤٦.

٤ – قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٤٠.

٥ – تفسير العياشي: ج ١، ص ١٦٩، ح ٣٣.



﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾: فاشركه في عبادتي، وهو جواب عن دعائهم إلى عبادة آلهتهم.

﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾: والحال إنّ كلّ ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للرّبوبيّة.

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء عمل من طاعة أو معصية.

﴿إِلَّا عَلَيْهَا﴾: فعليها عقاب معصيتها، ولها ثواب طاعتها.

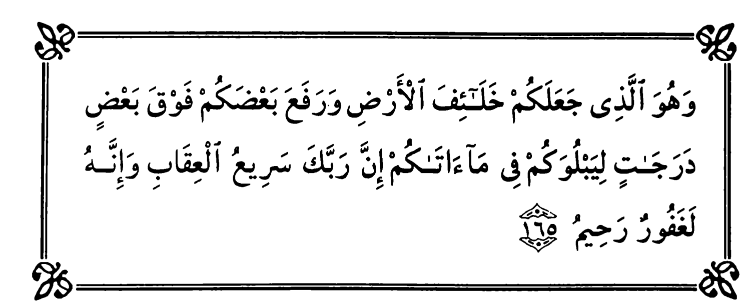
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: لا تحمل نفس إثم نفس اُخرى، جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم.

في العيون: عن الرّضا عليه السلام إنّه سئل ما تقول في حديث يروى عن الصّادق عليه السلام أنّه إذا خرج القائم عليه السلام قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم؟ فقال عليه السلام: هو كذلك. فقيل: قول الله تعالى: «ولا تزر وازرة وزر اُخرى» ما معناه؟ قال: صدق الله تعالى في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلاً قتل بالمشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله شريك القاتل وإنّما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم(١).

وفيه: فيما كتبه عليه السلام للمأمون من محض الإسلام وشرائع الدين ولا يأخذ الله البريء

---

١ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٧٣، ح ٥، باب ٢٨ ـ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام من الأخبار المتفرقة.



بالسّقيم، ولا يعذّب الله الأطفال بذنوب الآباء: «وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»[١].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾: يوم القيامة.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: بتبيين الرّشد عن الغيّ، وتميز المحقّ عن المبطل.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾: قيل: أي يخلف بعضكم بعضاً، كلّما مضى قرن خلفهم قرن يجري ذلك على انتظام وإتّساق إلى يوم القيامة أو خلفاء الله في أرضه يتصّرفون فيها[٢].

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ﴾: في الشّرف، والغنى، والعقل، وغير ذلك.

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم.

﴿فِى مَآ ءَاتَـٰكُمْ﴾: من الجاه والمال كيف تشكرون نعمه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾: لمن كفر نعمه.

﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لمن قام بشكرها.

في الكافي[٣]، وثواب الأعمال: عن الصّادق عليه السلام إنّ سورة الأنعام نزلت جملة واحدة شيّعها سبعون ألف ملك حتّى نزلت على محمّد صلى الله عليه وآله فعظّموها وبجّلوها فإنّ اسم الله فيها في

---

١ - عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ١٢٥، س ٧، ح ١، باب ٣٥ ـ ماكتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٤٠.

٣ - الكافي: ج ٢، ص ٦٢٢، ح ١٢، باب فضل القرآن.

سبعين موضعاً ولو يعلم النّاس ما في قراءتها ما تركوها[١].

والقمّي: عن الرضا عليه السلام نزلت الأنعام جملة واحدة، وشيّعها سبعون ألف ملك لهم زَجَلٌ[٢] بالتّسبيح، والتّهليل، والتّكبير، فمن قرأها سبّحوا له إلى يوم القيامة[٣].

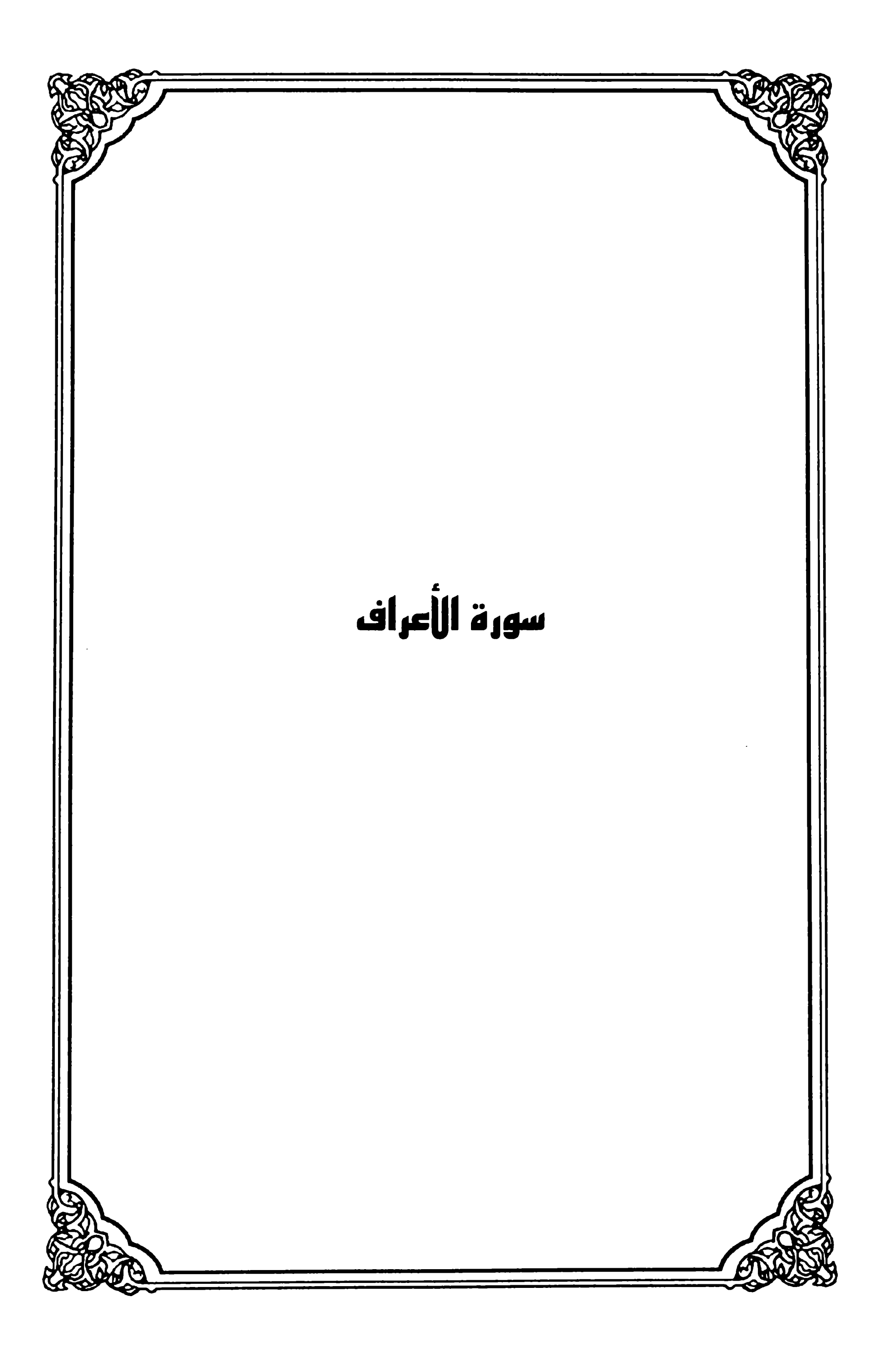
* * *

---

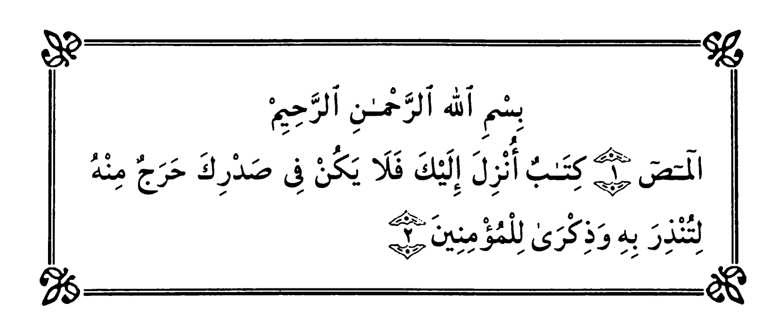
١ - ثواب الأعمال: ص ١٠٥، باب ثواب من قرأ سورة الأنعام.

٢ - الزجل ـ بالتحريك ـ: الصوت، يقال: سحاب زجل أي ذو رعد ومنه لهم زجل بالتسبيح. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٨٧ ـ مادة «زجل».

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٣.



سورة الأعراف



سورة الأعراف مكيّة وعدد آيها مأتان وست آية.



﴿الٓمٓصٓ﴾: قد مضى الكلام في تأويله في أوّل سورة البقرة.

وفي المعاني: عن الصّادق عليه السلام في حديث و«الٓمٓصٓ» معناه أنا الله المقتدر الصّادق[1].

وفيه[2]، والعيّاشي: عنه عليه السلام أنّه أتاه رجل من بني أُميّة وكان زنديقاً، فقال له: قول الله عزّ وجلّ في كتابه: «الٓمٓصٓ» أيّ شيء أراد بهذا؟ وأيّ شيء فيه من الحلال والحرام؟ وأيّ شيء فيه ممّا ينتفع به النّاس؟ قال: فاغتاظ من ذلك فقال: أمسك ويحك، الألف: واحد، واللّام: ثلاثون، والميم: أربعون، والصّاد: تسعون، كم مَعَك؟ فقال الرجل: مائة وأحدى وستّون، فقال عليه السلام: إذا انقضت سنة إحدى وستّين ومائة ينقضي ملك أصحابك، قال: فنظرنا فلمّا إنقضت إحدى وستّين ومائة يوم عاشوراء دخل المسوّدة[3] الكوفة

---

١ و ٢ – معاني الأخبار: ص ٢٢، ح ١ وص ٢٨، ح ٥، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن.

٣ – المسودة ـ بكسر الواو ـ: أي لابسي السواد، ومنه الحديث «فدخلت علينا المسوّدة» يعني أصحاب الدعوة العباسيّة لأنهم كانوا يلبسون ثياباً سوداً. وعيسى بن موسى أوّل من لبس لباس العباسيين من العلويين. استحوذ عليهم الشياطين وأغمرهم لباس الجاهليّة. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٧٤، مادة «سود».

ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَـٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾

وذهب ملكهم(١).

﴿كِتَـٰبٌ﴾: هو كتاب.

﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾: ضيق من تبليغه.

قيل: كان النّبي صلى الله عليه وآله يخاف تكذيب قومه وإعراضهم عن قبول قوله، وأذاهم له. فكان يضيق صدره في الأداء ولا ينبسط له فأمّنه الله بهذه الآية وأمره بترك مبالاته(٢).

﴿لِتُنْذِرَ بِهِ﴾: أي أُنزل إليك لإنذارك به.

﴿وَذِكْرَىٰ﴾: وتذكيراً.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ * ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ﴾: من القرآن والوحي.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: شياطين الإنس والجنّ. فيحملوكم على الأهواء والبدع، ويضلّوكم عن دين الله وعمّا أُمِرْتُ باتّباعه.

﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾: تذكراً قليلاً تتذكرون، وقرئ خفيفة الذّال ويتذكرون، وبالغيبة خطاباً مع النبي صلى الله عليه وآله.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾: وكثيراً من القرى.

﴿أَهْلَكْنَـٰهَا فَجَآءَهَا﴾: فجاء أهلها.

﴿بَأْسُنَا﴾: عذابنا.

﴿بَيَـٰتًا﴾: بايتين كقوم لوط.

---

١ – تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢، ح ٢.

٢ ـ قاله الطبرسي في جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٢٥.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾

﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾: أو هم قائلين نصف النّهار كقوم شعيب يعني أخذهم في غفلة منهم وأمن وفي وقتي دعة واستراحة.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾: ما كانوا يدّعونه من دينهم، ودعائهم، واستغاثتهم.

﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: إلّا اعترافهم ببطلانه، وبظلمهم فيما كانوا عليه، وتحسرّهم على ما كان منهم.

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾: يعني الاُمم عن قبول الرّسالة، وإجابتهم الرّسل.

﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: يعني الأنبياء عن تأدية ما حمّلوا من الرّسالة.

في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث فيقام الرّسل فيسئلون عن تأدية الرّسالات الّتي حمّلوها إلى اُممهم فيخبرون أنّهم قد أدّوا ذلك إلى اُممهم، وتسئل الاُمم فيجحدون كما قال الله: «فَلَنَسْئَلَنَّ الّذيْنَ اُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِيْنَ»[1] الحديث، وقد مضى تمامه في سورة النساء عند تفسير «فكيف إذا جئنا من كلّ اُمّة بشهيد»[2].

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾: على الرّسل والمرسل إليهم ما كان منهم.

﴿بِعِلْمٍ﴾: عالمين بأحوالهم الظّاهرة والباطنة.

﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾: عنهم وعن أفعالهم وأحوالهم والغرض من السّؤال: التّوبيخ، والتّقرير عليهم، وازدياد سرور المثابين بالثّناء عليهم، وغمّ المعاقبين باظهار قبائحهم.

---

١ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٠، س ٢٢، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٢ - النساء: ٤١.

وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾: أي وزن الأعمال، والتميز[1] بين خفيفها وراجحها.

القمّي: قال: المجازاة بالأعمال إن خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشرّاً، قال: وهو قوله: «فمن ثقلت موازينه»[2] الآية.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: حسناته جمع موزون، في التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّما يعني الحسنات توزن الحسنات والسّيئات، والحسنات ثقل الميزان، والسّيئات خفّة الميزان[3].

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام هي قلّة الحسنات وكثرتها[4].

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بالنّجاة والثّواب.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾: بتضييع الفطرة السّليمة الّتي فطرت عليها، واقتراف ما عرضها للعذاب.

﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾: فيكذبون مكان التّصديق.

القمّي: قال: بالأئمّة يجحدون[5].

---

١ ـ اقتباس من جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٢٧، وفيه: «التمييز».

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٤.

٣ ـ التوحيد: ص ٢٦٨، ح ٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنوية والزنادقة.

٤ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤. احتجاجه على زنديق في آي متشابهة.

٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٤.

في الإحتجاج: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل أوليس توزن الأعمال؟ قال: لا لأنّ الأعمال ليست أجساماً، وإنّما هي صفة ما عملوا، وإنّما يحتاج إلى وزن الشّيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها ولا خفّتها، وإنّ الله لا يخفى عليه شيء، قيل: فما معنى الميزان؟ قال: العدل، قيل: فما معناه في كتابه: «فمن ثقلت موازينه»؟ قال: فمن رجح عمله[١].

أقول: وسرّ ذلك أنّ ميزان كلّ شيء هو المعيار الّذي به يعرف قدر ذلك الشيء فميزان النّاس يوم القيامة: ما يوزن به قدر كلّ إنسان، وقيمته على حسب عقيدته وخُلقه وعمله لتجزى كلّ نفس بما كسبت، وليس ذلك إلّا الأنبياء والأوصياء عليهم السلام إذ بهم وباتبّاع شرائعهم وإقتفاء آثارهم وترك ذلك، وبالقرب من سيرتهم والبعد عنها يعرف مقدار النّاس وقدر حَسَناتهم وسيّئاتهم. فميزان كلّ اُمّة هو نبيّ تلك الأمّة، ووصيّ نبيّها، والشّريعة الّتي أتى بها، فمن ثقلت حسناته وكثرت فأُولئك هم المفلحون، ومن خفّت وقلّت فأُولئك الّذين خسروا أنفسهم بظلمهم عليها من جهة تكذيبهم للأنبياء والأوصياء أو عدم إتّباعهم.

في الكافي[٢]، والمعاني: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن قول الله عزّ وجلّ: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة» قال: هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام[٣].

وفي رواية أُخرى: نحن الموازين القسط[٤].

وقد حقّقنا معنى الميزان وكيفيّة وزن الأعمال ووفقنا بين الأخبار المتعارضة في ذلك والأقوال بما لا مزيد عليه في كتابنا الموسوم بميزان القيامة وهو كتاب جيّد لم يسبق بمثله فيما أظنّ يوفّق لمطالعته وفهمه من كان من أهله إن شاء الله.

---

١ - الإحتجاج: ج ٢، ص ٩٨، فيما احتج الصادق عليه السلام على الزنديق، وفيه: «أو خفتها».

٢ - الكافي: ج ١، ص ٤١٩، ح ٣٦، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٣ - معاني الأخبار: ص ٣١ ـ ٣٢، ح ١، باب معنى الموازين التي توزن بها أعمال العباد.

٤ - لم نعثر عليه، والظاهر إنّه نقل بالمعنى. انظر بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٢٦، وفيه أنّ الأئمّة هم الموازين القسط.

وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: مكّناكم من سكناها، وزرعها، والتصّرف فيها.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ﴾: تعيشون بها.

﴿قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾: فيما خلقنا لكم.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾[1]: القمّي: عن الباقر عليه السلام أمّا خلقناكم: فنطفة، ثمّ علقة، ثمّ مضغة، ثمّ عظماً، ثمّ لحماً، وأمّا صوّرناكم: فالعين، والأنف، والأذنين، والفم، واليدين، والرّجلين صوّرنا هذا ونحوه، ثم جعل الدّميم[2]، والوسيم[3]، والجسيم، والطّويل، والقصير، وأشباه هذا[4].

أقول: الإقتصار على بيان الخلق والتّصوير لبني آدم في الحديث لا ينافي شمول الآية لآدم لأنّه خلقه طيناً غير مصوّر ثمّ صوّره، فلا ينافي الحديث تمام الآية.

---

١ ـ وقيل: أي خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصوّر، ثمّ صوّرناه، نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل.

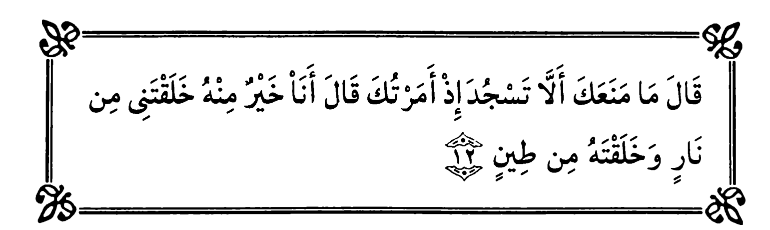
أقول: الحامل على هذا التخصيص قوله تعالى: «اسجدوا لآدم» وهو غير لازم إذ يصحّ هذا مع التعميم، بل مع التخصيص ببني آدم أيضاً بتأويل ثم بتأخير الأخبار، منه رحمه الله.

اعلم: إنّ القائل في قوله رحمه الله: قيل: هو البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٤٢، س ٢٠، والآية تكون في سورة البقرة: ٣٤.

٢ ـ الدميم: القبيح المنظر. يقال: دمّ الرجل من بابي ـ ضرب وتعب ـ، ومن باب ـ قرب ـ لغة دمامة ـ بالفتح ـ: قبح منظره، وصغر جسمه، فهو دميم ودمام مثل كريم وكرام، مجمع البحرين: ج ٦، ص ٦٤، مادة «دمم».

٣ ـ وُسِمَ الرجل ـ بالضم ـ وَسَامة ووساماً مثل جُمل جمالاً. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٨٣. مادة «وسم».

٤ – تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٤.



﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾: أي بعد خلق آدم وتصويره.

﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾: ممّن سجد لآدم.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾: أي أن تسجد ويزاد ـ لا ـ في مثله لتأكيد معنى الفعل الّذي دخلت عليه نظيره لئلّا يعلم، وفيه تنبيه على أنّ الموبّخ عليه ترك السّجود.

وقيل: الممنوع عن الشّيء مضطرّ إلى خلافه فكأنّه قيل: ما اضطرّك إلى أن لا تسجد[1]؟

---

١ - قال نظام الدين النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان: المجلد الخامس، ج ٨، ص ٦٦: فظاهره يقتضي أنّه تعالى طلب من إبليس ما منعه من ترك السجود، وليس الأمر كذلك فإنّ المقصود طلب ما منعه من السجود كما قال في سورة «ص»: «ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي» فلهذا الإشكال حصل للمفسرين رضى الله عنهم أقوال:

أولها: وهو الأشهر أنّ ـ لا ـ صلة زائدة كما في: «لا أقسم»، وكما في قوله: «لئلا يعلم أهل الكتاب» أي ليعلم، وهذا قول الكسائي، والفراء، والزجاج، والأكثرين. قال في الكشاف: وفائدة زيادتها توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كأنّه قيل: في لئلا يعلم ليتحقق علم أهل الكتاب، وفي: ما منعك أن لا تسجد، ما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك.

قلت: لعلّه أراد أن زيادة ـ لا ـ إشارة إلى نفي ما عدا المذكور ليلزم منه تحقق المذكور.

وثانيها: أنّ إثبات الزيادة في كلام الله تعالى خارج عن الأدب، وأنّ الاستفهام للإنكار، أي لم يمنعك من ترك السجود شيء، كقول القائل لمن ضربه ظلماً: ما الذي منعك من ضربي أدينك أم عقلك أم حياؤك؟ والمعنى إنّه لم يوجد أحد هذه فما امتنعت من ضربي.

وثالثها: قال القاضي: ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعي، فكأنّه قال: ما دعاك إلى أن لا تسجد، لأنّ مخالفة أمر الله تعالى حالة يتعجب منها ويسأل عن الداعي إليها، وقيل: الممنوع من الشيء مضطر إلى خلاف ما منع منه، وقيل: معناه ما الذي جعلك في منعة من عذابي وقيل: معناه من قال لك: لا تسجد. ⇦

﴿إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ ابليس قاس نفسه بآدم فقال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فلو قاس الجوهر الّذي خلق الله منه آدم بالنّار كان ذلك أكثر نوراً وضياءاً من النّار[١].

وعنه عليه السلام: إنّ الملائكة كانوا يحسبون أنّ إبليس منهم، وكان في علم الله أنّه ليس منهم فاستخرج ما في نفسه من الحميّة فقال: «خلقتني من نار وخلقته من طين»[٢].

وفي الكافي[٣]، والإحتجاج[٤]، والعلل: عنه عليه السلام أنّه دخل عليه أبو حنيفة فقال له: يا أبا حنيفة بلغني أنّك تقيس، قال: نعم أنا أقيس، قال: لا تقس فإنّ أوّل من قاس إبليس حين قال: «خلقتني من نار وخلقته من طين» فقاس ما بين النار والطّين، ولو قاس نوريّة آدم بنوريّة النّار عرف فضل ما بين النّورين، وصفاء أحدهما على الآخر[٥].

وعنه عليه السلام في حديث طويل: إنّ أوّل معصية ظهرت: الأنانيّة من إبليس اللّعين، حين أمر الله ملائكته بالسّجود لآدم فسجدوا وأبى اللّعين أن يسجد، فقال الله عزّ وجلّ: «ما منعك ألّا تسجد»؟ الآية فطرده الله عزّ وجلّ عن جواره، ولعنه وسمّاه رجيماً، وأقسم بعزّته لا يقيس أحدٌ في دينه إلّا قرنه مع عدوّه إبليس في أسفل درك من النّار[٦].

⇦ وأقول: يمكن أن لا يعلق قوله: «أن لا تسجد» بقوله: «ما منعك» وإنّما يكون متعلقه محذوفاً والتقدير ما منعك من السجود أن لا تسجد أي لئلّا تسجد توجه عليك هذا السؤال.

والحاصل: إنّ عدم سجودك ما سببه «إذ أمرتك» أمر إيجاب وفائدة هذا السؤال من علّام الغيوب توبيخه وإفشاء معاندته وجحوده. انتهى كلامه.

١ - الكافي: ج ١، ص ٥٨، ح ١٨، باب البدع والرأي والمقائيس.

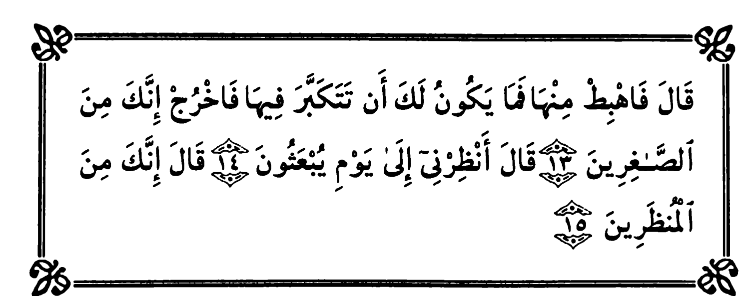
٢ - الكافي: ج ٢، ص ٣٠٨، ح ٦، باب العصبيّة.

٣ - الكافي: ج ١، ص ٥٨، ح ٢٠، باب البدع والرأي والمقائيس.

٤ - الإحتجاج: ج ٢، ص ١١٧ ـ ١١٨. فيما احتج به الصادق عليه السلام على أبي حنيفة.

٥ - علل الشرائع: ص ٨٦، ح ١، باب ٨١ ـ علّة المرارة في الأذنين، والعذوبة في الشفتين، والملوحة في العينين، والبرودة في الأنف.

٦ - علل الشرائع: ص ٦٢، س ١٢، ح ١، باب ٥٤ ـ العلّة التي من أجلها سمي الخضر خضراً، وعللٍ ما أتاه مما يسخطه موسى عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار.


قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾

والقمّي: عنه عليه السلام كذب إبليس ما خلقه الله إلّا من طين، قال الله عزّ وجلّ: «الذي جعل لكم من الشجَر الأَخضرِ ناراً»[1] قد خلقه الله من تلك الشجرة، والشجرة أصلها من طين[2].

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾: من المنزلة الّتي أنت عليها في السماء، وزمرة الملائكة.

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾: فما يصحّ لك.

﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾: وتعصي فإنّها مكان الخاشع المطيع.

قيل: فيه تنبيه على أنّ التكبّر لا يليق بأهل الجنّة، وأنّه تعالى إنّما طرده وأهبطه من التكبّر لا لمجرّد عصيانه، قال النّبي صلى الله عليه وآله: من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبّر وضعه الله[3].

﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ﴾: ممّن أهانه الله تعالى لكبره.

﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: أمهلني إلى يوم القيامة فلاتمتني، ولا تعجّل عقوبتي.

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾: أجابه الله إلى ما سأله من الإمهال، ولم يجبه إلى ما سأله من غايته، لأنّ الله تعالى يقول في موضع آخر: «فإنّك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم»[4]، وهو النّفخة الأُولى، ويوم البعث والقيامة: هو النّفخة الثّانية.

---

١ - يٓس: ٨٠.

٢ - تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٤٥. وفيه: «جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون» خلقه الله من تلك الشجرة.

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٤٣.

٤ - ص: ٨٠ ـ ٨١، والحجر: ٣٧ ـ ٣٨.

قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾

في العلل: عن الصّادق عليه السلام يموت إبليس ما بين النّفخة الأُولى والثّانية[1].

والعيّاشي: عنه عليه السلام أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا[2]، ويأتي الخبران في سورة الحجر إن شاء الله تعالى[3]، وفي إسعافه إليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾: أي فبسبب إغوائك إيّاي وهو تكليفه إيّاه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة فإنّه لمّا أمره الله بالسّجود حملته الأنفة على معصيته.

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: لأجتهدنّ في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسَبَبِهم بأن أترصّد لهم على طريق الإسلام كما يترصّد القطّاع على الطريق ليقطعه على المارّة، العيّاشي: عن الصادق عليه السلام الصّراط هنا: علي عليه السلام[4].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام يا زرارة إنّما عمد لك ولأصحابك، فأمّا الآخرون فقد فرغ منهم[5].

وفي رواية العياشي: عنه عليه السلام إنّما صمد[6][7].

﴿ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾: من

---

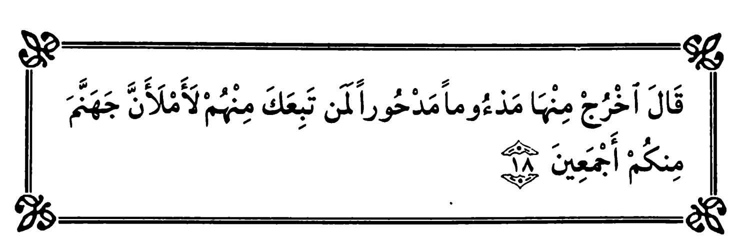
١ - علل الشرائع: ص ٤٠٢، ح ٢، باب ١٤٢ ـ علّة وجوب الحج والطواف بالبيت وجميع المناسك.

٢ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٤٢، ح ١٤.
٣ - الحجر: ذيل الآية: ٣٧.

٤ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩، ح ٦.
٥ - الكافي: ج ٨، ص ١٤٥، ح ١١٨.

٦ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩، ح ٧. وفي نسخة (إنّما عمد لك).

٧ - الصمد: القصد، يقال صمده يصمده صمداً: قصده. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٨٩ مادة «صمد».



الجهات الأربع جُمع، في المجمع: عن الباقر عليه السلام: «ثم لآتينّهم من بين أيديهم» معناه أُهَوِّن عليهم أمر الآخرة «ومن خلفهم» آمرهم بجمع الأموال، والبخل بها عن الحقوق، لتبقى لورثتهم «وعن أيمانهم» أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضّلالة وتحسين الشّبهة «وعن شمائلهم» بتحبيب اللّذات إليهم، وتغليب الشهوات على قلوبهم[1][2].

والقمّي: ما يقرب منه ببيان أبسط[3].

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ﴾: مطيعين قاله تظنّناً لقوله سبحانه: «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِم إِبْلِيسُ ظَنَّهُ»[4].

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً﴾: مذوماً من ذأمه إذا ذمّه.

﴿مَّدْحُوراً﴾: مطروداً.

﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾: اللّام فيه لتوطئة القسم وجوابه.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي منك ومنهم فغلّب المخاطب.

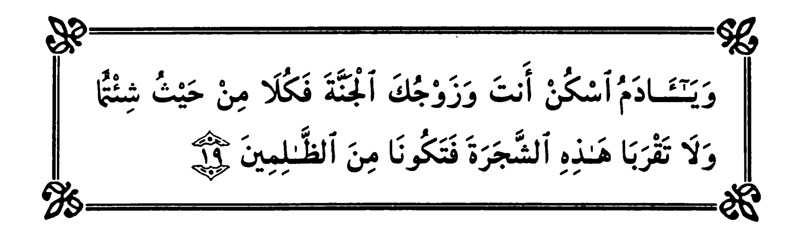
---

١ - مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

٢ ـ قيل: المعنى من قبل دنياهم وآخرتهم، ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم عن ابن عباس، وتلخيصه إنّي أُزيّن لهم الدنيا، وأُخوّفهم بالفقر. وأقول لهم: لا جنّة ولا نار، ولا بعث ولا حساب، وأثبطهم عن الحسنات وأشغلهم عنها وأُحبّب إليهم السّيئات وأحثّهم عليها، قال ابن عباس: وإنّما لم يقل من فوقهم لأن فوقهم جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له إلى ذلك ولم يكن من تحت أرجلهم لأنّ الإتيان به يوحش انتهى. وإنّما دخلت «من» في القدام والخلف وعن اليمين والشمال: لأنّ في القدام والخلف معنى طلب النهاية، وفي اليمين والشمال الإنحراف عن الجهة. منه مدّ ظلّه.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٤.

٤ ـ سبأ: ٢٠.



القمّي: عن الصّادق عليه السلام في قوله تعالى: «فاخرج منها فإنّك رجيم * وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدّين»[1] فقال إبليس: يا ربّ فكيف وأنت العدل الّذي لا يجور فثواب عملي بطل؟ قال: لا، ولكن سلني من أمر الدنيا ما شئت ثواباً لعملك أُعطك، فأوّل ما سأل: البقاء إلى يوم الدّين، فقال الله: قد أعطيتك، قال: سلّطني على ولد آدم، قال: سلّطتك، قال: أجرني فيهم مجرى الدّم في العروق، قال: قد أجريتك، قال: لا يولد لهم ولد إلّا ولد لي إثنان، وأراهم ولا يروني، وأتصوّر لهم في كل صورة شئت، فقال: قد أعطيتك، قال: يا ربّ زدني قال: قد جعلت لك ولذريّتك صدورهم أوطاناً، قال: يا ربّ حسبي، قال إبليس عند ذلك: «فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين * إلّا عبادك منهم المخلصين»[2] «ثمّ لآتينهم...» إلى قوله «شاكرين»[3]، قيل له: جعلت فداك بماذا استوجب إبليس من الله أن أعطاه ما أعطاه؟ فقال: بشيء كان منه شكره الله عليه، قيل: وما كان منه جعلت فداك؟ قال: ركعتين ركعهما في السّماء في أربعة آلاف سنة[4].

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾: وقلنا يا آدم.

﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: قد مضى تفسيرها في سورة البقرة[5].

---

١ ـ ص: ٧٧ ـ ٧٨.　　٢ ـ ص: ٨٢ ـ ٨٣

٣ ـ الأعراف: ١٧.　　٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٤٢.

٥ ـ ذيل الآية: ٣٥.

فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَ ٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَ ٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾: الفرق بين وسوس إليه ووسوس له: أنّ الأوّل: بمعنى ألقى إلى قلبه المعنى بصوت خفيّ، والثّاني: أنّه أوهمه النّصيحة له بذلك، والوسوسة في الأصل: الصّوت الخفيّ.

﴿لِيُبْدِىَ لَهُمَا﴾: ليظهر لهما.

﴿مَا وُۥرِىَ﴾:[1] ما غطّي.

﴿عَنْهُمَا مِن سَوْءَ ٰتِهِمَا﴾: عوراتهما.

قيل: وكانا لا يريانها من أنفسهما، ولا أحدهما من الآخر[2].

﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا﴾: كراهة أن تكونا.

﴿مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَآ﴾: أقسم لهما.

﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ * فَدَلَّىٰهُمَا﴾: فنزّلهما إلى الأكل من الشجرة، نبّه به على أنّه أهبطهما بذلك من درجة عالية إلى رتبة سافلة، فإنّ التّدلية والإدلاء: إرسال الشيء من أعلى إلى أسفل.

---

١ ـ قيل: تكتب بواو واحدة وتلفظ بواوين. مثل داود. منه ﷺ.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٤٤، س ١٣.

﴿بِغُرُورٍ﴾: بما غرّهما به من القسم. فإنّهما ظنّا أنّ أحداً لا يحلف بالله كاذباً.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾: فلما وجدا طعمها آخذين في الأكل منها أخذتهما العقوبة فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما.

القمّي[١]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام كانت سوآتهما لا تبدو لهما فبدت، يعني كانت داخلة[٢].

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾:[٣] وأخذا يرقعان[٤] ويلزقان ورقة فوق ورقة.

﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: يغطيّان سوءاتهما به.

القمّي: عن الصادق عليه السلام لما أسكنه الله الجنّة وأباحها له إلّا الشّجرة لأنّه خلق خلقة لا تبقى إلّا بالأمر والنّهي والغذاء واللّباس والأكنان[٥] والتناكح ولا يدرك ما ينفعه ممّا يضرّه إلّا بالتّوقيف فجاءه إبليس فقال له: إنّكما إن أكلتما من هذه الشّجرة التي نهاكما الله عنها صرتما ملكين وبقيتما في الجنّة أبداً وإن لم تأكلا منها أخرجكما الله من الجنّة، وحلف لهما أنّه لهما ناصحٌ، فقبل آدم عليه السلام قوله فأكلا من الشجرة وكان الأمر كما حكى الله «بدت لهم سوءاتهما»، وسقط عنهما ما ألبسهما الله من لباس الجنّة، وأقبلا يستتران من ورق الجنّة[٦].

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: عتاب على مخالفة النّهي، وتوبيخ على الإغترار بقول العدوّ.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٥. ٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١، ح ١٢.

٣ ـ الخصف: وهو ضم الشيء إلى الشيء وإلصاقه به «وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة» أي يلزقان بعضه على بعض ليسترا به عورتهما: مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٦. مادة «خصف».

٤ ـ الرقعة ـ بالضم: الخرقة التي يرقع فيها الثوب، يقال: رقعت الثوب رقعاً من باب نفع: إذا جعلت مكان القطيع خرقة، واسمها رقعة، وجمعها رقاع. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩. مادة «رقع».

٥ ـ الأكنان: جمع كِنّ، وهو ما كنَّ وستر من الحر والبرد. والكنّ: السترة. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٣٠٢، مادة «كنن».

٦ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٤٣، س ٥. وفيه: «يستتران بورق الجنّة».

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ * قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: قد مضى تفسيرها مع تمام القصّة في سورة البقرة[1].

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾: بالجزاء للجزاء، وقرئ بفتح التّاء.

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾: العيّاشي: عنهما عليهما السلام قالا: هي عامّة.

﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾: ويغنيكم عن خصف الورق.

﴿وَرِيشاً﴾: تتجملون به، والرّيش ما يتجمّل به، استعير من ريش الطّائر لأنّه لباسه وزينته.

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: خشية الله.

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾: وقرئ ـ لباس ـ بالنّصب، القمّي: قال: لباس التّقوى ثياب البياض[2].

---

١ ـ ذيل الآية: ٣٦.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٥.

يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ ٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾

وعن الباقر عليه السلام: وأمّا اللّباس: فالثّياب الّتي تلبسون، وأمّا الرّياش: فالمتاع والمال، وأمّا لباس التّقوى: فالعفاف، إنّ العفيف لا تبدو له عورة وإن كان عارياً من الثياب، والفاجر: بادي العورة وإن كان كاسياً من الثّياب، «ذلك خير»، يقول: والعفاف خير[١].

﴿ذَ ٰلِكَ﴾: أي إنزال اللّباس.

﴿مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: الدّالّة على فضله ورحمته.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: فيعرفون نعمته أو يتّعظون فيتورّعون عن القبائح.

﴿يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾: لا يمتحننّكم بأن يمنعكم دخول الجنّة بإغوائكم، والمعنى نهيهم عن اتّباعه والإفتتان به.

﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ ٰتِهِمَآ﴾: أسند النّزع إليه للتسبّب.

﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾: تعليل للنّهي، وتأكيد للتحذير من فتنته، وقبيله: جنوده، وفي الحديث: إنّ الشّيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدّم[٢].

﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لما بينهم من التّناسب.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

٢ ـ صحيح البخاري: ج ٢، ص ٢٥٩، كتاب الصوم باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه.

وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾: فعلة متناهية في القبح كعبادة الصّنم، والإئتام بإمام الجور، والطّواف بالبيت عرياناً.

﴿قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: القمّي: قال الّذين عبدوا الأصنام فردّ الله عليهم[١].

وفي الكافي: مضمراً[٢]، والعيّاشي: عن عبد صالح عليه السلام: قال: هل رأيت أحداً زعم أنّ الله أمرنا بالزنا وشرب الخمر وشيء من هذه المحارم؟ فقيل: لا، قال: ما هذه الفاحشة الّتي يدّعون أنّ الله أمرهم بها؟ قيل: الله أعلم ووليّه، فقال: فإنّ هذا في أئمّة الجور إدّعوا أنّ الله أمرهم بالائتمام بقوم لم يأمرهم الله بالإئتمام بهم فردّ الله ذلك عليهم فأخبر أنّهم قد قالوا عليه الكذب، وسمّى ذلك منهم فاحشة[٣].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام قال: من زعم أن الله يأمر بالفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أنّ الخير والشرّ إليه فقد كذب على الله[٤].

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والإستقامة.

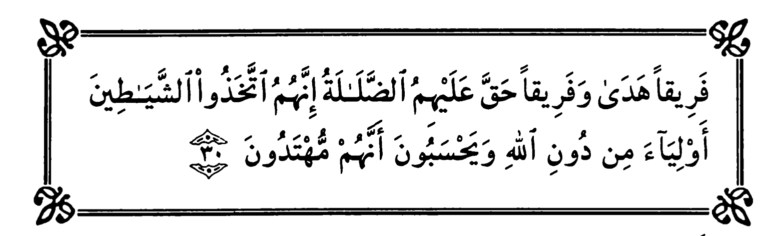
---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٦.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٣٧٣، ح ٩، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢، ح ١٥. والصحيح: عن العبد الصالح عليه السلام.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢، ح ١٦.



﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾: توجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها أو أقيموها نحو القبلة.

﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: في كلّ وقت سجوداً، وفي كلّ مكان سجود، وهو الصلاة.

في التّهذيب: عن الصّادق عليه السلام هذه في القبلة[١].

وعنه عليه السلام: مساجد محدثة فأُمروا أن يقيموا وجوههم شطر المسجد الحرام[٢].

والعيّاشي: مثل الحديثين[٣]، وزاد في الأوّل ليس فيها عبادة الأوثان خالصاً مخلِصاً[٤]، وعنه عليه السلام: عند كلّ مسجد: يعني الأئمّة[٥].

﴿وَٱدْعُوهُ﴾: واعبدوه.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: أي الطّاعة فإنّ إليه مصيركم.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾: كما أنشأكم إبتداءاً.

﴿تَعُودُونَ﴾: باعادته فيجازيكم على أعمالكم.

القمّي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية خلقهم حين خلقهم مؤمناً وكافراً وشقيّاً وسعيداً، وكذلك يعودون يوم القيامة مهتدٍ وضالّ[٦].

﴿فَرِيقاً هَدَىٰ﴾: بأن وفقهم للإيمان.

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٣٤ / ٢، باب ٥ ـ القبلة.

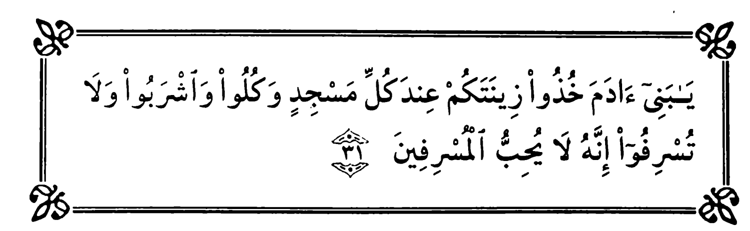
٢ ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٣٦ / ٤، باب ٥ ـ القبلة.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢، ح ١٧ و ١٩.

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٤٢ ـ ٤٣، ح ١٣٣ / ١، باب ٥ ـ القبلة، وراجع تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢، ح ٢٠.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢، ح ١٨.

٦ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٦.



﴿وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾: أي الخذلان إذ لم يقبلوا الهدى فضلّوا.

﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللهِ﴾: أطاعوهم فيما أمروهم به.

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾: القمّي: وكأنّه تمام الحديث السّابق، وهم القدريّة: الّذين يقولون لا قدر، ويزعمون إنّهم قادرون على الهدى والضّلال، وذلك إليهم إن شاؤوا إهتدوا وإن شاؤوا ضلّوا، وهم مجوس هذه الأمّة وكذب أعداء الله المشيّة والقدرة لله «كما بدأهم يعودون» من خَلَقَه شقيّاً يوم خلقه كذلك يعود إليه، ومن خَلَقَه سعيداً يوم خَلَقه كذلك يعود إليه سعيداً، قال رسول الله ﷺ: الشّقيّ: من شقي في بطن اُمّه، والسّعيد: من سعد في بطن اُمّه[1].

وفي العلل: عنه عليه السلام: أنّهم اتّخذوا الشّياطين أولياء من دون الله يعني أئمّة دون أئمّة الحق[2].

﴿يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: القمّي: قال: في العيدين؛ والجمعة يغتسل ويلبس ثياباً بيضاً[3].

وروى أيضاً: المشط عند كلّ صلاة[4].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام يعني في العيدين والجمعة[5].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

٢ ـ علل الشرائع: ص ٦١٠ ذيل ح ٨١، باب ٣٨٥ ـ نوادر العلل.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٩.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٩.

٥ ـ الكافي: ج ٣، ص ٤٢٤، ح ٨، باب تهيئة الإمام للجمعة وخطبته والإنصات.

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام أي خذوا ثيابكم الّتي تتزيّنون بها للصّلاة في الجمعات والأعياد[١].

والعيّاشي: عن الرّضا عليه السلام هي الثّياب[٢].

وعن الصّادق عليه السلام: هي الأردية في العيدين والجمعة[٣].

وفي الجوامع[٤]، والعيّاشي: كان الحسن بن علي عليهما السلام إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه فقيل له: في ذلك، فقال: إنّ الله جميل يحبّ الجمال، فأتجمّل لربي، وقرأ الآية[٥].

وفي الفقيه: عن الرضّا عليه السلام: من ذلك التمشّط عند كلّ صلاة[٦].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام مثله[٧].

وفي الخصال: عنه عليه السلام في هذه الآية تمشّطوا فإنّ التمشّط يجلب الرزق، ويحسن الشّعر، وينجز الحاجة، ويزيد في ماء الصّلب، ويقطع البلغم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يسرّح تحت لحيته أربعين مرّة ويمرّ فوقها سبع مرّات، ويقول: إنّه يزيد في الذهن، ويقطع البلغم[٨].

وفي التهذيب: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: الغسل عند لقاء كلّ إمام[٩].

والعيّاشي: عنه عليه السلام يعني الأئمّة عليهم السلام[١٠].

وقيل: هو أمر بلبس الثّياب في الصلاة والطّواف وكانوا يطوفون عراة ويقولون: لا

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤١٢.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢، ح ٢١.
٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٣، ح ٢٧.
٤ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٣٣.
٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٤، ح ٢٩.
٦ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٧٥، ح ٣١٩/ ٩٥، باب ٢٢ ـ في غسل الجمعة وآداب الحمام.
٧ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٣، ح ٢٥.
٨ ـ الخصال: ص ٢٦٨، ح ٣، باب الخمسة ـ في المشط خمس خصال.
٩ ـ تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١١٠، ح ١٩٧/ ١٣، باب ٥٢ ـ من الزيادات.
١٠ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٣٣.

نعبد في ثياب أذنبنا فيها[١].

القمّي: إنّ أُناساً كانوا يطوفون عراة بالبيت الرّجال بالنّهار والنّساء باللّيل. فأمرهم الله بلبس الثّياب، وكانوا لا يأكلون إلّا قوتاً فأمرهم الله أن يأكلوا ويشربوا ولا يسرفوا[٢].

أقول: يعني في أيّام حجّهم يعظّمون بذلك حجّهم.

﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾: ما طاب لكم.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾: بالإفراط والإتلاف، وبالتعدّي إلى الحرام، وبتحريم الحلال، وغير ذلك.

قيل[٣]: لقد جمع الله الطبّ في نصف آية فقال: «كلوا واشربوا ولا تسرفوا»[٤].

وهو ناظر إلى الإفراط في الأكل، وهو مذموم في أخبار كثيرة[٥].

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: لا يرضى فعلهم، العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام قال: أترى الله أعطى من أعطى من كرامته عليه، ومنع من منع من هوان به عليه، لا ولكنّ المال مال الله يضعه عند الرجل ودائع وجوز لهم أن يأكلوا قصداً، ويشربوا قصداً، ويلبسوا قصداً، وينكحوا قصداً، ويركبوا قصداً، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين، ويلمّوا به

---

١ ـ القائل هو الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ١٠٠.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

٣ ـ القائل هو علي بن الحسين بن واقد كما جاء في تفسير أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٤٧، س ٥.

٤ ـ وقد حكي أنّ الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال ذات يوم لعلي بن الحسين بن راقد: ليس في كتابكم من علم طب شيء، والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له علي: قد جمع الله الطب كلّه في نصف آية من كتابه وهو قوله: «كلوا واشربوا ولا تسرفوا» وجمع نبينا صلى الله عليه وآله الطب في قوله المعدة بيت الأدواء والحميّة رأس كلّ دواء، واعط كل بدن ما عودته، فقال الطبيب: ما ترك كتابكم ولا نبيّكم لجالينوس طبّاً. منه رحمه الله راجع الكشاف: ج ٢، ص ١٠٠.

٥ ـ انظر عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٣٦، ح ٨٩، و ص ٣٨، ح ١١٣، والخصال: ص ٦٣٠، ح ٢٩، حديث الأربعمائة س ١٤.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣٢﴾

شعثهم[١]، فمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالاً، ويشرب حلالاً، ويركب حلالاً، وينكح حلالاً، ومن عدا ذلك كان عليه حراماً، ثم قال: «ولا تسرفوا إنّه لا يحب المسرفين» أترى الله إئتمن رجلاً على مال خوّل له أن يشتري فرساً بعشرة آلاف درهم ويجزيه فرس بعشرين درهماً ويشتري جارية بألف دينار ويجزيه بعشرين ديناراً، وقال: «لا تسرفوا إنّه لا يحب المسرفين»[٢].

وعنه عليه السلام: قال: من سأل النّاس شيئاً وعنده ما يقوته يومه فهو من المسرفين[٣].

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾: من الثّياب وسائر ما يتجمّل به.

﴿ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾: من الأرض كالقطن والكتّان والأبريسم والصّوف والجواهر.

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾: المستلّذات من المأكل والمشرب[٤]، وهو إنكار لتحريم هذه الأشياء.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبدالله بن العبّاس إلى ابن الكوّاء وأصحابه، وعليه قميص رقيق وحلّة، فلمّا نظروا إليه، قالوا: يا ابن عبّاس أنت خيرنا في أنفسنا

---

١ ـ لمّ الله شعثه: أي أصلح وجمع ما تفرّق، منه رحمه الله. وفي مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٦٥، ولَمَمتُ شعثه لمّاً من باب ـ قتل ـ أصلحت من حاله ما تشتت، ومنه الدعاء «اللهم ألمم به شعثنا».

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٣، ح ٢٣.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٤، ح ٢٨.

٤ ـ وفي نسخة: [المآكل والمشارب].

وأنت تلبس هذا اللّباس؟ فقال: وهذا أوّل ما أُخاصمكم فيه «قل من حرم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطّيبات من الرزق» وقال الله: «خذوا زينتكم عند كلّ مسجد»[١].

والعيّاشي: عنه عليه السلام ما في معناه[٢].

وفي الكافي: عنه عليه السلام أنّه رآه سفيان الثوري وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان، فقال: والله لآتينّه ولأوبخنّه فدنا منه، فقال: يا ابن رسول الله ما لبس رسول الله صلى الله عليه وآله مثل هذا اللّباس ولا علي عليه السلام ولا واحد من آبائك، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في زمانٍ قَتْرٍ[٣] مُقتِرٍ وكان[٤] يأخذ لقتره وأقتاره وأنّ الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها[٥] فأحقّ أهلها بها أبرارها ثم تلا: «قُل مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ» الآية فنحن أحقّ من أخذ منها ما أعطاه الله غير إنّي يا ثوري ما ترى عليّ من ثوب إنّما لبسته للنّاس، ثمّ اجتذب يد سفيان فجرّها إليه، ثمّ رفع الثّوب الأعلى وأخرج ثوباً تحت ذلك على جلده غليظاً، فقال: هذا ألبسه لنفسي وما رأيته للنّاس، ثم جذب ثوباً على سفيان أعلاه غليظ خشن وداخل ذلك ثوب ليّن، فقال: لبست هذا الأعلى للنّاس، ولبستَ هذا لنفسك تسرّها[٦][٧].

---

١ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٤١ ـ ٤٤٢، ح ٦، باب اللباس.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٥، ح ٣٢.

٣ ـ وقتر عليه قتراً وقتوراً ـ من بابي ضرب وقعد ـ: ضيّق عليه في النفقة، ومنه: قتر على عياله: إذا ضيّق عليهم. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٤٧، مادة «قتر».

٤ ـ أي وكان رسول الله يأخذ اللباس يعني يصرفه بدفع قترة واقتاره ويصرفه في حوائجه ومضائق أُمور الفقراء. منه رحمه الله.

٥ ـ العزالي: بفتح اللام وكسرها: جمع العزلاء مثل الحمراء، وهو فم المزادة فقوله: «فأرسلت السماء عزاليها» يريد شدّة وقع المطر على التشبيه بنزوله من أفواه المزادة. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٢٣. «مادة عزل». وفي هامش المخطوط: العزالي ـ بفتح اللام وكسرها ـ جمع عزلاء: وهي مصب الماء من الراوية ونحوها وإرخاؤها ليكثر صب الماء منها، والكلام استعارة لتوسعة النعم. منه رحمه الله.

٦ ـ يمكن اشتقاقه من السر أو من السرور. منه رحمه الله.

٧ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣، ح ٨، باب اللباس.

وعنه عليه السلام: إنّه كان متّكئاً على بعض أصحابه فلقيه عبّاد بن كثير وعليه ثياب مرويّة[1] حسان، فقال: يا أبا عبدالله إنّك من أهل بيت النبوّة، وكان أبوك[2]، وكان فما لهذه الثّياب المرويّة عليك؟ فلو لبست دون هذه الثّياب، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: ويلك يا عبّاد «من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطّيّبات من الرّزق» إنّ الله عزّ وجلّ إذا أنعم على عبده نعمة أحبّ أن يراها عليه ليس بها بأس، ويلك يا عبّاد إنّما أنا بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله فلا تؤذوني، وكان عبّاد يلبس ثوبين من قطن[3].

وعنه عليه السلام: أنّه قيل له: أصلحك الله ذكرت أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس الخشن، يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك، ونرى عليك اللباس الجيّد؟ فقال له عليه السلام: إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر، ولو لبس مثل ذلك اليوم لشهر به، فخير لباس كلّ زمان لباس أهله، غير أنّ قائمنا إذا قام لبس لباس عليّ وسار بسيرته[4].

أقول: وفي رواية أُخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه علّل خشونة مطعمه وملبسه بأنّ الله فرض على أئمّة العدل أن يقدروا أنفسهم بضَعَفَة[5] النّاس كيلا يتبيّغ[6] بالفقير فقره[7].

﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بالأصالة وأمّا مشاركة الكفّار هم

---

١ ـ مَرْوُ: اسم بلد، والنسبة إليه مَرْوَزي على غير قياس، والثوب مرويٌ على القياس، الصحاح: ج ٦، ص ٢٤٩١، مادة «مرا».

٢ ـ يعني كان زاهداً، وكان يلبس الخشن وكان تاركاً لنعيم الدنيا يعني بأبيه أمير المؤمنين عليه السلام وفي بعض النسخ قطو تين مكان قطن في آخر الحديث وهو بالمهملة ضرب من البرود. منه قدّس سرّه.

٣ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤، ح ١٣، باب اللباس. وفيه «فلا تؤذني» وفيه أيضاً: «ثوبين قطريّين».

٤ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٤٤، ح ١٥، باب اللباس.

٥ ـ الضعفة: جمع ضعيف أي يقايس أنفسهم بضعفاء الناس. منه قدّس سرّه.

٦ ـ أي يتهيج به. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٨، مادة «بيغ».

٧ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٠ ـ ٤١١، ذيل ح ٣، باب سيرة الإمام في نفسه وفي المطعم والملبس إذا ولي الأمر.

فيها فتبعٌ.

﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: لا يشاركهم فيها غيرهم، وقرئ بالرّفع.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام بعد أن ذكر أنهار الأرض فما سقت واستقت فهو لنا، وما كان لنا فهو لشيعتنا وليس لعدوّنا منه شيء إلّا ما غصب عليه، وإنّ وليّنا لفي أوسع فيما بين ذه وذه يعني فيما بين السماء والأرض، ثمّ تلا هذه الآية: «قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيوٰة الدّنيا» المغصوبين عليها خالصةً لهم يوم القيامة بلا غصب[1].

وفي الأمالي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث واعلموا يا عباد الله أنّ المتّقين حازوا عاجل الخير وآجله، شاركوا أهل الدّنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدّنيا في آخرتهم أباحهم الله في الدّنيا ما كفاهم به وأغناهم، قال الله عزّ وجلّ: «قل مَن حَرّم زينَة الله ٱلتى أخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطيّبات مِنَ ٱلرّزق قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَة» الآية. سكنوا الدّنيا بأفضل ما سُكنت، وأكلوها بأفضل ما أُكلت. شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا معهم من طيّبات ما يأكلون، وشربوا من طيّبات ما يشربون، ولبسوا من أفضل ما يلبسون، وسكنوا من أفضل ما يسكنون، وتزوجوا من أفضل ما يتزّوجون، وركبوا من أفضل ما يركبون، وأصابوا لذّة الدّنيا مع أهل الدّنيا، وهم غداً جيران الله يتمنّون عليه فيعطيهم ما يتمنّون، ولا تردّ لهم دعوة، ولا ينقص لهم نصيب من اللّذة فإلى هذا يا عباد الله يشتاق إليه من كان له عقل[2].

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي كتفصيلنا هذا الحكم نفصّل سائر الأحكام لهم.

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٠٩، ح ٥، باب إنّ الأرض كلّها للإمام عليه السلام.

٢ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٢٦ ـ ٢٧، ح ٣١/ ٣١، المجلس الأوّل.

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: في الكافي[١]، والعيّاشي: عن الكاظم عليه السلام فأمّا قوله: «ما ظهر منها» يعني الزّنا المعلن، ونصب الرّايات الّتي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهليّة، وأمّا قوله عزّ وجلّ: «وما بطن» يعني ما نكح من أزواج الآباء لأنّ النّاس كانوا قبل أن يبعث النّبي صلّى الله عليه وآله إذا كان للرّجل زوجة ومات عنها تزوّجها ابنه من بعده إذا لم تكن أُمّه فحرّم الله عزّ وجلّ ذلك، وأمّا «الإثم» فإنّها الخمر بعينها، وقد قال الله عزّ وجلّ في موضع آخر: «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للنّاس»[٢] فأمّا الاثم في كتاب الله: فهي الخمر والميسر، واثمهما كبير، وزاد العيّاشي بعد قوله: «والميسر» أخيراً فهي النّرد، قال: «واثمهما كبير» وأمّا قوله: «والبغي» فهي الزّنا سرّاً[٣].

أقول: وربّما تعمم الفواحش لكل ما تزايد قبحه ما علن منها، وما خفي، ويعمّم الإثم لكلّ ذنب، ويفسّر البغي بالظّلم والكبر ويجعل بغير الحقّ تأكيداً، وما لم يُنَزِّل به سلطاناً تهكماً إذ لا يجوز أن ينزّل برهاناً بأن يشرك به غيره.

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرّم الله في القرآن

---

١ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٠٦، ح ١، باب تحريم الخمر في الكتاب.

٢ ـ البقرة: ٢١٩.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٧، ح ٣٨.

هو الظّاهر، والباطن من ذلك: أئمة الجور، وجميع ما أحلّ الله في الكتاب هو الظّاهر، والباطن من ذلك: أئمّة الحقّ[١].

﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي تتقوّلوا وتفتروا.

وفيه[٢]، وفي الخصال: عنه عليه السلام إيّاك وخصلتين فيهما هلك من هلك، إيّاك أن تفتي النّاس برأيك، وتدين بما لا تعلم[٣].

وفي رواية أُخرى: أن تدين الله بالباطل، وتفتي النّاس بما لا تعلم[٤].

وفيه[٥]، وفي التّوحيد عن الباقر عليه السلام إنّه سئل ما حجّة الله على العباد؟ فقال: أن يقولوا ما يعلمون، ويقفوا عندما لا يعلمون[٦].

وفي الفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لابنه محمّد بن الحنفيّة: يا بنيّ لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كلّ ما تعلم[٧].

وفي العيون: عنه عليه السلام عن النّبي صلى الله عليه وآله من أفتى النّاس بغير علم لعنته ملائكة السّماوات والأرض[٨].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٣٧٤، ح ١٠، باب من ادّعى الإمامة وليس لها بأهل ومن جحد الأئمّة أو بعضهم ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢، ح ٢، باب النهي عن القول بغير علم.

٣ ـ الخصال: ص ٥٢، ح ٦٦، باب الاثنين النهي عن خصلتين.

٤ ـ الخصال: ص ٥٢، ح ٦٥، باب الاثنين النهي عن خصلتين، والكافي: ج ١، ص ٤٢، ح ١، باب النهي عن القول بغير علم.

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٣، ح ٧، باب النهي عن القول بغير علم.

٦ ـ التوحيد: ص ٤٥٩، ح ٢٧، باب ٦٧ ـ النهي عن الكلام والجدال والمراء في الله عزّ وجلّ.

٧ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٨١، ح ١٦٢٧ / ١ باب ٢٢٧ ـ الفروض على الجوارح.

٨ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٤٦، ح ١٧٣، باب ٣١ ـ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: مدّة أو وقت لنزول الموت والعذاب.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾: انقرضت مدّتهم أو حان وقتهم.

﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام هو الّذي سمّي لملك الموت في ليلة القدر[1].

وفي الكافي: عنه عليه السلام تعدّ السّنين ثمّ تعدّ الشّهور، ثمّ تعدّ الأيّام، ثمّ تعدّ النَّفس «فإذا جاء أجَلَهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون»[2].

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: ضُمّت ـ ما ـ إلى إن الشّرطيّة تأكيداً لمعنى الشّرط.

﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: من جنسكم.

﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾: التّكذيب منكم.

﴿وَأَصْلَحَ﴾: عمله.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: قيل: إدخال ـ الفاء ـ في الجزاء الأوّل

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٥٤، ح ٦.
٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٦٢، ح ٤٤، باب النوادر.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أو كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

دون الثّاني للمبالغة في الوعد، والمسامحة في الوعيد[1].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾: أشنع ظلماً.

﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أو كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِ﴾: تقوّل عليه ما لم يقله أو كذّب ما قاله.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: ممّا كتبت لهم من الأرزاق والآجال.

والقمّي: أي ينالهم ما في كتابنا من عقوبات المعاصي[2].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾: «حتّى» غاية لنيلهم نصيبهم وإستيفائهم إيّاه أي إلى وقت وفاتهم، وهي الّتي يبتدأ بعدها الكلام، والمراد بالرّسل هنا: ملك الموت وأعوانه.

﴿قَالُوٓاْ﴾: أي الرّسل.

﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي الآلهة الّتي تعبدونها.

﴿قَالُوا ضَلُّواْ عَنَّا﴾: غابوا عنّا.

﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ﴾: اعترفوا بأنّهم لم يكونوا على

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٤٨.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٠.

قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

شيءٍ فيما كانوا عليه.

﴿قَالَ﴾: أي قال الله تعالى لهم.

﴿ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ﴾: كائنين في جملة أُمم مصاحبين لهم.

﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: يعني كفّار الأمم الماضية من النّوعين.

﴿فِي ٱلنَّارِ﴾: متعلّق بـ «ادخلوا».

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾: في النّار.

﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾: الّتي ضلّت بالإقتداء بها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً﴾: أي تداركوا وتلاحقوا في النّار.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام في حديث برئ بعضهم من بعض، ولعن بعضهم بعضاً، يريد بعضهم أن يحجّ بعضاً رجاء الفلج فيفلتوا من عظيم ما نزل بهم، وليس بأوان بلوىً ولا اختبار ولا قبول معذرة، ولات حين نجاة[1].

﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾: منزلة وهم الأتباع والسّفلة.

﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾: منزلة أي لأجلهم إذ الخطاب مع الله لا معهم، وهم القادة والرّؤساء.

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣١، س ١٠، ح ١، والحديث طويل جداً.

وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾

في المجمع: عن الصّادق عليه السلام يعني أئمّة الجور[1].

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾: دعونا إلى الضّلال وحملونا عليه.

﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: مضاعفاً لأنّهم ضلّوا وأضلّوا.

﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾: أمّا القادة فبكفرهم وتضليلهم، وأمّا الأتباع فبكفرهم وتقليدهم.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾: ما لكلّ[2]، وقرئ بالياء على الإنفصال.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾: مخاطبين لهم.

﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾: عطفوا كلامهم على قول الله سبحانه للإتّباع لكلٍ ضعف، أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا، وإنّا وإيّاكم متساوون في الضّلال واستحقاق الضّعف.

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: القمّي: قال: شماتة لهم[3].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا﴾: أي عن الإيمان بها.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤١٧.

٢ ـ هكذا في الأصل، والصحيح «ما لكلّ فريق».

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٠، وفيه: «شماتة بهم».

لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾: لأدعيتهم وأعمالهم، ولنزول البركة عليهم، ولصعود أرواحهم إذا ماتوا.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام أمّا المؤمنون فترفع أعمالهم وأرواحهم إلى السّماء فتفتح لهم أبوابها، وأمّا الكافر فيصعد بعمله وروحه حتّى إذا بلغ إلى السماء نادى مناد اهبطوا به إلى سجّين، وهو وادٍ بحضرموت يقال له: برهوت[1]، وقرئ ـ لا تفتح ـ بالتخفيف، وبالياء والتخفيف.

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾: أي لا يدخلون الجنّة حتى يكون ما لا يكون أبداً من ولوج الجمل الّذي لا يلج إلّا في باب واسع في ثقب الإبرة.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك الجزاء الفضيع.

﴿نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ * لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾: فراش.

﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾: أغطية.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾: اعتراض بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب النّعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم.

---

١ ـ مجمع البيان: ج٣ ـ ٤، ص ٤١٨.

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ﴾: على إخوانهم في الدّنيا فسلمت قلوبهم وطهرت من الحقد والحَسَد والشّحناء، ولم يكن منهم إلّا التّعاطف والتّراحم والتّوادّ.

القمّي: عن الباقر عليه السلام العداوة تنزع منهم أي من المؤمنين في الجنّة[١].

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية إذا كان يوم القيامة دعي بالنّبي صلى الله عليه وآله، وبأمير المؤمنين، وبالأئمة عليهم السلام فينصبون للنّاس فإذا رأتهم شيعتهم قالوا: «الحمد لله الّذى هدانا لهذا» الآية، يعني هدانا الله في ولاية أمير المؤمنين، والأئمة عليهم السلام من ولده[٢].

﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾: فاهتدينا بإرشادهم، يقولون ذلك: اغتباطاً وتبجّحاً[٣] إذ صار علم يقينهم في الدّنيا عين يقينهم في الآخرة.

﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾: إذا رأوها.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣١.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٨، ح ٣٣، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٣ ـ البجح: الفرح، يقال: بجح بالشيء بالكسر، وبالفتح لغة ضعيفة وبجّحته فتبجّح: أي فرّحته ففرح، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٤١، مادة «بجح».

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله ما من أحد إلّا وله منزل في الجنّة ومنزل في النّار، فأمّا الكافر فيرث المؤمن منزله من النّار، وأمّا المؤمن يرث الكافر منزله من الجنّة فذلك قوله: «أورثتموها بما كنتم تعملون»[1].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾: قالوا: تبجّحاً بحالهم، وشماتة بأصحاب النّار، وتحسّراً لهم، وإنّما لم يقل: ما وعدكم كما قال: ما وعدنا لأنّ ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصاً وعدهم بهم كالبعث والحساب ونعيم الجنّة لأهلها.

﴿قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن﴾: وقرئ ـ أن ـ بالتّشديد.

﴿لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: في الكافي[2]، والقمّي: عن الكاظم[3]، والعيّاشي: عن الرّضا عليه السلام المؤذّن: أمير المؤمنين عليه السلام[4]، وزاد القمّي يؤذّن أذاناً يسمع الخلائق[5].

وفي المجمع[6]، والمعاني: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنا ذلك المؤذّن[7].

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٢٠.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢٦، ح ٧٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٣١.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٧، ح ٤١.

٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣١.

٦ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٢٢.

٧ ـ معاني الأخبار: ص ٥٩، ح ٩، س ٩ باب معاني أسماء محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، والأئمة عليهم السلام.

ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالْأَخِرَةِ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَـٰهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾: زيغاً وميلاً عمّا هو عليه.

﴿وَهُم بِالْأَخِرَةِ كَـٰفِرُونَ * وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾: أي بين الفريقين لقوله: «فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ»[1] أو بين الجنّة والنّار ليمنع وصول إحداهما إلى الأُخرى.

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾: أعراف الحجاب أي أعاليه.

﴿رِجَالٌ﴾: من الموحّدين العارفين المعروفين.

﴿يَعْرِفُونَ كُلاًّ﴾: من أهل الجنّة والنّار.

﴿بِسِيمَـٰهُمْ﴾: بعلامتهم الّتي أعلمهم الله بها لأنّهم من المتوسّمين أهل الفراسة.

في المجمع[2]، والجوامع: عن أمير المؤمنين عليه السلام نحن نوقف يوم القيامة بين الجنّة والنّار، فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنّة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النّار[3].

وفيهما[4]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام الأعراف: كثبان[5] بين الجنّة والنّار، والرّجال:

١ـ الحديد: ١٣.

٢ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٢٣. وفيه: «نقف»

٣ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٤٠.

٤ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٢٣، وجوامع الجامع: ج ١، ص ٤٣٨.

٥ـ الكثبان: جمع كثيب: وهي تلال الرّمل. الصحاح: ج ١، ص ٢٠٩، مادة «كثب».

الأئمّة صلوات الله عليهم ويأتي تمام الحديث[١].

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الّذين لا يعرف الله عزّ وجلّ إلّا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يوقفنا الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصراط فلا يدخل الجنّة إلّا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النّار إلّا من أنكرنا وأنكرناه[٢].

ومثله في البصائر[٣]، والإحتجاج: إلّا أنّه قال: نوقف يوم القيامة بين الجنّة والنّار ولا يدخل الجنّة الحديث.. وزاد في آخره وذلك بأنّ الله تبارك وتعالى لو شاء عَرَّفَ النّاس نفسه حتّى يعرفوا حدّه ويأتوه من بابه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله، وبابه الّذي يؤتى منه[٤].

والعيّاشي: ما يقرب منه[٥]، وعن سلمان: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول لعليّ عليه السلام: أكثر من عشر مرّات يا عليّ إنّك والأوصياء من بعدك أعراف بين الجنّة والنّار، ولا يدخل الجنّة إلّا من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النّار إلّا من أنكركم وأنكرتموه[٦].

وعن الباقر عليه السلام: هم آل محمّد عليهم السلام لا يدخل الجنّة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النّار إلّا من أنكرهم وأنكروه[٧]، ورواه في المجمع أيضاً[٨].

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣١.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ١٨٤، ح ٩، باب معرفة الإمام والرد إليه.

٣ ـ بصائر الدرجات: ص ٥١٦ ـ ٥١٧، ح ٦، باب ١٦ ـ في الأئمّة أنّهم الذين ذكرهم الله يعرفون أهل الجنّة والنّار. وفيه: «حتى يعرفوه ويوحدوه».

٤ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٣٨. احتجاجه عليه السلام على بعض اليهود وغيره في أنواع شتى من العلوم. وفيه: «حتى يعرفوا وحده».

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١٩، ح ٤٩.

٦ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٨، ح ٤٤.

٧ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٨، ح ٤٥.

٨ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٢٣.

وفي البصائر: عنه عليه السلام الرّجال: هم الأئمّة من آل محمد عليهم السلام، والأعراف: صراط بين الجنّة والنّار، فمن شفع له الأئمة منّا من المؤمنين المذنبين نجا، ومن لم يشفعوا له هوى[1].

وفيه عنه عليه السلام: قال: نحن أُولئك الرّجال، الأئمّة منّا يعرفون من يدخل النّار، ومن يدخل الجنّة كما تعرفون في قبائلكم الرّجل منكم يعرف من فيها من صالح أو طالح[2].

والأخبار في هذا المعنى كثيرة وزاد في بعضها لأنّهم عرفاء العباد عرّفهم الله إيّاهم عند أخذ المواثيق عليهم بالطّاعة فوصفهم في كتابه فقال: «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلًّا بسيماهم» وهم الشّهداء على النّاس والنّبيّون شهداؤهم بأخذهم[3] لهم مواثيق العباد بالطّاعة[4].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام كلّ أُمّة يحاسبها إمام زمانها ويعرف الأئمّة أولياءهم وأعداءهم بسيماهم وهو قوله: «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلّاً بسيماهم» فيعطون أولياءهم كتابهم بيمينهم فيمرّوا إلى الجنّة بلا حساب، ويعطون أعداءهم كتابهم بشمالهم فيمرّوا إلى النّار بلا حساب[5].

وفي البصائر[6]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عن أصحاب الأعراف فقال: إنّهم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم فقصرت بهم الأعمال وإنّهم لَكَمَا قال الله عزّ وجلّ[7].

---

١ ـ بصائر الدرجات: ص ٥١٦، ح ٥، باب ١٦ ـ في الأئمة أنّهم الذين ذكرهم الله يعرفون أهل الجنّة والنار.

٢ ـ بصائر الدرجات: ص ٥١٥ ـ ٥١٦، ح ١، باب ١٦ ـ في الأئمّة أنّهم الذين ذكرهم الله يعرفون أهل الجنّة والنار.

٣ ـ أي بأخذ النبيّين للأئمّة عليهم السلام. منه قدّس سرّه.

٤ ـ بصائر الدرجات: ص ٥١٨، ح ٩، باب ١٦ ـ في الأئمّة أنّهم الذين ذكرهم الله يعرفون أهل الجنّة والنّار.

٥ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٨٤.

٦ ـ لم نعثر عليه في بصائر الدرجات بل وجدناه في الكافي: ج ٢، ص ٤٠٣، ذيل ح ٢، باب ١ الضلال. وج ٢، ص ٤٠٨، ح ١، باب أصحاب الأعراف.

٧ ـ لم نعثر عليه في تفسير القمي بل وجدناه في الكافي: ج ٢، ص ٤٠٣، ذيل ح ٢، باب ١ الضلال. وج ٢، ص ٤٠٨، ح ١، باب أصحاب الأعراف.

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عنهم فقال: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فإن أدخلهم النّار فبذنوبهم، وإن أدخلهم الجنّة فبرحمته[١].

وفي رواية العيّاشي: وإن أدخلهم الله الجنّة فبرحمته وإن عذّبهم لم يظلمهم[٢].

أقول: لا منافات بين هاتين الرّوايتين، وبين ما تقدّمها من الأخبار كما زعمه الأكثرون، لأنّ هؤلاء القوم يكونون مع الرّجال الّذين على الأعراف وكلاهما أصحاب الأعراف. يدل على ما قلناه صريحاً حديث الجوامع[٣]، والقمّي[٤]، والآيتان في آخر هذه الآيات فإنّهما تدلّان على أنّه يكون على الأعراف الأئمّة عليهم السلام مع مذنبي أهل زمانهم من شيعتهم، والوجه في إطلاق لفظ الأعراف على الأئمّة عليهم السلام كما ورد في عدّة من الأخبار الّتي سبقت: أنّ الأعراف إن كان اشتقاقها من المعرفة فالأنبياء والأوصياء هم العارفون والمعروفون والمعرّفون الله والنّاس للنّاس في هذه النّشأة وإن كان من العرف بمعنى المكان العالي المرتفع فهم الّذين من فرط معرفتهم وشدّة بصيرتهم كأنّهم في مكان عال مرتفع ينظرون إلى سائر النّاس في درجاتهم ودركاتهم ويميّزون السّعداء عن الأشقياء على معرفة منهم بهم وهم بعد في هذه النشأة، وكذلك بعض من سار سيرتهم من شيعتهم كما يدلّ عليه حديث حارثة بن النّعمان الّذي كان ينظر إلى أهل الجنّة يتزاورون في الجنّة، وإلى أهل النّار يتعاوون في النّار وكان بعد في الدنيا، وحديثه مرويّ في الكافي[٥].

﴿وَنَادَوْاْ﴾: يعني ونادى أصحاب الأعراف أُريد بهم من كان مع الأئمّة عليهم السلام على الأعراف من مذنبي شيعتهم الّذين استوت حسناتهم وسيّئاتهم.

﴿أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾: أي إذا نظروا إليهم سلّموا عليهم.

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٨١، ح ١، باب أصناف الناس.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٨، ح ٤٦.

٣ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٣٨.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣١.

٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٤، ح ٣، باب حقيقة الإيمان واليقين.

وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَـٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ﴾: تعوذاً بالله.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: أي في النّار، وفي المجمع: أنّ في قراءة الصّادق عليه السلام قالوا ربّنا عائذاً بك أن تجعلنا مع القوم الظّالمين[1].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾: أي الأئمّة.

﴿رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾: من رؤساء الكفّار.

﴿قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾: في الدّنيا.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن الحقّ.

﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾: من تتمّة قول الأئمّة للرّجال والإشارة إلى شيعتهم الّذين كانوا معهم على الأعراف الّذين كانت الكفرة يحقّرونهم[2] في الدّنيا ويحلفون أنّ الله لا يدخلهم الجنّة.

﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾: أي فالتفتوا إلى أصحابهم، وقالوا لهم: أُدخلوها لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٢٤، س ٤.

٢ ـ وفي نسخة: [يحتقرونهم].

خليفة نبيّ مع المذنبين من أهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضّعفاء من جنده وقد سبق المحسنون إلى الجنّة، فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه اُنظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سبقوا إلى الجنّة فيسلّم عليهم المذنبون وذلك قوله: «سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون» أن يدخلهم الله أيّاها بشفاعة النّبي ﷺ والإمام عليه السلام وينظر هؤلاء المذنبون إلى أهل النّار فيقولون: «ربّنا لا تجعلنا مع القوم الظّالمين»[1].

وينادي أصحاب الأعراف وهم الأنبياء والخلفاء رجالاً من أهل النّار ورؤساء الكفّار ويقولون لهم: مقرّعين «ما أغنى عنكم جمعكم» واستكباركُم «أهؤلاء الّذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة» إشارة لهم إلى أهل الجنّة الّذين كان الرّؤساء يستضعفونهم ويحتقرونهم بفقرهم، ويستطيلون عليهم بدنياهم، ويقسمون أنّ الله لا يدخلهم الجنّة «ادخلوا الجنّة» يقول أصحاب الأعراف لهؤلاء المستضعفين: عن أمر من أمر الله عزّ وجلّ لهم بذلك: «ادخلوا الجنّة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون» أي لا خائفين ولا محزونين[2].

والقمّي: عنه عليه السلام الأعراف: كثبان[3] بين الجنّة والنّار، والرّجال: الأئمّة عليهم السلام يقفون على الأعراف مع شيعتهم، وقد سبق المؤمنون إلى الجنّة فيقول الأئمّة لشيعتهم من أصحاب الذّنوب: اُنظروا إلى إخوانكم في الجنّة وقد سبقوا إليها بلا حساب، وهو قول الله تعالى: «سلام عليكم ولم يدخلوها وهم يطمعون» ثمّ يقال لهم: انظروا إلى أعدائكم في النّار، وهو قوله: «وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النّار قالوا ربّنا لا تجعلنا مع القوم الظّالمين * ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم» في النّار فقالوا: «ما أغنى عنكم جمعكم» في الدّنيا «وما كنتم تستكبرون» ثمّ يقولون[4] لمن في النّار من أعدائهم هؤلاء

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩. وفيه: «وقد سبق المحسنون»... «وقد سبقوا إلى الجنّة».

٢ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

٣ ـ الكثيب: الرمل المستطيل المحدوب، والجمع «كُثُب» بضمتين و «كثبان». مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٥٦، مادة «كثب».

٤ ـ أي كلّ واحد واحد من النبيين والأوصياء لمن في النّار من أعدائهم في حق امتهم وشيعتهم هؤلاء... إلى آخره. منه قدّس سرّه.

وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَـٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

شيعتي وإخواني الّذين كنتم أنتم تحلفون في الدّنيا «لا ينالهم الله برحمة»، ثم يقول الأئمة عليهم السلام لشيعتهم: «أُدخلوا الجنّة لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون»[١].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾: أي صبوه وذلك لأنّ الجنّة فوق النّار.

﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: من الأطعمة والفواكه، العيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام قال: إنّ أهل النّار يموتون عطاشا، ويدخلون قبورهم عطاشا، ويدخلون جهنّم عطاشا، فيرفع لهم قراباتهم من الجنّة فيقولون: «أفضيوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله»[٢].

وعن الصّادق عليه السلام: يوم التّناد: يوم ينادي أهل النّار أهل الجنّة «أن أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله»[٣].

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾: حرّم شراب الجنّة وطعامها.

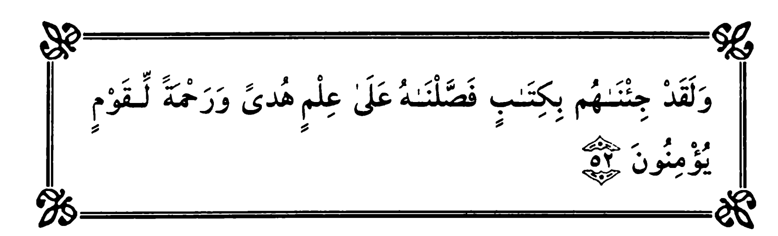
﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ * ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ﴾: الذي كان يلزمهم التديّن به.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٩، ح ٤٩.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٩، ح ٥٠.



﴿لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: فحرّموا ما شاؤوا واستحلّوا[١] ما شاؤوا.

﴿فَالْيَوْمَ نَنسَـٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا﴾: في العيون: عن الرضا عليه السلام: في حديث أي نتركهم كما تركوا الإستعداد للقاء يومهم هذا، وقال: إنّما يجازي من نسيه ونسي لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم كما قال تعالى: «ولا تكونوا كالّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أُولئك هم الفاسقون»[٢][٣].

وفي التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسيره يعني بالنّسيان أنّه لم يثبهم كما يثيب أولياءه الّذين كانوا في دار الدّنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به، وبرسله وخافوه في الغيب، وقد يقول العرب في باب النّسيان: قد نسينا فلان فلا يذكرنا أي أنّه لا يأمر لهم بخير ولا يذكرهم به[٤].

﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: وكما كانوا منكرين لآياتنا.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ﴾: بيّنا معانيه من العقائد، والأحكام، والمواعظ، مفصّلة.

---

١ ـ استحلّه اتخذه حلالاً وسأله أن يحله له، وهو المراد هاهنا لو قرئ بصيغة المجهول، والصحيح حرّموا بصيغة الفاعل فالمعنى حرّموا ما شاؤوا ممّا حلل الله، وأحلوا واستحلوا ما شاؤوا ممّا حرّم الله عليه في دار الدنيا. منه قدس سره.

٢ ـ الحشر: ١٩.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٢٥، ح ١٨، باب ١١ ـ ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليه السلام من الأخبار في التوحيد.

٤ ـ التوحيد: ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠، ح ٥، والحديث طويل، باب ٢٦ ـ الرد على الثنويّة والزنادقة.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: عالمين بوجه تفصيله حتّى جاء حكيماً.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هَلْ يَنظُرُونَ﴾: هل ينتظرون.

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾: ما يؤول إليه أمره من تبيين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد.

﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾: قيل: يوم القيامة[1].

والقمّي: ذلك في قيام القائم عليه السلام ويوم القيامة[2].

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾: تركوه ترك الناسي.

﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾: أي قد تبيّن أنّهم جاؤوا بالحقّ.

﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾: اليوم.

﴿أَوْ نُرَدُّ﴾: إلى الدنيا.

﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بصرف أعمارهم[3] في الكفر.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: بطل عنهم فلم ينفعهم.

---

١ ـ قاله العمادي في تفسيره أبي السعود: ج ٣، ص ٢٣٢.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٦.

٣ ـ وفي نسخة: [أعمالهم].

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: القمّي: قال: في ستّة أوقات[١].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام ولو شاء أن يخلقها في أقلّ من لمح البصر لخلق ولكنّه جعل الأناة والمداراة أمثالاً لأمنائه وإيجاباً للحجّة على خلقه[٢].

وفي العيون: عن الرّضا عليه السلام: وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين، ولكنّه عزّ وجلّ خلقها في ستّة أيّام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء فيستدلّ بحدوث ما يحدث على الله تعالى مرّة بعد مرّة[٣].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام: إنّ الله خلق الخير يوم الأحد، وما كان ليخلق الشرّ قبل الخير، وفي الأحد والأثنين خلق الأرضين، وخلق أقواتها يوم الثّلاثاء، وخلق السّماوات يوم الأربعاء ويوم الخميس، وخلق أقواتها يوم الجمعة، وذلك قوله تعالى: «خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستّة أيّام»[٤][٥].

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٦.

٢ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٩. احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٣٤ ـ ١٣٥، ح ٣٣، باب ١١ ـ ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار في التوحيد.

٤ ـ السجدة: ٤.

٥ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٤٥، ح ١١٧. وفيه: «وفي يوم الأحد والأثنين».

أقول: هذه الآية مشتملة على قوله: «وما بينهما» إنّما هي في سورة الفرقان[١]، وفي سورة السجدة التّالية للقمان[٢] ويستفاد منها ومن هذا الحديث وأمثاله ممّا ورد من هذا القبيل أنّ ما بينهما أيضاً داخل في المقصود من الآية التي نحن بصدد تفسيرها.

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى خلق الدّنيا في ستّة أيّام ثم اختزلها[٣] عن أيّام السّنة، والسّنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً[٤].

وفي الفقيه[٥]، والتّهذيب: عنه عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى خلق السنة ثلثمائة وستّين يوماً، وخلق السماوات والأرض في ستّة أيّام فحجزها[٦] من ثلاثمائة وستّين يوماً فالسّنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً، الحديث[٧].

وفي الخصال[٨]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام ما يقرب منه[٩].

إن قيل: إنّ الأيّام إنّما تتقدّر وتتمايز بحَرَكة الفلك فكيف خلقت السّماوات والأرض في الأيّام المتمايزة قبل تمايزها.

قلنا: مناط تمايز الأيّام وتقدّرها إنّما هو حركة الفلك الأعلى دون السماوات السّبع والمخلوق في الأيّام المتمايزة إنّما هو السماوات السّبع والأرض وما بينهما دون ما فوقهما، ولا يلزم من ذلك خلأ لتقدّم الماء الّذي خلق منه الجميع على الجميع، وليعلم

---

١ ـ الفرقان: ٥٩. ٢ ـ السجدة: ٤.

٣ ـ انخزل الشيء: أي انقطع، والاختزال: الاقتطاع. الصحاح: ج ٤، ص ١٦٨٤. مادة «خزل».

٤ ـ الكافي: ج ٤، ص ٧٨، ح ٢، باب النادر.

٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١١٠ ـ ١١١، ح ٤٧٢/ ٤، باب ٥٨ النوادر.

٦ ـ أي فصلها عنها، وجعل في طرفه منها كالحاشية للشيء. منه قدس سره.

٧ ـ تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٧١ ـ ١٧٢، ح ٤٨٤/٥٦، باب ٤١ ـ علامة أوّل شهر رمضان وآخره ودليل دخوله.

٨ ـ الخصال: ص ٤٨٦، ح ٦٢، أبواب الأثنى عشر ـ الشهور إثنا عشر شهراً.

٩ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٠، ح ٧.

إنّ هذه الآية وأمثال هذه الأخبار من المتشابهات الّتي تأويلها عند الرّاسخين في العلم.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام يعني استوى تدبيره وعلا أمره[١]، وعن الكاظم عليه السلام: استولى على ما دقّ وجلّ[٢].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام: استوى على كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء[٣]، وفي رواية أُخرى استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء[٤].

وفي أُخرى استوى في كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب استوى في كلّ شيء[٥].

أقول: قد يراد بالعرش الجسم المحيط بجميع الأجسام، وقد يراد به ذلك الجسم مع جميع ما فيه من الأجسام أعني العالم الجسماني بتمامه، وقد يراد به ذلك المجموع مع جميع ما يتوسّط بينه وبين الله سبحانه من الأرواح الّتي لا تتقوّم الأجسام إلّا بها أعني العوالم كلّها بملكها وملكوتها وجبروتها، وبالجملة ما سوى الله عزّ وجلّ، وقد يراد به علم الله سبحانه المتعلّق بما سواه، وقد يراد به علم الله سبحانه الّذي اطّلع عليه أنبياءه ورسله وحججه صلوات الله عليهم، وقد وقعت الإشارة إلى كلّ منها في كلامهم عليهم السلام، وربما يفسّر بالملك والإستواء بالإحتواء كما يأتي في سورة طه[٦]، ويرجع إلى ما ذكر.

---

١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٣. احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٢ ـ معاني الأخبار: ص ٤، ح ١، باب معنى الله عزّ وجلّ. والتوحيد: ص ٢٣٠، ح ٤، باب ٣١ ـ معنى بسم الله الرحمن الرحيم.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ١٢٧، ح ٦، في قوله: «الرحمن على العرش استوى».

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ١٢٨، ح ٧، في قوله: «الرحمن على العرش استوى».

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ١٢٨، ح ٨، في قوله: «الرحمن على العرش استوى».

٦ ـ طه: ٥.

ثمّ أقول: فسّر الصّادق عليه السلام الإستواء في روايات الكافي: باستواء النّسبة والعرش بمجموع الأشياء وضمّن الإستواء في الرّواية الأُولى ما يتعدى بـ على كالإستيلاء والإشراف ونحوهما لموافقته القرآن فيصير المعنى استوى نسبته إلى كلّ شيء حال كونه مستولياً على الكلّ ففي الآية دلالة على أنّ نفي المكان عنه سبحانه خلاف ما يفهمه الجمهور منها، وفيها أيضاً إشارة إلى معيّته القيّوميّة واتّصاله المعنويّ بكلّ شيء على السّواء على الوجه الّذي لا ينافي أحدّيته وقدس جلاله وإلى إفاضة الرّحمة العامّة على الجميع على نسبة واحدة وإحاطة علمه بالكلّ بنحو واحد وقربه من كل شيء على نهج سواء وأتى بلفظة «من» في الرواية الثّانية تحقيقاً لمعنى الإستواء في القرب والبعد وبلفظة «في» في الثالثة تحقيقاً لمعنى ما يستوي فيه، وأمّا اختلاف المقرّبين كالأنبياء والأولياء مع المبعّدين كالشّياطين والكفّار في القرب والبعد فليس ذلك من قبله سبحانه بل من جهة تفاوت أرواحهم في ذواتها.

وفي التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الجاثليق قال: إنّ الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما يظنّ كهيئة السّرير، ولكنّه شيء محدود مخلوق مدبرّ وربك عزّ وجلّ مالكه لا أنّه عليه ككون الشّيء على الشّيء[١].

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: يغطّيه به، وقرئ بالتّشديد.

﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾: يعقّبه سريعاً كالطّالب له لا يفصل بينهما شيء.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: وقرئ برفع الكلّ.

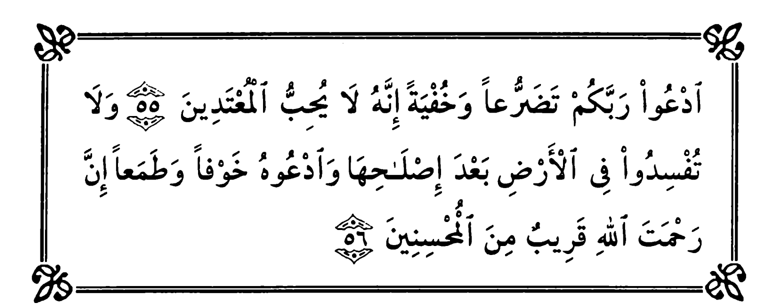
﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾: عالم الأجسام.

﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: عالم الأرواح.

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: تعالى بالوحدانيّة في الأُلوهيّة، وتعظّم بالفردانيّة في الرّبوبيّة.

---

١ ـ التوحيد: ص ٣١٦، ح ٣، باب ٤٨ ـ معنى قول الله عزّ وجلّ: «الرحمن على العرش استوى».



﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾: ذوي تضرّع وخفية فإنّ الإخفاء أقرب إلى الإخلاص، وقرئ بكسر الخاء.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: المجاوزين ما أُمروا به في الدعاء وغيره.

في المجمع: عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه كان في غزاة فأشرف على واد فجعل النّاس يهلّلون ويكبّرون ويرفعون أصواتهم، فقال: يا أيّها النّاس اربعوا[1] على أنفسكم أما أنّكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً، إنّكم تدعون سميعاً قريباً إنّه معكم[2].

وفي مصباح الشّريعة: عن الصّادق عليه السلام استعن بالله في جميع أُمورك متضرّعاً إليه آناء الليل والنّهار، قال الله تعالى: «ادعوا ربّكم تضرّعاً وخُفْيَةً إنّه لا يحبّ المعتدين» والإعتداء من صفة قرّاء زماننا هذا وعلامتهم[3].

﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بالكفر والمعاصي.

﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾: ببعث الأنبياء، وشرع الأحكام.

في الكافي[4]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّ الأرض كانت فاسدة فأصلحها الله

---

١ ـ رَبَعَ ـ كمَنَعَ ـ: وقف وانتظر وتحبس. ومنه قولهم: أربع عليك أو على نفسك أو على ظلعك. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٢٤.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٢٩.

٣ ـ مصباح الشريعة: ص ٥٨.

٤ ـ الكافي: ج ٨، ص ٥٨، ح ٢٠.

عزّ وجلّ بنبيّه، فقال: «ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها»[١].

والقمّي: أصلحها برسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين عليه السلام فأفسدوها حين تركوا أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾: ذوي خوف من الرّد لقصور أعمالكم، وعدم استحقاقكم وطمعاً في إجابته تفضّلاً وإحساناً لفرط رحمته.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللهِ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: ترجيح للطّمع، وتنبيه على ما يتوصل[٣] به إلى الإجابة، في الفقيه: في وصيّة النّبي لعليّ (صلوات الله وسلامه عليهما) يا عليّ من خاف ساحراً أو شيطاناً فيقرأ «إنّ ربّكم ٱلله الّذي خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام» الآية[٤][٥].

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام من بات بأرض قفر فقرأ هذه الآية «إنّ ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيّام» إلى قوله: «تبارك الله ربّ العالمين»[٦] حرسته الملائكة وتباعدت عنه الشّياطين، قال: فمضى الرّجل فإذا هو بقرية خراب فبات فيها ولم يقرأ هذه الآية فتغشّاه الشّياطين فإذا هو أُخِذَ بخطمه فقال له صاحبه: أَنْظِرْهُ واستيقظ الرّجل فقرأ الآية فقال الشّيطان لصاحبه: أرغم الله أنفك أحرسه الآن حتّى يصبح فلمّا أصبح رجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره، وقال له رأيت في كلامك الشّفاء والصّدق، ومضى بعد طلوع الشّمس فإذا هو بأثر شعر الشّيطان مجتمعاً في الأرض، الحديث[٧].

١ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٩، ح ٥١.
٢ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٦.
٣ـ وفي نسخة: [يتوسل].
٤ـ الأعراف: ٥٤، ويونس: ٣.
٥ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٦٩، ح ٤، باب ١٧٦ ـ النوادر وهو آخر أبواب الكتاب. وفيه: «يا علي من خاف».
٦ـ الأعراف: ٥٤.
٧ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٢٦، ح ٢١، والحديث طويل، باب فضل القرآن.

وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرَا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾: وقرئ الريح.

﴿بُشْرَا﴾[١]: جمع نشور بمعنى ناشر، وقرئ بالتّخفيف وبفتح النّون، وبالباء مخفّفة جمع بشير.

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾: قدّام رحمته يعني المطر فان الصّبا[٢] تثير السّحاب، والشّمال تجمّعهُ، والجنوب تجلبه، والدّبور تفرّقه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾: حملت.

﴿سَحَابًا﴾: سحائب.

﴿ثِقَالًا﴾: بالماء.

﴿سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: لإحيائه، وقرئ بتخفيف الياء.

﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: من كلّ أنواعها.

﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: نحييهم ونخرجهم من الأجداث.

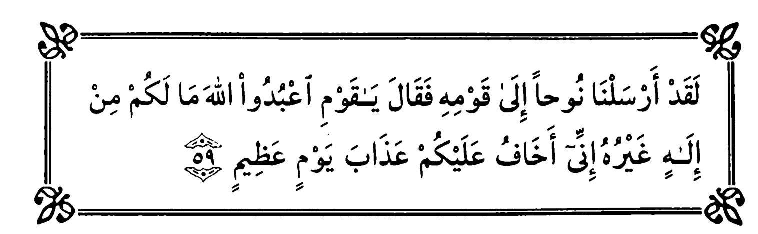
﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: فتعلمون أنّ من قدر على ذلك قدر على هذا.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾: الأرض الكريمة التربة.

---

١ ـ هكذا في المصحف، وفي النسخة المخطوطة: «نُشراً» جمع نشور بمعنى ناشر إلى آخر ما ذكره مِنْهُ.

٢ ـ الصبا: ما يهبُّ من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار، والدبور: ما يهبُّ من مقابله. منه مِنْهُ.



﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: بأمره وتيسّره، عبّر به عن كثرة النّبات وحسنه وغزارة[1] نفعه بقرينة المقابلة.

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾: كالحرّة[2] والسبخة[3].

﴿لَا يَخْرُجُ﴾: نباته.

﴿إِلَّا نَكِداً﴾: قليلاً عديم النّفع.

﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَـٰتِ﴾: نردّدُها ونكرّرها.

﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾: نعمة الله فيتفكّرون فيها ويعتبرون بها.

قيل: الآية مثل لمن تدبّر الآيات وانتفع بها، ولمن لم يرفع إليها رأساً ولم يتأثّر بها[4].

والقمّي: مثل للأئمّة عليهم السلام يخرج علمهم بإذن ربّهم ولأعدائهم لا يخرج علمهم إلّا كدراً فاسداً[5].

وفي المناقب: قال عمرو بن العاص للحسين: ما بال لحاكم أوفر من لحانا فقرأ عليه السلام هذه الآية[6].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: جواب قسم محذوف.

---

١ ـ غزر الماء بالضم غَزَاراً وَغِزَارَة: كثر فهو غزير، أي كثير: مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٢٤، مادة «غزر».

٢ ـ الحرّة ـ بالفتح والتّشديد ـ: أرض ذات أحجار سود. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٦٣. مادة «حرر».

٣ ـ السبخة ـ بالفتح ـ: واحده السباخ وهي أرض مالحة يعلوها الملوحة ولاتكاد تنبت إلّا بعض الأشجار. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤٣٣، مادة «سبخ».

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٥٣.

٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٦.

٦ ـ المناقب لابن شهرآشوب: ج ٤، ص ٦٧، في مكارم أخلاقه عليه السلام.

قيل: هو نوح بن ملك بن متوشلخ بن إدريس أوّل نبيّ بعده[١].

والقمّي: روى في الخبر أنّ اسم نوح عبدالغفّار، وإنّما سمّي نوحاً لأنّه كان ينوح على نفسه[٢].

وفي العلل: عن الصّادق عليه السلام مثله[٣]، قال: وفي رواية اسمه عبدالأعلى[٤]، وفي أُخرى عبدالملك[٥]. وفي رواية إنّما سمي نوحاً لأنّه بكى خمسمائة عام[٦].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في حديث إنّ آدم عليه السلام بشّر بنوح عليه السلام وأنّه يدعو إلى الله ويكذّبه قومه فيهلكهم الله بالطّوفان وأوصى ولده أنّ من أدركه منكم فليؤمن به وليتّبعه فإنّه ينجو من الغرق، وكان بينهما عشرة آباء أنبياء وأوصياء، وكانوا مستخفين ولذلك خفي ذكرهم في القرآن[٧].

وفيه[٨]، والعيّاشي: عنه عليه السلام كانت شريعة نوح أن يعبد الله بالتّوحيد، والإخلاص، وخلع الأنداد، وهي الفطرة التّي فطر النّاس عليها، وأخذ الله ميثاقه على نوح والنّبيين أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأمره بالصلاة والأمر بالمعروف والنّهي على المنكر والحلال والحرام ولم يفرض عليه أحكام حدود، ولا فرض مواريث، فهذه شريعته[٩].

﴿فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: اعبدوه وحده.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٥٣.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٢٨.

٣ ـ علل الشرائع: ص ٢٨، ح ١، باب ٢٠ ـ العلّة التي من أجلها سمّي نوح عليه السلام نوحاً.

٤ ـ علل الشرائع: ص ٢٨، ح ٣، باب ٢٠ ـ العلّة التي من أجلها سمي نوح عليه السلام نوحاً.

٥ ـ علل الشرائع: ص ٢٨، ح ٢، باب ٢٠ ـ العلّة التي من أجلها سمي نوح عليه السلام نوحاً.

٦ ـ علل الشرائع: ص ٢٨، ح ٣، باب ٢٠ ـ العلّة التي من أجلها سمي نوح عليه السلام نوحاً.

٧ ـ الكافي: ج ٨، ص ١١٤، ح ٩٢، والحديث طويل جداً حديث آدم عليه السلام مع الشجرة.

٨ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣، ح ٤٢٤. حديث نوح عليه السلام والسفينة.

٩ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٤٤، ح ١٨.

قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾

﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ﴾: وقرئ بالجرّ.

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: إن لم تؤمنوا. و«اليوم»: يوم القيامة، أو يوم الطّوفان.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: الذين.

﴿مِن قَوْمِهِۦ﴾: أي الأشراف.

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ﴾: متمكّناً في ذهاب عن الحقّ والصواب.

﴿مُّبِينٍ﴾: بيّن.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ﴾: شيء من الضّلالة بالغ في النّفي كما بالغوا في الإثبات.

﴿وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: على غاية من الهدى.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى﴾: ما أوحي إليّ في الأوقات المتطاولة، وفي المعاني المختلفة، وقرئ ابلغكم بالتّخفيف، ورسالة بالوحدة.

﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾: في زيادة اللّام دلالة على إمحاض النّصيحة.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾: من صفاته وشدّة بطشه أو من جهته بالوحي.

﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أشياء لا علم لكم بها.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾: الهمزة للإنكار، والواو للعطف على محذوف أي أكذبتم وعجبتم.

فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْماً عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾

﴿أَن جَآءَكُمْ﴾: من إن جاءكم.

﴿ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: موعظة منه.

﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾: على لسان رجل.

﴿مِّنكُمْ﴾: وذلك أنّهم تعجّبوا من إرسال البشر.

﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾: ليحذرّكم عاقبة الكفر والمعاصي.

﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾: بسبب الإنذار.

﴿ولَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: بالتّقوى.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾: وهم من آمن به.

﴿فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾: بالطوفان.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْماً عَمِينَ﴾: عمى القلب غير متبصّرين، وأصله عميّين ويأتي تمام قصّة نوح عليه السلام في سورة هود[1] إن شاء الله.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾: وأرسلنا إلى عاد.

﴿أَخَاهُمْ هُوداً﴾: يعني بالأخ الواحد منهم كقولهم: يا أَخَا العرب للواحد منهم.

والعيّاشي: عن السّجاد عليه السلام إنّه قيل له: إنّ جدّك قال: إخواننا بغوا علينا فـقاتلناهم على بغيهم، فقال: ويلك أما تقرأ القرآن؟ «وإلى عاد أخاهم هوداً، وإلى مدين أخاهم شعيباً،

---

١ ـ ذيل الآية: ٤٠و ٤٤و ٤٩.

وإلى ثمود أخاهم صالحاً» فهم مثلهم وكانوا إخوانهم في عشيرتهم وليسوا إخوانهم في دينهم[١].

وفي رواية أُخرى: قال: فأهلك الله عاداً وأنجى هوداً، وأهلك الله ثموداً وأنجى صالحاً[٢].

وفي الإحتجاج: ما يقرب من الروايتين[٣].

قيل: إنّما جعل واحداً منهم ليكونوا إليه أسكن، وبحاله أعرف[٤].

وقيل: هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن عم أبي عاد[٥]، وقيل: عاد جدّ هود[٦].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في حديث وبشّر نوح ساماً بهود وقال: إنّ الله باعث نبيّاً يقال له: هود، وإنّه يدعو قومه إلى الله فيكذّبونه فيهلكهم بالرّيح فمن أدركه منهم فليؤمن به وليتّبعه وكان بينهما أنبياء[٧].

وفي الإكمال: عن الصّادق عليه السلام لمّا حضرت نوحاً الوفاة دعا الشّيعة فقال لهم: إعلموا أنّه سيكون من بعدي غيبة يظهر فيها الطّواغيت، وأنّ الله عزّ وجلّ سيفرّج عليكم بالقائم من ولدي اسمه هود له سمت وسكينة ووقار يشبهني في خَلقي وخُلقي[٨].

وعنه عليه السلام: إنّ هوداً لمّا بعث سلّم له العقب من ولد سام، وأمّا الآخرون فقالوا: من

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٠، ح ٥٣.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٥١ ـ ١٥٢، ح ٤٣.
٣ ـ الإحتجاج: ج ٢، ص ٤٠، احتجاجه عليه السلام في أشياء شتى من علوم الدين، وذكر طرف من مواعظه البليغة.
٤ ـ أي بصدقه وأمانته لأنّه منهم وهم أفهم لكلامه. راجع تفسير أبي السعود: ج ٣، ص ٢٣٧.
٥ ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ١١٦، س ٨، وراجع تفسير البيضاوي: ج ١، ص ٣٥٤.
٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٥٤.
٧ ـ الكافي: ج ٨، ص ١١٥، ح ٩٢، والحديث طويل جداً، حديث آدم مع الشجرة.
٨ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٣٥، ح ٤، باب ٢ ـ في ذكر ظهور نوح عليه السلام بالنبوة بعد ذلك.

قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

أشدّ منّا قوّة فأُهلكوا بالريح العقيم، وأوصاهم هود، وبشّرهم بصالح[١].

وفيه عن الباقر عليه السلام: إنّ الأنبياء بعثوا خاصّة وعامّة، وأمّا هود: فإنّه أُرسل إلى عاد بنبوّة خاصّة[٢].

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: عذاب الله.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾: متمكّناً في خفّة عقل راسخاً فيها حيث فارقت دين قومك.

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ﴾: فيما أدعوكم من توحيد الله وطاعته.

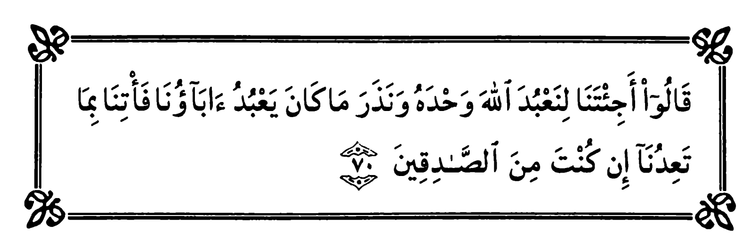
﴿أَمِينٌ﴾: ثقة مأمون في تأدية الرّسالة فلا أكذب ولا أُغيّر.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾: مضى

---

١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٣٦، ح ٥، باب ٢ ـ في ذكر ظهور نوح عليه السلام بالنبوة بعد ذلك.

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢١٩ ـ ٢٢٠، ح ١، باب ٢٢ ـ اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام وأنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله عزّ وجلّ على خلقه إلى يوم القيامة.



تفسيره، وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا، والإعراض عن مقابلتهم بمثلها مع علمهم بأنّهم أضلّ الخلق، وأسفههم أَدَبٌ حَسَنٌ، وحكاية الله ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السّفهاء ويدارونهم.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾: أي خلّفتموهم في الأرض بعد هلاكهم بالعصيان.

﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً﴾: قامة وقوّة.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام كانوا كالنّخل الطّوال، وكان الرّجل منهم ينحو الجبَل بيده فيهدم منه قطعة[1].

﴿فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لكي يفضي بكم ذكر النّعم إلى الشّكر المؤدّي إلى الفلاح.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام أتدري ما آلاء الله؟ قيل: لا، قال: هي أعظم نعم الله على خلقه، وهي ولايتنا[2].

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾: استبعدوا اختصاص الله تعالى بالعبادة، والإعراض عمّا أشرك به آباؤهم إنهماكاً في التّقليد، وحبّاً لما ألفوه.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: من العذاب المدلول عليه بقوله: «أفلا تتّقون».

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٣٧.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٢١٧، ح ٣، باب أنّ النعمة التي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه: الأئمّة عليهم السلام.

قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ فَانتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: فيه.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾: وجب.

﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾: عذاب، من الإرتجاس وهو الإضطراب.

﴿وَغَضَبٌ﴾: إرادة انتقام.

﴿أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾: في أشياء ما هي إلّا أسماء ليس تحتها مسمّيات لأنّكم سمّيتموها آلهةً، ومعنى الآلهيّة فيها معدوم ونحوه ما تـدعون مـن دونه من شيء.

﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ﴾: من حجّة، ولو استحقّت للعبادة لكان استحقاقها بإنزال آية من الله ونصب حجّة منه.

﴿فَانتَظِرُوٓاْ﴾: نزول العذاب.

﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ * فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾: في الدّين.

﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: عليهم.

﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾: يعني استأصلناهم وكان ذلك بأن أنشأ الله سبحانه سحابة سوداء زعموا أنّها ممطرهم فجاءتهم منها ريح عـقيم فأهلكتهم.

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمْ هَـٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَـةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

وفي الكافي[١]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام الرّيح العقيم: تخرج من تحت الأرضين السّبع، وما خرجت منها ريح قطّ إلّا على قوم عاد حين غضب الله عليهم فأمر الخزّان أن يخرجوا منها مثل سعة الخاتم فعتت على الخزّان فخرج منها على مقدار منخر الثّور تغيّظاً منها على قوم عاد، فضجّ الخزنة إلى الله تعالى من ذلك فقالوا: يا ربّنا إنّها قد عتت عن أمرنا ونحن نخاف أن يهلك من لم يعصك من خلقك وعمّار بلادك، فبعث الله إليها جبرئيل فردّها بجناحه وقال لها: إخرجي على ما أُمرتِ به فخرجت على ما أُمرت به وأهلكت قوم عاد ومن كان بحضرتهم[٢].

وفي المجمع: عنه عليه السلام إنّ لله تبارك وتعالى بيت ريح مقفّل لو فتحت لأذرّت ما بين السّماء والأرض ما أرسل على قوم عادٍ إلّا قدر الخاتم، قال: وكان هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل ونبيّنا عليهم السلام يتكلّمون بالعربيّة[٣]، ويأتي تمام قصّة هود في سورة هود إن شاء الله.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾: وأرسلنا إلى ثمود.

﴿أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا﴾: هم قبيلة أُخرى من العرب سمّوا بإسم أبيهم الأكبر ثمود، بـن عابر، بن إرم، بن سام، بن نوح، وصالح من ولد ثمود.

وفي الإكمال: عن الباقر عليه السلام وأمّا صالح فإنّه أُرسل إلى ثمود، وهـي قـرية واحـدة لا

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٩٢، ح ٦٤، حديث الرياح.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٣٠، بتفاوت في بعض الألفاظ.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٣٩.

وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحاً مُرْسَلٌ مِن رَبِّهِ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾

تكمل أربعين بيتاً على ساحل البحر صغيرة[١].

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمْ﴾: معجزة ظاهرة الدّلالة على صحّة نبوتي.

﴿هَـٰذِهِ نَاقَةُ ٱللهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾: أضافها إلى الله لأنّها خلقت بلا واسطة، ولذلك كانت آية.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللهِ﴾: العشبَ.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتاً﴾: في المجمع: يروى أنّهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون إلى أن ينحتوا في الجبال بيوتاً لأنّ السّقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم[٢].

﴿فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: أي ولا تبالغوا في الفساد.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾: أنفوا من اتباعه.

---

١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٢٠، س ١، ح ١، باب ٢٢ ـ اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام وأنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله عزّ وجلّ على خلقه إلى يوم القيامة.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٤٠.

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾

﴿مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾: للّذين استضعفوهم واستذلّوهم.

﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾: بدل من الّذين.

﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: قالوه على الإستهزاء.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ * فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾: أسند العقر إلى جميعهم وإن لم يعقرها إلّا بعضهم لأنّه كان برضاهم.

﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: تولوا واستكبروا عن امتثاله عاتين، وهو ما أمر به على لسان صالح فذروها تأكل في أرض الله.

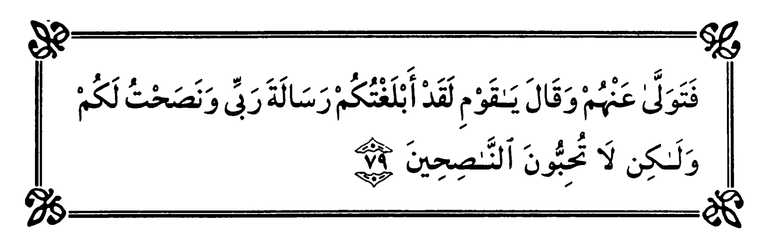
﴿وَقَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة، وفي سورة هود: «وأخذ الّذين ظلموا الصيحة»[١]، وفي سورة الحجر: «فأخذتهم الصّيحة»[٢] ولعلّها كانت من مباديها، القمّي: فبعث الله عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا[٣].

﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾: خامدين ميّتين لا يتحرّكون، يقال: الناس جثم أي قعود لا حراك بهم، وأصل الجثوم: اللّزوم في المكان.

---

١ ـ هود: ٦٧. ٢ ـ الحجر: ٧٣.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٣٢.



﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: قال: ذلك متحسراً على ما فاته من إيمانهم متحزّناً لهم بعدما أبصرهم موتى صرعى.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سأل جبرئيل عليه السلام كيف كان مهلك قوم صالح؟ فقال: يا محمد إنّ صالحاً بعث إلى قومه، وهو ابن ستّ عشرة سنة فلبث فيهم حتى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه إلى خير، قال: وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله فلمّا رآى ذلك منهم قال: يا قوم إنّي بعثت إليكم وأنا ابن ست عشرة سنة، وقد بلغت عشرين ومائة سنة، وأنا أعرض عليكم أمرين إن شئتم فاسألوني حتى أسأل إلهي فيجيبكم فيما سألتموني السّاعة، وإن شئتم سألت آلهتكم فإن أجابتني بالّذي أسألها خرجت عنكم فقد سئمتكم وسئمتموني[1].

فقالوا: قد أنصفت يا صالح، فاتّعدوا ليوم يخرجون فية، قال: فخرجوا بأصنامهم إلى ظهرهم[2] ثم قرّبوا طعامهم وشرابهم فأكلوا وشربوا فلمّا أن فرغوا دعوه، فقالوا: يا صالح سل.

فقال لكبيرهم: ما اسم هذا؟ قالوا: فلان، فقال له صالح: يا فلان أجب فلم يجبه، فقال صالح: ما له لا يجيب؟ قالوا ادع غيره. قال: فدعاها كلّها بأسمائها فلم يجبه منها شيء، فأقبلوا إلى[3] أصنامهم فقالوا لها: مالك لا تجيبين صالحاً؟ فلم تجب، فقالوا: تنّح عنّا ودعنا وآلهتنا ساعة، ثمّ نحّوا بسطهم وفرشهم، ونحّوا ثيابهم وتمرّغوا على التّراب وطرحوا التراب على

---

١ ـ سئمت من الشي من باب ـ تعب ـ أسأم سأماً وسآمة: إذا مللته، ورجل سؤوم: أي ملول، والسآمة: الملالة. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٨٢، مادة «سأم».

٢ ـ أي إلى ظهر بلدهم.

٣ ـ وفي نسخة: [على] كما في المصدر.

رؤوسهم وقالوا لأصنامهم: لئن لم تجبن صالحاً اليوم لنفضحنّ، قال: ثمّ دعوه فقالوا: يا صالح ادعها فدعاها فلم تجبه.

فقال لهم: يا قوم قد ذهب صدر النّهار ولا أرى آلهتكم تجيبني فاسألوني حتى أدعو إلهي فيجيبكم السّاعة فانتدب له منهم سبعون رجلاً من كبرائهم والمنظور إليهم منهم.

فقالوا: يا صالح نحن نسألك فإن أجابك ربّك اتّبعناك وأجبناك ويبايعك جميع أهل قريتنا.

فقال لهم صالح عليه السلام: سلوني ما شئتم؟

فقالوا: تقدّم بنا إلى هذا الجبل، وكان الجبل قريباً منهم فانطلق معهم صالح فلمّا انتهوا إلى الجبل قالوا: يا صالح ادع لنا ربّك يخرج لنا من هذا الجبل السّاعة ناقة حمراء، شقراء، وَبْراء، عشْراء[1]، بين جنبيها ميل.

فقال لهم صالح: لقد سألتموني شيئاً يعظم عليّ ويهون على ربّي تعالى، قال: فسأل الله تعالى صالح ذلك، فانصدع الجبل صدعاً كادت تطير منه عقولهم لمّا سمعوا ذلك، ثمّ اضطرب ذلك الجبل اضطراباً شديداً كالمرأة إذا أخذها المخاض، ثمّ لم يفجأهم إلاّ رأسها قد طلع عليهم من ذلك الصّدع فما استتمت رقبتها حتى اجترت[2]، ثمّ خرج سائر جسدها، ثم استوت قائمة على الأرض، فلمّا رأوا ذلك قالوا: يا صالح ما أسرع ما أجابك ربّك، ادع لنا ربّك يخرج لنا فصيلها فسأل الله عزّ وجلّ ذلك فرمت به فدبّ حولها. فقال لهم: يا قوم أبقى شيء؟

قالوا: لا، انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم بما رأينا يؤمنون بك، قال: فرجعوا فلم يبلغ السّبعون إليهم حتى ارتدّ منهم أربعة وستّون رجلاً، وقالوا: سحر وكذب، قال: فانتهوا إلى الجميع وقال السّتّة: حق، وقال الجميع: سحر وكذب. قال: فانصرفوا على ذلك، ثمّ ارتاب من السّتّة

---

١ ـ شقراء: شديد الحمرة، وبراء: كثير الوبر، وعشراء التي أتت عليها من اليوم الذي أُرسل فيها الفحل عشرة أشهر وزال عنها اسم المخاض، منه رحمه الله، وفي مجمع البحرين: ج٣، ص٤٠٣، عشراء ـ بالضم وفتح الشين والمد ـ: وهي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع، ثم اتسع فيه فقيل لكل حامل.

٢ ـ اجترّ البعير ـ بالجيم والراء المهملة ـ: أكل ثانياً ما أخرجه ممّا أكله أوّلاً، منه رحمه الله، وذكر الطريحي: الإجتراء: وهو أن يجرّ البعير من الكرش ما أكل إلى الفم فيمضغه مرة ثانية. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٤٤، مادة «جرر».

واحد فكان فيمن عقرها، قال الراوي: فحدّثت بهذا الحديث رجلاً من أصحابنا يقال له: سعيد بن يزيد، فأخبرني أنّه رآى الجبل الّذي خرجت منه بالشّام، قال: فرأيت جنبها قد حك الجبل فأثّر جنبها فيه، وجبل آخر بينه وبين هذا ميل[١].

وعن الصّادق عليه السلام في قوله تعالى: «كذّبت ثمود بالنّذر»[٢] هذا فيما كذّبوا صالحاً، وما أهلك الله تعالى قوماً قطّ حتى يبعث إليهم قبل ذلك الرّسل فيحتجّوا عليهم فبعث الله إليهم صالحاً فدعاهم إلى الله فلم يجيبوا وقد عتوا عليه وقالوا: لن نؤمن لك حتى تخرج لنا من هذه الصّخرة ناقة عُشَراء[٣] وكانت الصّخرة يعظّمونها ويعبدونها ويذبحون عندها في رأس كلّ سنة، ويجتمعون عندها، فقالوا له: إن كنت كما تزعم نبيّاً رسولاً فادع لنا إلـهك حتى يخرج لنا من هذه الصّخرة الصّمّاء ناقة عشراء فأخرجها الله كما طلبوا منه، ثمّ أوحى الله إليه أن يا صالح قل لهم: إنّ الله قد جعل لهذه النّاقة من الماء شرب يوم، ولكم شرب يوم، فكانت الناقة إذا كان يوم شربها شربت ذلك اليوم الماء فيحلبونها فلا يبقى صغير ولا كبير إلّا شرب من لبنها يومهم ذلك، فإذا كان الليل وأصبحوا غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم، ولم تشرب النّاقة ذلك اليوم فمكثوا بذلك إلى ما شاء الله، ثمّ أنّهم عتوا على الله ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا اعقروا هذه النّاقة واستريحوا منها، لا نرضى أن يكون لها شرب يوم ولنا شرب يوم، ثم قالوا: من الّذي يلي قتلها ونجعل له جعلاً ما أحبّ، فجاءهم رجل أحمر، أشقر[٤] أزرق ولد الزّنا لا يعرف له أب، يقال له: قُدار[٥]، شقيّ من الأشقياء، مشؤوم عليهم، فجعلوا له

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٨٥ ـ ١٨٧، ح ٢١٣، حديث قوم صالح عليه السلام.

٢ ـ القمر: ٢٣.

٣ ـ عشراء ـ بالضم وفتح الشين والمد ـ هي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع ثم اتسع فيه فقيل لكل حامل. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٠٣، مادة «عشر».

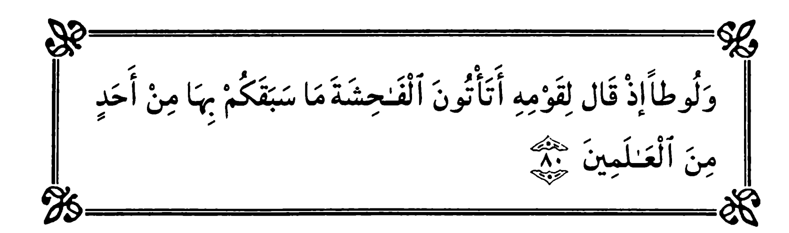
٤ ـ الشقرة: لون الأشقر، وهي في الإنسان حمرة تعلو بياضاً، وفي الخيل حمرة صافية يحمّر معها العُرف والذنب، وفرس أشقر: الذي فيه شقرة. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٥٣، مادة «شقر».

٥ ـ قُدَار بن سالف الذي يقال له: أحمر ثمود، عاقر ناقة صالح عليه السلام. الصحاح: ج ٢، ص ٧٨٧، مادة «قدر».

جعلاً فلّما توجّهت النّاقة إلى الماء الّذي كانت ترده تركها حتّى شربت ذلك الماء وأقبلت راجعة فقعد لها في طريقها فضربها بالسّيف ضربة فلم تعمل شيئاً، فضربها ضربة أخرى فقتلها، وخرّت إلى الأرض على جنبها وهرب فصيلها حتى صعد إلى الجبل فرغا[1] ثلاث مرّات إلى السّماء، وأقبل قوم صالح فلم يبق أحد منهم صغير ولا كبير إلّا شركه في ضربته، واقتسموا لحمها فيما بينهم ولم يبق منهم صغير ولا كبير إلّا أكل منها، فلمّا رآى ذلك صالح أقبل إليهم، فقال: يا قوم ما دَعاكم إلى ما صنعتم أعصيتم ربّكم؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إلى صالح عليه السلام أنّ قومك قد طغوا وبغوا وقتلوا ناقة بعثتها إليهم حجّة عليهم، ولم يكن عليهم منها ضرر، وكان لهم فيها أعظم المنفعة، فقل لهم: إنّي مرسل إليكم عذابي إلى ثلاثة أيّام فإن هم تابوا ورجعوا قبلت توبتهم وصددت عنهم، وإن هم لم يتوبوا ولم يرجعوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثّالث، فأتاهم صالح عليه السلام فقال لهم: «يا قوم إنّي رسول ربكم إليكم» وهو يقول لكم: إن أنتم تبتم ورجعتم واستغفرتم غفرت لكم وتبت عليكم، فلمّا قال لهم ذلك، كانوا أعتا ما كانوا وأخبث، وقالوا: «يا صالح إئتنا بما تعدنا إن كنت من الصّادقين»، قال: يا قوم إنّكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرّة، واليوم الثّاني: وجوهكم محمّرة، واليوم الثّالث: وجوهكم مسوّدة، فلمّا أن كان أوّل يوم أصبحوا ووجوههم مصفرّة فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: قد جاءكم ما قال لكم صالح، فقال العتاة منهم: لا نسمع قول صالح، ولا نقبل قوله، وإن كان عظيماً، فلّما كان اليوم الثّاني: أصبحت وجوههم محمرّة فمشى بعضهم إلى بعض فقالوا: يا قوم قد جاءكم ما قال لكم صالح، فقال العتاة منهم: لو أهلكنا جميعاً ما سمعنا قول صالح، ولا تركنا آلهتنا الّتي كان آباؤنا يعبدونها، ولم يتوبوا ولم يرجعوا، فلمّا كان اليوم الثّالث: أصبحوا ووجوههم مسودّة فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: يا قوم قد أتاكم ما قال لكم صالح، فقال العتاة منهم: قد أتانا ما قال لنا صالح فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخة خرقت تلك الصّرخة أسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت أكبادهم، وقد كانوا في تلك الثّلاثة الأيّام قد تحنّطوا وتكفّنوا وعلموا أنّ العذاب نازل بهم، فماتوا أجمعون في طرفة

---

١ ـ رُغا البعير والضبع والنّعام رُغاءاً بالضم: صوتت فضجّت. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٣٣٥، مادة «رغا».



عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق لهم[١] ناعية ولا راعية[٢] ولا شيء إلّا أهلكه الله فأصبحوا في ديارهم ومضاجعهم موتى أجمعين، ثمّ أرسل الله عليهم مع الصّيحة النّار من السّماء فأحرقتهم أجمعين وكانت هذه قصّتهم[٣].

والقمّي: ما يقرب من بعض ما في الحديثين في سورة هود[٤].

﴿وَلُوطاً﴾: وأرسلنا لوطاً، أو واذكر لوطاً، في الكافي: عن الصادق عليه السلام إنّ اُمّ إبراهيم وأمّ لوط كانتا اختين وهما ابنتان للّاحج وكان اللّاحج نبيّاً منذراً ولم يكن رسولاً[٥].

وفي العلل[٦]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام وكان لوط ابن خالة إبراهيم، وكانت سارة إمرأة إبراهيم اُخت لوط، وكان لوط وإبراهيم نبيّين منذرين[٧].

---

١ ـ يعني لم يبق من يخبر بموتهم أو يرعاهم بعد موتهم بالتجهيز. هذا إذا كانت العينان مهملتين والنون في أوّل اللفظة الأُولى كما يوجد في أكثر النسخ، وأمّا إذا كانتا معجمتين والثاء المثلثة في أول الأُولى كما هو الصواب، فمعناه لم يبق لهم شاة ولا ناقة فإنّ الثغاء صوت الشاة، والرغاة صوت الناقة، وعلى التقديرين كناية عن استئصالهم. منه قدّس سرّه.

٢ ـ وفي نسخة: [ثاغية ولا راغية]. ورغا البعير يرغو رغاءاً: ضجّ، رغت الناقة: صوّتت، فهي راغية. مجمع البحرين: ج ١، ص ١٩٢، مادة «رغا».

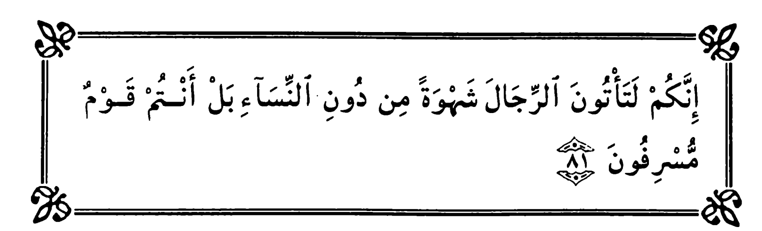
٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٨٧ ـ ١٨٩، ح ٢١٤. حديث قوم صالح عليه السلام.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٣٠ ـ ٣٣٢.

٥ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٧٠، ح ٥٦٠، قصة إبراهيم عليه السلام ونمرود.

٦ ـ علل الشرائع: ص ٥٤٩، ح ٤، باب ٣٤٠ علّة تحريم اللواط والسحق.

٧ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥، ح ٢٦.



وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ إبراهيم خرج من بلاد نمرود ومعه لوط لا يفارقه، وجاءت سارة إلى أن نزل بأعلى الشّامات وخلّف لوطاً بأدنى الشّامات[١].

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾: توبيخ وتقريع على تلك السّيئة المتمادية في القبح.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: ما فعلها قبلكم أحد قطّ.

في الكافي[٢]، والعلل: عن أحدهما عليهما السلام في قوم لوط إنّ إبليس أتاهم في صورة حسنة فيه تأنيث، عليه ثياب حسنة فجاء إلى شبّان منهم فأمرهم أن يقعوا به، ولو طلب إليهم أن يقع بهم لأبوا عليه، ولكن طلب إليهم أن يقعوا به، فلمّا وقعوا به التذّوا ثمّ ذهب عنهم وتركهم فأحال بعضهم على بعض[٣].

وفي العيون: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ أوّل من عمل عمل قوم لوط إبليس فإنّه أمكن من نفسه[٤].

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾: من أتى المرأة إذا غشيها.

﴿شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾: تاركين اتيان النّساء اللّاتي أباح الله اتيانهنّ. وقرئ أنّكم على الإخبار المستأنف.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: متجاوزون الحدّ في الفساد حتى تجاوزتم المعتاد إلى غير المعتاد.

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٧٣، ذيل ح ٥٦٠. ٢ ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٤٤، ح ٤، باب اللواط.

٣ ـ علل الشرائع: ص ٥٤٧ ـ ٥٤٨، ح ٣، باب ٣٤٠ ـ علّة تحريم اللواط والسحق.

٤ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٤٦، ح ١، باب ٢٤ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشامي وما سأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾: أي ما جاؤوا بما يكون جواباً عن كلامه ولكنّهم جاؤوا بما لا يتعلّق بكلامه ونصيحته من إخراجه ومن معه من قريتهم.

﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: من الفواحش والخبائث.

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ﴾: خلّصنا لوطاً.

﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾: المختصّين به من الهلاك.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾: وهي ليست من أهله فإنّها كانت تسرّ الكفر وتوالي أهل القرية.

﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾: من الّذين غبروا في ديارهم أي بقوا فيها فهلكوا.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: نوعاً من المطر عجيباً وهي أمطار حجارة من سجّيل كما يأتي في موضع آخر.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام إنّ لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة، وكان نازلاً فيهم ولم يكن منهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الفواحش، ويحثّهم على الطّاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه، وكانوا لا يتطهّرون من الجنابة، بُخلاء، أشِّحاء على الطّعام، فأعقبهم البُخْلُ الداء الّذي لا دواء له في فروجهم، وذلك أنّهم كانوا على طريق السّيارة إلى الشّام ومصر. وكان ينزل بهم الضّيفان[1] فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضّيف فضحوه، وإنّما فعلوا ذلك لينكل النّازلة عليهم من غير شهوة بهم إلى ذلك

---

١ ـ الضيفان: جمع الضيف، وسمي الضيف ضيفاً لميله إلى الذي ينزل إليه، ويجمع على الأضياف والضيوف والضيفان. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٨٧، مادة «ضيف».

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

فأوردهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويعطون عليه الجعل، وكان لوط سخيّاً كريماً يقري الضّيف إذا نزل بهم فنهوه عن ذلك فقالوا لا تقري ضيفاناً ينزل بك إنّك إن فعلت فضحنا ضيفك، فكان لوط إذا نزل به الضّيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه، وذلك أنّه لم يكن للوط عشيرة فيهم[١].

وفي العلل[٢]، والعيّاشي: عنه عليه السلام مثله[٣]، ويأتي تمام القصّة في سورة هود[٤]، والحجر[٥] إن شاء الله.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾: وأرسلنا إلى مدين[٦].

﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: قيل: هم أولاد مدين بن إبراهيم، وشعيب منهم، وكان يقال له: خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه[٧]، سمّوا باسم جدّهم وسمّيت به قريتهم.

١ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٤٥. ٢ـ علل الشرائع: ص ٥٤٨، ح ٤، باب ٣٤٠ ـ علّة تحريم اللواط والسحق.

٣ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٤٥، ح ٢٦. ٤ـ ذيل الآية: ٨١.

٥ـ ذيل الآية: ٥٨.

٦ـ مدين: اسم مدينة في طريق القدس، كأنّها بلد لشعيب عليه السلام. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٥٢، مادة «دين»، وقال الطبرسي في مجمعه ج ٣ ـ ٤، ص ٤٤٦: مدين اسم المدينة أو القبيلة لا ينصرف للتعريف والتأنيث وجائز أن يكون أعجميّاً.

٧ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٥٨ بتفاوت، وراجع مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٤٧، وفيه: «وقيل إنّ مدين ابن إبراهيم الخليل فنسبت القبيلة إليه».

وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَٱنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾

والقمّي: قال: بعث الله شعيباً إلى مدين، وهي قرية على طريق الشّام فلم يؤمنوا به[١].

وفي الإكمال: عن الباقر عليه السلام أمّا شعيب فإنّه أُرسل إلى مدين وهي لا تكمل أربعين بيتاً[٢].

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وحده.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمْ﴾[٣]: معجزة شاهدة بصحّة نبوّتي، وهي غير مذكورة في القرآن ولم نجدها في شيء من الأخبار.

﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾: أُريد بالكيل: المكيال كما في سورة هود[٤].

﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: لا تنقصوهم حقوقهم، جيء بالأشياء للتعميم.

﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بالكفر والحيف.

﴿بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾: بعدما أصلح فيه الأنبياء وأتباعهم بإقامة الشّرائع والسّنن.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: في الإنسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من الرّبح لأنّ النّاس إذا عرفوا منكم النّصفة والأمانة رغبوا في متاجرتكم.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مصدّقين لي في قولي.

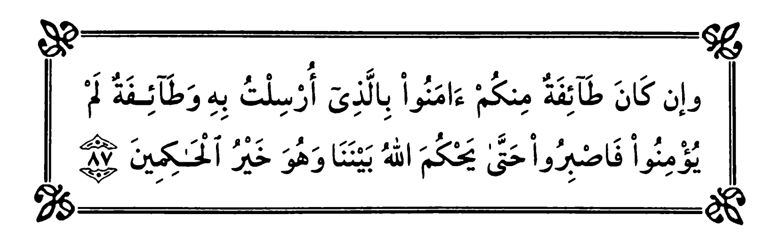
﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾: بكلّ منهج من مناهج الدّين مقتدين بالشّيطان في

١ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٧.

٢ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٢٠، ح ١، باب اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام وإن الأرض لا تخلو من حجّة لله عزّ وجلّ على خلقه إلى يوم القيامة.

٣ـ أي والمراد من البينة: معجزة شاهدة بصحة نبوة شعيب التي هي غير مذكورة في القرآن. منه قدّس سرّه.

٤ـ هود: ٨٤ ـ ٨٥.



قوله: «لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم»[١].

﴿تُوعِدُونَ﴾: تتوعدون.

﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾: قيل: كانوا يجلسون على الطّرق فيقولون لمن يمرّ بها: إنّ شعيباً كذّاب فلا يفتننّكم عن دينكم كما كان يفعل قريش[٢] بمكّة[٣].

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾: تطلبون لسبيل الله عوجاً، يعني تصفونها للناس بأنّها سبيل معوّجة غير مستقيمة بإلقاء الشّبه لتصدّوهم عن سلوكها والدّخول فيها.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً﴾: عَدَدكم أو عُدَدكم.

﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾: بالنّسل والمال، قيل: إنّ مدين بن إبراهيم الخليل تزوّج بنت لوط فولدت له فرمى الله في نسلها بالبركة والنّماء فكثروا[٤].

﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: من أفسد قبلكم من الأُمم كقوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وكانوا قريبي العهد بهم.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾: وقبلوا قولي.

﴿وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ﴾: فتربّصوا وانتظروا.

﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾: أي بين الفريقين بأن ينصر المحقّ على المبطل وهذا وعد

---

١ ـ الأعراف: ١٦.

٢ ـ هكذا في الأصل. والصحيح: «كما كانت تفعل قريش بمكة».

٣ ـ اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٥٨، والكشاف: ج ٢، ص ٣٥٨.

٤ ـ قاله ابن عباس، كما جاء في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٤٧، وراجع الكشاف: ج ٢، ص ١٢٨، س ٢٠.

قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾

للمؤمنين ووعيد للكافرين.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾: إذ لا معقّب لحكمه ولا حيف فيه.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾: أي ليكونّن أحد الأمرين، والعود: إمّا بمعنى الصّيرورة أو ورود الخطاب على تغليب الجماعة على الواحد أو ورد على زعمهم، وذلك لأنّ شعيباً لم يكن على ملّتهم قطّ لأنّ الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر قطّ.

﴿قَالَ﴾: شعيب.

﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ﴾: أي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها.

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: فيما دعوناكم إليه.

﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾: بأن أقام لنا الدّليل على بطلانها وأوضح الحقّ لنا.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ﴾: وما يصحّ لنا.

﴿أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾: خذلاننا ومنعنا الألطاف بأن يعلم أنّه لا ينفع فينا.

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩١﴾

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾: أحاط علمه بكلّ شيءٍ ممّا كان وما يكون فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحوّل وقلوبهم كيف تتقلّب.

وقيل: أراد به حسم طمعهم في العود بالتّعليق على ما لا يكون[1].

﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: في أن يثبتنا على الإيمان، ويوفّقنا لازدياد الإيقان.

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾: احكم بيننا فإنّ الفتّاح القاضي، والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتّى ينكشف ما بيننا وبينهم، ويتميّز المحقّ من المبطل من فتح المشكل إذا بيّنه.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾: على المعنيين.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾: أشرافهم.

﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾: وتركتم دينكم.

﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ﴾: لإستبدالكم الضّلالة بالهدى، قالوها لمن دونهم يثّبطونهم عن الإيمان.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزّلزلة، وفي سورة هود: «وأخذ الّذين ظلموا الصّيحة»[2].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام بعث الله عليهم الصّيحة الواحدة فماتوا[3]، وقد سبق نظيره.

﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾: خامدين.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٥٩، س ١٤.

٢ ـ هود: ٦٧.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٥٠.

ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾: أي استأصلوا كأن لم يقيموا بها، والمَغْنى المَنْزِل.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾: ديناً ودنيا، والمعنى أنّهم هم المخصوصون بالهلاك، والإستئصال، وبالخسران، العظيم دون اتباع شعيب لأنّهم الرّابحون، وفي هذا الابتداء والتّكرير تسفيه لرأي الملأ، ورد لمقالتهم ومبالغة في ذلك.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾: فلم تصدّقوني.

﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ﴾: فكيف أحزن على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم. لكفرهم واستحقاقهم العذاب النّازل بهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ﴾: البؤس والفقر[1].

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: الضرر والمرض.

﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾: لكي يتضرّعوا، ويتوبوا، ويتذلّلوا.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾: أي رفعنا ما كانوا فيه من البلاء والمحنة،

---

١ ـ البأساء: أي ما نالهم من الشدّة في أنفسهم، وبالضراء: ما نالهم في أموالهم. مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص. ٤٥١ وهذا أوضح ممّا فسره تَيِّنُ.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾

ووضعنا مكانه الرّخاء والعافية.

﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾: أي كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم، من قولهم عفا النّبات: أي كثر ومنه: اعفاء اللحى.

﴿وَقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾: بطرتهم النّعمة فتركوا شكر الله، ونسوا ذكر الله، وقالوا: هذه عادة الدّهر يعاقب في النّاس بين السّرّاء والضرّاء، وقد مسّ آباءنا نحو ذلك فلم ينتقلوا عمّا كانوا عليه فكونوا على ما أنتم عليه كما كان أباؤكم كذلك.

﴿فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً﴾: فجأة، عبرة لمن كان بعدهم.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: إنّ العذاب نازل بهم إلّا بعد حلوله.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: ولو أنّهم.

﴿ءَامَنُواْ﴾: بدل كفرهم.

﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾: الشرك والمعاصي.

﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لوسّعنا عليهم الخيرات ويسّرناها لهم من كلّ جانب بإنزال المطر، وإخراج النّبات، وغير ذلك.

﴿وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ﴾: الرسل.

﴿فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: بسوء كسبهم.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: المكذّبون لنبيّنا.

﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾: عذاباً.

أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿بَيَٰتاً﴾: وقت بيات.

﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾: ضحوة النّهار، وهو في الأصل إسم لضوء الشّمس إذا أشرقت وارتفعت، وقرئ بسكون الواو.

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: يشتغلون بما لا ينفعهم.

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾:مكر الله إستعارة لإستدراجه العبد وأخذه من حيث لا يحتسب، والقمّي: المكر من الله: العذاب[1].

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: بترك النّظر والإعتبار، فيه تنبيه على ما يجب أن يكون عليه العبد من الخوف لعقاب الله، واجتناب المعصية.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾: يخلّفون من خلا قبلهم في ديارهم، وإنّما عدى يهدي باللّام لأنّه بمعنى يبين.

﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾: أنّه لو نشاء.

﴿أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾: بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم.

﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: مستأنف يعني ونحن نطبع على قلوبهم.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: سماع تفهّم واعتبار.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٦.

تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا﴾: بعض أنبائها.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات.

﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾: عند مجيئهم بها.

﴿بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾: من قبل مجيئهم.

القمّي: قال: لا يؤمنون في الدّنيا بما كذّبوا في الذّر، وهو ردّ على من أنكر الميثاق في الذّرّ الأوّل[1].

وفي الكافي[2]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّ الله خلَق الخلق فخلق من أحبّ ممّا أحبّ وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنّة وخلق من أبغض ممّا أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النّار ثمّ بعثهم في الظّلال، فقلت: وأيّ شيء الظّلال؟ قال: ألم تر إلى ظلّك في الشّمس شيء وليس بشيء، ثم بعث منهم النّبيين فدعوهم إلى الإقرار بالله وهو قوله: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله»[3]، ثم دعوهم إلى الإقرار بالنّبيين فأقرّ بعضهم وأنكر بعض، ثمّ دعوهم إلى ولايتنا فأقرّ بها والله من أحبّ وأنكرها من أبغض وهو قوله تعالى: «فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبوا بِهِ مِنْ قَبْل»[4]، ثمّ. قال عليه السلام كان التكذيب، ثَمَّ[5].

وفي رواية أُخرى: فمنهم من أقرّ بلسانه ولم يؤمن بقلبه، فقال الله: «فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُواْ بِمَا

---

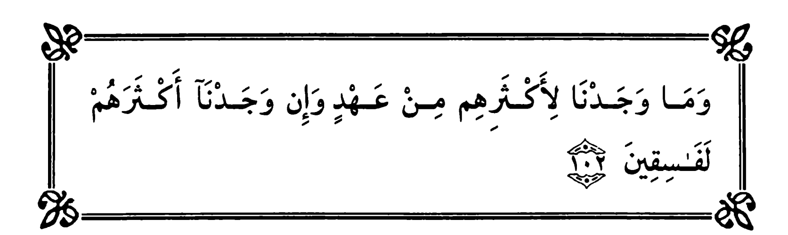
١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٦.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٠، ح ٣، باب آخر منه، ويقرب منه ما ورد في الكافي: ج ١، ص ٤٣٦، ح ٢، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية.

٣ ـ الزخرف: ٨٧.

٤ ـ يونس: ٧٤.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٦ ـ ١٢٧، ح ٣٧.



كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْل»(١)(٢).

والعيّاشي: عنهما عليهما السلام إنّ الله خلق الخلق وهم أظلّة فأرسل إليهم رسوله محمّداً صلى الله عليه وآله فمنهم من آمن به ومنهم من كذّبه، ثم بعثه في الخلق الآخر فآمن به من آمن به في الأظلّة، وجحده من جحده يومئذ، فقال: «فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْل»(٣)(٤).

وعن الصّادق عليه السلام في هذه الآية: بعث الله الرّسل إلى الخلق وهم في أصلاب الرّجال وأرحام النّساء فَمَن صدّق حينئذ صدّق بعد ذلك، ومن كذّب حينئذٍ كذّب بعد ذلك(٥).

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ * وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِنْ عَهْدٍ﴾: وفاء عهد، فإنّ أكثرهم نقضوا عهد الله إليهم في الإيمان والتّقوى.

﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾: وأنّه علمنا أكثرهم خارجين عن الطّاعة.

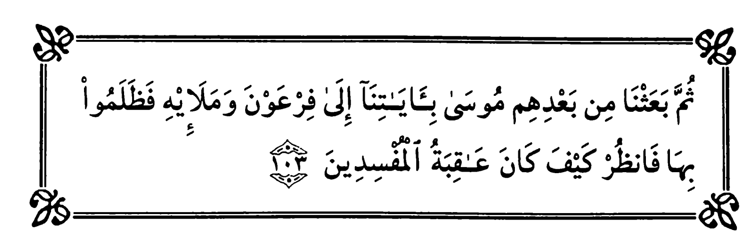
في الكافي: عن الكاظم عليه السلام إنّها نزلت في الشّاك(٦).

وعن الصّادق عليه السلام: إنّه قال لأبي بصير: يا أبا بصير إنّكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا وإنكم لم تبدلوا بنا غيرنا، ولو لم تفعلوا لعيّركم الله كما عيّرهم حيث يقول جلّ ذكره: «وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ»(٧).

والعيّاشي: عن أبي ذر والله ما صدق أحد ممّن أخذ الله ميثاقه فوفى بعهد الله غير أهل

---

١ ـ يونس: ٧٤.
٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٨.
٣ ـ يونس: ٧٤.
٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٦، ح ٣٥.
٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٦، ح ٣٦.
٦ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٩٩، ح ١، باب الشك.
٧ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٥، ح ٦، في مقامات الشيعة وفضائلهم.



بيت نبيّهم وعصابة قليلة من شيعتهم، وذلك قول الله: «وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ»، وقوله: «وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لَا يُؤْمِنُونَ»[1][2].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾: بالمعجزات.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَظَلَمُواْ بِهَا﴾: بأن كفروا بها مكان الإيمان الّذي هو من حقّها لوضوحها، ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا، وفرعون لقب لمن مَلَكَ مصر كَكِسرى لمن ملك فارس، وقيصر لمن ملك الرّوم، وكان اسمه قابوس أو الوليد بن مصعب ابن الرّيان.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: في الإكمال: عن الباقر عليه السلام في حديث ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى أرسل الأسباط إثني عشر بعد يوسف، ثمّ موسى وهارون إلى فرعون وملأه إلى مصر وحدها[3].

والعيّاشي: مرفوعاً إنّ فرعون بنى سبع مدائن يتحصّن فيها من موسى عليه السلام وجعل فيما بينهما آجاماً وغياضاً[4] وجعل فيها الأُسُد ليتحصّن بها من موسى، قال: فلمّا بعث الله موسى إلى فرعون فدخل المدينة فلمّا رأته الأسد تبصبصت[5] وولّت مدبرة، ثم قال: لم يأت

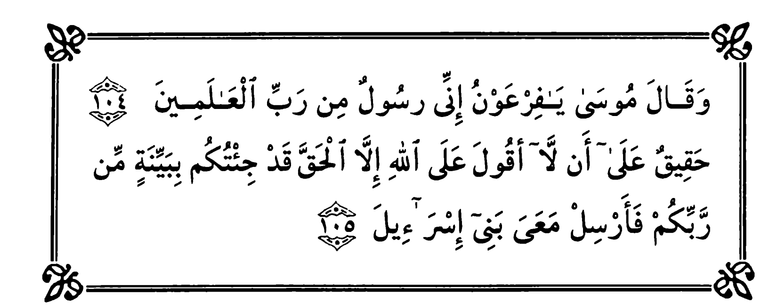
---

١ ـ هود: ١٧. ٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٣، ح ٥٩.

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٢٠، ح ١، باب اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام، وأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله عزّ وجلّ على خلقه إلى يوم القيامة.

٤ ـ الغيضة: الأجمّة، وهي مغيض ماء يجتمع فيه الشجر، والجمع غياض وأغياض. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٢٠، مادة «غيض»، وقال الجوهري: الغيضة: الأجمّة، وهي مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر. الصحاح: ج ٣، ص ١٠٩٧.

٥ ـ البصبصة: تحريك الكلب ذنبه طمعاً أو خوفاً. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٦٥، مادة «بصيص»، وقال



مدينة إلّا انفتح له بابها حتى انتهى إلى قصر فرعون الّذي هو فيه، قال: فقعد على بابه وعليه مدرعة من صوف ومعه عصاه فلّما خرج الآذن قال له موسى: استأذن لي على فرعون، فلم يلتفت إليه، قال: فمكث بذلك ما شاء الله يسأله أن يستأذن له، قال: فلمّا أكثر عليه قال له: أمّا وجد ربّ العالمين من يرسل غيرك؟ قال: فغضب موسى فضرب الباب بعصاه فلم يبق بينه وبين فرعون باب إلّا انفتح حتّى نظر إليه فرعون وَمَن في مجلسه، فقال: اُدخلوه، فدخل عليه وهو في قبّة له مرتفعة كثيرة الإرتفاع ثمانون ذراعاً، قال: فقال: «إنّي رسول ربّ العالمين إليك»، قال: فقال: «فَأْتِ بِآيَة إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ»[1]، قال: «فألق عصاه»، وكان لها شفتان[2]، قال: فإذا هي حيّة قد وضعت إحدى الشفتين[3] في الأرض، والشفة الأُخرى في أعلى القبّة، قال: فنظر فرعون إلى جوفها وهو يلتهب نيراناً، قال: وأهوّت إليه فأحدث، وصاح يا موسى خذها[4].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِن رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: إليك.

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾:وكان أصله حقيق عليّ أن لا أقول فقلب لِأَمْن الإلتباس، أو لأنّ ما ألزمك فقد لزمته، أو للإغراق في الوصف

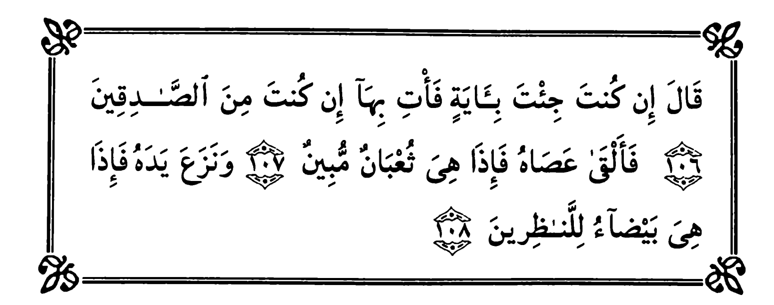
الجوهري: بصبص الكلب وتبصبص: حرّك ذنبه، والتبصبص: التملّق. الصحاح: ج ٣، ص ١٠٣٠.

١ ـ الشعراء: ١٥٤.

٢ ـ وفي نسخة [شعبتان] كما في المصدر.

٣ ـ وفي نسخة [وقع إحدى الشعبتين] كما في المصدر.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٢٣ ـ ٢٤، ح ٦١.


قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾

بالصّدق، يعني أنّـه حـقّ واجب ـ عـلى القـول الحـقّ ـ أن أكـون أنـا قـائله لا يـرضى إلّا بمثلي، أو ضـمّن حـقيق مـعنى حـريص، أو وضـع ـ عـلى ـ مكـان البـاء كـقولهم: رمـيت السّهم على القوس، وقرئ عليّ على الأصل، وعـن أُبي أنّـه قـرأ بـالباء، وقـرئ في الشّـواذ بحذف على[1].

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعَىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: فخلّهم حتّى يرجعوا معي إلى الأرض المقدّسة الّتي هي وطن آبائهم، وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الأعمال الشّاقة.

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾: من عند من أرسلك.

﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: في الدّعوى.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر أمره لا يشكّ في أنّه ثعبان، وهو الحيّة العظيمة.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾: من جيبه.

﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾: بياضاً نورانيّاً غلب شعاعه شعاع الشمس، وكان موسى أدم شديد الأدمة[2] فيما يروى[3].

---

١ ـ راجع الكشاف: ج ٢، ص ١٣٧.

٢ ـ الأدمة من الإبل: البياض الشديد مع سواد المقلتين، وفي الناس: السمرة الشديدة. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٦، مادة «أدم».

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦٢.

قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾: في سورة الشّعراء «قال للملأ حوله»[١] ولعلّ قاله: وقالوه، أو قالوه عنه.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: تشيرون في أن نفعل.

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أخّرهما وأصدرهما عنك حتّى ترى رأيك فيهما وتدبّر أمرهما، العيّاشي: مقطوعاً لم يكن في جلسائه يومئذ ولد سفاح، ولو كان لأمر بقتلهما، قال: وكذلك نحن لا يسرع إلينا إلّا كلّ خبيث الولادة[٢].

وقرئ: أرجه بحذف الهمزة الثّانية وكسر الهاء مع الإشباع وبدونه، وبسكون الهاء من غير همز.

﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾: وقرئ سحّار.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: وقرئ انّ لنا على الإخبار، وإيجاب الأجر.

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾: خيّروه مراعاة

---

١ ـ الشعراء: ٣٤.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٤، ح ٦٢.

قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾

للأدب، ولكن كانت رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبّهوا عليه بتغيير النّظم إلى ما هو أبلغ.

﴿قَالَ أَلْقُواْ﴾: كرماً وتسامحاً، وقلّة مبالاة بهم، وثقة بما كان بصدده من التّأييد الإلـهي.

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾: بأن خيّلوا إليها الحقيقة بخلافه بالحيل والشّعوذة.

﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: وأرهبوهم إرهاباً شديداً كأنّهم طلبوا رهبتهم.

﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾: في فنّه، وروي أنّهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً كأنّها حيّات ملأت الوادي وركب بعضها بعضاً[١].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: فألقاها فصارت حيّة عظيمة.

﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾: ما يزوّرونه من الإفك، وهو الصّرف وقلب الشّيء عن وجهه، وقرئ تلقف بالتّخفيف حيث كان[٢].

روي أنّها لمّا تلقّفت حبالهم وعصيّهم وابتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتّى هلك جمع عظيم، ثمّ أخذها موسى فصارت عصا كما كانت، فقالت السحرة: لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصيّنا[٣].

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾: فحصل وثبت لظهور أمره.

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦٣.

٢ ـ قرأ حفص بن عاصم تلقف خفيفة. وفي طـه، والشعراء مثله، والباقون تلّقف بتشديد القاف في جميعها، مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٦١، في القراءة.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦٣.

فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: من السّحر والمعارضة.

﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنْقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ﴾: صاروا أذلّاء منهزمين.

﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾: وخرّوا ساجدين[1] كأنّما ألقاهم مُلقٍ لشدّة خرورهم، ولعلّ الحقّ بَهَرهم[2] واضطرّهم إلى السّجود بحيث لم يبق لهم تمالك لينكسر فرعون بالّذين أراد بهم كسر موسى، وينقلب الأمر عليه.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾: أبدلوا الثّاني من الأوّل لئلّا يتوهّم أنهم أرادوا به فرعون.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: وقرئ بحذف الهمزة على الإخبار.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: إنّ هذا الصّنيع لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصّحراء وتواطأتم على ذلك.

﴿لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾: يعني القبط، وتخلص لكم ولبني إسرائيل، وكان هذا الكلام من فرعون تمويهاً على النّاس لئلّا يتّبعوا السّحرة في الإيمان.

---

١ ـ وفي نسخة: [سجّداً].

٢ ـ البَهْر ـ بالفتح فالسكون ـ :العجب، يقال: بهراً لفلان أي عجباً له. مجمع البحرين: ج٣، ص٢٣١، مادة «بهر».

لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: وعيد مجمل يفصّله[1] ما بعده.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: أي من كلّ شقّ طرفاً.

﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: تفضيحاً لكم، وتنكيلاً لأمثالكم.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾: أي لا نبالي بالموت والقتل، لإنقلابنا إلى لقاء ربّنا ورحمته، وإنّا جميعاً ننقلب إلى الله فيحكم بيننا.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾: أي وما تنكر منّا وتعيب إلّا الإيمان بآيات الله، وهو أصل كل منقبة وخير.

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ﴾: أفض.

﴿عَلَيْنَا صَبْراً﴾: واسعاً كثيراً يغمرنا كما يفرغ الماء.

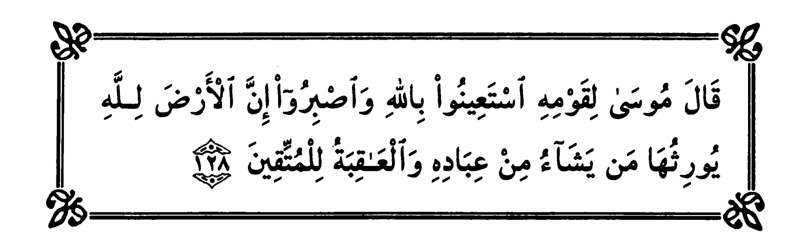
﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾: ثابتين على الإسلام.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بتغيّر[2] النّاس عليك، ودعوتهم إلى مخالفتك.

---

١ ـ وفي نسخة: [تفصيله ما بعده].

٢ ـ وفي نسخة: [بتغيير].


قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِاللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾

﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾: معبوداتك، القمّي: قال: كان فرعون يعبد الأصنام، ثمّ ادّعى بعد ذلك الرّبوبية[1].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قرأ ويذرك[2] وإلـهتك يعني عبادتك[3].

وقيل: إنّ فرعون صنع لقومه أصناماً وأمرهم أن يعبدوها تقرّباً إليه، ولذلك قال: «أنا ربّكم الأعلى» [4][5].

﴿قَالَ﴾: فرعون.

﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَآءَهُمْ﴾: كما كنّا نفعل من قبل ليعلم إنّا على ما كنّا عليه من القهر والغلبة، وإنّ غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا، وقرئ سنقتل بالتّخفيف.

﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾: غالبون، وإنّهم مقهورون تحت أيدينا.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِاللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ﴾: تسكيناً لهم من ضجرهم بوعيد فرعون، وتسلية لقلوبهم.

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: وعد لهم منه بالنّصرة، وتذكير لما كان قد وعدهم من إهلاك القبط، وتوريثهم ديارهم، وتحقيق له.

١ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

٢ـ في المجمع: عن علي عليه السلام أنّه قرأ «وَيَذَرَكَ» بالنصب كما في القراءة المشهورة، وقرئ في الشواذ بالرفع والسكون. منه قدس سره.

٣ـ تفسير مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٦٤، في القراءة.

٤ـ النازعات: ٢٤.

٥ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦٤.

قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام قال: «إِنَّ ٱلْأَرْضَ لله يُورِثُهَا مَنْ يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ» قال: فما كان لله فهو لرسوله، وما كان لرسول الله فهو للإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

وعن الباقر عليه السلام: قال: وجدنا في كتاب علي عليه السلام «إِنَّ الأَرْضَ لله يُورثها مَنْ يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَة لِلْمُتّقِين» وأنا وأهل بيتي الّذين أورثَنا الله الأرض، ونحن المـتّقون، والأرض كلّها لنا، فمن أحيا أرضاً من المسلمين فعمرها فليؤدّ خراجها إلى الإمام من أهل بيتي، وله ما أكل منها. فإن تركها وأخربها بعد ما عمرها فأخذها رجل من المسلمين بعده فعمرها وأحياها فهو أحق به من الّذي تركها، فليؤدّ خراجها إلى الإمام من أهل بيتي، وله ما أكل منها حتى يظهر القائم من أهل بيتي بالسّيف، فيحوزها ويمنعها ويخرجهم عنها، كما حواها رسول الله صلى الله عليه وآله ومنعها، إلّا ما كان في أيدي شيعتنا فإنّه يقاطعهم ويترك الأرض في أيديهم[2].

﴿قَالُوٓاْ﴾: أي بنو إسرائيل.

﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾: بالرسالة. قيل: أي بقتل الأبناء.

﴿وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾: أي بإعادته.

والقمّي: قال: قال الذّين آمنوا بموسى: قد أُوذينا قبل مجيئك يا موسى بقتل أولادنا، ومن بعد ما جئتنا لما حبسهم فرعون لإيمانهم بموسى[3].

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: صرّح بما

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٥، ح ٦٥. ٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٥، ح ٦٦.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٧.

وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾

كنّى عنه أولاً لمّا رأى أنّهم لم يتسلّوا بذلك.

﴿فَيَنظُرَ﴾: فيرى.

﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: من شكر، وكفران، وطاعة، وعصيان، ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾: بالجدوب لقلّة الأمطار والمياه.

والقمّي: يعني السّنين الجدبة[1].

أقول: السّنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرّخ به ثمّ اشتق منها فقيل: اَسْنَتَ القوم إذا قحطوا.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: بكثرة العاهات.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: لكي يتنبّهوا على أنّ ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتّعظوا وليرقّ قلوبهم بالشّدائد فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده.

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾: من الخصب والسّعة.

﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾: لأجلنا ونحن مستحقّوها.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جدب وبلاء.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٧.

وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾

﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾: يتشأموا بهم، ويقولوا: ما أصابتنا إلّا بشؤمهم.

القمّي: مقطوعاً قال: الحَسَنة هاهنا: الصحّة والسّلامة والأمن والسّعة، والسّيئة هنا: الجوع والخوف والمرض[١].

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي سبب خيرهم وشرّهم عنده، وهو حكمه ومشيئته كما قال: «قُل كُلٌّ مِن عِنْدِ الله»[٢].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: أي شيء تأتنا لتموّه علينا فما نحن لك بمصدّقين، أرادوا أنّهم مصرّون على تكذيبه، وإن أتى بجميع الآيات.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾: ما طاف بهم[٣] وغشيهم، العيّاشي: عن الصادق عليه السلام أنّه سئل ما الطّوفان؟ فقال: هو طوفان الماء، والطّاعون[٤].

﴿وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ﴾: قيل: هو كبار القردان، وقيل: هو صغار الجراد، وقيل: غير ذلك[٥].

﴿وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾: مبيّنات لا يشكل على عاقل أنّها آيات

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٧.
٢ ـ النساء: ٧٨.
٣ ـ الظاهر أنّ العبارة ناقصة. والأفضل أن يقال: ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل.
٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٥، ح ٦٧.
٥ ـ الأقوال كلّها في أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦٥.

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾

الله ونقمته عليهم، أو مفصّلات لإمتحان أحوالهم إذ كان بين كلّ آيتين منها سنة، وكان إمتداد كلّ واحدة اسبوعاً.

﴿فَاسْتَكْبَرُواْ﴾: عن الإيمان.

﴿وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾: العذاب، العيّاشي: عن الرّضا عليه السلام الرّجز: هو الثّلج، ثم قال: خراسان بلاد رجز[1].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام أنّه أصابهم ثلج أحمر لم يروه قبل ذلك فماتوا فيه وجزعوا، وأصابهم ما لم يعهدوه قبله[2].

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾: بعهده عندك.

﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ﴾: إلى حدّ من الزّمان هم بالغوه.

﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾: فاجؤوا النّكث وبادروه ولم يؤخّروه.

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: فأردنا الإنتقام منهم.

﴿فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾: في البحر الّذي لا يدرك قعره.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٥، ح ٦٨.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٦٩.

﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾: القمّي: مقطوعاً[١]، ونسب حديثه في المجمع: إلى الباقر عليه السلام والصّادق عليه السلام: قال: لمّا سجد السّحرة وآمن به النّاس، قال هامان لفرعون: إنّ النّاس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه، فحبس كلّ من آمن به من بني إسرائيل. فجاء إليه موسى فقال له: خلّ عن بني إسرائيل، فلم يفعل. فأنزل الله عليهم في تلك السّنة الطّوفان، فخرّب دورهم ومساكنهم حتّى خرجوا إلى البريّة، وضربوا الخيام، فقال فرعون لموسى: ادع لنا ربّك حتّى يكفّ عنّا الطّوفان حتّى أُخلّي عن بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الطّوفان، وهمّ فرعون أن يخلّي عن بني إسرائيل فقال له هامان: إن خلّيت عن بني إسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك، فقبل منه ولم يخلّ عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السّنة الثّانية الجراد فجرّدت كلّ شيءٍ كان لهم من النّبت والشّجر حتّى كانت تجرّد شعرهم ولحيتهم، فجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً، وقال: يا موسى ادع ربّك أن يكفّ عنّا الجراد حتّى أُخلّي عن بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الجراد، فلم يدعه هامان أن يخلّي عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السّنة الثّالثة القمّل فذهبت زروعهم وأصابتهم المجاعة، فقال فرعون لموسى: إن رفعت عنّا القمّل كففت عن بني إسرائيل فدعا موسى ربّه حتّى ذهب القمّل، وقال: أوّل ما خلق الله القمّل في ذلك الزّمان، فلم يخلّ عن بني إسرائيل فأرسل الله عليهم بعد ذلك الضّفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم، ويقال: إنّها تخرج من أدبارهم وآذانهم وآنافهم. فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً فجاؤوا إلى موسى فقالوا: ادع الله يذهب عنّا الضّفادع فإنّا نؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه فرفع الله عنهم ذلك، فلمّا أبوا أن يخلّوا عن بني إسرائيل حوّل الله ماء النّيل دماً. فكان القبطي يراه دماً والإسرائيليّ يراه ماءاً فإذا شربه الإسرائيليّ كان ماءاً، وإذا شربه القبطيّ يشربه دماً، وكان القبطيّ يقول للإسرائيلي: خذ الماء في فمك وصبّه في فمي فكان إذا صبّه في فم القبطيّ يحول دماً فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً فقالوا لموسى: لئن رفع الله عنّا

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

الدّم لنرسلنّ معك بني إسرائيل، فلمّا رفع الله عنهم الدّم غدروا ولم يخلّوا عن بني إسرائيل[1] فأرسل الله عليهم الرّجز وهو الثّلج ولم يروه قبل ذلك فماتوا فيه وجزعوا وأصابهم ما لم يعهدوه قبله، فقالوا: «يا موسى ادع لنا ربّك بما عهد عندك لئن كشفت عنّا الرّجز لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بني إسرائيل» فدعا ربّه فكشف عنهم الثّلج فخلّى عن بني إسرائيل، فلمّا خلّى عنهم اجتمعوا إلى موسى عليه السلام وخرج موسى عليه السلام من مصر واجتمع إليه من كان هرب من فرعون وبلغ فرعون ذلك، فقال له هامان: قد نهيتك أن تخلّي عن بني إسرائيل فقد استجمعوا إليه، فجزع فرعون وبعث في المدائن حاشرين، وخرج في طلب موسى[2].

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾: يعني بني إسرائيل، كان يستضعفهم فرعون وقومه بالإستعباد، وذبح الأبناء.

﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾: يعني أرض مصر والشّام، ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة، والعمالقة، وتمكنّوا في نواحيها.

﴿ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾: بالخصب والعيش.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: ومضت عليهم واتّصلت بإنجاز عدته إيّاهم بالنّصر والتّمكين، وهي قوله عزّ وجلّ: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ

---

١ ـ من بداية الحديث إلى هنا منقول عن مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٨.

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾

ٱسْتُضْعِفُواْ» إلى قوله: «مَا كَانُواْ يَحْذَرُون»[1]، وقرئ كلمات ربّك لتعدّد المواعيد.

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾: بسبب صبرهم على الشّدائد.

﴿وَدَمَّرْنَا﴾: وخرّبنا.

﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾: من القصور والعمارات.

﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾: من الجنان، أو ما كانوا يرفعون من البنيان، وقرئ بضمّ الرّاء.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾: بعد مهلك فرعون.

﴿فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: فمرّوا عليهم.

﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾: يقيمون على عبادتها.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾: صنماً نعبده.

﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾: يعبدونها.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: إشارة إلى القوم.

﴿مُتَبَّرٌ﴾: مدمّر مكسّر.

﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾: يعني إنّ الله يهدم دينهم الّذي هم عليه على يدي، ويحطّم أصنامهم هذه، ويجعلها رضاضاً.

---

١ ـ القصص: ٥ ـ ٦.

قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾
وَإِذْ أَنْجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْـعَذَابِ
يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُمْ بَلَآءٌ مِّن
رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَـيْلَةً وَأَتْمَـمْنَـٰهَا
بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ
ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾

﴿وَبَـٰطِلٌ﴾: مضمحلّ.

﴿مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: من عبادتها، لا ينتفعون بها وإن قصدوا بها التقرّب إلى الله عزّ وجلّ.

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهاً﴾: أطلب لكم معبوداً.

﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: والحال أنّه خصّكم بنعم لم يعطها غيركم.

﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت، وقرئ أنجاكم.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: يبغونكم ويكلّفونكم شدّة العذاب.

﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾: وقرئ بالتخفيف.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُمْ بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: في الإنجاء نعمة عظيمة، أو في العذاب محنة عظيمة[1].

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً﴾: ذا القعدة[2]، وقرئ ووعدنا.

---

١ ـ اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦٧، س ١١، وفيه: «في الإنجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة».

٢ ـ الصحيح أن تكون العبارة هكذا: ذو القعدة، أو أن تقول أنّ العدة كانت ذا القعدة. كما جاء في مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٧٣.

وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ﴾: من ذي الحجّة.

﴿فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: قد سبق تفسيره في سورة البقرة مبسوطاً[1].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾: كن خليفتي فيهم.

﴿وَأَصْلِحْ﴾: ما يجب أن يصلح من أمورهم.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: ولا تطع من دعاك إلى الإفساد، ولا تسلك طريقه.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا﴾: لوقتنا الّذي وقّتناه له وحدّدناه.

﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: من غير واسطة، كما يكلّم الملائكة.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾: أرني نفسك واجعلني متمّكناً من رؤيتك بأن تتجلّى لي فأنظر إليك وأراك.

﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾: لن تطيق رؤيتي.

﴿وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾: لمّا تجلّيت عليه.

﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: ظهر له عظمته، وتصدّى له إقتداره وأمره.

---

١ ـ ذيل الآية: ٥١.

﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾: مَدْكوكاً مفتّتاً، والدّكّ والدقّ متقاربان، وقرئ دكّاءَ أي أرضاً مستوية.

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: مغشيّاً عليه من هول ما رآى.

﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ﴾: تعظيماً لما رآى.

﴿سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: من الجرأة والإقدام على مثل هذا السّؤال.

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بأنّك لا تُرى، في المجمع: عن الصّادق عليه السلام معناه أنا أوّل من آمن وصدّق بأنّك لا ترى[1].

وفي العيون: عن الرّضا عليه السلام أنّه سئل كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران لا يعلم أنّ الله تعالى ذِكْره لا يجوز عليه الرّؤية حتى يسأله هذا السّؤال؟ فقال عليه السلام: إنّ كليم الله علم أنّ الله منزّه عن أن يرى بالأبصار، ولكنّه لمّا كلّمه الله عزّ وجلّ وقرّبه نجيّاً رجع إلى قومه فأخبرهم أنّ الله كلّمه وقرّبه وناجاه فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعته، وكان القوم سبعمائة ألف فاختار منهم سبعين ألفاً، ثمّ اختار منهم سبعة آلاف، ثم اختار منهم سبعمائة، ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه فخرج بهم إلى طور سيناء. فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى عليه السلام إلى الطّور وسأل الله عزّ وجلّ أن يكلّمه ويسمعهم كلامه. فكلّمه الله وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لأنّ الله أحدثه في الشّجرة ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن بأنّ هذا الّذي سمعناه كلام الله حتّى نرى الله جهرةً، فلمّا قالوا: هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا، بعث الله عليهم صاعقة يعني ناراً وقع من السّماء فأخذتهم الصّاعقة بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنّك ذهبت بهم فقتلتهم لانّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله عزّ وجلّ إيّاك، فأحياهم وبعثهم معه فقالوا: إنّك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك فتخبرنا كيف هو ونعرفه حقّ معرفته، فقال موسى: يا قوم إنّ الله لا يُرى بالأبصار ولا كيفيّة له وإنّما يعرف بآياته ويعلم بإعلامه، فقالوا: «لن نؤمن لك»

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٧٦.

حتّى تسأله، فقال موسى: يا ربّ إنّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله إليه يا موسى سلني ما سألوك فلن آخذك[1] بجهلهم فعند ذلك قال موسى: «ربّ أرِنِي أَنْظُرْ إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه» وهو يهوي «فسوف تراني فلمّا تجلّى ربّه للجبل» بآية من آياته «جعله دكّاً وخرّ موسى صَعِقاً فلمّا أفاق قال سبحانك تبت إليك» يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي «وأنا أوّل المؤمنين» منهم بأنّك لا تُرى[2].

وفي الإكمال: عن القائم عليه السلام في كلام فلمّا وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنّبوة يعني موسى عليه السلام واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظنّ أنّه الأصلح دون الأفسد علمنا أنّ لا إختيار إلّا لمن يعلم ما تخفي الصّدور وتكنّ الضمائر[3] الحديث، ويأتي تمامه في سورة القصص إن شاء الله تعالى.

وفي التّوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث وسأل موسى عليه السلام وجرى على لسانه من بعد حمد الله عزّ وجلّ «ربّ أرني أنظر إليك» فكانت مسألته تلك أمراً عظيماً، وسأل أمراً جسيماً فعوتب فقال الله تبارك وتعالى: «لن تراني» في الدّنيا حتى تموت فتراني في الآخرة، ولكن إن أردت أن تراني في الدّنيا فانظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني فأبدى الله سبحانه بعض آياته وتجلّى ربّنا للجبل فتقطّع الجبل فصار رميماً وخرّ موسى صعقاً، ثمّ أحياه الله وبعثه فقال: «سبحانك تبت إليك وأَنَا أوّل المؤمنين» يعني أوّل من آمن بك منهم أنّه لن يراك[4].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام: إنّ موسى بن عمران عليه السلام لمّا سأل ربّه النّظر إليه وعده الله

---

١ ـ وفي نسخة [فلم أُؤاخذك].

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٤٦٢، ح ٢١، باب ٤٣ ـ ذكر من شاهد القائم ورآه وكلّمه.

٤ ـ التوحيد: ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣، ح ٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنوية والزنادقة.

أن يقعد في موضع ثمّ أمر الملائكة أن تمرّ عليه موكباً موكباً بالبرق والرّعد والرّيح والصّواعق فكلّما مرّ به موكب من المواكب ارتعدت فرائصه فيرفع رأسه فيسأل أفيكم ربّي فيجاب هو آت وقد سألت عظيماً يا ابن عمران[١].

وعنه، عن الباقر عليه السلام: لمّا سأل موسى عليه السلام ربّه تبارك وتعالى «قال ربّ أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني»، قال: فلمّا صعد موسى الجبل فتحت أبواب السماء وأقبلت الملائكة أفواجاً في أيديهم العمد وفي رأسها النّور يمرّون به فوجاً بعد فوج يقولون: يا ابن عمران أثبت فقد سألت عظيماً، قال: فلم يزل موسى عليه السلام واقفاً حتّى تجلّى ربّنا جلّ جلاله فجعل الجبل دكّاً وخرّ موسى صَعِقاً، فلمّا أن ردّ الله إليه روحه وأفاق قال: «سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين»[٢].

وفي رواية: إنّ النّار أحاطت بموسى عليه السلام لئلّا يهرب لهول ما رآى، وقال: لمّا خرّ موسى صعقاً مات، فلمّا أن ردّ الله روحه أفاق فقال: «سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين»[٣].

والقمّي: في قوله: «ولكن انظر إلى الجَبَل» قال: فرفع الله الحجاب ونظر إلى الجَبَل فساخ[٤] الجبل في البحر فهو يهوي حتّى السّاعة ونزلت الملائكة وفتحت أبواب السّماء فأوحى الله إلى الملائكة أدركوا موسى لا يهرب فنزلت الملائكة وأحاطت بموسى وقالوا: اثبت يا ابن عمران فقد سألت الله عظيماً، فلمّا نظر موسى إلى الجبل قد ساخ والملائكة قد نزلت وقع على وجهه من خشية الله وهول ما رآى. فردّ الله عليه روحه فرفع رأسه وأفاق، وقال: «سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين» أي أوّل من صدّق إنّك لا تُرى[٥].

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٧، ح ٧٤.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٦ ـ ٢٧، ح ٧٢.
٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٧، ح ٧٦.
٤ ـ وساخت فرسي: غاصَت في الأرض، وساخت بهم الأرض بالوجهين: خسفت. وساخ يسيخ سيخاً: رسخ. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤٣٥، مادة «سوخ».
٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٠.

وفي البصائر: عن الصادق عليه السلام إنّ الكروبيّين قوم من شيعتنا من الخلق الأوّل جعلهم الله خلف العرش لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثمّ قال: إنّ موسى عليه السلام لمّا سأل ربّه ما سأل أمر واحداً من الكروبيّين فتجلّى للجبل وجَعله دكّاً[١].

قال في الجوامع: وقيل في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بقوله أرني أنـظر إليك عرّفني نفسك تعريفاً واضحاً جليّاً بإظهار بعض آيات الآخرة الّتي تضطر الخلق إلى معرفتك، أنظر إليك أعرفك معرفة ضروريّة كأنّي أنظر إليك كما جاء في الحديث «سترون ربكـم كـما ترون القمر ليلة البدر» بمعنى ستعرفونه معرفة جليّة هي في الجلاء مثل إبـصاركم القـمر إذا امتلى واستوى بدراً، قال: «لن تراني» لن تطيق معرفتي على هذه الطّريقة، ولن تحتمل قوّتك تلك الآية، ولكن اُنظر إلى الجبل فإنّي أورد عليه آية من تلك الآيات فإن ثبت لتجلّيها واستقرّ مكانه فسوف تثبت بها وتطيقها «فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ» فلّما ظهرت للجبل آية من آيات ربّه «جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقَاً» لعظم ما رآى «فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تبتُ إِلَيْكَ» ممّا اقترحت «وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ» بعظمتك وجلالك[٢].

أقول: تحقيق القول في رؤية الله سبحانه ما أفاده مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يعرف بالقياس، ولا يـدرك بالحواس، ولا يشبه بالنّاس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات[٣].

وقال عليه السلام: لم أعبد ربّاً لم أره[٤].

وفي التّوحيد: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عن الله عزّ وجلّ هـل يـراه المـؤمنون يـوم القيامة؟ قال: نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة، فقيل: متى؟ قال: حين قال لهم: «أَلَسْتُ بِـرَبِّكُمْ

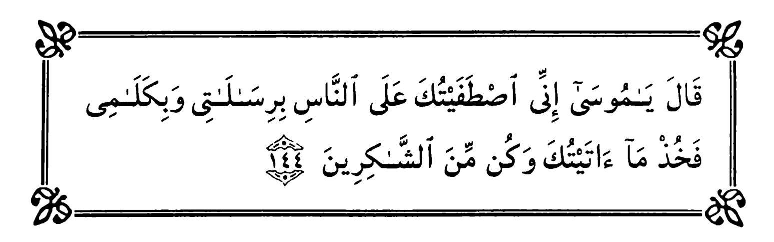
---

١ ـ بصائر الدرجات: ص ٨٩، ح ٢، باب نادر من الباب.

٢ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٦٩.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٩٧، ح ٥، باب في ابطال الرؤية، والرواية عن الباقر عليه السلام.

٤ ـ التوحيد: ص ١٠٩، ح ٦، باب ٨ ـ ما جاء في الرؤية. وفيه ماكنت أعبد... والكافي: ج ١، ص ٩٧ ـ ٩٨، ح ٦، باب في إبطال الرؤية. وفيه: ماكنت أعبد....



قَالُوا بَلَى»(١)، ثمّ سكت ساعةً، ثمّ قال: وإنّ المؤمنين ليرونه في الدّنيا قبل يوم القيامة ألست تراه في وقتك هذا؟ قيل: فأُحدّث بها عنك؟ فقال: لا فإنّك إذا حدّثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله، ثمّ قدّر أنّ ذلك تشبيه كفر وليست الرؤية بالقلب كالرّؤية بالعين تعالى الله عمّا يصفه المشّبهون والملحدون(٢).

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ﴾: اخترتك.

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: أي الذين كانوا في زمانك، وهارون وإن كان نبيّاً كان مأموراً باتّباعه، ولم يكن كليماً ولا صاحب شرع.

﴿بِرِسَـٰلَـٰتِى﴾: يعني أسفار التوراة، وقرئ برسالتي.

﴿وَبِكَلَـٰمِى﴾: وبتكليمي إيّاك.

﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾: ما أعطيتك من الرّسالة.

﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾: على النعمة، فيه روي إنّ سؤال الرّؤية كان يوم عرفة، وإعطاء التوراة يوم النحر(٣).

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام أن يا موسى تدري لما اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ قال: يا ربّ ولم ذاك؟ قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه يا موسى إنّي قلّبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لي نفساً منك، يا

---

١ ـ الأعراف: ١٧٢.

٢ ـ التوحيد: ص ١١٧، ح ٢٠، باب ٨ ـ ما جاء في الرؤية.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦٨.

وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

موسى إنّك إذا صلّيت وضعت خدّك على التّراب، أو قال: على الأرض[١]، وفي العلل: عنه عليه السلام ما يقرب منه[٢].

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: وممّا يحتاجون إليه من أمر الدّين.

﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: وكانت زبرجدة من الجنّة كما رواه العيّاشي: عن الصادق عليه السلام[٣].

وفي البصائر: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّها كانت من زمرّد أخضر[٤].

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾: بجد وعزيمة. القمّي: أي قوّة القلب[٥].

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾: بأحسن ما فيها كالصّبر والعفو بالإضافة إلى الإنتقام والإقتصاص، وهو مثل قوله سبحانه وتعالى: «واتّبعوا أحسن مَا أُنـزِلَ إِلَـيْكُمْ مِـن رَّبِّكُم»[٦]، وقوله: «فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ»[٧].

﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾: منازل القرون الماضية المخالفة لأمر الله الخارجة عن

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٢٣، ح ٧، باب التواضع، وفيه: «أتدري لما... أن يا موسى...».

٢ ـ علل الشرائع: ص ٥٦ ـ ٥٧، ح ٢، باب ٥٠ ـ العلّة التي من أجلها اصطفى الله عزّ وجلّ موسى لكلامه من دون خلقه.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٨، ح ٧٧.

٤ ـ بصائر الدرجات: ص ١٦١، ح ٦، باب ١١ ـ ما يبيّن فيه كيفيّة وصول الألواح إلى آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٠.

٦ ـ الزمر: ٥٥.

٧ ـ الزمر: ١٨.

طاعة الله لتعتبروا.

العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام في الجفر إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أنزل الألواح على موسى عليه السلام أنزلها عليه وفيها تبيان كلّ شيء كان أو هو كائن إلى أن تقوم السّاعة فلمّا انقضت أيّام موسى عليه السلام أوحى الله إليه أن استودع الألواح وهي زبرجدة من الجنّة، جبلاً يقال له: زينة فأتى موسى الجبل فانشقّ له الجبل فجعل فيه الألواح ملفوفة فلمّا جعلها فيه انطبق الجبل عليها فلم تزل في الجبل حتى بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله فأقبل ركب من اليمن يريدون الرّسول صلى الله عليه وآله فلمّا انتهوا إلى الجبل انفرج الجبل وخرجت الألواح ملفوفة كما وضعها موسى عليه السلام فأخذها القوم فلمّا وقعت في أيديهم أُلقي في قلوبهم أن لا ينظروا إليها، وهابوها حتى يأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله جبرئيل على نبيّه صلى الله عليه وآله فأخبره بأمر القوم وبالّذي أصابوه فلمّا قدموا على النّبي صلى الله عليه وآله وسلّموا عليه ابتدأهم فسألهم عمّا وجدوا فقالوا: وما علمك بما وجدنا؟ قال: أخبرني به ربي وهو الألواح، قالوا: نشهد أنّك لرسول الله صلى الله عليه وآله فأخرجوها فوضعوها إليه فنظر إليها وقرأها ووضعوها[1] وكانت بالعبراني، ثمّ دعا أمير المؤمنين عليه السلام فقال: دونك هذه ففيها علم الأوّلين والآخرين وهي ألواح موسى، وقد أمرني ربّي أن أدفعها إليك فقال: لست أُحسن قراءتها، قال: إنّ جبرئيل أمرني أن آمُرك أن تضعها تحت رأسك ليلتك هذه فإنّك تصبح وقد علمت قراءتها، قال: فجعلها تحت رأسه فأصبح وقد علّمه الله كلّ شيءٍ فيها فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بنسخها فنسخها في جلد وهو الجفر، وفيه علم الأوّلين والآخرين، وهو عندنا والألواح عندنا، وعصا موسى عندنا، ونحن ورثنا النّبيّين ـ صلى الله عليهم ـ أجمعين، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: تلك الصّخرة الّتي حفظت ألواح موسى تحت شجرة في واد يعرف بكذا[2].

وفي البصائر: أنّ الباقر عليه السلام عرّف تلك الصّخرة ليماني دخل عليه[3].

---

١ ـ وفي نسخة: [فوضعوها] كما في المصدر.   ٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٨، ح ٧٧.

٣ ـ بصائر الدرجات: ص ١٦١، ح ٧، باب ١١ ـ ما يبين فيه كيفيّة وصول الألواح إلى آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾

وفيه: هذا الخبر بنحو آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفي آخره فأخذه النّبي صلى الله عليه وآله وإذا هو كتاب بالعبرانيّة دقيق فدفعه إليّ ووضعته عند رأسي فأصبحت بالغداة وهو كتاب بالعربيّة جليل فيه علم ما خلق الله منذ قامت السّماوات والأرض إلى أن تقوم السّاعة فعلمت ذلك[1].

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: بـالطّبع على قلوبهم فلا يتفكّرون فيها ولا يعتبرون بها.

﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ﴾: منزلة أو معجزة.

﴿لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾: لإختلاف عقولهم بسبب إنهماكهم في التّقليد والهوى، في الحديث: إذا عظّمت أُمّتي الدّنيا نزعت عنها هيبة الإسلام، وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر حرمت بركة الوحي[2].

﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾: وقرئ الرّشد بفتحتين.

﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾: القمّي: قال: إذا رأوا الإيمان والصّدق والوفاء والعمل الصّالح لا يتّخذوه سبيلاً، وإن يروا الشّرك والزّنـا والمـعاصي يأخـذوا بهـا ويعملوا بها[3].

---

١ ـ بصائر الدرجات: ص ١٦١، ح ٦، باب ١١ ـ ما يبيّن فيه كيفيّة وصول الألواح إلى آل محـمد صـلوات الله عليهم أجمعين.

٢ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٧٠.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٠.

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾: ذلك الصّرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبّرهم للآيات.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾: لا ينتفعون بها.

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: إلّا جزاء أعمالهم.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِۦ﴾: من بعد ذهابه للميقات.

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾: وقرئ بكسر الحاء.

﴿عِجْلاً جَسَداً﴾: خالياً من الرّوح.

﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾: صوت كصوت البقر، قد مضى قصّة العجل مبسوطة في سورة البقرة[١].

العيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّ في ماناجى موسى به ربّه أن قال: ياربّ هذا السّامري صنع العجل فالخوار من صنعه، قال: فأوحى الله إليه يا موسى أنّ تلك فتنتي فلا تفحّص عنها[٢].

وعن الصّادق عليه السلام: قال: يا ربّ وَمَن أَخارَ الصَّنَم؟ فقال الله: يا موسى أَنا أَخَرتُه، فقال: موسى: «إن هي إلّا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء»[٣][٤].

---

١ ـ ذيل الآية: ٥١.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٩، ح ٨٠.

٣ ـ الأعراف: ١٥٥.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٩، ح ٧٩.

وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾: تقريع على فرط ضلالتهم وإخلالهم بالنّظر، يعني إنّه ليس كآحاد البشر فكيف يكون خالقُ القوى والقدر.

﴿ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾: واضعين الأشياء في غير مواضعها فلم يكن اتّخاذ العجل بدعاً منهم.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ﴾: كناية عن اشتداد ندمهم فإنّ النّادم المتحسّر يعضّ يده غمّاً فتصير يده مسقوطاً فيها.

﴿وَرَأَوْاْ﴾: وعلموا.

﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾: باتخاذ العجل.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾: بالتجاوز عن الخطيئة.

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: وقرئ بالخطاب والنّداء.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾: شديد الغضب، أو حزيناً.

﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾: أي قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله.

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾: يقال: عجل عن الأمر إذا تركه غير تامّ وأعجله عنه غيره

ويضمن معنى سبق فيقال: عجل الأمر، والمعنى أتركتم أمر ربّكم غير تام؟ وهو انتظار موسى حافظين لعهده.

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾: طرحها من شدّة الغضب لله وفرط الضجر[١] حميّة للدّين.

روي: أنّه لمّا ألقاها انكسرت فذهب بعضها[٢].

وفي البصائر: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ منها ما تكسّر، ومنها ما بقي، ومنها ما ارتفع[٣].

وعن الباقر عليه السلام: إنّه عرّف يمانياً صخرة باليمن ثمّ قال: تلك الصّخرة الّتي التقمت ما ذهب من التوراة حين ألقى موسى الألواح فلمّا بعث الله رسوله صلى الله عليه وآله أدّته إليه وهي عندنا[٤].

وفي المجمع: عن النّبي صلى الله عليه وآله رحم الله أخي موسى عليه السلام ليس المخبر كالمعاين لقد أخبره الله بفتنة قومه، ولقد عرف أنّ ما أخبره ربّه حقّ أنّه على ذلك لمتمسّك بما في يديه فرجع إلى قومه ورآهم فغضب وألقى الألواح[٥].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام ما في معناه[٦].

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾: في العلل: عن الصّادق عليه السلام وذلك لأنّه لم يفارقهم لمّا فعلوا ذلك، ولم يلحق بموسى، وكان إذا فارقهم ينزل بهم العذاب[٧].

---

١ ـ ضجر من الشيء ضَجْرَاً من باب ـ تعب ـ فهو ضَجِر: أي اغتم وقلق منه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٧١، مادة «ضجر».

٢ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٠. وإليك نصّه: روي أنّ التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح، فلمّا ألقاها انكسرت فرفع ستّة أسباعها.... الحديث.

٣ ـ بصائر الدرجات: ص ١٦١، ح ٦، باب ١١ ـ ما يبين فيه كيفية وصول الألواح إلى آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

٤ ـ بصائر الدرجات: ص ١٥٧، ح ٧، باب ١٠ ـ ما عند الأئمة من كتب الأولين، كتب الأنبياء التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٨٢.

٦ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٩، ح ٨١.

٧ ـ علل الشرائع: ص ٦٨، ح ١، باب ٥٨ ـ العلّة التي من أجلها قال هارون لموسى عليهما السلام: يا ابن أُم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، ولم يقل يابن أبي.

﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ﴾: وقرئ أُمِّ[١] بالكسر، وإنّما نسبه إلى الأُمّ لأنّه أقرب إلى الإستعطاف.

وفي العلل: عنه عليه السلام ولم يقل يا ابن أبي لأنّ بني الأب إذا كانت امهاتهم شتّى لم تستبعد العداوة بينهم إلّا من عصَمَه الله منهم، وإنّما تستبعد العداوة بين بني أُمّ واحدة[٢].

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الوسيلة إنّه كان أخاه لأبيه وأمّه[٣].

والقمّي: مثله عن الباقر والصادق عليهما السلام [٤].

قيل: وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين وكان حمولاً[٥] ليّناً ولذلك كان أحبّ إلى بني إسرائيل[٦].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام إنّ الوحي ينزل على موسى، وموسى عليه السلام يوحيه إلى هارون، وكان موسى يناجي ربّه، ويكتب العلم، ويقضي بين بني إسرائيل، قال: ولم يكن لموسى ولد وكان الولد لهارون[٧].

﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى﴾: قهروني واتخذوني ضعيفاً، ولم ألُ جهداً في كفّهم بالإنذار والوعظ.

﴿وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾: وقاربوا قتلي لشدّة إنكاري عليهم.

﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾: فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله.

---

١ ـ نسب إلى عاصم أنّه قرأ «يا أُمِّ» بالفتح هنا، وفي سورة طه: «يا ابن أُمِّ» بالكسر، لأنّ أصله يا ابن أمي فحذفت الياء إكتفاءاً بالكسر تخفيفاً كالمنادى المضاف إلى الياء. راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٠.

٢ ـ علل الشرائع: ص ٦٨، ح ١، باب ٥٨ ـ العلّة التي من أجلها قال هارون لموسى عليهما السلام: يا ابن أُم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، ولم يقل يابن أبي.

٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٧، ح ٤.

٤ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ١٣٧.

٥ ـ وحَمَلَ عنه: حَلُمَ، فهو حمولٌ: ذو حلم. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٦١، مادة «حمل».

٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٠.

٧ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ١٣٧ من سورة القصص.

قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾

﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: معدوداً في عدادهم بالمؤاخذة عليّ ونسبة التّقصير إلي.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: قيل: هو ما أُمروا من قتل أنفسهم[1].

﴿وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: قيل: هي خروجهم من ديارهم[2]، وقيل: هي الجزية[3].

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾: وافتراؤهم قولهم: «هذا إلـهكم وإلـه موسى»[4].

في الكافي: عن الباقر عليه السلام أنّه تلا هذه الآية فقال: فلا ترى صاحب بدعة إلّا ذليلاً، ولا مفترياً على الله عزّ وجلّ وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته ـ صلوات الله عليهم ـ إلّا ذليلاً[5].

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: من الكفر والمعاصي.

﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: من بعد السيئات.

﴿وَءَامَنُوٓا۟﴾: وعملوا بمقتضى الإيمان.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: من بعد التوبة.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٠.

٢ و ٣ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧١. ٤ ـ طه: ٨٨.

٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٦، ح ٦، باب الإخلاص.

وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾: عبّر عن سكون الغضب وإطفائه بالسّكوت. تنبيهاً على أنّ الغضب كان هو الحامل له على ما فعل، والأمر له به والمغرى عليه، وهذا من البلاغة في الكلام.

﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾: التي ألقاها.

﴿وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى﴾: دلالة وبيان لما يحتاج إليه من أمر الدّين.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾: نعمة ومنفعة.

﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾: معاصي الله.

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾: من قومه، من باب الحذف والإيصال.

﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا﴾: سبقت قصّتهم عند ذكر سؤال الرّؤية.

﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ﴾: تمنّى هلاكهم، وهلاكه قبل أن يرى ما رآى.

﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾: من التّجاسر على طلب الرّؤية.

في التّوحيد: عن الرّضا عليه السلام إنّ السّبعين لمّا صاروا معه إلى الجبل قالوا له: إنّك قد رأيت الله سبحانه فأرناه كما رأيته، فقال: إنّي لم أره، فقالوا: «لن نؤمن لك حتّى نرى الله

وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

جهرةً»[1] «فأخذتهم الصّاعقة»[2]، واحترقوا عن آخرهم، وبقي موسى وحيداً، فقال: يا ربّ اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم وأرجع وحدي فكيف يصدّقني قومي بما أخبرتهم به؟ فـ«لو شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِن قَبْلُ وَإِيَّـٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَّا»[3]؟ فأحياهم الله بعد موتهم[4].

وفي العيون[5]: ما يقرب منه كما مرّ.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾: ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتّى طمعوا في الرّؤية.

﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾: القائم بأمرنا.

﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ﴾: تغفر السيئة وتبدّلها بالحسنة.

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: حسن معيشة، وتوفيق طاعة.

﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾: الجنّة.

﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾: تبنا إليك، من هاد يهود إذا رجع.

﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ﴾: تعذيبه.

---

١ ـ البقرة: ٥٥.
٢ ـ النساء: ١٥٣، الذاريات: ٤٤.
٣ ـ الأعراف: ١٥٥.
٤ ـ التوحيد: ص ٤٢٤، ح ١، باب ٦٥ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام.
٥ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١٦٠ ـ ١٦١، ح ١، باب ١٢ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات في التوحيد عند المأمون.

ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾: في الدنيا فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلّا وهو متقلّب في نعمتي، أو في الدنيا والآخرة، إلّا أنّ قوماً لم يدخلوها لضلالهم.

﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾: فسأثبتها وأوجبها في الآخرة.

﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: الشرك والمعاصي.

﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾: ولا يكفرون بشيء منها.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ﴾: في الكافي: عنهما عليهما السلام الرسول: الّذي يظهر له الملك فيكلّمه، والنّبي: هو الّذي يرى في منامه، وربّما اجتمعت النّبوّة والرّسالة لواحد[١].

﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾: المنسوب إلى أمّ القرى وهي مكّة، كذا في المجمع[٢] عن الباقر عليه السلام، والعيّاشي: عنه عليه السلام أنّه سئل لم سمّي النّبي الأمّي؟ قال: نسب إلى مكّة، وذلك قول الله: «لِتُنْذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا»[٣] وأمّ القرى مكّة، فقيل: أمّي لذلك[٤].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ١٧٧، ح ٤، باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدّث.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٨٦. ٣ ـ الأنعام: ٩٢.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣١، ح ٨٦.

وفي العلل: عن الجواد عليه السلام أنّه سئل عن ذلك؟ فقال: ما يقول النّاس؟ قال: يزعمون أنّه إنّما سمّي الأُمّي لأنّه لم يحسن أن يكتب، فقال: كذبوا عليهم لعنة الله، أنّىٰ ذلك، والله يقول: «هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ»[١]، فكيف كان يعلّمهم ما لا يحسن، والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ ويكتب باثنين وسبعين، أو قال: بثلاث وسبعين لساناً، وإنّما سمّي الأُمّي لأنّه كان من أهل مكّة، ومكّة من أُمّهات القرى، وذلك قول الله عزّ وجلّ: «لِتُنْذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا»[٢][٣]

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنْجِيلِ﴾: باسمه ونعته.

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام يعني اليهود والنصارى صفة محمّد واسمه[٤].

وفي المجالس: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال يهوديّ لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي قرأت نعتك في التّوراة محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، مولده بمكّة ومهاجره بطيبة، ليس بفظّ[٥]، ولا غليظ، ولا سخّاب[٦]، ولا مترنّن[٧] بالفحش، ولا قول الخنا[٨]، وأنا أشهد أن لا إلـه إلّا الله، وأنّك

---

١ ـ الجمعة: ٢. ٢ ـ الأنعام: ٩٢.

٣ ـ علل الشرائع: ص ١٢٤ ـ ١٢٥، ح ١، باب ١٠٥ ـ العلّة التي من أجلها سمي النّبي صلى الله عليه وآله الأُمّي.

٤ ـ اعلم إنّ هنا سقط في صدر الحديث وذيله، وإليك نصّه، عن أبي جعفر عليه السلام قال في قوله: «يَجِدُونَهُ» يعني اليهود والنصارى صفة محمد واسمه «مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر»، راجع تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣١، ح ٨٧.

٥ ـ فظ يفظ من باب تعب فظاظةً: إذا غلظ. بمعنى سيئ الخلق، القاسي القلب. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٨٩، مادة «فظظ».

٦ ـ إيّاك أن تكون سخّاباً هو بالسين المفتوحة والباء الموحّدة صيغة مبالغة من «السَّخَب» بالتحريك: وهو شدّة الصوت، من تساخب القوم: تصايحوا وتضاربوا. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٨١، مادة «سخب».

٧ ـ المترنّن: بنونين من الرنّة بالفتح والتشديد، أعني الصوت، يقال: رنت المرأة ترِنُّ من باب ضرب رَنيناً: صوّت. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٥٨، مادة «رنن».

٨ ـ الخناء: مرادف للفحش. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٥٨، وفي ج ١، ص ١٣٢: الخنا ـ مقصور ـ: الفحش من القول.

رسول الله ﷺ، هذا مالي فاحكم فيه بما أنزل الله[١].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام لمّا نزلت التّوراة على موسى عليه السلام بشّر بمحمد ﷺ قال: فلم تزل الأنبياء تبشّر به حتّى بعث الله المسيح عيسى بن مريم فبشّر بمحمّد ﷺ وذلك قوله تعالى: «يجدونه»: يعني اليهود والنّصارى «مكتوباً»: يعني صفة محمّد ﷺ، «عندهم»: يعني في التوراة والإنجيل، وهو قول الله عزّ وجلّ يخبر عن عيسى عليه السلام: «وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ»[٢][٣].

وفيه مرفوعاً: إنّ موسى عليه السلام ناجاه ربّه تبارك وتعالى فقال له في مناجاته: أوصيك يا موسى وصيّة الشّفيق المشفق بابن البتول عيسى بن مريم، ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر، الطيّب، الطّاهر، المطهّر، فمثله في كتابك إنّه مهيمن على الكتب كلّها، وأنّه راكع، ساجد، راغب، راهب، إخوانه المساكين، وأنصاره قوم آخرون[٤][٥].

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾: يستفاد من بعض الرّوايات تأويل الطّيبات بأخذ العلم من أهله، والخبائث بقول من خالف.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾: ويخفّف عنهم ما كلّفوا به من التّكاليف الشّاقّة وأصل الإصر: الثّقل، وقد مضى حديث وضع الإصر عن هذه الأمّة في

---

١ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٧٦، ح ٦، المجلس الحادي والسبعون.

٢ ـ الصف: ٦. ٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ١١٧، ح ٩٢.

٤ ـ لعلّ المراد بالآخرين: جمع من الناس ليسوا في مرتبتهم يعدّون منهم، وليسوا منهم، ولم يلحق الناس بهم، ولم يبلغوا درجاتهم، والحاصل: قوم آخرون من الناس يعني يغيارونهم في الأحوال والصفات والإيمان والعلم مثل سلمان، وأبي ذر، والمقداد، وأبي دجانة، ونظرائهم كما يشهد به ما روي من أنّه ﷺ لما قرأ قوله تعالى: «يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّماوَات وَمَا فِي الأَرض» إلى قوله: «وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِم»، قيل له: من هؤلاء؟ فوضع يده على كتف سلمان فقال: لوكان الإيمان عندالثريّالیناله رجال من هؤلاء، ويطلب تفصيله من تفسيرالجمعة،منه قدس سره.

٥ ـ الكافي: ج ٨، ص ٤٢ ـ ٤٣، ح ٨، حديث موسى عليه السلام.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٨﴾

آخر سورة البقرة[1]، وقرئ آصارهم.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾: وعظموه بالتّقوية والذّبّ عنه، وأصل التّعزير: المنع.

﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾: فسر النور: بالقرآن[2].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام النّور: عليّ عليه السلام[3].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام النّور في هذا الموضع: عليّ أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة عليهم السلام[4].

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾: في المجالس: عن الحسن المجتبى عليه السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا محمّد أنت الّذي تزعم أنّك رسول الله وأنّك الّذي يوحى إليك كما يوحى إلى موسى بن عمران؟ فسكت النّبي صلى الله عليه وآله ساعة ثمّ قال: نعم أنا سيّد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النّبيّين وإمام المتّقين

---

١ ـ البقرة: ذيل الآية ٢٨٦.

٢ ـ وفي نسخة: [قيل: النور القرآن] راجع تفسير أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٢.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣١، ح ٨٨.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ١٩٤، ح ٢، باب إنّ الأئمّة عليهم السلام نور الله عزّ وجلّ.

وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾

ورسول ربّ العالمين، قالوا: إلى من إلى العرب أم إلى العجم أم إلينا؟ فأنزل الله هذه الآية[١].

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾: يريد بها ما أنزل الله عليه، وعلى من تقدّمه من الرّسل.

﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: **أقول**: يعني إلى العلم اللّدني الموصل إلى محبّة الله وولايته فإنّه لا يحصل إلّا بالإيمان واتّباع النّبي، ومن أمر النبي ﷺ باتّباعه.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾: بكلمة الحقّ.

﴿وَبِهِۦ﴾: وبالحقّ.

﴿يَعْدِلُونَ﴾: بينهم في الحكم[٢].

---

١ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١٥٧، ح ١، المجلس الخامس والثلاثون.

٢ ـ العياشي: ج ٢، ص ٣٢، ح ٩٠ ـ ٩١، عن الصادق عليه السلام، قال: إذا قام قائم آل محمد من آل محمد عليهم السلام استخرج من ظهر الكعبة سبعة وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أصحاب الكهف، ويوشع وصي موسى، ومؤمن آل فرعون، وسلمان الفارسي، وأبو دجانة

العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية قوم موسى: هم أهل الإسلام[1].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام إنّ هذه الأُمّة قوم من وراء الصّين، بينهم وبين الصّين واد حارّ من الرّمل، لم يغيّروا ولم يبدّلوا، ليس لأحدهم مال دون صاحبه، يمطرون باللّيل، ويضحون بالنّهار، ويزرعون لا يصل منّا إليهم أحد، ولا منهم إلينا، وهم على الحقّ، وقال: وقيل: إنّ جبرئيل انطلق بالنّبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج إليهم فقرأ عليهم من القرآن عشر سور نزلت بمكّة فآمنوا به وصدّقوه، وأمرهم أن يقيموا مكانهم ويتركوا السّبت، وأمرهم بالصّلاة والزّكاة ولم تكن نزلت فريضة غيرهما ففعلوا، قال: وروى أصحابنا أنّهم يخرجون مع قائم آل محمد عليهم السلام، وروي: أنّ ذا القرنين رآهم وقال: لو أُمرت بالمقام لسرّني أن أُقيم بين أظهركم[2].

﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمُ﴾: وصيّرناهم قطعاً متميّزاً بعضهم عن بعض.

﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً﴾: والأسباط ولد الأولاد، والأسباط في ولد يعقوب بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ اسْتَسْقَـٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾: في التّيه.

﴿أَنِ اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ﴾: أي فضرب فانبجست، وفي حذفه إشارة إلى أنّه لم يتوقّف في الإمتثال.

﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾: كلّ سبط مشربهم.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَـٰمَ﴾: ليقيهم حرّ الشّمس.

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُواْ﴾: أي وقلنا لهم: كلوا.

﴿مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

الأنصاري، ومالك الأشتر، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام افترقت على إحدى وسبعين فرقة كلّها في النار إلّا واحدة، فإنّ الله يقول: «ومن قوم موسى أُمّة يهدون بالحق وبه يعدلون» فهذه التي تنجو. منه قدس سره.

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣١ ـ ٣٢، ح ٨٩.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٨٩.

وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَـٰتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

مضى تفسيره في سورة البقرة[١].

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: بإضمار اذكروا، والقرية: بيت المقدس.

﴿وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَـٰتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾: مضى تفسيره فيها[٢]، وقرئ تغفر بالتّاء والبناء للمفعول، وخطيئتكم بالتّوحيد، وخطاياكم.

﴿وَسْئَلْهُمْ﴾: واسأل اليهود، وهو سؤال تقريع بقديم الكفر[٣] وتجاوزهم حدود الله.

﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾: عن خبرها، وما وقع بأهلها.

﴿ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾: قريبة منه.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: يتجاوزون حدود الله تعالى بالصّيد يوم السّبت وقد نهوا عنه.

---

١ ـ البقرة: ذيل الآية ٥٧.
٢ ـ البقرة: ذيل الآية ٥٩.
٣ ـ وفي نسخة: [بتقديم كفرهم].

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾: يوم تعظيمهم أمر يوم السبت، مصدر سبت اليهود إذا عظمت سبتها بالتّجرد للعبادة.

﴿شُرَّعاً﴾: ظاهرة على وجه الماء، من شرع عليه إذا دنا منه وأشرف.

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾: جماعة من أهل القرية.

﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾: مخترمهم.

﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾: لتماديهم في العصيان.

﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً﴾: وقرئ معذرة بالنّصب.

﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: يعني موعظتنا إنهاء عذر إلى الله حتّى لا تنسب إلى تفريط في النّهي عن المنكر.

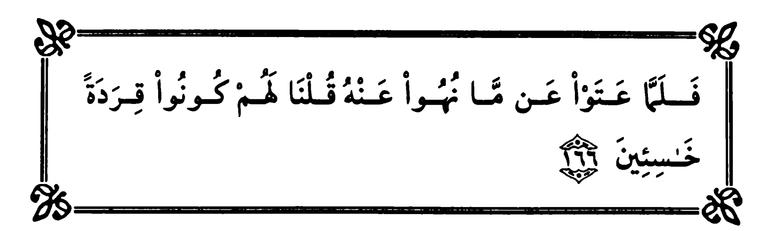
﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: إذ اليأس لا يحصل إلّا بالهلاك.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾: تركوا ترك النّاسي.

﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾: ما ذكرّهم به الواعظون.

﴿أَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾: عن البلاء.

﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾: شديد من بَؤُسَ يَبْؤُسُ بأساً إذا اشتدّ، وقرئ على وزن ضيغم، وبكسر الباء وسكون الهمزة وبكسرها، وقَلْب الهمزة ياءاً.



﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾: بسبب فسقهم.

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾: تكبّروا عن النّهي أو عن ترك ما نهو عنه، وهذا مثل قوله تعالى: «وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ»[1].

﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِئِينَ﴾: مطرودين مبعدين من كلّ خير، كقوله: «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون»[2].

في تفسير الإمام عليه السلام في سورة البقرة عند قوله تعالى: «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنْكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ»[3]، قال علي بن الحسين عليهما السلام: كان هؤلاء قوماً يسكنون على شاطئ بحر نهاهم الله وأنبياؤه عن اصطياد السمك في يوم السبت، فتوصّلوا إلى حيلة ليحلّوا بها لأنفسهم ما حرّم الله فخدّوا أخاديد[4] وعملوا طرقاً تؤدّي إلى حياض يتهيّأ للحيتان الدّخول فيها من تلك الطّرق ولا يتهيّأ لها الخروج إذ همّت بالرّجوع فجاءت الحيتان يوم السبت جارية على أمان لها فدخلت الأخاديد وحصلت في الحياض والغدران فلمّا كانت عشيّة السبت وهمت بالرّجوع منها إلى اللّجج لتأمن من صائدها فرامت الرّجوع فلم تقدر وبقيت ليلها في مكان يتهيّأ أخذها بلا اصطياد لإسترسالها فيه وعجزها عن الإمتناع لمنع المكان لها، وكانوا يأخذونها يوم الأحد ويقولون ما اصطدنا في يوم السبت إنّما اصطدنا في يوم الأحد، وكذب أعداء الله بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم الّتي عملوها يوم السّبت حتّى كثر

---

١ ـ الأعراف: ٧٧. ٢ ـ النحل: ٤٠.

٣ ـ البقرة: ٦٥.

٤ ـ الأخدود: شقق في الأرض مستطيل، جمعه أخاديد. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٢، مادة «خدد».

من ذلك مالهم وثراهم، وتنّعموا بالنّساء وغيرهنّ لإتسّاع أيديهم به، وكانوا في المدينة نيفاً وثمانين ألفاً، فعل هذا منهم سبعون ألفاً وأنكر عليهم الباقون كما قصّ الله: «وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ الّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ»[1] الآية، وذلك إنّ طائفة منهم وعظوهم وزجروهم، ومن عذاب الله خوّفوهم، ومن انتقامه وشدائد بأسه حذّروهم، فأجابوهم عن وعظهم «لم تعظون قوماً الله مهلكهم»[2] بذنوبهم هلاك الإصطلام، «أو معذّبهم عذاباً شديداً»[3]، أجاب القائلون هذا لهم: «معذرة إلى ربّكم» هذا القول منّا لهم معذرة إلى ربّكم، إذ كلّفنا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فنحن ننهى عن المنكر ليعلم ربّنا مخالفتنا لهم وكراهتنا لفعلهم، قالوا: ولعلّهم يتّقون ونعظهم أيضاً لعلهم تنجع[4] فيهم المواعظ فيتقوا هذه الموبقة[5] ويحذروا عقوبتها، قال الله عزّ وجلّ: «فَلَمَّا عَتَوْاْ» حادّوا[6] وأعرضوا وتكبّروا عن قبول الزّجر عمّا نهو عنه قلنا لهم: «كُونُواْ قِرَدَةً خَاسئين» مبعدين من الخير مغضبين[7] فلمّا نظر العشرة الآلاف والنّيف أنّ السبعين ألفاً لا يقبلون مواعظهم ولا يخافون بتخويفهم إيّاهم وتحذيرهم لهم اعتزلوهم إلى قرية أُخرى وانتقلوا إلى قرية من قريتهم[8]، وقالوا: نكره أن ينزل بهم عذاب الله ونحن في خلالهم، فأمسوا ليلة فمسخهم الله كلّهم قردة، وبقي باب المدينة مغلقاً، لا يخرج منه أحد ولا يدخله أحد وتسامع بذلك أهل القرى فقصدوهم وسَمَوا حيطان البلد فاطّلعوا عليهم فإذا هم كلّهم رجالهم ونساؤهم قردةً يموج بعضهم في بعض، يعرف هؤلاء النّاظرين معارفهم

١ـ الأعراف: ١٦٣. ٢ و ٣ـ الأعراف: ١٦٤.

٤ـ نجع فيه الأمر والخطاب والوعظ: إذا أثّر فيه ونفع. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٩٤، مادة «نجع».

٥ـ وبق يبق وبوقاً: إذا هلك. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٤٣، مادة «وبق».

٦ـ حاد عن الشيء يحيد: مال عنه وعدل. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤١، مادة «حيد».

٧ـ وفي نسخة: [مبغضين].

٨ـ في العبارة تشويش، والظاهر أن تكون هكذا: «انتقلوا من قريتهم إلى قرية» أو «إلى قرية قريبة من قريتهم».

وقراباتهم وخلطائهم فيقول المطلّع لبعضهم: أنت فلان وأنت فلانة فتدمع عينه ويؤمي برأسه أو بفمه بلى أو نعم، فما زالوا كذلك ثلاثة أيّام، ثمّ بعث الله تعالى مطراً وريحاً فحرّفهم[١] إلى البحر وما بقي مسخ بعد ثلاثة أيّام، وإنّما الّذين ترون من هذه المصوّرات بصورها فإنّما هي أشباهها لا هي بأعيانها ولا من نسلها[٢].

والقمّي[٣]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام إنّ قوماً من أهل أيْلَة من قوم ثمود وأنّ الحيتان كانت سبقت إليهم يوم السبت ليختبر الله طاعتهم في ذلك فشرعت إليهم يوم سبتهم في ناديهم وقدّام أبوابهم في أنهارهم وسواقيهم فبادروا إليها فأخذوا يصطادونها فلبثوا في ذلك ما شاء الله لا ينهاهم عنها الأحبار، ولا يمنعهم العلماء من صيدها، ثمّ إنّ الشيطان أوحى إلى طائفة منهم إنّما نهيتم عن أكلها يوم السّبت، ولم تنهوا عن صيدها فاصطادوها يوم السبت وكلوها فيما سوى ذلك من الأيام، فقالت طائفة منهم: الآن نصطادها فعتت، وانحازت[٤] طائفة أُخرى منهم ذات اليمين فقالوا: ننهاكم عن عقوبة الله أن تتعرضوا بخلاف أمره، واعتزلت طائفة منهم ذات الشّمال، وسكتت فلم تعظهم، فقالت للطائفة الّتي وعظتهم: «لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذّبهم عذاباً شديداً»، فقالت الطّائفة الّتي وعظتهم: «معذرة إلى ربّكم ولعلّهم يتّقون»، قال: فقال الله تعالى: «فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ»[٥] يعني لمّا تركوا ما وعظوا به مضوا على الخطيئة فقالت الطائفة الّتي وعظتهم: لا والله لا نجامعكم ولا نبايتكم اللّيلة في مدينتكم هذه الّتي عصيتم الله فيها مخافة أن ينزل بكم البلاء فيعمّنا معكم، قال: فخرجوا عنهم من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء فنزلوا قريباً من المدينة فباتوا تحت السماء فلمّا أصبح أولياء الله المطيعون لأمر الله تعالى غدوا لينظروا ما حال أهل المعصية فأتوا باب المدينة فإذا هو مصمت فدقّوه فلم يجابوا ولم يسمعوا منها حسّ أحد

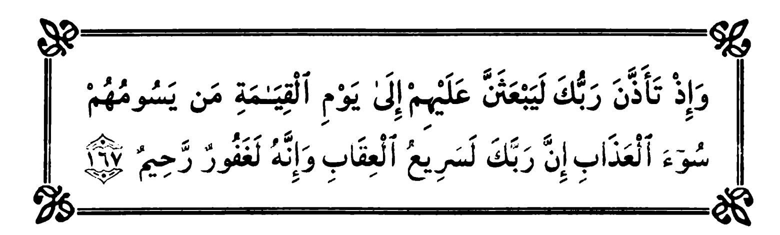
---

١ ـ التحرّف الميل إلى حرف: أي طرف، مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٦، مادة «حرف».

٢ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٢٦٨ ـ ٢٧٠. ٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

٤ ـ انحاز عنه: عدل. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٧، مادة «حيز».

٥ ـ الأنعام: ٤٤، والأعراف: ١٦٥.



فوضعوا سلّماً على سور المدينة ثمّ أصعدوا رجلاً منهم فأشرف على المدينة فنظر فإذا هو بالقوم قردةً يتعاوون، فقال الرّجل لأصحابه: يا قوم أرى والله عجباً! قالوا: وما ترى؟ قال: أرى القوم قد صاروا قردةً يتعاوون، لها أذناب، فكسروا الباب ودخلوا المدينة، قال: فعرفت القردة أنسابها من الإنس، ولم يعرف الإنس أنسابها من القردة، فقال القوم للقردة: أَلَمْ نَنْهَكُمْ؟ قال: فقال عليّ عليه السلام: والله الّذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة أنّي لأعرف أنسابها من هذه الأمّة لا ينكرون ولا يغيّرون بل تركوا ما أُمروا به فتفرّقوا، وقد قال الله: «فَبُعداً لِلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِين»[١] فقال الله: «أنجَيْنَا الّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الّـذِينَ ظَـلَمُواْ بِـعَذَابٍ بَـئِيس بِمَـا كَـانُواْ يَفْسُقُون»[٢].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية: كانوا ثلاثة أصناف صنف إئتمروا وأمروا: فنجوا، وصنف إئتمروا ولم يأمروا فمسخوا ذرّاً، وصنف لم يأتمروا ولم يأمروا فهلكوا[٣].

والعياشي: عن الباقر عليه السلام ما في معناه[٤].

وفي المجمع: عن الصّادق عليه السلام هلكت الفرقتان[٥]، ونجت الفرقة الثالثة[٦].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: تفعّل، من الإيذان بمعنى الإعلام والعزم، والإقسام معناه واذكر إذا علم أو عزم ربّك وأقسم.

١ـ المؤمنون: ٤١.

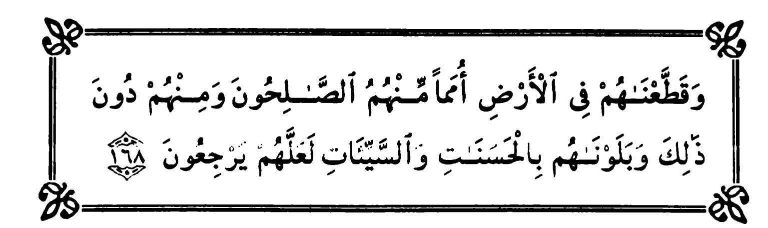
٢ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٣ ـ ٣٤، ح ٩٣.

٣ـ الكافي: ج ٨، ص ١٥٨، ح ١٥١.

٤ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٥، ح ٩٧.

٥ـ وفي نسخة: [الفريقان].

٦ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٩٣، س ١١، وفيه «ونجت الفرقة الناهية».



﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾: ليسلّطنّ على اليهود.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾: يكلّفهم.

﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: شدته بالقتل والإذلال، وضرب الجزية.

قيل: بعث الله عليهم من بعد سليمان بخت نصر فخرّب ديارهم، وقتل مقاتليهم، وسبى نساءهم وذراريهم، وضرب الجزية على من بقي منهم، وكانوا يؤدّونها إلى المجوس حتّى بعث الله محمّداً ﷺ ففعل ما فعل، وضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة إلى آخر الدّهر[1].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام إنّ المعنيّ بهم: أُمّة محمد ﷺ[2].

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾: عاقبهم في الدنيا.

﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لمن تاب وآمن.

﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾: وفرّقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم.

﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾: هم الّذين آمنوا بالله ورسوله.

﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾: ناس دون ذلك، أي منحطّون عن الصّلاح، وهم كفرتهم وفسقتهم.

﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: بالنّعم والنقم والمسخ والمِحَن.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٥.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤٩٤.

فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: ينتهون فينيبون[١].

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: بدل سوء وهو بالتسكين شائع في الشّرّ، وبالتحريك في الخير، وقيل المراد به: الّذين كانوا في عصر النّبي صلّى الله عليه وآله[٢].

﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التوراة من أسلافهم.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾: حطام هذا الشيء الأدنى، يعني الدنيا.

قيل: هو ما كانوا يأخذون من الرّشا في الحكم، وعلى تحريف الكلم للتّسهيل على العامّة[٣].

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه.

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾: أي يرجون المغفرة وهم مصرّون عايدون إلى مثل فعلهم غير تائبين عنه.

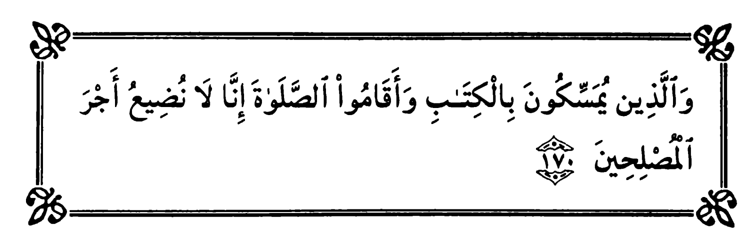
﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: الميثاق في التوراة.

---

١ ـ وفي نسخة [ينتهون ويرجعون] وفي نسخة أُخرى [يتنّبهون فينيبون].

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٥.

٣ ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ١٧٤، س ٥، وراجع تفسير أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٥.



﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾: بأن لا يكذبوا على الله ولا يضيفوا إليه إلّا ما أنزله.

﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾: وقرأوا ما فيه، فَهُمْ ذاكرون لذلك.

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الله خصّ عباده بآيتين من كتابه أن لا يقولوا حتى يعلموا، ولا يردّوا ما لم يعلموا، وقال عزّ وجلّ: «أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِيثاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ»، وقال: «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ»[1][2].

والعيّاشي: عنه وعن الكاظم عليهما السلام ما يقرب منه[3].

﴿وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: محارم الله ممّا يأخذ هؤلاء.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فيعلمون ذلك، وقرئ بالخطاب.

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾: إمّا عطف على الّذين يتّقون وما بينهما اعتراض، وإمّا استئناف ووضع الظّاهر موضع المضمر لأنّه في معناه، وللتنبيه على أنّ الإصلاح مانع عن الإضاعة، وقرئ يمسكون بالتّخفيف من الإمساك.

القمّي: عن الباقر عليه السلام نزلت في آل محمد (صلوات الله عليهم) وأشياعهم[4].

---

١ ـ يونس: ٣٩.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٣، ح ٨ ـ باب النهي عن القول بغير علم.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٥ ـ ٣٦، ح ٩٨ و ٩٩.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٦.

وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾: قلعناه ورفعناه وأصله الجذب.

﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾: سقيفة، وهي كلّ ما أظلّ.

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: وتيقنوا.

﴿أَنَّهُ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾: ساقط عليهم، لأنّ الجبل لا يثبت في الجوّ ولأنّهم كانوا يوعدون به، قيل: إنّما أطلق الظنّ لأنّه لم يقع متعلّقه[١].

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾: بعزم من قلوبكم وأبدانكم، العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية أقوّة في الأبدان أم قوّة في القلوب؟ قال: فيهما جميعاً[٢].

﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾: من الأوامر والنّواهي.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: القمّي: عن الصّادق عليه السلام لمّا أنزل الله التوراة على بني إسرائيل لم يقبلوه فرفع الله عليهم جبل طور سيناء، فقال لهم موسى عليه السلام: إن لم تقبلوه وقع عليكم الجبل فقبلوه وطأطؤوا رؤوسهم[٣]، وقد مضى تفسيره في سورة البقرة بأبسط من هذا[٤].

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: وقرئ ذرّياتهم، أخرج

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٦.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٧، ح ١٠١.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٦.

٤ ـ البقرة: ذيل الآية ٦٣ و ٩٣.

من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن، يعني نثر حقائقهم بين يدي علمه فاستنطق الحقائق بألسنة قابليّات جواهرها وألسن استعدادات ذواتها.

﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾: أي ونصب لهم دلائل ربوبيّته وركّب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة الإشهاد على طريقة التّمثيل، نظير ذلك قوله عزّ وجلّ: «إنّما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون»[1] وقوله جلّ وعلا: «فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طائعِينَ»[2] ومعلوم أنّه لا قول ثمّة وإنّما هو تمثيل وتصوير للمعنى وذلك حين كانت أنفسهم في أصلاب آبائهم العقليّة، ومعادنهم الأصليّة يعني شاهدهم وهم دقائق في تلك الحقائق، وعبّر عن تلك الآباء بالظهور لأنّ كلّ واحد منهم ظهر أو مظهر لطائفة من النّفوس أو ظاهر عنده لكونه صورة عقليّة نوريّة ظاهرة بذاتها وأشهدهم على أنفسهم أي أعطاهم في تلك النشأة الإدراكيّة العقليّة شهود ذواتهم العقليّة، وهويّاتهم النّورية فكانوا بتلك القوى العقليّة يسمعون خطاب «ألست بربّكم» كما يسمعون الخطاب في دار الدّنيا بهذه القوى البدنيّة وقالوا بألسنة تلك العقول بلى أنت ربّنا الّذي أعطيتنا وجوداً قدسيّاً ربّانيّاً، سمعنا كلامك وأجبنا خطابك، ولا يبعد أيضاً أن يكون ذلك النّطق باللّسان الملكوتي في عالم المثالي الذي دون عالم العقول[3] فإنّ لكلّ شيء ملكوتاً في ذلك العالم كما أشار إليه بقوله سبحانه: «فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شيء»[4] والملكوت باطن الملك، وهو كلّه حياة، ولكلّ ذرة لسان ملكوتي ناطق بالتّسبيح والتّوحيد، والتمجيد[5] وبهذا اللّسان نطق الحصى في كفّ النّبي ﷺ، وبه تنطق الأرض يوم القيامة «يومئذ تحدّث أخبارها»[6] وبه تنطق الجوارح «أنطقنا الله الذي أنطق كلّ شيء»[7].

١ـ النحل: ٤٠. ٢ـ فصلت: ١١.

٣ـ وفي نسخة: [العقل]. ٤ـ يس: ٨٣.

٥ـ وفي نسخة: [بالتسبيح، والتمجيد، والتوحيد، والتحميد].

٦ـ الزلزلة: ٤. ٧ـ فصّلت: ٢١.

أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

﴿أَن تَقُولُواْ﴾: أي كراهة أنْ تقولوا، وقرئ بالياء.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾: لم ننبّه عليه.

﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ﴾: فاقتدينا بهم لأنّ التّقليد عند قيام الحجّة والتمكّن من العلم بها لا يصلح عذراً.

﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشّرك.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: عن التّقليد واتباع الباطل.

في الكافي[١]، والتوحيد[٢]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: أخرج من ظهر آدم ذريّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذّرّ فعرفهم نفسه وأراهم صنعه ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه[٣].

وفي الكافي: عنه عليه السلام[٤]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: وأبوه يسمع حدّثني أبي أنّ الله عزّ وجلّ قبض قبضة من تراب التّربة الّتي خلق آدم عليه السلام منها فصب عليها الماء العذب الفرات ثمّ تركها أربعين صباحاً، ثمّ صبّ

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٣، ح ٤، باب فطرة الخلق على التوحيد.

٢ ـ التوحيد: ص ٣٣٠، ح ٩، باب ٥٣، فطرة الله عزّ وجلّ الخلق على التوحيد.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٠، ح ١١١.

٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٧، ح ٢، باب آخر منه وفيه زيادة وقوع التكليف الأوّل.

عليها الماء المالح الأجاج[١] فتركها أربعين صباحاً، فلمّا اختمرت الطّينة أخذها فعركها[٢] عركاً شديداً فخرجوا كالذّرّ من يمينه وشماله، وأمرهم جميعاً أن يقعوا في النّار فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها[٣].

وعن الصّادق عليه السلام: أنّه سئل كيف أجابوا وهم ذرّ؟ فقال: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه[٤]. وزاد العيّاشي يعني في الميثاق[٥].

أقول: وهذا بعينه ما قلناه أنّه عزّ وجلّ ركّب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار.

وعنه عليه السلام: لما أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربّكم؟ فأوّل من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام فقالوا: أنت ربّنا فحمّلهم العلم والدين، ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون، ثمّ قال لبني آدم أقرّوا بالله[٦] بالرّبوبيّة، ولهؤلاء النّفر بالولاية والطّاعة، فقالوا: نعم ربنّا أقررنا، فقال الله للملائكة: اشهدوا فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا تقولوا غداً: «إنّا كنّا عن هذا غافلين أو تقولوا» الآية[٧].

والقمّي: عنه عليه السلام في هذه الآية أنّه سئل معاينة كان هذا؟ قال: نعم فثبتت المعرفة ونسوا الموقف، وسيذكرونه ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذّرّ، ولم يؤمن بقلبه فقال الله: «فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل»[٨][٩].

---

١ ـ الأجاج: المالح المرّ الشديد الملوحة، يقال: أجّ الماء يؤج اجوجاً إذا ملح واشتدت ملوحته. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٧٣، مادة «أجج».

٢ ـ عرك البعير جنبه بمرفقه: إذا دلكه فأثر فيه. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٨٢، مادة «عرك».

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٩، ح ١٠٩.

٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٢، ح ١، باب كيف أجابوا وهم ذر.

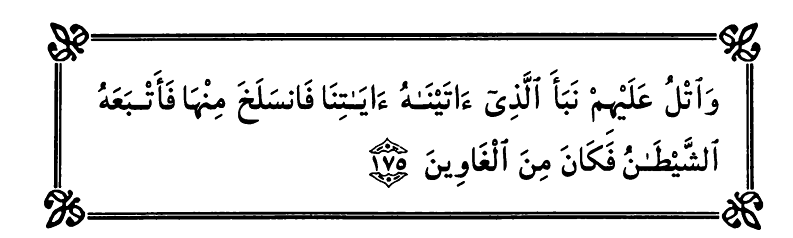
٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٧، ح ١٠٤.

٦ ـ وفي نسخة: [أقرّوا الله بالرّبوبيّة].

٧ ـ الكافي: ج ١، ص ١٣٢ ـ ١٣٣، ح ٧، باب العرش والكرسي.

٨ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٨.

٩ ـ يونس: ٧٤.



﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝١٧٥﴾

والعيّاشي: عنه وعن أبيه عليهما السلام ما في معناه إلى قوله: ورازقه[1].

وفي رواية أُخرى له: وأسرّ بعضهم خلاف ما أظهر[2].

وفي معنى هذه الأخبار: أخبار كثيرة منها: ما هو أبسط ممّا ذكر، وقد شرحنا بعضها بما لا مزيد عليه في كتابنا الوافي[3].

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا﴾: القمّي: نزلت في بلعم بن باعورا، وكان من بني إسرائيل أُوتي علم بعض كتب الله[4].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام الأصل فيه بلعم ثم ضربه الله مثلاً لكلّ مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة[5].

والعيّاشي: عنه عليه السلام مثل المغيرة بن شعبة مثل بلعم الذي أُوتي الإسم الأعظم الّذي قال الله تعالى: «آتَيْنَاه آيَاتنا»[6] الآية.

﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾: بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره.

﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾: فلحقه الشيطان وأدركه وصار قريناً له.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾: من الضّالين.

القمّي: عن الرّضا عليه السلام أنّه أعطى بلعم بن باعورا الإسم الأعظم وكان يدعو به

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٩، ح ١٠٨.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٢، ح ١١٧.
٣ ـ الوافي: ج ٤، ص ٣٨ ـ ٤٢، باب ١ ـ طينة المؤمن والكافر وما يتعلّق بذلك.
٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٨.
٥ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٠٠، س ١٦.
٦ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٢، ح ١١٨.

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾

فيستجيب له فمال إلى فرعون فلّما مرّ فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون: لبلعم اُدع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا فركب حمارته ليمرّ في طلب موسى فامتنعت عليه حمارته فأقبل يضربها فأنطقها الله عزّ وجلّ فقالت: ويلك على ماذا تضربني أتريدني أن أجيء معك لتدعو على نبيّ الله وقوم مؤمنين، فلم يزل يضربها حتّى قتلها وانسلخ الإسم من لسانه وهو قوله تعالى «فانسلخ منها»[1] الآية.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ﴾: إلى منازل الأبرار من العلماء.

﴿بِهَا﴾: بتلك الآيات وملازمتها.

﴿وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: مال إلى الدنيا.

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: في إيثار الدّنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات فحططناه.

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾: فصفته كصفة الكلب في أخسّ أحواله.

﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾: بالزجر، والطرد، من الحملة لا من الحمل.

﴿يَلْهَثْ﴾: يخرج لسانه بالتنّفس الشّديد.

﴿أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾: دائم اللّهث بخلاف سائر الحيوان فإنّه إذا هيّج وحرّك لهث وإلّا

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٨.

سَآءَ مَثَلاً ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾

لم يلهث، والمعنى إن وعظته فهو ضالّ وإن لم تعظه فهو ضال، ضال في كلّ حال.

﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾: المذكور.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فيتعظون ويحذرون مثل عاقبته.

﴿سَآءَ مَثَلاً ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: أي مثلهم.

﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾: لا غيرهم.

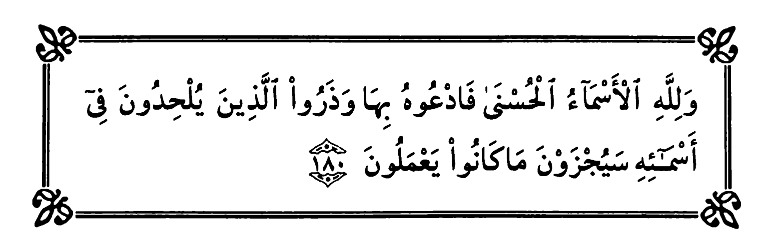
﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾: قيل: الإفراد في الأوّل والجمع في الثّاني لاعتبار اللّفظ والمعنى تنبيه على أنّ المهتدين كواحد لإتحاد طريقتهم بخلاف الضّالّين[1].

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾: خلقنا.

﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام هم قلوب لا يفقهون بها، يقول: طبع الله عليها فلا تعقل، وهم أعين عليها غطاء عن الهدى لا يبصرون بها وهم

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٨.



آذان لا يسمعون بها، جعل في آذانهم وقراً فلم يسمعوا الهدى[١].

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَالْأَنْعَـٰمِ﴾: في عدم الفقه والإستبصار للإعتبار والإستماع للتّدبّر وفي أنّ مشاعرهم وقواهم متوجّهة إلى أسباب التعيّش مقصورة عليها.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾: فإنّها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار، وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنّه معاند فيقدم على النّار.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾: الكاملون في الغفلة.

في العلل: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم[٢].

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الّتي هي أحسن الأسماء لتضمنّها معاني هي أحسن المعاني، القمّي: قال: الرّحمن الرحيم[٣].

﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾: فسمّوه بتلك الأسماء، في الكافي: عن الرّضا عليه السلام أنّه سئل عن الإسم فقال: صفة لموصوف[٤].

والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: إذا نزلت بكم شدّة فاستعينوا بنا على الله وهو قول الله: «وَلله

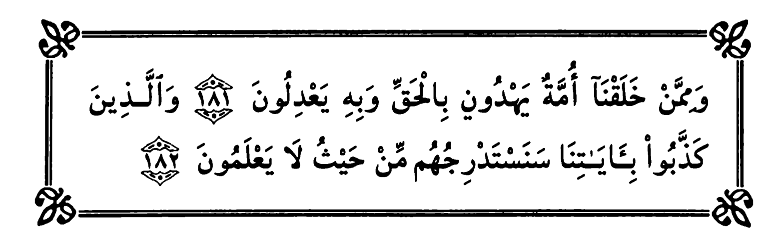
---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٩.

٢ ـ علل الشرائع: ص ٤ ـ ٥، ح ١، باب ٦ ـ العلّة التي من أجلها صار في الناس من هو خير من الملائكة وصار فيهم من هو شر من البهائم.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٩.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ١١٣، ح ٣، باب حدوث الأسماء، وورد في معاني الأخبار: ص ٢، ح ١، باب معنى الاسم.



الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا»، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: نحن والله الأسماء الحسنى الّذي لا يقبل من أحد طاعة إلّا بمعرفتنا، قال: «فادعوه بها»[١].

وقد مضى تمام تحقيق معنى الإسم في أوائل سورة البقرة[٢].

﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾: وقرئ بفتح الياء والحاء وهو بمعناه، أي واتركوا الّذين يعدلون بأسمائه عمّا هي عليه فيسمّون بها أصنامهم، أو يصفونه بما لا يليق به، ويسمّونه بما لا يجوز تسميته به.

في الكافي: عن الرّضا عليه السلام أنّ الخالق لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه، وأنّى يوصف الّذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار على الإحاطة به، جلّ عمّا يصفه الواصفون، وتعالى عمّا ينعته الناعتون[٣].

وفي التوحيد: عن الصّادق عليه السلام في حديث طويل وله الأسماء الحسنى الّتي لا يسمّى بها غيره، وهي الّتي وصفها في الكتاب فقال: «فادعوه بها وَذَروا الّذين يلحدون في أسمائه» جهلاً بغير علم، فالّذي يلحد في أسمائه بغير علم يشرك وهو لا يعلم، ويكفر به وهو يظنّ أنّه يحسن، ولذلك قال: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهمْ بِالله إلّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ»[٤] فهم الّذين يلحدون في أسمائه بغير علم فيضعونها في غير مواضعها[٥].

﴿سَيُجْزَوْنَ مَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٢، ح ١١٩. ٢ ـ ذيل الآية: ٣١.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ١٣٨، ح ٣، باب جوامع التوحيد.

٤ ـ يوسف: ١٠٦. ٥ ـ التوحيد: ص ٥٨، ح ١٦، باب ٢.

يَعْدِلُونَ﴾: في الكافي: عن الصّادق[١]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية: هم الأئمّة عليهم السلام[٢].

وفي المجمع: عنهما عليهما السلام قالا: نحن هم[٣].

والقمّي: هذه الآية لآل محمد عليهم السلام، وأتباعهم[٤].

والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام والّذي نفسي بيده لتفرقنّ هذه الأُمّة على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلّا فرقة: «وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» فهذه الّتي تنجو من هذه الأُمّة[٥]، وعنه عليه السلام: يعني أمّة محمد صلى الله عليه وآله[٦].

وفي المجمع: عن النّبي صلى الله عليه وآله هذه لكم وقد أُعطي قوم موسى مثلها[٧].

وعنه صلى الله عليه وآله هي لأُمّتي بالحقّ يأخذون، وبالحقّ يعطون، وقد أُعطي لقوم بين أيديكم مثلها «ومن قوم موسى أمّة يهدون بالحقّ وبه يعدلون»[٨][٩].

أقول: أُريد بهذه الأخبار الثّلاثة بعض الأُمّة كما يدلّ على قوله: «مثلها» وما رواه في المجمع: أنّ من أُمّتي قوماً على الحقّ حتّى ينزل عيسى بن مريم[١٠].

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: سنستدنيهم قليلاً قليلاً إلى الهلاك حتّى يقعوا فيه بغتةً، وأصل الإستدراج: الإستصعاد أو الإستنزال. درجةً بعد درجة.

﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما يراد بهم، وذلك أن تتواتر عليهم النّعم فيظنّوا أنّها لطف من الله بهم فيزدادوا بطراً وإنهماكاً في الغيّ حتّى تحقّ عليهم كلمة العذاب.

القمّي: قال تجديد النّعم عند المعاصي[١١].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٤، ح ١٣، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٢، ح ١٢٠.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٠٣، س ١٧.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٩.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٢٢.

٦ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٢٣.

٧ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٠٣.

٨ ـ الأعراف: ١٥٩.

٩ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٠٣.

١٠ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٠٣.

١١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٩.

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: هو العبد يـذنب الذّنب فتجدّد له النّعمة معه تلهيه تلك النّعمة عن الإستغفار من ذلك الذّنب[١].

وعنه عليه السلام: إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة ويذكّره الإستغفار، وإذا أراد بعبد شرّاً فأذنب ذنباً فأتبعه بنعمة لينسيه الإستغفار، ويتمادى بها وهو قول الله عـزّ وجـلّ: «سنستدرجهم من حيث لا يعلمون» بالنّعم عند المعاصي[٢].

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: وأمهلهم.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: لا يدفع بشيء إنّما سمّاه كيداً لأنّ ظاهره إحسان وباطنه خذلان.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم﴾: يعني محمد صلى الله عليه وآله.

﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: أي جنون، روي أنّه صلى الله عليه وآله صعد على الصّفا فدعاهم فـخذاً فـخذاً[٣] يحذرّهم بأس الله، فقال قائلهم: إنّ صاحبكم لمجنون بات يهوّت[٤] إلى الصّباح[٥] فنزلت.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: موضح إنذاره بحيث لا يخفى على ناظر.

١ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٥٢، ح ٣، باب الإستدراج.

٢ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٥٢، ح ١، باب الإستدراج.

٣ـ الفِخْذ ـ بالكسر فالسكون للتخفيف ـ :دون القبيلة وفوق البطن. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٨٥، مادة «فخذ».

٤ـ هَوَّت به تهويتاً: صاح. القاموس المحيط: ج ١، ص ١٦٠، مادة «هوت».

٥ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٧٩.

مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾: نظر اعتبار.

﴿فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: في باطنها وأرواحها.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾: ممّا يقع عليه اسم الشّيء من أجناس خلقه الّتي لا يمكن حصرها لتدلّهم على كمال قدرة صانعها، ووحدة مبدعها، وعظم شأن مالكها، ومتولي أمرها ليظهر لهم صحّة ما يدعوهم إليه.

﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ﴾: وأنّه عسى.

﴿أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾: يعني أولم ينظروا في اقتراب آجالهم، وتوقع حلولها فيسارعوا إلى طلب الحقّ والتوجّه إلى ما ينجيهم قبل مغافصة[1] الموت ونزول العذاب.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾: بعد القرآن.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: إذا لم يؤمنوا به، والمعنى ولعلّ أجلهم قد اقتربْ فما بالهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن؟ وماذا ينتظرون بعد وضوحه؟ فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحقّ منه يريدون أن يؤمنوا؟.

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: القمّي: قال:

---

١ ـ غافصه: فاجأه، وأخذه على غرّة. «القاموس المحيط: ج ٢، ص ٣١٠، مادة «غفص».

يكله إلى نفسه[١]، وقرئ يذرهم بالياء، وبه وبالجزم، كأنّه قيل: لا يَهْدِه أحد غيره ويذرهم[٢].

﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: أي القيامة، وهي من الأسماء الغالبة.

﴿أَيَّانَ مُرْسَـٰهَا﴾: متى إرساؤها، أي اثباتها واستقرارها.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾: استأثر به[٣] لم يطلع الله عليه ملكاً مقرّباً، ولا نبيّاً مرسلاً.

﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾: لا يظهرها في وقتها.

﴿إِلَّا هُوَ﴾: يعني إنّ الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها، واللّام للتوقيت.

﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَ ٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: عظمت على أهلها من الملائكة والثّقلين لهولها وشدّتها.

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: فجأة على غفلة. في الجوامع: عن النّبي صلى الله عليه وآله إنّ السّاعة تهيّج بالنّاس والرّجل يصلح حوضه، والرّجل يسقي ماشيته، والرّجل يقوّم سلعته في سوقه، والرّجل يخفض ميزانه ويرفعه[٤].

﴿يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾: قيل: أي عالم بها وأصله كأنّك أحفيت بالسّؤال حتّى علمتها أي استقصيت وألحفت[٥].

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: لم يؤته أحداً من خلقه لأنّه من علم الغيب الّذي استأثر الله به.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: إنّه المختص بالعلم بها.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٩.

٢ ـ اقتباس من الكشاف: ج ٢، ص ١٨٣، وإليك نصّه: قرئ «يذرهم» بالياء والنون، والرفع على الإستئناف، و«يَذرهم» بالياء والجزم عطفاً على محل «فلا هادي له»، كأنّه قيل: من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم.

٣ ـ استأثر فلان بالشيء: استبدّ به، والإسم الأثرة بالتحريك. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٩٩، مادة «أثر».

٤ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٨٧.

٥ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٨٠، وجوامع الجامع: ج ١، ص ٤٨٧.

قُلْ لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾

القمّي: إنّ قريشاً بعثت العاص بن وايل السّهمي، والنّضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة ابن أبي معيط إلى نجران ليتعلّموا من علماء اليهود مسائل يسألونها رسول الله ﷺ وكان فيها سلوا محمّداً ﷺ متى تقوم السّاعة؟ فإن ادّعى علم ذلك فهو كاذب فإنّ قيام السّاعة لم يطّلع الله عليه ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً، فلمّا سألوه نزلت[١].

﴿قُلْ لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾: جلب نفع ولا دفع ضرر، وهو إظهار للعبوديّة والتّبرّي عن إدّعاء العلم بالغيوب.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: من ذلك فيلهمني إيّاه ويوفّقني له.

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾: في المعاني[٢]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام يعني الفقر[٣].

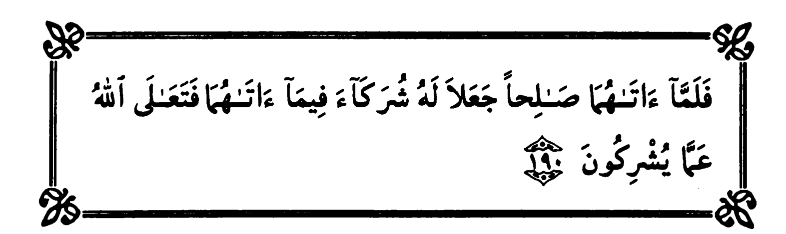
والقمّي: قال: كنت أختار لنفسي الصحّة والسّلامة[٤].

﴿إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: فإنّهم المنتفعون به.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: هي نفس آدم.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٤٩.
٢ ـ معاني الأخبار: ص ١٧٢، ح ١، باب معنى السوء.
٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٢٤.
٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥٠.


﴿فَلَمَّآ ءَاتَـٰهُمَا صَـٰلِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَـٰهُمَا فَتَعَـٰلَى ٱللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾

﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾: من فضل طينها.

﴿زَوْجَهَا﴾: حوّاء عليها السلام.

﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليستأنس بها ويطمئنّ إليها.

﴿فَلَمَّا تَغَشَّـٰهَا﴾: جامعها.

﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً﴾: خفّ عليها.

﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾: أي استمرت بالحمل.

﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾: صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها.

﴿دَّعَوَا ٱللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحاً﴾: ولداً سويّاً بريئاً من الآفة.

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ * فَلَمَّآ ءَاتَـٰهُمَا صَـٰلِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِـيمَآ ءَاتَـٰهُمَا﴾: وقرئ شركاً بالمصدر.

﴿فَتَعَـٰلَى ٱللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: القمّي[1]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام هما آدم وحوّاء وإنّما كان شركهما شرك طاعة، وليس شرك عبادة[2].

وزاد القمّي قال: جعلا للحارث نصيباً في خلق الله ولم يكن أشركا إبليس في عبادة الله بعد أن ذكر في ذلك حديثاً مبسوطاً رواه عن الباقر عليه السلام موافقاً لما روته العامّة فيه ممّا لا يليق بالأنبياء عليهم السلام[3].

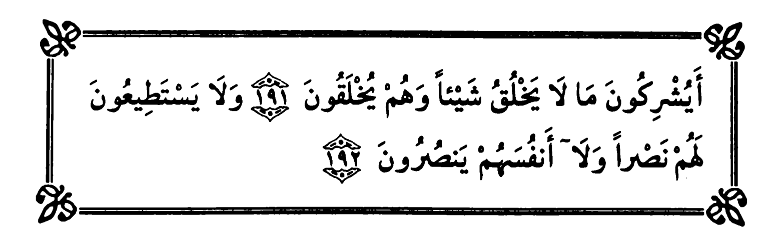
والمستفاد من ذلك الحديث أنّ معنى اشراكهما فيما آتاهما الله تسميتهما أولادهما

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥٣.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٢٥.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥٣.



بعبدالحارث، والحارث اسم إبليس، وإبليس قد حملهما على ذلك بتغريره.

وقيل: معناه التّسمية بعبد عزّى، وعبدمناة، وعبد يغوث، وما أشبه ذلك من أسماء الأصنام، ومعنى ـ جعلا له ـ: جعل أولادهما له شركاء فيما أتى أولادهما على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في الموضعين[1].

وفي العيون: عن الرّضا عليه السلام أنّه قال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك إنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فما معنى قول الله عزّ وجلّ: «فلمّا أتاهما صالحاً جعلا لَهُ شُركَاءَ فِيمَا آتَاهُما»؟ فقال له الرضا عليه السلام: إنّ حوّاء ولدت لآدم عليه السلام خمسمائة بطن في كلّ بطن ذكر وأنثى، وأنّ آدم وحوّاء عاهدا الله تعالى ودعواه وقالا: لئن آتيتنا صالحاً لنكوننّ من الشّاكرين، فلمّا آتاهما صالحاً من النّسل خلقاً سويّاً بريئاً من الزّمانة والعاهة كأن ما آتاهما صنفين: صنفاً ذكراناً، وصنفاً إناثاً، فجعل الصّنفان لله سبحانه شركاء فيما آتاهما، ولم يشكراه كشكر أبويهما له عزّ وجلّ، قال الله تعالى: «فتعالى الله عمّا يشركون» فقال المأمون: أشهد أنّك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله حقّاً[2].

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: يعني الأصنام.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾: لعبدتهم.

﴿نَصْراً وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾: فيدفعون عنها ما يضرّ بها[3].

---

١ ـ الكشاف: ج ٢، ص ١٨٧ ـ ١٨٨، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٨٠ ـ ٣٨١.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٩٦ ـ ١٩٧، ح ١، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٣ ـ وفي نسخة: [ما يعتريها].

وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٩٥﴾

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾: يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون الخطاب للمسلمين، و «هم» ضمير المشركين، يعني إن تدعوا المشركين إلى الإسلام لا يجيبوكم.

والثّاني: أن يكون الخطاب للمشركين و «هم» ضمير الأصنام، يعني إن تدعوا الأصنام إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم، ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله، وقرئ يتبعوكم بالتّخفيف.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي تعبدونهم وتسمّونهم آلهةً من دونه سبحانه.

﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: مملوكون مسّخرون.

﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾: في مهمّاتكم.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: إنّهم آلهة.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾: واستعينوا بهم في عداوتي.

﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾: فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكر وهي أنتم وشركاؤكم.

إِنَّ وَلِـِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِـن دُونِـهِ لَا يَسْـتَطِيعُونَ نَـصْرَكُـمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْـعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾

﴿فَلَا تُنظِرُونَ﴾: فلا تمهلوني فإنّي لا أُبالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه.

﴿إِنَّ وَلِـِّىَ﴾: ناصري وحافظي.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: القرآن.

﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: ينصرهم ويحفظهم[1].

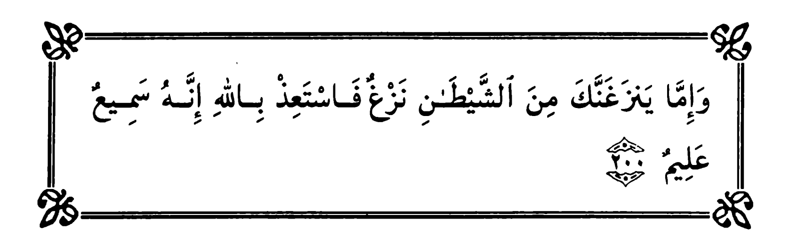
﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: يشبهون النّاظرين إليك لأنّهم صوّروا بصورة من ينظر إلى من يواجهه.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾: أي خذ ما عفا لك من أفعال النّاس وأخلاقهم وما تأتي منهم من غير كلفة وتسهّل ولا تطلب ما يشقّ عليهم، ولا تداقهم، واقبل الميسور منهم، ونحوه قوله عليه السلام: «يسّروا ولا تعسّروا»[2] من العفو الّذي هو ضدّ الجهد.

---

١ ـ وفي الكافي: ج ١، ص ٦٢٤، ح ٢١، باب فضل القرآن، عن أمير المؤمنين عليه السلام من قرأ هذه الآية: «الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين»، و «وما قدروا الله حق قدره» إلى قوله سبحانه وتعالى: «عمّا يشركون» الزمر: ٦٧. فمن قرأها فقد أمن الحرق والغرق، قال: فقرأها رجل واضطرمت النار في بيوت جيرانه وبيته وسطها فلم يصبه شيء، وفي من لا يحضره الفقيه: عن النبي صلى الله عليه وآله: أمان لأُمتي من الحرق «إنّ ولي الله الذي» الآية و «ما قدروا الله حقّ قدره»، منه قدس سره.

٢ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٩١.



العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام أنّ الله أدّب رسوله صلى الله عليه وآله بذلك أي خذ منهم ما ظهر وما تيّسر قال: والعفو: الوسط[1].

وفي الفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قال لرجل من ثقيف: إيّاك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانيّاً في درهم خراج أو تبيع دابّة عمل في درهم، فإنّا اُمرنا أن نأخذ منه العفو[2].

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: بالمعروف الجميل من الأفعال، والحميد من الأخلاق.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾: ولا تمار السّفهاء، ولا تكافئهم بمثل سفههم.

في المجمع: روي أنّه لمّا نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل عليه السلام عن ذلك فقال: لا أدري حتى أسأل العالم، ثمّ أتاه فقال: يا محمد إنّ الله يأمرك أن تعفوا عمّن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك[3].

وفي الجوامع: عن الصادق عليه السلام أمر الله نبيّه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها[4].

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام إنّ الله أمر نبيّه صلى الله عليه وآله بمداراة النّاس، فقال: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»[5].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ﴾: ينخسنّك منه نخس في القلب يوسوسك

---

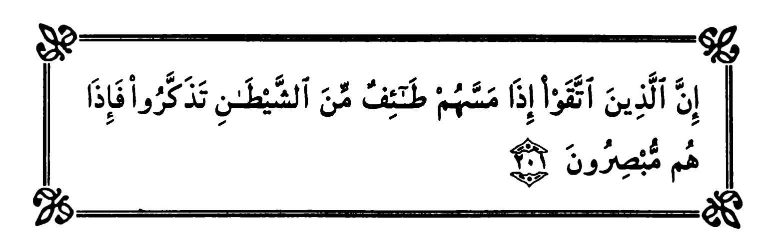
١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٢٦.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٣، ح ٣٤/ ٩، باب ٥ ـ الأصناف التي تجب عليها الزكاة.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥١٢.

٤ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ٤٩١.

٥ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٥٦، ح ٩، باب ٢٦ ـ ماجاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتّى.



على خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب، والنّزغ، والنّسغ، والنّخس: والغرز بمعنى، شبّه وسوسته للنّاس إغراءاً لهم على المعاصي، وإزعاجاً بغرز السائق ما يسوقه[1].

في المجمع: لمّا نزلت الآية السابقة قال النّبي ﷺ: كيف يا ربّ والغضب، فنزلت «وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغ»[2].

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾: يسمع استعاذتك.

﴿عَلِيمٌ﴾: يعلم ما فيه صلاح أمرك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾: لمّة[3] منه كأنّها طافت بهم ودارت حولهم ولم تقدر أن تؤثّر فيهم، وقرئ طيف بغير ألف.

﴿تَذَكَّرُواْ﴾: ما أمر الله به ونهى عنه.

﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾: بمواقع[4] الخطأ ومكائد الشيطان فيحترزون عنها.

في الكافي[5]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام هو العبد يهمّ بالذّنب، ثمّ يتذكّر فيمسك[6].

وفي رواية: فيدعه[7]، وفي أُخرى فيبصر ويقصر[8].

والقمّي: قال: إذا ذكّرهم الشّيطان المعاصي وحملهم عليها يذكرون اسم الله فإذا

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٨٢. ٢ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥١٢ ـ ٥١٣.

٣ ـ اللّمةُ: الهمّة والخطرة تقع في القلب، أراد إلمام الملك أو الشيطان به والقرب منه فما كان من خطرات الخير فهو من الملك وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان. النهاية لابن الأثير: ج ٤، ص ٢٧٣.

٤ ـ وفي نسخة: [مواقع الخطأ]. ٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥، ح ٧، باب التوبة.

٦ ـ لم نعثر عليه في تفسير العياشي والظاهر سهو من قلمه الشريف.

٧ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٤، ح ١٣٠. ٨ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٤، ح ١٢٩.

وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾

هم مبصرون(١).

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾: وإخوان الشياطين، يعني الّذين لم يتقّوا.

﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾: الشياطين، وقرئ بضمّ الياء وكسر الميم.

﴿فِى ٱلْغَىِّ﴾: بالتّزيين والحمل عليه.

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: لا يمسكون عن إغوائهم حتّى يصرّوا ولا يرجعوا فيهلكوا أو لا يقصر الإخوان عن الغي.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ﴾: من القرآن، أو بآية ممّا اقترحوه.

﴿قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾: هلّا جمعتها، تقوّلًا من عند نفسك كسائر ما تقرأ، أو هلّا طلبتها من الله.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى﴾: لست بمختلق للآيات أو لست بمقترح لها.

﴿هَـٰذَا﴾: القرآن.

﴿بَصَآئِرُ﴾: للقلوب بها تبصر الحقّ.

﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: قيل: نزلت في الصّلاة كانوا يتكلّمون فيها فأمروا باستماع

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥٣.

قراءة الإمام والإنصات له[١].

وفي الفقيه: عن الباقر عليه السلام إن كنت خلف إمام فلا تقرأن شيئاً في الأوليين وأنصت لقراءته، ولا تقرأن شيئاً في الأخيرتين فإنّ الله عزّ وجلّ يقول للمؤمنين: «وإذا قرئ القرآن» يعني في الفريضة خلف الإمام «فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون» والأخيرتان تبعاً للأوّلتين[٢].

وفي التّهذيب: عن الصّادق عليه السلام إذا كنت خلف إمام تتولّاه وتثق به فإنّه تجزيك قراءته وإن أحببت أن تقرأ فاقرأ فيما يخافت فيه فإذا جهر فأنصت قال الله تعالى: «وأنصتوا لعلّكم ترحمون»[٣].

والعيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام قال: إذا كنت خلف إمام تأتّم به فأنصت وسبّح في نفسك[٤].

وعن الصّادق عليه السلام: يجب الإنصات للقرآن في الصّلاة وفي غيرها، وإذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والإستماع[٥].

وفي التّهذيب: عنه عليه السلام إنّه سئل عن الرّجل يؤمّ القوم وأنت لا ترضى به في صلاة يجهر فيها بالقراءة فقال: إذا سمعت كتاب الله يتلى فأنصت له، قيل: فإنّه يشهد عليّ بالشّرك، قال: إن عصى الله فأطع الله فرددت عليه فأبى أن يرخّص لي، قيل: أصلّي إذن في بيتي ثم أخرج إليه،

---

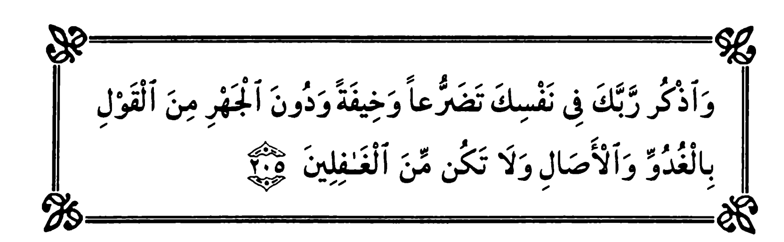
١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٨٣.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٥٦، ح ١١٦٠/ ٧٠، باب ٥٦ ـ الجماعة وفضلها، وفيه: «والأخيرتان تبعاً للأولتين».

٣ ـ تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ٣٣، ح ١٢٠/ ٣٢، باب ٣ ـ أحكام الجماعة، وأقلّ الجماعة، وصفة الإمام، ومن يقتدى به ومن لا يقتدى به، والقراءة خلفها، وأحكام المؤتمين، وغير ذلك من أحكامها.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٤، ح ١٣٤، وتهذيب الأحكام: ج ٣، ص ٣٢ ـ ٣٣، ح ١١٦/ ٢٨، باب ٣ ـ أحكام الجماعة، وأقل الجماعة، وصفة الإمام، ومن يقتدى به ومن لا يقتدى به، والقراءة خلفها، وأحكام المؤتمّين، وغير ذلك من أحكامها.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٤، ح ١٣٢.



فقال: أنت وذاك، وقال: إنّ عليّاً عليه السلام كان في صلاة الصّبح فقرأ ابن الكوّاء وهو خلفه «ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين»[1]، فأنصت علي تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية، ثمّ عاد في قرائته ثمّ أعاد ابن الكواء الآية فأنصت علي أيضاً، ثم قرأ فأعاد ابن الكوّاء فأنصت علي عليه السلام، ثم قال: «فاصبر إنّ وعد الله حقّ ولا يستخفنّك الّذين لا يوقنون»[2] ثمّ أتمّ السّورة ثم ركع[3].

أقول: هذان الحديثان وما في معناهما ممّا يوافق ظاهر القرآن في عموم وجوب الإستماع، والإنصات محمول عند أصحابنا، وعامّة الفقهاء: على الإستحباب وتأكدّه، بل قد ورد الأمر بالقراءة خلف المخالف وإن سمعت قراءته إذا لم تكن هناك تقيّة[4].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾: عامّ في كلّ ذكر.

﴿تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾: متضرّعاً وخائفاً.

﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: باللسان لأنّ الذكر في النّفس، ودون الجهر الّذين يعبّر عنهما بالسّر أدخل في الإخلاص، وأبعد من الرّياء، وأقرب إلى القبول.

---

١ ـ الزمر: ٦٥.

٢ ـ الروم: ٦٠.

٣ ـ تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ٣٥ ـ ٣٦، ح ١٢٧ / ٣٩، باب ٣ ـ أحكام الجماعة، وأقل الجماعة، وصفة الإمام، ومن يقتدى به ومن لا يقتدى به، والقراءة خلفهما، وأحكام المؤتمّين، وغير ذلك من أحكامها.

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ٣٦، ح ١٢٩ / ٤١، باب ٣ ـ في أحكام الجماعة وأقل الجماعة، وصفة الإمام، ومن يقتدى به ومن لا يقتدى به.

﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: بالغدوات والعشيّات لفضل هذين الوقتين.

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾: عن ذكر الله اللّاهين عنه.

في الكافي[1]، والعيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام لا يكتب الملك إلّا ما يسمع، وقال الله عزّ وجلّ: «واذكر ربّك في نفسك تضرّعاً وخيفة» فلا يعلم ثواب ذلك الذّكر في نفس الرّجل غير الله لعظمته[2].

والعيّاشي: مرفوعاً عن النّبي صلّى الله عليه وآله «واذكر ربّك في نفسك» يعني مستكيناً، «وخيفة» يعني خوفاً من عذابه، «ودون الجهر من القول» يعني دون الجهر من القراءة، «بالغدوّ والآصال» يعني بالغداوة والعشي[3].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام قال الله: من ذكرني سرّاً ذكرته علانيّة[4].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: من ذكر الله في السرّ فقد ذكر الله كثيراً، إنّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السرّ، فقال الله تعالى: «يراؤن النّاس ولا يذكرون الله إلّا قليلاً»[5][6].

وفيه[7]، والعيّاشي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: تقول عند المساء لا إله إلّا الله وحده لا شريكَ له له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويحيي وهو حيّ لا يموت وهو على كل شيءٍ قدير، قيل: بيده الخير قال إنّ بيده الخير ولكن: قل كما أقول لك عشر مرّات: «وأعوذ بالله السّميع العليم» حين تطلع الشّمس وحين تغرب عشر مرّات[8].

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٠٢، ح ٤، باب ذكر الله عزّ وجلّ في السّر.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٤، ح ١٣٤.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٤، ح ١٣٥.

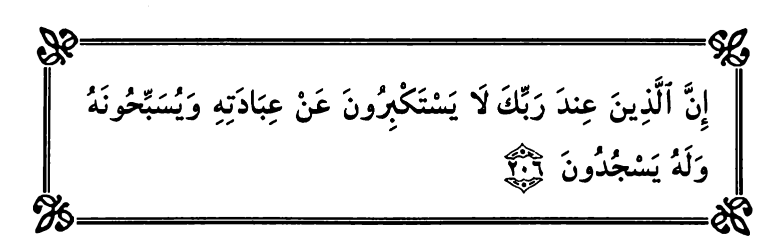
٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٠١، ح ١، باب ذكر الله عزّ وجلّ في السّر.

٥ ـ النساء: ١٤٢.

٦ ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٠١، ح ٢، باب ذكر الله عزّ وجلّ في السّر.

٧ ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٢٧، ح ١٧، باب القول عند الإصباح والإمساك.

٨ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٥، ح ١٣٦.



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: قيل: يعني الملائكة[١].

والقمّي: يعني الأنبياء والرّسل والأئمّة عليهم السلام[٢].

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾: وينزّهونه.

﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾: ويخصّونه بالعبادة والتذلّل، لا يشركون به غيره.

هنا[٣] أوّل سجدات القرآن.

وفي الحديث إذا قرأ ابن آدم السّجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول: يا ويله أُمر هذا بالسّجود فسجد فله الجنّة، وأُمرت بالسّجود فعصيت فليّ النّار[٤].

وفي ثواب الأعمال: عن الصّادق عليه السلام من قرأ سورة الأعراف في كلّ شهر كان يوم القيامة من الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإن قرأها في كلّ جمعة كان ممّن لا يحاسب يوم القيامة[٥]، والله تبارك وتعالى أعلم بكلّ شيءٍ.

* * *

---

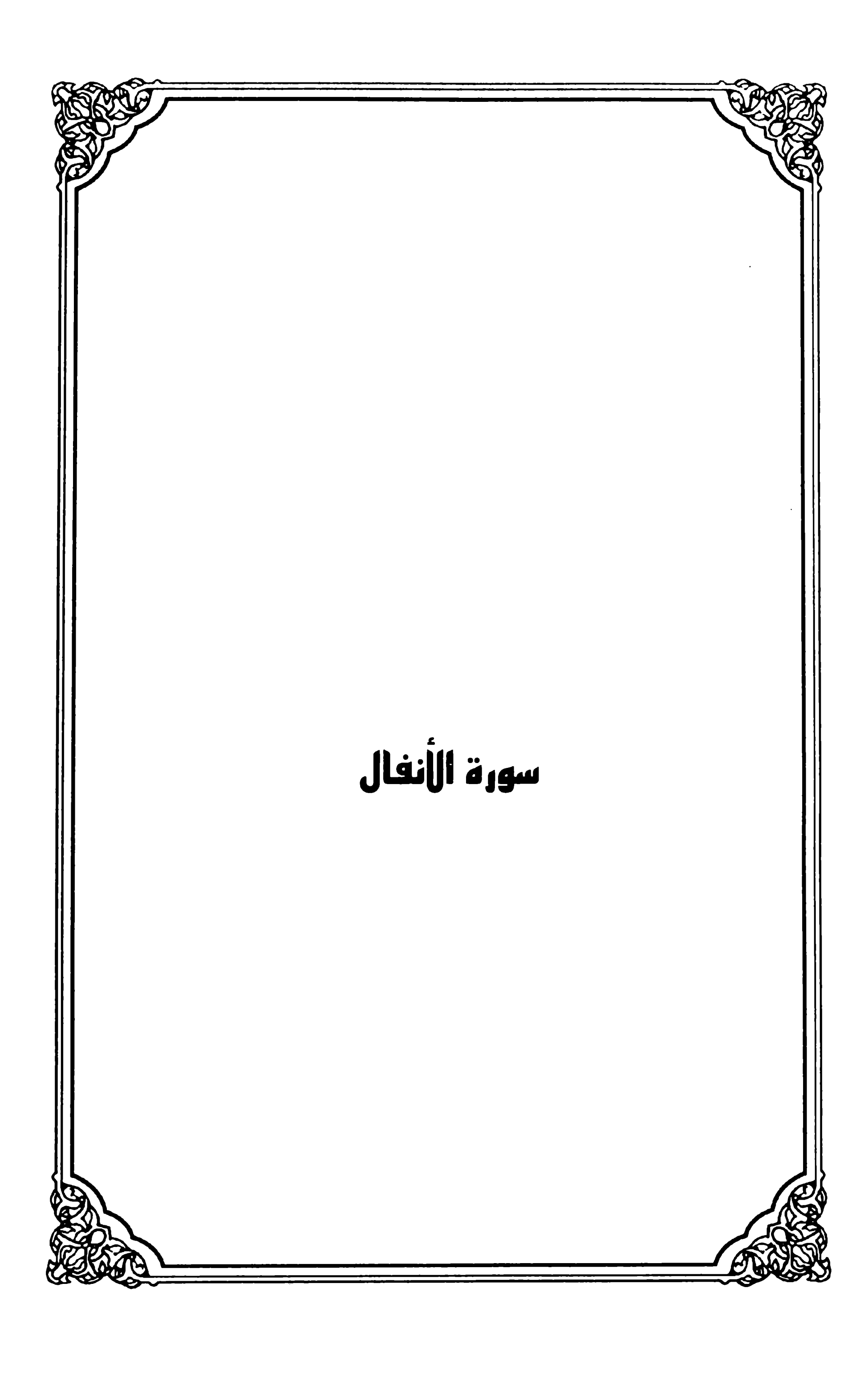
١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٨٣.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥٤.

٣ ـ هكذا في الأصل، والأظهر: هذه أوّل سجدات القرآن.

٤ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٨٣.

٥ ـ ثواب الأعمال: ص ١٠٥ ـ ١٠٦، ح ١، باب ثواب من قرأ سورة الأعراف في كل شهر.

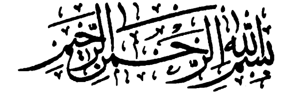


سورة الأنفال

[illegible]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾

سورة الأنفال: هي مدنية عن ابن عباس وقتادة غير سبع آيات نزلت بمكّة «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ»[1] إلى آخرهنّ، وقيل: نزلت بأسرها في غزاة بدر[2]، عدد آيها ست وسبعون آية.



﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾: عن حكمها، وهي غنائم خاصّة، والنّفل: الزيادة على الشيء، سمّيت به الغنيمة لأنّها عطيّة من الله وفضله.

في المجمع: قرأ السّجاد، والباقر، والصادق عليهم السلام: «يسألونكَ الأنفال[3]»، يعني أن تعطيهم.

﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: مختصّة بهما يضعانها حيث شاءا.

في التهذيب: عن الباقر والصّادق عليهما السلام الفيء والأنفال: ما كان من أرض لم تكن فيها هراقة دم، أو قوم صولحوا واُعطوا بأيديهم، وما كان من أرض خربة أو بطون أودية فهو كلّه

---

١ ـ الأنفال: ٣٠.
٢ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥١٦.
٣ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥١٦ ـ ٥١٧.

من الفيء والأنفال، فهذا كلّه لله ولرسوله، وما كان لله فهو لرسوله يضعه حيث شاء وهو للإمام بعد الرسول[١].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، أو قوم صالحوا، أو قوم اعطوا بأيديهم، وكلّ أرض خربة، وبطون الأودية فهو لرسول الله صلى الله عليه وآله وهو للإمام من بعده يضعه حيث يشاء[٢].

وعنه عليه السلام في عدّة أخبار من مات وليس له وارث فماله من الأنفال[٣].

وعنه عليه السلام نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الأنفال، ولنا صفو المال[٤].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام لنا الأنفال، قيل: وما الأنفال؟ قال: منها المعادن والآجام، وكلّ أرض لا ربّ لها، وكلّ أرض باد أهلها فهو لنا[٥]. وقال: وما كان للملوك فهو من الأنفال[٦].

وفي الجوامع: عن الصّادق عليه السلام الأنفال: كلّ ما أُخذ من دار الحرب بغير قتال، وكل أرض انجلى أهلها عنها بغير قتال أيضاً، وسمّاها الفقهاء فيئاً، والأرضون الموات، والآجام، وبطون الأودية، وقطائع الملوك، وميراث من لا وارث له، وهي لله، وللّرسول، ولمن قام مقامه بعده[٧].

والقمّي: عنه عليه السلام أنّه سئل عن الأنفال فقال: هي القرى الّتي قد خربت، وانجلى أهلها فهي لله وللّرسول، وما كان للملوك فهو للإمام، وما كان من أرض خربة لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وكلّ أرض لا ربّ لها، والمعادن منها، ومن مات وليس له مولىً،

١ـ تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٣٤، ح ٣٧٦/ ١٠، باب ٣٨ ـ الأنفال.

٢ـ الكافي: ج ١، ص ٥٣٩، ح ٣، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه.

٣ـ الكافي: ج ٧، ص ١٦٨ ـ ١٦٩، ح ١ و ٢ و ٣ و ٤، باب من مات وليس له وارث.

٤ـ الكافي: ج ١، ص ٥٤٦، ح ١٧، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه.

٥ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٨، ح ١١.

٦ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٨، ح ١٧.

٧ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ١ و ٢.

فماله من الأنفال[١].

وقال: نزلت يوم بدر لمّا انهزم النّاس كان أصحاب رسول الله ﷺ على ثلاث فرق: فصنف كانوا عند خيمة النبي ﷺ، وصنف أغاروا على النّهب، وفرقة طلبت العدو، وأسروا وغنموا، فلمّا جمعوا الغنائم والأُسارى تكلّمت الأنصار في الأُسارى فأنزل الله تبارك وتعالى «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ»[٢] فلمّا أباح الله لهم الأُسارى والغنائم تكلم سعد بن معاذ وكان ممّن أقام عند خيمة النّبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما منعنا أن نطلب العدوّ زهادة في الجهاد ولا جبناً من العدو ولكنّا خفنا أن يعرى موضعك فيميل عليك خيل المشركين، وقد أقام عند الخيمة وجوه المهاجرين والأنصار ولم يشكّ أحد منهم، والنّاس كثير يا رسول الله والغنائم قليلة، ومتى تعطي هؤلاء لم يبق لأصحابك شيء وخاف أن يقسّم رسول الله ﷺ الغنائم وأسلاب القتلى بين من قاتل ولا يعطي من تخلّف على خيمة رسول الله ﷺ شيئاً فاختلفوا فيما بينهم حتّى سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: لمن هذه الغنائم؟ فأنزل الله: «يسألونك عن الأنفال قُل الأنفال لله والرّسول» فرجع النّاس وليس لهم في الغنيمة شيء ثمّ أنزل الله بعد ذلك «واعلموا أنّما غَنِمْتُم» الآية فقسّمه رسول الله ﷺ بينهم، فقال سعد بن أبي وقّاص: يا رسول الله أتعطي فارس القوم الّذي يحميهم مثل ما تعطي الضعيف؟ فقال النّبي ﷺ: ثكلتك أمّك وهل تُنْصَرونَ إلّا بضعفائكم؟ قال: فلم يخمّس رسول الله ﷺ ببدر، وقسّم بين أصحابه، ثم استقبل بأخذ الخمس بعد بدر[٣].

﴿فَاتَّقُواْ اللّهَ﴾: في الإختلاف والمشاجرة.

﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: الحال التي بينكم بالمواساة، والمساعدة فيما رزقكم الله، وتسليم أمره إلى الله والرسول.

﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾: فيه.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥٤.　　٢ ـ الأنفال: ٦٧.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فإنّ الإيمان يقتضي ذلك.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: أي الكاملون في الإيمان.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فزعت لذكره استعظاماً له وهيبة من جلاله.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰناً﴾: ازدادوا بها يقيناً وطمأنينة نفس.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: وإليه يفوّضون أمورهم فيما يخافون ويرجون.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾: لأنّهم حقّقوا إيمانهم بضمّ مكارم الأخلاق ومحاسن أفعال الجوارح إليه.

﴿لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: كرامة وعلّو منزلة.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: لما فرط منهم.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: أُعدّ لهم في الجنّة.

القمّي: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام، وأبي ذر، وسلمان، والمقداد[١].

وفي الكافي[٢]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّة، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدّرجات عند الله، وبالنّقصان دخل المفرّطون

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥٥.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٧، ذيل ح ١، باب في أنّ الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلّها.

كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾

النار[١]. ويأتي صدر الحديث في أواخر سورة التوبة إن شاء الله.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ﴾: قيل: يعني حالهم هذه في كراهة ما حكم الله في الأنفال مثل حالهم في كراهة خروجك من بيتك للحرب[٢].

وفي المجمع: في حديث أبي حمزة فالله ناصرك كما أخرجك من بيتك[٣].

﴿يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾: في إيثارك الجهاد اظهاراً للحقّ لا يثارهم تلقي العير وأخذ المال الكثير على ملاقات النّفير والجهاد مع الجمّ الغفير.

﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾: أنّهم ينصرون أينما توجّهوا بإعلام الرسول.

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾: أي يكرهون القتال كراهة من يساق إلى الموت، وهو يشاهد أسبابه، وكان ذلك لقلّة عددهم، وعدم تأهبهم للقتال.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ﴾: على إضمار اذكر.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤، ح ١٢.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٨٤، والكشاف: ج ٢، ص ١٩٧.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٢١.

لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾

﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾: يعني العير أو النّفير.

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾: الحدّة.

﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾: يعني العير، فإنّه لم يكن فيها إلّا أربعون فارساً، ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقات النّفير لكثرة عددهم وعدّتهم.

العيّاشي: عن الصادق عليه السلام ذات الشّوكة الّتي فيها القتال[١].

﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾: أن يثبته ويعليه.

﴿بِكَلِمَـٰتِهِ﴾: قيل: بآياته المنزلة في محاربتهم[٢] أو بأوليائه.

والقمّي: قال: الكلمات: الأئمّة عليهم السلام[٣].

﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: ويستأصلهم، والمعنى أنّكم تريدون مالاً وألّا تلقوا مكروهاً والله يريد إعلاء الدين وإظهار الحقّ وما يحصل لكم به فوز الدّارين.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ﴾: فعل ما فعل[٤] وليس بتكرير لأنّ الأوّل: لبيان مراد الله وتفاوت ما بينه وبين مرادهم، والثاني: لبيان الدّاعي إلى حمل الرسول على إختيار ذات الشّوكة ونصره عليها.

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: ذلك.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: لمّا علمتم أن لا محيص عن القتال مع قلّتكم وكثرة عدوّكم،

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٩ ـ ٥٠، ح ٢٣. ٢ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٥.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٠. ٤ ـ هكذا في الأصل، والأفضل أن يقال: «أي بفعل ما فعل».

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾

بدل من ـ إذ يعدكم ـ.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام إنّ النّبي صلى الله عليه وآله لمّا نظر إلى كثرة عدد المشركين وقلّة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال: اللّهُمَّ انجز لي ما وعدتني، اللّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض، فمازال يهتف ربّه مادّاً يديه حتّى سقط رداؤه عن منكبه فأنزل الله: «إذ تستغيثون»[1] الآية.

﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: متّبعين المؤمنين أو بعضهم بعضاً من أردفته أنا إذا جئت بعده، وقرئ بفتح الدّال، وهو من أردفته إيّاه.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾: أي الإمداد.

﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾: بشارة لكم بالنّصر.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾: ليزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلّتكم.

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: وإمداد الملائكة، وكثرة العدد وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النّصر منها، ولا تيأسوا منه بفقدها.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾: أمناً من الله، بدل ثان من ـ إذ يعدكم ـ لإظهار نعمة ثالثة، والمعنى إذ تنعسون لأمنكم الحاصل من الله بإزالة الرّعب عن قلوبكم.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٢٥ في شأن النزول.

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾: من الحدث والخبث.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام اشربوا ماء السّماء فإنّه يطهّر البدن ويدفع الأسقام، ثمّ تلا هذه الآية[١].

ومثله في الخصال[٢]، والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام[٣].

﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾: يعني الجنابة، وذلك لأنّه احتلم بعضهم وغلب المشركون على الماء، ويحتمل أن يكون المراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه إيّاهم من العطش إذ روى أنّهم نزلوا في كثيب[٤] أعقر[٥] تسوخ[٦] فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم، وقد غلب المشركون على الماء فوسوس إليهم[٧] الشيطان، وقال: كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلّون محدثين مجنبين وتزعمون أنّكم أولياء الله وفيكم رسوله فأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلاً حتى جرى الوادي، واتّخذوا الحياض على عدوته[٨] وسقوا الركاب[٩] واغتسلوا وتوضّؤوا، وتلبّد[١٠] الرّمل الّذي بينهم وبين العدوّ

---

١ ـ الكافي: ج ٦، ص ٣٨٧، ح ٢، باب ماء السماء.

٢ ـ الخصال: ص ٦٣٦ ـ ٦٣٧، ح ١٠، حديث الأربعمائة.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥١، ح ٢٨.

٤ ـ الكثيب: التل من الرمل. القاموس المحيط: ج ١، ص ١٢٢، مادة «كثب».

٥ ـ العاقر من الرمل: ما لا ينبت، القاموس المحيط: ج ٢، ص ٩٣، مادة «العقر».

٦ ـ تسوخ وتسيخ بالسين المهملة والواو والخاء المعجمة أي تدخل فيها وتغيب، منه قدس سره. وقال الفيروزآبادي: ساخ يسيخ سيخاً: رسخ. القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٦٢، مادة «ساخت».

٧ ـ وفي نسخة: [لهم].

٨ ـ العدوة ـ بالضم ـ: المكان المتباعد. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٣٦٠، مادة «عدا».

٩ ـ رجل ركوب وركّاب، والركب: ركبان الإبل اسم جمع، أو جمع، وهم العشرة فصاعداً. القاموس المحيط: ج ١، ص ٧٥، مادة «رَكِبَ».

١٠ ـ لبد الشيء بالأرض ـ بالفتح ـ يلبُدُ لبوداً: تلبّدَ بها: أي لصق. الصحاح: ج ٢، ص ٥٣٣، مادة «لبد»، وفي لسان العرب: ج ١٢، ص ٢٢١ لبد بالمكان يلبد لبوداً، وَلَبِدَ لَبَداً وأَلْبَدَ: أقام به ولزق.

إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾

حتىّ ثبتت عليه الأقدام، وزالت الوسوسة[1].

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾: بالوثوق على لطف الله تعالى بكم.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾: بالمطر.

﴿ٱلْأَقْدَامَ﴾: حتى لا تسوخ في الرّمل أو بالرّبط على القلوب حتى تثبت في المعركة.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾: بدل ثالث لإظهار نعمة رابعة.

﴿إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾: في إعانتهم، وتثبيتهم.

﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: بالبشارة لهم، وبتكثير سوادهم، ومحاربة أعدائهم.

﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾: أعاليها الّتي هي المذابح أو الرّؤوس.

﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾: أصابع، أي جزّوا رقابهم واقطعوا أطرافهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: بسبب مشاقّتهم لهما، وكونهم في شقّ خلاف شقّهما.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ * ذَٰلِكُمْ﴾: الخطاب فيه مع الكفار على طريقة الإلتفات.

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٨٧.

﴿فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: والمعنى ذوقوا ما عجّل لكم من القتل والأسر مع ما أجّل لكم في الآخرة من عذاب النّار.

القمّي: وكان سبب ذلك أنّ عير قريش خرجت إلى الشام فيها خزائنهم فأمر النّبي ﷺ أصحابه بالخروج ليأخذوها فأخبرهم أنّ الله تعالى قد وعده إحدى الطّائفتين إمّا العير وإمّا قريش إن ظفر بهم، فخرج في ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فلمّا قارب بَدْراً وكان أبو سفيان لعنه الله في العير فلمّا بلغه أن رسول الله ﷺ قد خرج يتعرض العير خاف خوفاً شديداً ومضى إلى الشّام فلمّا وافى النّقرة[1] اكترى ضمضم بن عمرو الخزاعي بعشرة دنانير وأعطاه قلوصاً[2] وقال له: امض إلى قريش وأخبرهم أنّ محمّداً ﷺ والصّباة[3] من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضّون لعيركم فأدركوا العير، وأوصاه أن يخرم ناقته ويقطع أُذنها حتى يسيل الدّم، ويشقّ ثوبه من قبل ودبر، فإذا دخل مكّة ولّى وجهه إلى ذنب البعير وصاح بأعلى صوته: يا آل غالب يا آل غالب، اللّطيمة اللّطيمة[4]، العير العير، أدركوا أدركوا، وما أراكم تدركون فإنّ محمّداً ﷺ والصّباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم فخرج ضمضم يبادر إلى مكّة ورأت عاتكة بنت عبدالمطلّب قبل قدوم ضمضم في منامها بثلاثة أيّام كأنّ راكباً قد دخل مكّة ينادي: يا آل غدر يا آل غدر، اغدوا إلى مصارعكم صبيح ثالثة ثم وافى بجمله على

---

١ ـ النقرة: يروى بفتح النون، وسكون القاف: كل أرض متصوبة في وهدة فهي نَقِرَةٌ وبها سميت النقرة بطريق مكة التي يقال لها: معدن النقرة، معجم البلدان: ج ٥، ص ٢٩٩.

٢ ـ القلوص من الإبل الشابّة أو الباقية على السير أو أوّل ما يركب من إناثها إلى أن تثني، ثمّ هي ناقة. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣١٤، مادة «قلص».

٣ ـ وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصابئ، لأنّه خرج من دين قريش إلى الإسلام، ويسمون من يدخل في دين الإسلام: مَصْبُواً، لأنّهم كانوا لا يهمزون، فأبدلوا من الهمزة واواً، ويسمون المسلمين الصُباة بغير همز، كأنّه جَمْع الصابي، غير مهموز، كقاضٍ وقضاة وغازٍ وغزاة. لسان العرب: ج ٧، ص ٢٦٧، مادة «صبأ» ونحوه جاء في هامش المخطوط منه ﷺ.

٤ ـ اللطيمة: العير التي تحمل الطيب وبز التجار، وربما قيل لسوق العطارين لطيمة. الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٣٠، ماددة «لطم».

أبي قبيس فأخذ حجراً فدهدهه من الجبل فما ترك داراً من دور قريش إلّا أصابه منه فلذة[١] وكأنّ وادي مكّة قد سال من أسفله، دماً فانتبهت ذَعِرَةً فأخبرت العبّاس بذلك، فأخبر العبّاس عتبة بن ربيعة، فقال عتبة: هذه مصيبة تحدث في قريش، وفشت الرّؤيا في قريش، وبلغ ذلك أبا جهل، فقال: ما رأت عاتكة هذه الرّؤيا، وهذه نبيّة ثانية في بني عبدالمطلب، واللّات والعزى لننتظرّن ثلاثة أيّام فإن كان ما رأت حقّاً فهو كما رأت، وإن كان غير ذلك لنكتبنّ بيننا كتاباً أنّه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً ولا نساءً من بني هاشم، فلمّا مضى يوم، قال أبو جهل: هذا يوم قد مضى، فلمّا كان اليوم الثّاني، قال أبو جهل: هذان يومان قد مضيا، فلما كان اليوم الثالث، وافى ضمضم ينادي في الوادي يا آل غالب: يا آل غالب، اللّطيمة اللّطيمة، العير العير، أدركوا أدركوا، وما أراكم تدركون، فإنّ محمّداً ﷺ والصّباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم الّتي فيها خزائنكم فتصايح النّاس بمكّة وتهيّؤوا للخروج، وقام سهل بن عمرو، وصفوان بن أُميّة، وأبو البختري بن هشام، ومنبّه، ونبيه ابنا الحجّاج، ونوفل بن خويلد فقالوا: يا معشر قريش والله ما أصابكم مصيبة أعظم من هذه أن يطمع محمّد والصّباة من أهل يثرب أن يتعرّضوا لعيركم الّتي فيها خزائنكم، فوالله ما قرشي ولا قرشيّة إلّا ولها في هذا العير نَشّ[٢] فصاعداً وأنّه الذلّ والصّغار أن يطمع محمّد ﷺ في أموالكم، ويفرّق بينكم وبين متجركم فأخرجوا، وأخرج صفوان بن أُميّة خمسمائة دينار وجهّز بها، وأخرج سهيل بن عمرو، وما بقي أحد من عظماء قريش إلّا أخرجوا مالاً وحمّلوا وقوداً[٣] وخرجوا على الصّعب[٤] والذّلول لا يملكون أنفسهم كما قال الله تبارك وتعالى:

---

١ ـ الفلذة: القطعة، منه ﷺ. وقال الطريحي: الفلذة ـ كسدرة ـ: القطعة من الكبد، واللحم، والمال، والجمع أفاليذ. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٨٦، مادة «فلذ».

٢ ـ النش: عشرون درهماً. منه ﷺ.

٣ ـ وفي نسخة: [وقوّوا] كما في المصدر. والصحيح أن يقال: «وحمّلوا وقوراً» والوقور جمع وِقْر بمعنى الثقيل.

٤ ـ الصعب: نقيض الذلول، يقال: صعب الشيء ـ بضم الثاني ـ صعوباً: صار صعباً: شاقاً، والناقة الصعبة: خلاف الذلول. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٠٠، مادة «صعب».

«خَرَجُواْ مِنْ دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَآءَ النَّاس»[١] وخرج معهم العبّاس بن عبدالمطّلب، ونوفل بن الحرث، وعقيل بن أبي طالب، وأخرجوا معهم القيان[٢] يشربون الخمر ويضربون بالدّفوف، وخرج رسول الله ﷺ في ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً فلمّا كان بقرب بدر على ليلة منها بعث بشير بن أبي الرّغباء، ومحمّد بن عمرو يتجسّسان خبر العير فأتيا ماء بدر فأناخا راحلتيهما واستعذبا من الماء، وسمعا جاريتين قد تشبثت إحداهما بالأُخرى وتطالبها بدرهم كان لها عليها، فقالت: عير قريش نزلت أمس في موضع كذا وكذا وهي تنزل غداً هاهنا وأعمل لهم وأقضكِ، فَرَجعا فأخبراه بما سمعا، فأقبل أبو سفيان بالعير فلمّا شارف بدراً تقدّم العير وأقبل وحده حتّى إنتهى إلى ماء بدر وكان بها رجل من جهينة يقال له كسب الجهني، فقال له: يا كسب هل لك علم بمحمد ﷺ وأصحابه؟ قال: لا، قال: واللّات والعزّى لئن كتمتنا أمر محمّد ﷺ لا تزال قريش لك معادية إلى آخر الدّهر فإنّه ليس أحد من قريش إلّا وله في هذا العير نشّ فصاعداً فلا تكتمني، فقال: والله ما لي علم بمحمّد ﷺ أنّى لمحمد ﷺ وأصحابه بالتّخبار[٣] إلّا إنّي رأيت في هذا اليوم راكبين أقبلا فاستعذبا من الماء وأناخا راحلتيهما ورجعا فلا أدرى من هما، فجاء أبو سفيان إلى موضع مناخ إبلهما ففتّ أبعار الإبل بيده فوجد فيها النّوى، فقال: هذه علائف يثرب هؤلاء والله عيون محمّد فرجع مسرعاً، وأمر بالعير فأخذ بها نحو ساحل البحر، وتركوا الطزيق ومرّوا مسرعين، ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره إنّ العير قد أفلتت وأنّ قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها، وأمره بالقتال ووعده النّصر[٤] وكان نازلاً ماء الصّفراء[٥] فأحبّ أن يبلو الأنصار لأنّهم إنّما وعدوه لأن ينصروه،

---

١ ـ الأنفال: ٤٧.　　٢ ـ القينة بالقاف والياء التحتيّة والنون: الأمة المغنية خاصة، جمعها القيان. منه ﵀.

٣ ـ مصدر مزيد من الخبر يعني لا من تحقيق خبر. منه ﵀، وفي المصدر: مالي علم بمحمّد ﷺ وما بال محمد ﷺ وأصحابه بالفجّار.　　٤ ـ وفي نسخة: [النصرة].

٥ ـ وادي الصّفراء: من ناحية المدينة، وهو واد كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج وسلكه رسول الله ﷺ غير مرّة، وبينه وبين بدر مرحلة، قال عرّام بن الأصبغ السلمي: الصفراء قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلّها، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة وماؤها يجري إلى ينبع. معجم البلدان: ج ٣، ص ٤١٢.

وكان رسول الله ﷺ في الدّار[١] فأخبرهم أنّ العير قد جازت وأنّ قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها، وأنّ الله قد أمرني بمحاربتهم، فجزع أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك وخافوا خوفاً شديداً فقال رسول الله ﷺ: أشيروا عَلَيَّ، فقام أبو بكر، فقال: يا رسول إنّها قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلّت منذ عزّت، ولم نخرج على هيئة الحرب، فقال رسول الله ﷺ: أُجلس فجلس، فقال: أشيروا عليّ، فقام عمر، فقال: مثل مقالة أبي بكر، فقال: أُجلس، ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله إنّها قريش وخيلاؤها وقد آمنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حق من عند الله، ولو أمرتنا أن نخوض جمر[٢] الغضا[٣] وشوك الهراس[٤] لخضنا معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: «إذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدونَ»[٥]، ولكنّا نقول: إذهب أنت وربّك فقاتلا وإنّا معكما مقاتلون، فجزاه رسول الله[٦] خيراً ثم جلس، ثمّ قال: أشيروا عليّ فقام سعد بن معاذ، فقال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله كأنّك أردتنا؟ قال: نعم، قال: فلعلّك خرجت على أمر وقد أُمرت بغيره، قال: نعم، قال: بأبي أنت وأُمي يا رسول الله إنّنا قد آمنّا بك، وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله، فمرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأُترك منها ما شئت، والّذي أخذت منه أحبّ إليّ من الّذي تركت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضنا معك، فجزّاه خيراً ثم

---

١ ـ الدار: البلد، حكى سيبويه: هذه الدار نِعْمَت: البلد، فأنث البلد على معنى الدار، وفي الكتاب العزيز: «والذي تبؤوا الدار والايمان» الحشر: ٩، المراد بالدار مدينة النبي ﷺ لأنّها محل أهل الإيمان. تاج العروس: ج ١١، ص ٣١٩، مادة «دَوَرَ».

٢ ـ الجمرة: النار المتّقدة: ج جُمَر القاموس المحيط: ج ١، ص ٣٩٣.

٣ ـ الغضا ـ بالمعجمتين ـ: شجر ذو نار، والهراس ـ بالمهملتين ـ شجر أو بقل ذو شوك. منه ﵀، وقال الطريحي: الغضى ـ بالقصر ـ: شجر ذو شوك وخشبه من أصلب الخشب ولذا يكون في فحمه صلابة. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣١٨، مادة «غضا».

٤ ـ الهراس ـ كسحاب ـ: شجر شائك ثمره كالنبق. القاموس المحيط: ج ٢، ص ٢٥٩، مادة «هرس».

٥ ـ المائدة: ٢٤. وفي المصحف: «فاذهب». ٦ ـ وفي نسخة: [النبي ﷺ]

قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله والله ما خضت هذا الطّريق قطّ وما لي به علم، وقد خلّفنا بالمدينة قوماً ليس نحن بأشدّ جهاداً لك منهم ولو علموا أنّه الحرب لما تخلّفوا ولكن نعدّ لك الرّواحل، ونلقى عدوّنا فإنّا صُبّرٌ عند اللّقاء أنجاد[1] في الحرب وإنّا لنرجو أن يقرّ الله عينيك بنا فإن يك ما تحبّ فهو ذاك، وإن يك غير ذلك قعدت على رواحلك فلحقت بقومنا، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أويحدث الله غير ذلك كأني بمصرع فلان هاهنا، وبمصرع فلان هاهنا، وبمصرع أبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ومنّبه ونبيه ابني الحجّاج فإنّ الله قد وعدني إحدى الطّائفتين، وَلَنْ يُخْلِفَ ٱللّهُ المِيعَاد فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله بهذه الآية: «كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ» إلى قوله: «وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمون»[2] فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله بالرّحيل حتّى نزل عشاء على ماء بدر، وهي العدوة الشّامية، وأقبلت قريش فنزلت بالعدوة اليمانيّة، وبعثت عبيدها تستعذب من الماء فأخذهم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وحبسوهم، فقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن عبيد قريش، قالوا: فأين العير؟ قالوا: لا علم لنا بالعير، فأقبلوا يضربونهم، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يصّلي فانفتل من صلاته فقال: إن صدّقوكم ضربتموهم، وإن كذّبوكم تركتموهم عليّ بهم فأتوا بهم، فقال لهم: من أنتم قالوا يا محمّد نحن عبيد قريش، قال: كم القوم؟ قالوا: لا علم لنا بعددهم؟ قال: كم ينحرون في كلّ يوم جزوراً؟ قالوا: تسعة إلى عشرة، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله، القوم تسعمائة إلى ألف، ثمّ قال: فمن فيهم من بني هاشم؟ قالوا: العباس بن عبدالمطلّب، ونوفل بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب، فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله بهم فحبسوا، وبلغ قريشاً ذلك فخافوا خوفاً شديداً، ولقى عتبة بن ربيعة أبا البختري بن هشام فقال له: أما ترى هذا البغي والله ما أبصر موضع قدمي خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت فجئنا بغياً وعدواناً والله ما أفلح قوم قطّ بغوا ولوددت أنّ ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهب كلّه ولم نسر هذا المسير، فقال له أبو البختري: إنّك سيّد من سادات قريش فسر

---

١ ـ النَجْدَة ـ بفتح النون فالسكون ـ: الشجاعة، يقال: نَجُدَ الرجل بالضم فهو نَجُدٌ ونجيد والجمع أنجاد، وجمع نجيد نُجُداء. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٤٩، مادة «نجد».

٢ ـ الأنفال: ٥ ـ ٨.

في النّاس وتحمّل العير الّتي أصابها محمّد ﷺ بنخلة ودَم ابن الحضرمي فإنّه حليفك، فقال عتبة: أنت تشير عليّ بذلك وما على أحد منّا خلاف إلّا ابن الحنظلة[1] يعني أبا جهل فسر إليه وأعلمه إنّي قد تحمّلت العير الّتي أصابها محمّد ﷺ بنخلة وَدَم ابن الحضرمّي، فقال أبو البختري: فقصدت خباءه وإذا هو قد أخرج درعاً له، فقلت له: إنّ أبا الوليد بعثني إليك، برسالة فغضب، ثم قال: أما وجد عتبة رسولاً غيرك؟ فقلت: أما والله لو غيره أرسلني ما جئت، ولكن أبا الوليد سيّد العشيرة، فغضب غضبة أُخرى، فقال: من يقول سيّد العشيرة؟ فقلت: أنا أقول، وقريش كلّها تقوله[2]، وأنّه قد تحمّل العير وَدَم ابن الحضرمي فقال: إنّ عتبة أطول النّاس لساناً وأبلغهم في الكلام، ويتعصّب لمحمّد ﷺ، فإنّه من بني عبد مناف وابنه معه ويريد أن لا يخذله بين النّاس لا واللّات والعزّى حتّى نقحم عليهم بيثرب ونأخذهم أُسارى فندخلهم مكّة ويتسامع العرب بذلك ولا يكون بيننا وبين متجرنا أحد نكرهه، وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ كثرة قريش ففزعوا فزعاً شديداً، وشكوا، وبكوا، واستغاثوا، فأنزل الله على رسوله ﷺ: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينِ ❊ وَمَا جَعَلَهُ ٱللهُ إِلَّا بُشْرى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبكم وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِن عِنْدِ الله إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيم»[3] فلمّا أمسى رسول الله ﷺ وجنّه اللّيل ألق الله تعالى على أصحابه النّعاس حتّى ناموا فأنزل الله تبارك وتعالى عليهم السماء[4]، وكان نزول رسول الله ﷺ في موضع لا يثبت فيه القدم. فأنزل الله عليهم السماء ولبد[5] الأرض حتى تثبت أقدامهم، وهو قول الله تبارك وتعالى: «إذ يغشّيكم النّعاس أَمَنَةً منه وينزّل عليكم من السماء ماءً ليطهّركم به ويذهب عنكم رجز

---

١ ـ وفي نسخة: [ابن الحنظليّة].

٢ ـ هكذا في الأصل، وفي المصدر «فقال تقول سيد العشيرة؟ فقلت أنا أقوله وقريش كلّها تقوله».

٣ ـ الأنفال: ٩ ـ ١٠.

٤ ـ أي المطر، سمّي به لأنّه ينزل من السماء. منه ﵀.

٥ ـ لَبَدَ الشيء من باب تعب: لصق، وكل شيء ألصقته بشيء إلصاقاً نعماً فقد لَبَّدْتَهُ. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٤٠، «مادة لبد».

الشيطان» وذلك أنّ بعض أصحاب رسول الله[١] ﷺ احتلم «وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ»، وكان المطر على قريش مثل العزالى[٢]، وكان على أصحاب رسول الله ﷺ بقدر ما يلبد به الأرض، وخافت قريش خوفاً شديداً فأقبلوا يتحارسون يخافون البيات، فبعث رسول الله ﷺ عمّار بن ياسر، وعبدالله بن مسعود، فقال: ادخلا في القوم وَأْتُونا بأخبارهم فكانا يجولان بعسكرهم لا يرون إلّا خائفاً ذعراً إذا صهل الفرس وثب على جحفلته[٣] فسمعوا منبه بن الحجّاج يقول:

لا يترك الجوع لنا مبيتا لابدّ أن نموت أو نميتا

قال: قد والله كانوا شباعاً ولكنّهم من الخوف قالوا: هذا، وألقى الله في قلوبهم الرّعب كما قال الله تبارك وتعالى: «سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ».

فلمّا أصبح رسول الله ﷺ عبّأ أصحابه، وكان في عسكر رسول الله ﷺ فرسان: فرس للزّبير بن العوام، وفرس للمقداد، وكان في عسكره سبعون جملاً يتعاقبون عليها، وكان رسول الله ﷺ، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومرثد بن أبي مرثد الغنويّ على جمل يتعاقبون عليه، والجمل لمرثد، وكان في عسكر قريش أربعمائة[٤] فرس. فعبّأ رسول الله ﷺ أصحابه بين يديه، فقال: غضّوا أبصاركم ولا تبدؤوهم بالقتال، ولا يتكلّمن أحد.

فلمّا نظرت قريش إلى قلّة أصحاب رسول الله ﷺ قال أبو جهل: ما هم إلّا أكلة رأس لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد، فقال عتبة بن ربيعة: أترى لهم كميناً ومدداً؟ فبعثوا عمرو بن وهب الجمحي، وكان فارساً شجاعا فجال بفرسه حتّى طاف على عسكر رسول الله ﷺ، ثمّ صعد في الوادي وصوت، ثم رجع إلى قريش فقال لهم: ما لهم كمين ولا مدد ولكن

---

١ ـ وفي نسخة: [النبي ﷺ].

٢ ـ العزالى جمع عزلاء وهو مصب الماء من الراوية ونحوها. والرذاذ: المطر الضعيف، منه قدس سره.

٣ ـ الجحفل: الجيش الكثير. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٤٦، مادة «جَحَلَ».

٤ ـ وفي نسخة: [سبعمائة].

نواضح[١] يثرب قد حملت الموت الناقع[٢]، أما ترونهم خرساً لا يتكلّمون يتلّمظون[٣] تلمّظ الأفاعي ما لهم ملجأ إلّا سيوفهم، وما أراهم يولّون حتّى يقتلوا، ولا يُقْتَلُونَ حتّى يقتلوا بعددهم فارتأوا[٤] رأيكم، فقال له أبو جهل: كذبت وجبنت وانتفخ سُحْرُك[٥] حين نظرت إلى سيوف أهل يثرب.

وفزع أصحاب رسول الله ﷺ حين نظروا إلى كثرة قريش وقوّتهم فأنزل الله تعالى على رسوله «وَإِنْ جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ»[٦] وقد علم الله أنّهم لا يجنحون ولا يجيبون إلى السّلم وإنّما أراد الله تعالى بذلك لتطييب قلوب أصحاب النّبي ﷺ فبعث رسول الله ﷺ إلى قريش فقال: يا معشر قريش ما أجد من العرب أبغض إليّ من أن أبدأكم فخلّوني والعرب فإن أكُ صادقاً فأنتم أعلا بي عيناً، وإن أك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري، فارجعوا، فقال عتبة: والله ما أفلح قوم قطّ ردّوا هذا، ثمّ ركب جملاً له أحمر فنظر إليه رسول الله ﷺ يجول في العسكر وينهى عن القتال، فقال: إن يكن عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر فإن يطيعوه يرشدوا فأقبل عتبة يقول: يا معشر قريش اجتمعوا واسمعوا، ثم خطبهم فقال: يُمْن

---

١ ـ نضح البعير الماء: حمله من نهر وبئر لسقي الزرع فهو ناضح، سمي بذلك لأنّه ينضح الماء أي يصبه. والأنثى ناضحة وساينة، والجمع نواضح، وهذا أصله ثم استعمل الناضح في كلّ بعير وإن لم يحمل الماء. ومنه الحديث: «أطعم ناضحك» أي بعيرك. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤١٩، مادة «نضح».

٢ ـ سم ناقع: أي بالغ، وقيل: قاتل، ودم ناقع: أي طري. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٩٨، مادة «نقع».

٣ ـ لَمَظَ يَلْمَظُ بالضم لَمْظاً: إذا تتبّع بلسانه بقية الطعام في فمه أو أخرج لسانه فمسح به شفتيه. وكذلك التلمّظ. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٩١، مادة «لمظ».

٤ ـ رتأت العقدة رتأً: شددتها، والرجل خَنَقْتُهُ. الصحاح: ج ١، ص ٥٢.

٥ ـ السحر ـ بالضم ـ: الرّية، وانتفاخه: كناية عن الجبن. منه ﷺ. وقال الجوهري: السُّحْر: الرئة. الصحاح: ج ٢، ص ٦٧٨، وقال الطريحي: وانتفخ سَحْرَهُ ومَساحِرَه: عدا طوره وجاوز قدره، وانقطع منه سَحْري ينست منه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٢٦. وهكذا قاله الفيروزآبادي في القاموس المحيط: ج ٢، ص ٤٥، وقال ابن الأثير: انتفخ سَحْرك: أي رئتك، يقال ذلك للجبان. النهاية لابن الأثير: ج ٢، ص ٣٤٦.

٦ ـ الأنفال: ٦١.

مع رُحْب، ورُحْبٌ مع يمن، يا معشر قريش أطيعوني اليوم واعصوني الدّهر، وارجعوا إلى مكّة واشربوا الخمور وعانقوا الحور، فإنّ محمّداً صلى الله عليه وآله إل[1] وذمّة وهو ابن عمّكم فارجعوا ولا تردّوا رأيي وإنّما تطالبون محمّداً بالعير الّتي أخذها محمّد بنخلة وَدَم ابن الحضرمي وهو حليفي وعليّ عقله، فلمّا سمع أبو جهل ذلك غاضه وقال: إنّ عتبة أطول النّاس لساناً، وأبلغهم كلاماً[2] ولئن رجعت قريش بقوله ليكوننّ سيّد قريس إلى آخر الدّهر، ثمّ قال: يا عتبة نظرت إلى سيوف بني عبدالمطّلب وجبنت وانتفخ سَحْرك وتأمر النّاس بالرّجوع وقد رأينا آثارنا بأعيننا، فنزل عتبة عن جمله وحمل على أبي جهل، وكان على فرس فأخذ بشعره، فقال النّاس: يقتله فعرقب[3] فرسه، فقال: أمثلي يجبن؟ وستعلم قريش اليوم أيّنا الأليم[4] والأجبن وأيّنا المفسد لقومه، لا يمشي إلّا أنا وأنت إلى الموت عياناً، ثمّ قال هذا جَناى وخياره فيه، وكل جان يده إلى فيه، ثم أخذ بشعره يجرّه فاجتمع إليه النّاس فقالوا: يا أبا الوليد الله الله لا تَفُتَّ في أعضاد النّاس، تنهى عن شيء تكون أوّله. فخلّصوا أبا جهل من يده، فنظر عتبة إلى أخيه شيبة، وإلى ابنه الوليد فقال: قم يابنيّ فقام، ثم لبس درعه وطلبوا له بيضة تسع رأسه فلم يجدوها لعظم هامته فاعتمّ بعمامتين، ثم أخذ سيفه وتقدّم هو وأخوه وابنه، ونادى يا محمّد أخرج إلينا أكفّاءنا من قريش فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار: عوذ، ومعوذ، وعون بني عفراء، فقال عتبة: من أنتم؟ انتسبوا لنعرفكم؟ فقالوا: نحن بنو عفراء أنصار الله

---

١ ـ الإل بالكسر: العهد والحلف والأمان والقرابة. منه رحمه الله.

٢ ـ وفي نسخة: [وأبلغهم في الكلام].

٣ ـ العُرقوب ـ بالضم ـ: العصب الغليظ الموتر فوق العقب من الإنسان، ومن ذوات الأربع عبارة عن الوتر خلف الكعبين بين مفصل الساق والقدم، وفي القاموس: العرقوب من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها، وفي المصباح: العرقوب عصب موثق خلف الكعبين، والجمع «عراقيب» مثل عصفور وعصافير، وعرقبت الدابّة: قطعت عرقوبها، مجمع البحرين: ج ٢، ص ١١٩ ـ ١٢٠ مادة «عرقب».

٤ ـ الأليم: أي مؤلم موجع، كالسميع بمعنى المستمع إذ لا ألم فوق ألم عذاب لا رجاء معه للخلاص، إذ الرجاء يهوّن العذاب. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٩، مادة «ألم»، وفي نسخة: [الألأم].

وأنصار رسوله، فقال: ارجعوا فإنّا لسنا إيّاكم نريد، إنّما نريد الأكفّاء من قريش، فبعث إليهم رسول الله ﷺ أن ارجعوا، وكره أن يكون أوّل الكرّة بالأنصار فرجعوا ووافقوا موقفهم، ثم نظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان له سبعون سنة فقال له: قم يا عبيدة، فقام بين يديه بالسيف، ثم نظر إلى حمزة بن عبدالمطلّب فقال له: قم يا عمّ، ثمّ نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: قم يا علي، وكان أصغر القوم ـ سنّا ـ فاطلبوا بحقّكم الّذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفي نور الله، ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره، ثم قال رسول الله: يا عبيدة عليك بعُتْبَة، وقال لحمزة: عليك بشيبة، وقال لعليّ: عليك بالوليد بن عتبة، فمرّوا حتّى انتهوا إلى القوم فقال عتبة: من أنتم؟ انتسبوا لنعرفكم، فقال: أنا عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، فقال: كفو كريم، فقال: فمن هذان؟ فقال: حمزة بن عبدالمطلب، وعليّ بن أبي طالب، فقال: كفوان كريمان، لعن الله من أوقفنا وإيّاكم هذا الموقف، فقال: شيبة لحمزة من أنت؟ فقال: أنا حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله، فقال له شيبة: لقد لقّبت أسد الحلفاء فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله، فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلق هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه وقطعها وسقطا جميعاً، وحمل حمزة على شيبة فتضاربا بالسّيفين حتى انثلما وكلّ واحد منهما يتّق بدرقته[1]، وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد بن عتبة فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من ابطه، فقال علي عليه السلام: فأخذ يمينه المقطوعة بيساره فضرب بها هامتي فظننت أنّ السّماء وقعت على الأرض، ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: يا علي أما ترى الكلب قد أنهز[2] عمّك فحمل عليه علي ثم قال: يا عمّ طأطئ رأسك وكان حمزة أطول من شيبة

---

١ ـ الدَّرَقة ـ بفتحتين ـ: الترس. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٦٠، مادة «درق».

٢ ـ النُهزَة ـ بالضم ـ: الفرصة، وانتهزتها: إغتنمتها. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٩، مادة «نهز». وفي نسخة: [قد نهّر عمّك] ونهره وانتهره: أي زبره وزجره. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٥٠٧، مادة «نهر». وفي المصدر: «قد أبهر عمّك» والبهر: الغلبة، يقال: بَهَرَ القمر الكواكب كمنع: إذا أضاء وغلب ضوؤه ضوءها. مجمعَ البحرين: ج ٣، ص ٢٣١، مادة «بهر».

فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فطيّر نـصفه، ثم جـاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه، وحُمِل عبيدة بين حمزة وعليّ حتّى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وآله فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فاستعبر فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي ألست شهيداً؟ قال: بلى أنت أوّل شهيد من أهل بيتي، فقال: أما لو كان عمّك حيّ لعلم أنّي أولى بمـا قال منه. قـال صلى الله عليه وآله: وأيّ أعمامي تعني؟ قال: أبو طالب حيث يقول:

كــذبتم وبـيت الله نـبرئ محـمّداً ... ولمّـا نـطاعن دونـه ونـناضل

ونسـلمه[١] حـتّى نُـصَرَّع حَـوله ... ونـذهل عـن أبـنائنا والحـلائل

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ترى ابنه كالليّث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر في جهاد أعداء الله بأرض الحبشة، فقال: يا رسول الله أسخطت عليّ في هذه الحالة؟ فقال: ما سخطت عليك ولكن ذكرت عمّي فانقبضت لذلك.

وقال أبو جهل لقريش: لا تعجلوا ولا تبطروا كما عجّل وبطر ابنا ربيعة عليكم بأهل يثرب فأجزروهم جزراً، وعليكم بقريش فخذوهم أخـذاً حـتّى نـدخلهم مكّـة فـنعرفهم ضلالتهم الّتي كانوا عليها، وكان فئة[٢] من قريش أسلموا بمكّة فأحبسهم آباؤهم فخرجوا مع قريش إلى بدر وهم على الشكّ والإرتياب والنّفاق منهم: قيس بن الوليد بن المـغيرة، وأبـو قيس بن الفاكهة، والحارث بن ربيعة. وعليّ بن أميّة بن خلف، والعاص بن المنبّه، فلمّا نظروا إلى قلّة أصحاب محمد صلى الله عليه وآله قالوا: مساكين هؤلاء غرّهم دينهم فيقتلون السّاعة فأنزل الله على رسوله «إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوكَّل عَلَى الله فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»[٣]، وجاء ابليس عليه اللّعنة إلى قريش في صورة سراقة بن مالك فقال لهم: أنا جارٍ لكم إدفعوا إليّ رايتكم فدفعوها إليه، وجاء بشياطينه يهوّل بهم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ويخيّل إليهم ويفزعهم، وأقبلت قريش يقدمها إبليس مع الرّاية فنظر إليـه رسـول

---

١ ـ وفي المصدر: وننصره حتى نصرع حوله.

٢ ـ هكذا في الأصل. والصحيح: فتية، كما في المصدر.

٣ ـ الأنفال: ٤٩.

الله ﷺ فقال: غضّوا أبصاركم، وعضّوا على النواجذ، ولا تسلّوا سيفاً حتّى آذن لكم، ثم رفع يديه إلى السّماء فقال: يا ربّ إن شئت تهلك هذه العصابة لم تعبد، وإن شئت أن لا تعبد، لا تعبد، ثمّ أصابه الغشي فسرى[1] عنه وهو يسلت العرق عن وجهه وهو يقول: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين، قال: فنظرنا فإذا بسحابة سوداء فيها برق لائح قد وقعت على عسكر رسول الله ﷺ وقائل يقول: أقدم حيزوم، أقدم حيزوم[2] وسمعنا قعقعة السلاح من الجوّ ونظر إبليس إلى جبرئيل عليه السلام فتراجع ورمى باللواء فأخذ منّبه بن الحجّاج بمجامع ثوبه، ثمّ قال: ويلك يا سراقة تفت في أعضاد النّاس فركله إبليس ركلة[3] في صدره، وقال: «إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ» وهو قول الله: «وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ»[4]، ثمّ قال عزّ وجلّ: «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ»[5]، وحمل جبرئيل على إبليس فطلبه حتى غاص في البحر، وقال: ربّ أنجز لي ما وعدتني من البقاء إلى يوم الدين[6].

وروي في خبر أنّ إبليس التفت إلى جبرئيل، وهو في الهزيمة فقال: يا هذا أبدا لكم فيما أعطيتمونا؟ فقيل لأبي عبدالله عليه السلام: أترى كان يخاف أن يقتله؟ فقال: لا، ولكنّه كان يضربه ضربة يشينه منها إلى يوم القيامة، وأنزل الله على نبيّه: ««إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ

---

١ ـ سري عنه: انكشف وسليت العرق أي يمسحه ويميطه. منه قدّس سرّه.

٢ ـ حيزوم: اسم فرس جبرئيل. منه قدّس سرّه. وقال الطريحي: حيزوم: اسم فرس كان لرسول الله ﷺ، مجمع البحرين: ج ٦، ص ٤٠، مادة «حزم». وقال الجوهري: حيزوم: اسم فرس من خيل الملائكة. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٩٩، مادة «حزم».

٣ ـ الركل: الضرب برجل واحدة، وقد رَكَلَهُ يَركُلُهُ رَكْلاً: أي رفسه. مجمع البحرين: ج٥، ص٣٨٥، مادة «ركل».

٤ ـ الأنفال: ٤٨.

٥ ـ الأنفال: ٥٠.

٦ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٥٦ ـ ٢٦٧.

فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُـواْ مِنهمْ كُلّ بَنَان»[١]. قال: أطراف الأصابع فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفي نور الله ويأبي الله إلاّ أن يتمّ نوره، وخرج أبو جهل من بين الصّفّين فقال: اللّهم إنّ محمّداً أَقْطَعَنا للرّحم وآتانا بما لا نعرفه فأجئه العذاب[٢]. فأنزل الله على رسوله ﷺ: «إِنْ تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْح وَإِنْ تَنْتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنينَ»[٣]، ثمّ أخذ رسول الله ﷺ كفّاً من حصىً فرمى به في وجـوه قـريش، وقال: شاهت الوجوه فبعث الله رياحاً تضرب وجوه قريش فكانت الهزيمة، ثمّ قال رسـول الله ﷺ: اللّهمّ لا يغلبنّك فرعون هذه الأمّة أبو جهل بن هشام، فقُتل منهم سبعون وأُسر منهم سبعون، والتقى عمرو بن الجموح مع أبي جهل فضرب عمرو أبا جهل على فخذه وضرب أبو جهل عمرواً على يده فأبانها من العضد فتعلّقت بجلده فاتّكى عمرو عـلى يـده بـرجـله ثمّ تراخى[٤] في السّماء حتى انقطعت الجلدة ورمى بيده.

وقال عبدالله بن مسعود: انتهيت إلى أبي جهل وهو يتشحّط بدمه فـقلت: الحـمد لله الذي أخزاك، فرفع رأسه فقال: إنّما أخزى الله عبداً ابن أُمّ عبد لمن الدّين؟ ولمن الملك، ويلك؟ قلت: لله ولرسوله وإنّي قاتلك ووضعت رجلي على عنقه، فقال: قد[٥] ارتقيت مرتقاً صعباً يا رُوَيعي الغنم أمّا إنّه ليس شيء أشدّ من قتلك إيّاي في هذا اليوم ألا يولّي[٦] قتلي رجل مـن المـطلّبيّين أو رجل من الأحلاف، فانقلعت بيضة كانت على رأسـه فـقتلته وأخـذت رأسـه وجئت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله البشرى هذا رأس أبي جـهل بـن هشـام. فسجد لله شكراً، وأسر أبو بشر الأنصاري العباس بن عبدالمطلب، وعقيل بـن أبي طـالب،

---

١ ـ الأنفال: ١٢.

٢ ـ وفي نسخة: [فأهنه الغداة].

٣ ـ الأنفال: ١٩.

٤ ـ هكذا في الأصل، وفي المصدر: ثمّ نتراخى السماء.

٥ ـ وفي نسخة: [لقد].

٦ ـ وفي نسخة: [ألا يتولّى قتلي رجل من المطّلبين].

وجاء بهما إلى رسول الله ﷺ فقال له: هل أعانك عليهما أحد؟ قال: نعم رجل عليه ثياب بيض، فقال رسول الله ﷺ : ذاك من الملائكة، ثم قال رسول الله ﷺ للعبّاس: أفد نفسك وابن أخيك، فقال: يا رسول الله قد كنت أسلمت، ولكنّ القوم استكرهوني، فقال رسول الله ﷺ: الله أعلم بإسلامك إن يكن ما تذكر حقّاً فالله يُجزيك عليه، فأمّا ظاهر أمرك فقد كنت علينا، ثمّ قال: يا عبّاس إنّكم خاصمتم الله فخصمكم، ثمّ قال: أفد نفسك وابن أخيك، وقد كان العبّاس أخذ معه أربعين أُوقية من ذهب فغنمها رسول الله ﷺ، فلمّا قال رسول الله ﷺ للعبّاس: أفد نفسك قال يارسول الله أحسبها من فدائي، فقال رسول الله ﷺ: لا، ذاك شيء أعطانا الله منك، فأفد نفسك وابن أخيك، فقال العباس: فليس لي مال غير الذي ذهب مني، قال: بلى المال الّذي خلّفته عند أُمّ الفضل بمكّة، وقلت لها: إن حدث عليّ حدث فاقتسموه[1] بينكم، فقال له: أتتركني وأنا أسأل النّاس بكفي؟ فأنزل الله على رسوله في ذلك «يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِي قُلْ لِمَنْ فِي أَيديكُم مِنَ الأَسْرَى إنْ يَعْلَم الله فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِر لَكُمْ والله غَفُورٌ رَحِيم»[2]، ثمّ قال الله: «وَإِنْ يُرِيدواْ خِيَانَتَكَ» في علي «فَقَدْ خَانُواْ ٱللّهَ مِنْ قَبْل» فيك «فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ»[3]، ثمّ قال رسول الله ﷺ لعقيل: لقد[4] قتل الله يا أبا يزيد أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ومنّبه، وَنُبَيه ابنا الحجّاج، ونوفل بن خويلد، وأُسر سهيل بن عمرو، والنّضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط، وفلان وفلان، فقال عقيل: إذاً لا تنازعون في تهامة فإن كنت قد أثخنت القوم وإلّا فاركب أكتافهم فتبسّم رسول الله ﷺ، وكان القتلى ببدر سبعين، والأسرى سبعين، قتل منهم أمير المؤمنين عليه السلام سبعة وعشرين ولم يؤسر أحداً، فجمعوا الأسرى وفرّقوهم في الجمال وساقوهم على أقدامهم، وجمعوا الغنائم، وقتل من أصحاب رسول الله ﷺ تسعة رجال فيهم سعد بن خيثمة، وكان من النّقباء، فرحل

١ـوفي نسخة: [فأقسموه] كما في المصدر.

٢ـالأنفال: ٧٠.

٣ـالأنفال: ٧١.

٤ـوفي نسخة: [قد].

رسول الله ﷺ من بدر ونزل الأُثيّل[١] عند غروب الشّمس وهو من بدر على ستّة أميال فنظر رسول الله ﷺ إلى عقبة ابن أبي معيط وإلى النّضر بن الحارث بن كلدة وهما في قران واحد، فقال النّضر لعقبة: يا عقبة أنا وأنت مقتولان، فقال عقبة: من بين قريش؟ قال نعم، لأنّ محمداً ﷺ قد نظر إلينا نظرةً رأيت فيها القتل، فقال رسول الله ﷺ: يا عَلِيُّ عَلَيَّ بالنّضر وعقبة، وكان النّضر رجلاً جميلاً عليه شعر فجاء عليّ عليه السلام فأخذه بشعره فجرّه إلى رسول الله ﷺ فقال النّضر: يا محمّد أسألك بالرّحم الذي بيني وبينك إلّا أجَرَيتني كرجل من قريش إن قتلتهم قتلتني، وإن فاديتهم فاديتني، وإن أطلقتهم أطلقتني، فقال رسول الله ﷺ: لا رحم بيني وبينك قطع الله الرّحم بالإسلام، قدّمه يا علي فاضرب عنقه، فقال عقبة: يا محمّد ألم تقل لا تصبّر قريش، أي لا يقتلون صبراً، قال: وأنت من قريش؟ إنّما أنت علج[٢] من أهل صفوريّة لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الّذي تدعى له ليس منها، قدّمه يا علي فاضرب عنقه، فقدّمه فضرب عنقه، فلمّا قتل رسول الله ﷺ النّضر وعقبة، خافت الأنصار أن يقتل الأُسارى كلّهم، فقاموا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله قد قتلنا سبعين وأسرنا سبعين وهم قومك وأُساراك فهبهم لنا يا رسول الله وخذ منهم الفداء وأطلقهم، فأنزل الله عليهم: «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالًا طَيِّباً»[٣]، فأطلق لهم أن يأخذوا الفداء ويطلقوهم وشرط أن يقتل منهم في عام قابل بعدد من يأخذوا منهم الفداء فرضوا منه بذلك[٤]، وتمام الحديث مضى في سورة آل عمران.

---

١ ـ الأُثيل: تصغير الأثل: موضع قرب المدينة، وهناك عين ماء لآل جعفر بن أبي طالب بين بدر ووادي الصفراء، ويقال له: ذو أُثيل، وكان النبي ﷺ قتل عنده النضر بن الحارث بن كلدة عند منصرفه من بدر. معجم البلدان: ج ١، ص ٩٤.

٢ ـ العِلْج ـ بالكسر فالسكون وجيم في الآخر ـ: الرجل الضخم من كفار العجم، وبعضهم يطلقه على الكافر مطلقاً. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣١٩، مادة «علج».

٣ ـ الأنفال: ٦٧ ـ ٦٩.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٦٧ ـ ٢٧٠.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَناً إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً﴾: كثيراً بحيث يرى كثرتهم كأنّهم يزحفون، أي يدنون.

القمّي: أي يدنوا بعضهم من بعض[1].

﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾: بالإنهزام.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ﴾: لأن يكرّ بعد الفرّ يخيّل عدوّه أنّه منهزم وهو من مكايد الحرب.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: أو منحازاً إلى فئة أُخرى من المسلمين ليستعين بهم.

﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: العيّاشي: عن الكاظم عليه السلام إلّا متحرّفاً لقتال قال: متطرّداً، يريد الكرّة عليهم أو متحيّزاً يعني متأخّراً إلى أصحابه من غير هزيمة فمن انهزم حتّى يجوز صف أصحابه فقد باء بغضب من الله[2].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾: بقوتكم، يعني إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم.

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾: بأن أنزل الملائكة، وألقى الرّعب في قلوبهم، وقوّى قلوبكم.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٠.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥١، ذيل ح ٣١.

﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾: أنت يا محمّد.

﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾: حيث أثرّت الرّمية ذلك الأثر العظيم.

القمّي: يعنى الحصى الّذي حمله رسول الله صلى الله عليه وآله ورمى به في وجوه قريش، وقال: شاهت الوجوه[١].

وروي: أنّ قريشاً لمّا جاءت بخيلائها أتاه جبرئيل فقال: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فقال لعلي: أعطني قبضة من حصاة الوادي فأعطاه فرمى بها في وجوههم، وقال: شاهت الوجوه، فلم يبق مشرك إلّا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم[٢].

ثمّ لمّا انصرفوا أقبلوا على التّفاخر فيقول الرّجل: قتلت وأسرت فنزلت آية الرمي لرسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه وجد منه صورة ونفاه عنه معنىً لأنّ أثره الّذي لا يدخل في قدرة البشر فعل الله سبحانه فكأنّه فاعل الرّمية على الحقيقة وكأنّها لم توجد من الرّسول صلى الله عليه وآله، وفيه وجه آخر غامض.

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال: في هذه الآية سمّى فعل النّبي فعلاً له ألا ترى تأويله على غير تنزيله[٣].

العيّاشي: عن الصّادق، والسجاد عليهما السلام إنّ علياً عليه السلام ناول رسول الله صلى الله عليه وآله القبضة الّتي رمى بها في وجوه المشركين، فقال الله: «وَما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى»[٤].

وفي الخصال: في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها قال عليه السلام: وأمّا الخامسة والثّلاثون فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وجّهني يوم بدر، فقال: إئتني بكف حصاة[٥] مجموعة من[٦] مكان واحد، فأخذتها ثمّ شممتها فإذا هي طيّبة تفوح منها رائحة المسك فأتيته بها فرمى بها وجوه المشركين، وتلك الحصيات أربع منها كنّ من الفردوس، وحصاة من المشرق، وحصاة من

١ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١.
٢ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ١٠.
٣ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٢. إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.
٤ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٢، ح ٣٤.
٥ـ وفي نسخة: [حصيّات] كما في المصدر.
٦ـ وفي نسخة: [في] كما في المصدر.

ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

المغرب، وحصاة من تحت العرش، مع كلّ حصاة مائة ألف ملك مدداً لنا، لم يكرم الله عزّ وجل بهذه الفضيلة أحداً قبلنا ولا بعدنا[١].

﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً﴾: ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنّصر والغنيمة ومشاهدة الآيات، فَعَلَ مَا فَعَل.

﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾: لاستغاثتهم ودعائهم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بنيّاتهم وأحوالهم.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: أي الغرض ذلكم.

﴿وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾: يعني أنّ المقصود إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين، وقرئ موهّن كيد بالإضافة بالتشديد.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾: قيل: الخطاب لأهل مكّة على سبيل التهكّم إذ روي أنّه حين أرادوا الخروج تعلّقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللّهُمّ انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين، وأكرم الحزبين[٢].

وفي المجمع: في حديث أبي حمزة قال أبو جهل: «اللّهم ربّنا ديننا القديم، ودين محمّد الحديث فأي الدّينين كان أحبّ إليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم[٣].

---

١ ـ الخصال: ص ٥٧٦، ح ١، أبواب السبعين وما فوقه.

٢ ـ قاله الطبرسي في جوامع الجامع: ج ٢، ص ١١.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٣١.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

وروي أنّه قال: أيّنا أهجر وأقطع للرّحم فأَهِنْه اليومَ فأهلكه[١].

وقيل: خطاب للمؤمنين وكذا القولان فيما بعده[٢].

﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾: عن الكفر ومعاداة الرسول أو التكاسل في القتال، والرّغبة عمّا يستأثره الرسول.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: لتضمنه سلامة الدّارين، وخير المنزلين.

﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾: لمحاربته أو التكاسل.

﴿نَعُدْ﴾: لنصره أو الإنكار.

﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾: ولن تدفع عنكم جماعتكم.

﴿شَيْئاً﴾: من الإغناء أو المضارّ.

﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾: فئتكم.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بالنّصر والمعونة، وقرئ «أن» بفتح الهمزة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾: عن الرسول.

﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾: القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا﴾: ادّعوا السّماع.

﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: سماعاً ينتفعون به.

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ١١.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٣١. وجوامع الجامع: ج ٢، ص ١١.

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾: عن الحقّ.

﴿ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: الحقّ.

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾: سماع تفهّم.

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾: وقد علم أن لا خير فيهم.

﴿لَتَوَلَّوا﴾: ولم ينتفعوا به.

﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾: لعنادهم، في المجمع: عن الباقر عليه السلام نزلت في بني عبدالدار لم يكن أسلم منهم غير مصعب بن عمير، وحليف لهم يقال له: سويط[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾: بالطاعة.

﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾: الرّسول.

﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام نزلت في ولاية عليّ عليه السلام[2].

والقمّي: الحياة: الجنّة[3]، وعن الباقر عليه السلام: في هذه الآية ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٣٢.

٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٤٨، ح ٣٤٩ تفسير آيات من القرآن.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧١.

فإنّ اتّباعكم إيّاه وولايته أجمع لأمركم وأبقى للعدل فيكم[١].

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾: يملك تقلّب القلوب من حال إلى حال.

القمّي: أن يحول بينه وبين ما يريد[٢].

وعن الباقر عليه السلام يقول: يحول بين المؤمن ومعصيته أن تقوده إلى النار، وبين الكافر وطاعته أن يستكمل بها الإيمان، قال: واعلموا أنّ الأعمال بخواتيمها[٣].

وفي التّوحيد[٤]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية يحول بينه وبين أن يعلم أنّ الباطل حقّ[٥].

وفي المجمع[٦]، والعيّاشي: عنه عليه السلام معناه لا يستيقن القلب أنّ الحقّ باطل أبداً، ولا يستيقن القلب أنّ الباطل حقّ أبداً[٧].

والعيّاشي: عنه عليه السلام هو أن يشتهي الشّيء بسمعه وبصره ولسانه ويده أمّا إن هو غشى شيئاً ممّا يشتهي فإنّه لا يأتيه إلّا وقلبه منكر لا يقبل الّذي يأتي يعرف أنّ الحقّ ليس بباطل[٨][٩].

وعن الباقر عليه السلام: هذا الشّيء يشتهيه الرّجل بقلبه وسمعه وبصره لا تتوق نفسه إلى غير ذلك فقد حيل بينه وبين قلبه إلّا ذلك الشيء[١٠].

﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: فيجازيكم بأعمالكم.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧١.
٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧١.
٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧١. وفيه «وبين الكافر وبين طاعته».
٤ ـ التوحيد: ص ٣٥٨، ح ٦، باب ٥٨ ـ السعادة والشقاوة.
٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٢، ح ٣٦.
٦ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٣٤.
٧ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٣، ح ٣٩.
٨ ـ وفي نسخة: [أنّ الحق ليس فيه]، وهكذا في المصدر.
٩ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٢، ح ٣٧ بتفاوت.
١٠ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٢، ح ٣٨.

وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾: بل تعمّهم وغيرهم كالمداهنة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وافتراق الكلمة، وظهور البدع.

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام في هذه الآية قال: أصابت النّاس فتنة بعد ما قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله حتّى تركوا عليّاً عليه السلام وبايعوا غيره، وهي الفتنة الّتي فتنوا بها، وقد أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بإتّباع علي عليه السلام والأوصياء من آل محمّد (صلوات الله عليهم)[1].

وفي المجمع: عن عليّ، والباقر عليهما السلام أنّهما قرئا لتصيبنّ[2].

وعن ابن عبّاس: أنّها لمّا نزلت قال النّبي صلى الله عليه وآله: من ظلم عليّاً عليه السلام مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنّما جحد نبوّتي ونبوّة الأنبياء قبلي[3].

والقمّي نزلت في طلحة والزبير لمّا حاربوا أمير المؤمنين عليه السلام وظلموه[4].

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ * وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: من الغنائم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: هذه النّعم، القمّي: نزلت في قريش خاصّة[5] وهو مرويّ

---

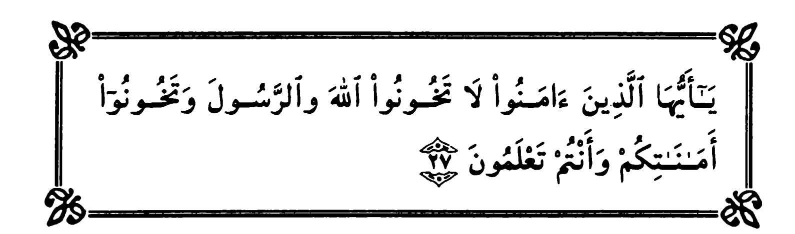
١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٣، ح ٤٠.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٣٢ في القراءة.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧١.

٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧١.



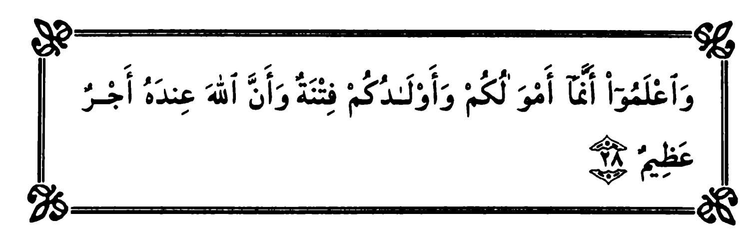
عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً[١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنّكم تخونون، في المجمع: عن الباقر والصّادق عليهما السلام نزلت في أبي لبابة بن عبدالمنذر الأنصاري وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله الصّلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النّضير على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات وأريحا من أرض الشّام فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحاً لهم لأنّ عياله وماله وولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله فأتاهم، فقالوا: ما ترى يا أبا لبابة أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه أنّه الذّبح فلا تفعلوا. فأتاه جبرئيل عليه السلام فأخبره بذلك، قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتّى عرفت أنّي قد خنت الله ورسوله، فنزلت الآية فيه، فلمّا نزلت شدّ نفسه على سارية[٢] من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ، فمكث سبعة أيّام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتّى خرّ مغشيّاً عليه، ثمّ تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحلّ نفسي حتّى يكون رسول الله صلى الله عليه وآله هو الّذي يحلّني فجاءه فحلّه بيده، ثمّ قال أبو لبابة: إنّ من تمام توبتي أن أهجر دار

---

١ ـ كشف المحجّة: ص ١٧٥.

٢ ـ السارية: الاسطوانة، ومنه حديث الصادق عليه السلام في الشهادة على الشهادة «ولو كان خلف سارية» ومنه «أُقيمت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله سواري من جذوع النخل»، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٣٠، مادة «سرر».



قومي الّتي أصبت فيها الذّنب وأن أخلع من مالي، فقال النبي ﷺ: يجزيك الثّلث إن تصدّق به[1].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام فخيانة الله والرّسول: معصيتهما، أمّا خيانة الأمانة: فكلّ إنسان مأمون على ما افترض الله عزّ وجلّ عليه، قال: نزلت[2] في أبي لبابة بن عبدالمنذر فلفظ الآية عامّ ومعناها خاصّ[3].

قال: ونزلت في غزوة بني قريظة في سنة خمس من الهجرة، وقد كتبت في هذه السّورة مع أخبار بدر، وكانت على رأس ستة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزلت مع الآية الّتي في سورة التوبة قوله: «وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ»[4]، الّتي نزلت في أبي لبابة[5].

قال: فهذا دليل على أنّ التأليف على خلاف ما أنزل الله على نبيّه[6] ثمّ ذكر هذه القصّة هناك كما يأتي.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: لإلهائهم إيّاكم عن ذكر الله.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لمن آثر رضاء الله عليهم.

في المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام لا يقولنّ أحدكم اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الفتنة لأنّه ليس أحد إلّا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلّات الفتن، فإنّ الله سبحانه يقول: «إنّما أموالكم وأولادكم فتنة»[7].

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٣٥ ـ ٥٣٦.
٢ ـ أي هذه الآية.
٣ ـ تفسير القمي: ج ١ ص ٢٧١.
٤ ـ التوبة: ١٠٢.
٥ و ٦ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢.
٧ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٣٦.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾: هداية في قلوبكم تفرّقون بها بين الحقّ والباطل، القمّي: يعني العلم الّذي تفرّقون به بين الحق والباطل(١).

﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: ويسترها.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: بالتجاوز والعفو عنها.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ * وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: واذكر إذ تمكر بك قريش، ذكّره ذلك ليشكر نعمة الله تعالى عليه في خلاصه.

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: بالحبس.

﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾: بسيوفهم.

﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾: من مكّة.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾: بردّ مكرهم ومجازاتهم عليه.

وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾: العيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام إنّ قريشاً اجتمعت فخرج من كلّ بطن أُناس، ثمّ انطلقوا إلى دار النّدوة ليتشاوروا فيما يصنعون برسول الله، فإذا شيخ قائم على الباب وإذا ذهبوا إليه ليدخلوا، قال: أدخلوني معكم، قالوا: ومن أنت يا شيخ؟ قال: أنا شيخ من مضر ولي رأي أُشير به عليكم، فدخلوا وجلسوا وتشاوروا وهو جالس وأجمعوا

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٢.

أمرهم على أن يخرجوه، فقال: ليس هذا لكم برأي، إن أخرجتموه أجلب عليكم النّاس فقاتلوكم، قالوا: صدقت ما هذا برأي، ثمّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يوثّقوه، قال: هذا ليس بالرأي إن فعلتم هذا ومحمّد صلى الله عليه وآله رجل حلو اللّسان أفسد عليكم أبناءكم وخدمكم وما ينفع أحدكم إذا فارقه أخوه وابنه أو امرأته، ثمّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه يخرجون من كلّ بطن منهم بشاهر فيضربونه بأسيافهم جميعاً عند الكعبة، ثم قرأ هذه الآية: «وإذ يمكر بك الّذين كفروا»[1]

والقمّي: نزلت بمكّة قبل الهجرة، وكان سبب نزولها أنّه لمّا أظهر رسول الله صلى الله عليه وآله الدّعوة بمكّة قدمت عليه الأوس والخزرج فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: تمنعوني وتكونون لي جاراً، حتّى أتلو عليكم كتاب ربّي وثوابكم على الله الجنّة، فقالوا: نعم خذ لربّك ولنفسك ما شئت، فقال لهم: موعدكم العقبة[2] في الليلة الوسطى من ليالي التشريق، فحجّوا ورجعوا إلى منى وكان فيهم ممّن قد حجّ بشر كثير، فلمّا كان الثّاني من أيّام التشريق قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان اللّيل فاحضروا دار عبدالمطلب على العَقَبة، ولا تنبّهوا نائماً ولينسلّ واحداً فواحداً، فجاء سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدار، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: تمنعوني وتجيروني حتى أتلو عليكم كتاب ربّي وثوابكم على الله الجنّة، فقال سعد بن زرارة، والبرّاء بن معرور، وعبدالله بن حزام: نعم يا رسول الله اشترط لرّبك ولنفسك ما شئت، فقال: فأمّا ما أشترط لربي فأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني ممّا تمنعون أنفسكم، وتمنعون أهلي ممّا تمنعون أهليكم وأولادكم، فقالوا: فما لنا على ذلك؟ فقال: الجنّة في الآخرة، وتملكون

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٣ ـ ٥٤، ح ٤٢.

٢ ـ العَقَبَة ـ بالتحريك ـ: مرقى صعب من الجبال، يجمع على عقاب، كرقبة ورقاب، ومنه «عقبة كؤدة» وليلة العقبة: هي الليلة التي بايع رسول الله الأنصار على الإسلام والنصرة، وذلك أنّه صلى الله عليه وآله كان يعرض نفسه على القبائل فى كل موسم ليؤمنوا به فلقي رهطاً فأجابوه فجاء في العام المقبل اثنا عشر إلى الموسم فبايعوه عند العقبة الأولى فخرج في العام الآخر سبعون إلى الحج واجتمعوا عند العقبة وأخرجوا من كل فرقة نقيباً فبايعوه، وهي البيعة الثانية. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٢٦، مادة «عقب».

العرب، ويدين لكم العجم في الدنيا، وتكونون ملوكاً في الجنّة، فقالوا: قد رضينا، فقال: أخرجوا إليّ منكم إثني عشر نقيباً يكونون شهداء عليكم بذلك، كما أخذ موسى من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً فأشار إليهم جبرئيل، فقال: هذا نقيب وهذا نقيب تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، فمن الخزرج: سعد بن زرارة، والبراء بن معرور[١]، وعبدالله بن حزام أبو جبار بن عبدالله، ورافع بن مالك، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمر، وعبدالله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وعبادة بن الصّامت، ومن الأوس: أبو الهيثم بن التيهان وهو من اليمن، وأُسيد[٢] بن حصين، وسعد بن خيثمة، فلمّا اجتمعوا وبايعوا رسول الله ﷺ، صاح إبليس يا معشر قريش والعرب هذا محمّد ﷺ والصّباة من أهل يثرب على جمرة العقبة يبايعونه على حربكم فأسمع أهل منى، وهاجت قريش فأقبلوا بالسلاح، وسمع رسول الله ﷺ النّداء فقال للأنصار: تفرّقوا، فقالوا يا رسول الله: إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا فعلنا، فقال لهم رسول الله ﷺ: لم أؤمر بذلك، ولم يأذن الله لي في محاربتهم، قالوا: فتخرج معنا؟ قال: أنتظر أمر الله، فجاءت قريش على بكرة أبيها قد أخذوا السلاح، وخرج حمزة وأمير المؤمنين عليه السلام ومعهما السّيف فوقفا على العقبة فلمّا نظرت قريش إليهما قالوا: ما هذا الذي اجتمعتم له؟ فقال حمزة: ما اجتمعنا وما هاهنا أحد، والله لا يجوز هذه العقبة أحد إلّا ضربته بالسيف[٣]، فرجعوا إلى مكّة، وقالوا: لا نأمن أن يفسد أمرنا ويدخل واحد من مشايخ قريش في دين محمّد ﷺ فاجتمعوا في دار الندوة، وكان لا يدخل دار النّدوة إلّا من قد أتى عليه أربعون سنة، فدخلوا أربعين رجلاً من مشايخ قريش، وجاء إبليس في صورة شيخ كبير، فقال له البوّاب: من أنت؟ قال: أنا شيخ من أهل نجد لا يعدمكم مني رأي صائب إنّي حيث بلغني اجتماعكم في أمر هذا الرجل فجئت لأشير عليكم، فقال: أُدخل، فدخل ابليس فلمّا أخذوا مجلسهم قال أبو جهل: يا معشر قريش إنّه لم يكن أحد من العرب أعزّ منّا نحن أهل الله تفد إلينا العرب في السنة

---

١ ـ وفي المصدر: البراء بن مغرور.

٢ ـ وفي نسخة: [أُسد بن حصين] كما في المصدر.

٣ ـ وفي نسخة: [بسيفي].

مرتين ويكرّمونا، ونحن في حرم الله لا يطمع فينا طامع، فلم نزل كذلك حتّى نشأ فينا محمد بن عبدالله ﷺ فكنّا نسمّيه الأمين لصلاحه وسكونه، وصدق لهجته، حتّى إذا بلغ ما بلغ وأكرمناه، إدّعى أنّه رسول الله، وأنّ أخبار السّماء تأتيه فسفّه أحلامنا، وسبّ آلهتنا، وأفسد شبّاننا، وفرّق جماعتنا، وزعم أنّه من مات من أسلافنا ففي النّار، فلم يرد علينا شيء أعظم من هذا، وقد[1] رأيت فيه رأياً، قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت أن ندسّ إليه رجلاً منّا ليقتله فإن طلبت بنو هاشم بدمه أعطيناهم عشر ديات، فقال الخبيث؟ هذا رأي خبيث، قالوا وكيف ذلك؟ قال: لأنّ قاتل محمّد مقتول لا محالة، فمن هذا الّذي يبذل نفسه للقتل منكم، فإنّه إذا قتل محمد تعصّبت بنو هاشم وحلفاؤهم من خزاعة، وإنّ بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل محمّد ﷺ على الأرض فتقع بينكم الحروب في حَرمكم، وتتفانوا، فقال آخر منهم: فعندي رأي آخر، قال: وما هو؟ قال: نثبته في بيته ونلقي إليه قوته حتّى يأتي عليه ريب المنون فيموت كما مات زهير، والنّابغة، وامرء القيس، فقال إبليس: هذا أخبث من الآخر، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأنّ بني هاشم لا ترضى بذلك، فإذا جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم واجتمعوا عليكم فأخرجوه، وقال آخر منهم: لا ولكنّا نخرجه من بلادنا ونتفرّغ نحن لعبادة آلهتنا، قال إبليس: هذا أخبث من الرأيين المتقدّمين، قالوا: وكيف ذاك؟ قال: لأنّكم تعمدون إلى أصبح النّاس وجهاً، وأنطق النّاس لساناً، وأفصحهم لهجةً، فتحملونه إلى بوادي العرب فيخدعهم ويسخّرهم بلسانه فلا يفجأكم إلّا وقد ملأها عليكم خيلاً ورجلاً، فبقوا حائرين، ثمّ قالوا لإبليس: فما الرأي فيه يا شيخ؟ قال: ما فيه إلّا رأي واحد، قالوا: وما هو؟ قال: يجتمع من كلّ بطن من بطون قريش واحد ويكون معهم من بني هاشم رجل فيأخذون سكينة أو حديدة أو سيفاً فيدخلون عليه فيضربونه كلّهم ضربة واحدة حتى يتفرّق دمه في قريش كلّها فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه، وقد شاركوا فيه، فإن سألوكم أن تعطوا الديّة فأعطوهم ثلاث ديّات، فقالوا: نعم عشر ديّات، ثمّ قالوا: الرأي رأي الشّيخ النجدي، فاجتمعوا، ودخل

---

١ ـ وفي نسخة: [فقد].

معهم في ذلك أبو لهب عمّ النّبي ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ وأخبره أن قريشاً قد اجتمعت في دار النّدوة ويدبّرون عليك، وأنزل عليه في ذلك: «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» واجتمعت قريش أن يدخلوا عليه ليلاً فيقتلوه، وخرجوا إلى المسجد يصفّرون، ويصفقون، ويطوفون بالبيت، فأنزل الله: «وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً»[1]، فالمكاء: التّصفير، والتّصدية: صفق اليدين، وهذه الآية معطوفة على قوله: «وإذ يمكر بك الّذين كفروا» وقد كتبت بعد آيات كثيرة، فلمّا أمسى رسول الله ﷺ جاءت قريش ليدخلوا عليه، فقال أبو لهب: لا أدعكم أن تدخلوا عليه باللّيل فإنّ في الدّار صبياناً ونساءً ولا نأمن أن تقع بهم يد خائنة[2] فنحرسه اللّيلة فإذا أصبحنا دخلنا عليه فناموا حول حجرة رسول الله ﷺ وأمر رسول الله ﷺ أن يفرش له ففرش له، فقال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: أفدني بنفسك؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: نم على فراشي والتحف ببردتي، فنام علي عليه السلام على فراش رسول الله ﷺ، والتحف ببردته، وجاء جبرئيل فأخذ بيد رسول الله ﷺ فأخرجه على قريش وهم نيام، وهو يقرأ عليهم «وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ»[3] وقال له جبرئيل: خذ على طريق ثور، وهو جبل على طريق منى له سنام كسنام الثّور، فدخل الغار، وكان من أمره ما كان، فلمّا أصبحت قريش وثبوا إلى الحجرة وقصدوا الفراش فوثب علي في وجوههم فقال: ما شأنكم، قالوا له: أين محمّد ﷺ؟ قال: جعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم نخرجه من بلادنا فقد خرج عنكم، فأقبلوا يضربونه، ويقولون أنت تخدعنا منذ اللّيلة، فتفرقوا في الجبال، وكان فيهم رجل من خزاعة يقال له: أبو كرز يقفو الآثار، فقالوا: يا أبا كرز اليوم اليوم، فوقف بهم على باب حجرة رسول الله ﷺ فقال: هذه قدم محمّد ﷺ والله إنّها لأخت القدم الّتي في المقام، وكان أبو بكر استقبل رسول

---

١ ـ الأنفال: ٣٥.
٢ ـ وفي نسخة: [يد خاطئة].
٣ ـ يٓس: ٩.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

الله ﷺ فردّه معه، فقال أبو كرز: وهذه قدم ابن أبي قحافة أو أبيه، ثمّ قال: وهاهنا عير ابن أبي قحافة، فما زال بهم حتّى أوقفهم على باب الغار، ثم قال: ما جازَوا[1] هذا المكان، إمّا أن يكونا صعدا إلى السّماء أو دخلا تحت الأرض، وبعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار، وجاء فارس من الملائكة حتى وقف على باب الغار، ثمّ قال: ما في الغار أحد فتفرقوا في الشعاب فصرفهم الله عن رسول الله ﷺ، ثم أذن لنبيّه في الهجرة[2].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ﴾: قيل: قائله النّضر بن الحارث بن كلدة، وأُسر يوم بدر فقتله رسول الله ﷺ صبراً بيد علي عليه السلام، وإنّما قاله صلفاً وهذا غاية مكابرتهم، وفرط عنادهم إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا، وقد تحدّاهم وقرعهم بالعجز عشر سنين، ثمّ قارعهم بالسّيف فلم يعارضوا سواه مع فرط حرصهم على قهره وغلبته[3].

﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: ما سطّره الأولّون من القصص، قيل: قاله النّضر أيضاً وذلك أنّه جاء بحديث رستم واسفنديار من بلاد فارس، وزعم أنّ هذا هو مثل ذلك[4].

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً

---

١ ـ وفي المصدر: «ما جاوَزَا».

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٦.

٣ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ١٧.

٤ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ١٧.

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾

مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: قيل: هذا أيضاً من كلام النّضر، وهو أبلغ في الجحود، أراد به التهكّم وإظهار الجزم التامّ على كونه باطلاً[١]. والقمي: قاله أبو جهل[٢].

وفي الكافي: قاله الحارث بن عمرو الفهري[٣].

وفي المجمع: قاله النّعمان بن الحارث[٤]، كما يأتي جميعاً.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: بيان لموجب إمهالهم والتوقّف في إجابة دعائهم.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: فإنّهم ألجأوا رسول الله صلّى الله عليه وآله والمؤمنين إلى الهجرة، وأُحصروا عام الحديبيّة.

﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾: مستحقّين ولاية أمره مع شركهم، وهو ردّ لقولهم نحن ولاة البيت والحرم.

﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾: من الشّرك الّذين لا يعبدون فيه غيره.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٢.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٧.

٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ٥٧، ح ١٨. في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يشبه عيسى بن مريم عليهما السلام.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٣٥٢.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام معناه وما أولياء المسجد الحرام إلّا المتّقون[١].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام وما كانوا أولياءه، يعني أولياء البيت، يعني المشركين، إن أولياءه إلّا المتّقون حيثما كانوا أولى به من المشركين[٢].

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن لا ولاية لهم عليه.

القمّي: نزلت لمّا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لقريش: «إنّ الله بعثني أن أقتل جميع ملوك الدنيا وأجرّ الملك إليكم فأجيبوني إلى ما أدعوكم إليه تملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، وتكونوا ملوكاً في الجنّة» فقال أبو جهل: اللّهمّ إن كان هذا الّذي يقول محمّد صلى الله عليه وآله هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السّماء أو إئتنا بعذاب أليم حسداً لرسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: كنّا وبني هاشم كفرسي رهان نحمل إذا حملوا ونطعن إذا طعنوا، ونوقد إذا وقدوا[٣] فلمّا استوى بنا وبهم الركب قال قائل منهم: منّا نبيّ، لا نرضى بذلك أن يكون في بني هاشم نبيّ ولا يكون في بني مخزوم، ثمّ قال: «غفرانك اللّهمّ»، فأنزل الله في ذلك «وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُون»[٤] حين قال: «غفرانك اللّهمّ»، فلمّا همّوا بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وأخرجوه من مكّة، قال الله: «وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ»[٥] يعني قريشاً ما كانوا أولياء مكّة «إن أولياؤه إلّا المتّقون» أنت وأصحابك يا محمد فعذّبهم الله يوم بدر فقتلوا[٦].

وفي الكافي: عن أبي بصيره، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم، ولولا أن يقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النّصاري في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملأ من النّاس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة، قال: فغضب الأعرابيّان، والمغيرة بن شعبة، وعدّة من

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٣٩.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٥، ح ٤٦.
٣ ـ وفي نسخة: [ونوفد إذا وفدوا].
٤ ـ الأنفال: ٣٣.
٥ ـ الأنفال: ٣٤.
٦ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

قريش معهم، فقالوا: ما رضى أن يضرب لابن عمّه مثلاً إلّا بعيسى بن مريم، فأنزل الله على نبيّه ﷺ فقال: «وَلَمَّا ضُرِبَ ابنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّون * وَقَالُواْ ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إلّا جَدَلاً بل هُمْ قَوْمٌ خَصِمُون * إِنْ هُوَ إلّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبنى إِسْرائِيل * وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا منكم» أي من بني هاشم «ملائكة في الأرض يخلفون»[١]، قال: فغضب الحارث بن عمرو الفهري فقال: اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك أنّ بني هاشم يتوارثون هرقلاً[٢] بعد هرقل فأرسل علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فأنزل الله عليه مقالة الحارث ونزلت هذه الآية: «وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُون» ثم قال له: يا ابن عمرو إمّا تبت وإما رَحلت، فدعا براحلته فركبها فلمّا صار بظهر المدينة أتته جندلة[٣] فرضّت هامته، فقال رسول الله ﷺ لمن حوله من المنافقين: انطلقوا إلى صاحبكم فقد أتاه ما استفتح به، قال الله عزّ وجلّ: «وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلّ جَبّار عَنِيد»[٤][٥].

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، لمّا نصب رسول الله ﷺ علياً عليه السلام يوم غدير خم، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» طار ذلك في البلاد فقدم على النّبي ﷺ النّعمان ابن الحارث الفهريّ فقال: أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله ﷺ،

---

١ ـ الزخرف: ٥٧ ـ ٦٠.

٢ ـ هِرقِل: ملك الروم كأنّه أراد سلطنة بني هاشم تكون بالتوارث. إن كان حقاً. منه رحمه الله. وذكر الطريحي هِرقِل ـ وزان خندف ـ: اسم ملك الروم، ومن كلام الحرث بن عمر الفهري: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك إنّ بني هاشم يتوارثون هِرقلاً بعد هرقل فكذا أراد أن بني هاشم يتوارثون ملكاً بعد ملك. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٩٨، مادة «هرقل».

٣ ـ الجندل ـ كجعفر ـ: ما يَقُلُّهُ الرجل من الحجارة. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٥٢، مادة «جندل».

٤ ـ إبراهيم: ١٥.

٥ ـ الكافي: ج ٨، ص ٥٧ ـ ٥٨، ح ١٨. في أن أمير المؤمنين عليه السلام يشبه عيسى بن مريم عليهما السلام. وفيه: «وأمطر علينا».

وأمرتنا بالجهاد والحج والصّوم والصلاة والزكاة فقبلناها، ثمّ لم ترض عنّا حتى نصبت هذا الغلام فقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أو أمر من عند الله؟ فقال: والله الّذي لا إله إلّا هو إنّ هذا من الله، فولّى النّعمان بن الحارث، وهو يقول: «اللّهمَ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِنْدِك فَأَمْطِر عَلَيْنا حِجَارَةً مِنَ ٱلسّماءِ»، فرماه الله بحجر على رأسه فقتله، وأنزل الله تعالى: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ»[1][2].

وفي الكافي: عنه عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ لكم في حياتي خيراً، وفي مماتي خيراً، قال: فقيل يا رسول الله أمّا حياتك فقد علمنا، فما لنا في مماتك؟ فقال: أمّا في حياتي فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: «وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم» وأمّا في مماتي فتعرض عليّ أعمالكم فأستغفر لكم[3].

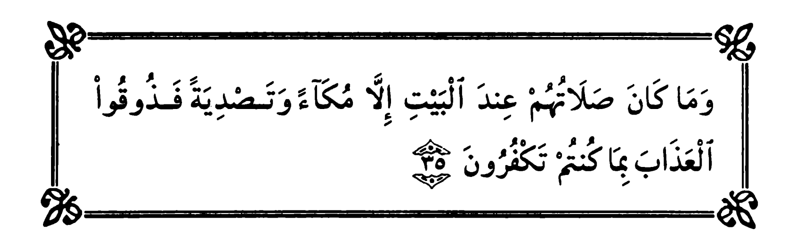
والقمّي[4]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام ما يقرب منه، وقال في آخره: فإنّ أعمالكم تعرض عليّ كلّ خميس واثنين، فما كان من حسنة حمدت الله عليها، وما كان من سيئة استغفرت الله لكم[5].

وفي نهج البلاغة: كان في الأرض أمانان من عذاب الله سبحانه فرفع أحدهما، ودونكم الآخر فتمسكوا به، أمّا الأمان الّذي رفع فرسول الله صلى الله عليه وآله، وأمّا الأمان الباقي: فالاستغفار ثم تلا هذه الآية[6].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله والاستغفار حصنين لكم من العذاب، فمضى أكبر الحصنين وبقي الاستغفار، فأكثروا منه فإنّه ممحاة للذنوب وإن شئتم فاقرؤا، ثم تلا هذه الآية[7].

---

١ ـ المعارج: ١.
٢ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٣٥٢.
٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٥٤، ح ٣٦١.
٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٧.
٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٤ ـ ٥٥، ح ٤٥.
٦ ـ نهج البلاغة: ص ٤٨٣، قصار الحكم ٨٨.
٧ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٤، ح ٤٤.



﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً﴾: صفيراً.

﴿وَتَصْدِيَةً﴾: تصفيقاً، يعني وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة، وفي المعاني[1]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام قال: التّصفير والتّصفيق[2].

وفي العيون عن الرضا عليه السلام سمّيت مكّة مكّة لأنّ النّاس يمكّون فيها، وكان يقال لمن قصدها قد مكأ، وذلك قول الله تعالى: «وما كان صلاتهم عند البيت إلّا مكاءً وتصدية» فالمكاء: التصفير، والتّصدية: تصفيق اليدين[3].

قيل: كانوا يطوفون بالبيت عراة يشبّكون بين أصابعهم ويصفّرون فيها ويصفّقون، وكانوا يفعلون ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله في صلاته يخلطون عليه[4].

وفي المجمع: روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان إذا صلّى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبدالدّار عن يمينه فيصفّران، ورجلان عن يساره فيصفّقان بأيديهما فيخلّطان عليه صلاته، فقتلهم الله جميعاً ببدر[5].

﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: يعني القتل والأسر يوم بدر، أو عذاب النّار في الآخرة.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بسبب كفركم، القمّي: هذه الآية معطوفة على قوله «وإذ يمكر

---

١ ـ معاني الأخبار: ص ٢٩٧، ح ١، باب معنى المكاء والتصدية.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٥، ح ٤٦.

٣ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٩٠ ـ ٩١، ح ١، باب ٣٣ ـ في ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل. وفيه: «فالمكاء والتصدية: صفق اليدين».

٤ ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٢١٨.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٤٠.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾

بك الّذين كفروا»[١] كما نقلنا عنه هناك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾: القمّي: نزلت في قريش لمّا وافاهم ضمضم وأخبرهم بخبر رسول الله ﷺ في طلب العير، فأخرجوا أموالهم، وحملوا وأنفقوا، وخرجوا إلى محاربة رسول الله ﷺ ببدر فقتلوا وصاروا إلى النّار، وكان ما أنفقوا حسرةً عليهم[٢].

أقول: قد مضت تسمية بعض المنافقين في قصّة بدر.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾: يساقون.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: الكافر من المؤمن، والصالح من الفاسد.

﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾: فيجمعه ويضمّ بعضه إلى بعض.

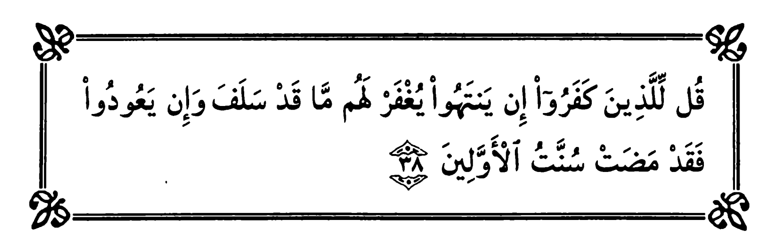
﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾: كلّه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: الكاملون في الخسران، في العلل: عن الباقر عليه السلام في حديث طويل أنّ الله سبحانه مزج طينة المؤمن حين أراد خلقه بطينة الكافر، فما يفعل المؤمن من سيئة فإنّما هو من أجل ذلك المزاج، وكذلك مزج طينة الكافر حين أراد خلقه بطينة

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٥.

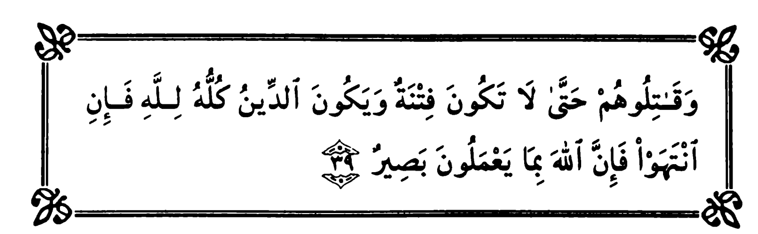
٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨.



المؤمن فما يفعل الكافر من حسنة فإنّما هو من أجل ذلك المزاج. أو لفظٌ هذا معناه، قال: فإذا كان يوم القيامة ينزع الله تعالى من العدوّ النّاصب سنخ المؤمن ومزاجه وطينته وجوهره وعنصره مع جميع أعماله الصّالحة ويردّه إلى المؤمن، وينزع الله تعالى من المؤمن سنخ النّاصب ومزاجه وطينته وجوهره وعنصره مع جميع أعماله السيئة الرديئة ويردّه إلى النّاصب عدلاً منهم جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه، ويقول: للنّاصب لا ظلم عليك هذه الأعمال الخبيثة من طينتك ومزاجك وأنت أولى بها وهذه الأعمال الصّالحة من طينة المؤمن ومزاجه وهو أولى بها «لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ»[1]، ثمّ قال: أزيدك في هذا المعنى من القرآن أليس الله عزّ وجلّ يقول: «الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ»[2]، وقال عزّ وجلّ: «وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ ٱللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْض فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُون»[3][4]. وقد أوردنا تمام هذا الحديث على وجهه وشرحناه في كتابنا الموسوم[5] بالوافي، من أراده فليطلبه هناك[6].

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾: عن الكفر ومعاداة الرسول.

١ـ غافر: ١٧.
٢ـ النور: ٢٦.
٣ـ الأنفال: ٣٦ ـ ٣٧.
٤ـ علل الشرائع: ص ٤٨٩ ـ ٤٩١، ح ١، باب ٢٤٠ ـ العلّة الّتي من أجلها قد يرتكب المؤمن المحارم ويعمل الكافر الحسنات. مع الإختلاف في ألفاظ الحديث.
٥ـ وفي نسخة: [المسمّى].
٦ـ الوافي: ج ٤، ص ٤٥ ـ ٥١.



﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾: من ذنوبهم.

﴿وَإِن يَعُودُوا۟﴾: إلى قتاله.

﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: الّذين تحزّبوا على الأنبياء عليهم السلام بالتّدمير، كما جرى على أهل بدر فليتوقّعوا مثل ذلك.

العيّاشي: عن الباقر عليه السلام أنّه قال له رجل: إنّي كنت عاملاً لبني أُميّة فأصبت مالاً كثيراً، فظننت أنّ ذلك لا يحلّ لي فسألت عن ذلك فقيل لي: إنّ أهلك ومالك وكلّ شيء لك حرام، فقال عليه السلام: ليس كما قالوا لك، قال: فلي توبة، قال: نعم توبتك في كتاب الله: «قُلْ لِلَّذِين كَفَرُواْ إِنْ يَنْتَهُواْ يُغْفَر لهم ما قد سلف»[1].

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: لا يوجد فيهم شرك. القمّي: أي كفر، قال: وهي ناسخة لقوله: «كُفّوا أيديكم»[2] ولقوله «وَدَعْ أَذَاهُمْ»[3][4].

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾: تضحملّ عنهم الأديان الباطلة. في الكافي: عن الباقر عليه السلام لم يجئ تأويل هذه الآية بعد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رخّص لهم لحاجته وحاجة أصحابه، فلو قد جاء تأويلها لم يقبل منهم، ولكنّهم يقتلون حتى يوحّد الله عزّ وجلّ، وحتى لا يكون شرك[5].

وفي المجمع[6]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام لم يجئ تأويل هذه الآية، ولو قد قام قائمنا

١ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٥، ح ٤٧.
٢ـ النساء: ٧٧.
٣ـ الأحزاب: ٤٨.
٤ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٨.
٥ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٠١، ح ٢٤٣.
٦ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٤٣.

وَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَـٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴿٤١﴾

بعده سيرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية، وليبلغنّ دين محمّد ﷺ ما بلغ اللّيل حتى لا يكون شرك[1] على ظهر الأرض كما قال الله تعالى «يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً»[2][3].

﴿فَإِنِ ٱنْتَهَوْاْ﴾: عن الكفر.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيجازيهم على إنتهائهم عنه، وإسلامهم.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْاْ﴾: ولم ينتهوا.

﴿فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَـٰكُمْ﴾: ناصركم، فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم.

﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: لا يضيع من تولّاه.

﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: لا يغلب من نصره.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾: قيل: أي الّذي أخذتموه من الكفّار قهراً[4].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام هي والله الإفادة يوماً بيوم[5].

أقول: يعني استفادة المال من أي جهة كانت.

---

١ ـ وفي نسخة: [مشرك]. ٢ ـ النور: ٥٥.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٦، ح ٤٨.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٤.

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ٥٤٤، ح ١٠، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه.

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّ ذا القربى هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله، والخمس لله، وللرسول، ولنا[1].

والعيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام مثله، وزاد: أنّه سئل منهم اليتامى والمساكين وابن السّبيل؟ قال: نعم[2].

وفي الكافي[3]، والتهذيب: عن أمير المؤمنين عليه السلام نحن والله عنى بذي القربى الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله، فقال: «مَا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُوْلِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ»[4] منّا خاصّة، قال: ولم يجعل لنا في سهم الصّدقة نصيباً أكرم الله نبيّه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ ما في أيدي النّاس[5].

وفي الكافي: عن الرضّا عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقيل له: فما كان لله فلمن هو؟ فقال: لرسول الله صلى الله عليه وآله: «وما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله فهو للإمام»، فقيل له: أرأيت إن كان صنف من الأصناف أكثر وصنف أقلّ ما يصنع به؟ قال: ذاك إلى الإمام، أرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله كيف يصنع؟ أليس إنّما كان يعطي على ما يرى؟ كذلك الإمام[6].

وفي الفقيه[7]، والتهذيب[8]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام أمّا خمس الله: فللرّسول

١ـ الكافي: ج ١، ص ٥٣٩، ح ٢، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه.

٢ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦١، ح ٥٠.

٣ـ الكافي: ج ٨، ص ٦٣، ح ٢١.

٤ـ الحشر: ٧.

٥ـ تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٢٦، ح ٣٦٢/ ٣، باب ٣٦ ـ تميز أهل الخمس ومستحقه ممّن ذكر الله في القرآن.

٦ـ الكافي: ج ١، ص ٥٤٤، ح ٧، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه.

٧ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٢، ح ٧٩/ ٨، باب ٧ ـ الخمس.

٨ـ تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٢٥، ح ٣٦٠/ ١، باب ٣٦ ـ تميز أهل الخمس ومستحقه ممّن ذكر الله في القرآن.

يضعه في سبيل الله، وأمّا خمس الرّسول: فلأقاربه، وخمس ذوي القربى: فهم أقرباؤه، واليتامى يتامى أهل بيته، فجعل هذه الأربعة الأسهم فيهم، وأمّا المساكين، وابن السّبيل: فقد عرفت إنّا لا نأكل الصّدقة، ولا تحلّ لنا. فهي للمساكين، وأبناء السّبيل[١].

وفي التهذيب: عن أحدهما عليهما السلام، خمس الله: للإمام، وخمس الرسول: للإمام، وخمس ذي القربى: لقرابة الرسول صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام، واليتامى: يتامى آل الرسول، والمساكين منهم وأبناء السبيل منهم، فلا يخرج منهم إلى غيرهم[٢].

والقمّي: فهم أيتام آل محمد (صلوات الله عليهم) خاصّة ومساكينهم وأبناء سبيلهم، فمن الغنيمة يخرج الخمس ويقسّم على ستة أسهم: سهم لله، وسهم لرسول الله، وسهم للإمام، فسهم الله، وسهم الرسول يرثه الإمام فيكون للإمام ثلاثة أسهم من ستّة، والثّلاثة الأسهم لأيتام آل الرسول صلوات الله عليهم، ومساكينهم، وأبناء سبيلهم، وإنّما صارت للإمام وحده من الخمس ثلاثة أسهم لأنّ الله تعالى قد ألزمه بما ألزم النبي صلى الله عليه وآله من تربية الأيتام ومؤن المسلمين وقضاء ديونهم وحملهم في الحجّ والجهاد، وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله لما أُنزل عليه: «النّبي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنينَ مِنْ أَنْفُسِهم»[٣] وهو أبٌ لهم، فلّما جعله الله أباً للمؤمنين لزمهم ما يلزم الوالد للولد، فقال عند ذلك: من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ وإليّ فلزم الإمام ما لزم الرسول صلى الله عليه وآله، فلذلك صار له من الخمس ثلاثة أسهم[٤].

﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللهِ﴾: متعلّق بمحذوف، يعني إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنّ الخمس من الغنيمة يجب التقرّب به، فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا بالأخماس الأربعة.

﴿وَمَآ أَنْزَلْنَا﴾: وبما أنزلنا.

﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: محمد صلى الله عليه وآله من الآيات، والملائكة، والنّصر.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٣ ـ ٦٤، ح ٦٤.

٢ ـ تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٢٥، ح ٣٦١/ ٢، باب ٣٦ ـ تميز أهل الخمس ومستحقه ممّن ذكر الله في القرآن.

٣ ـ الأحزاب: ٦.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٨.

إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَـٰدِ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾: يوم بدر فإنّه فرّق فيه بين الحقّ والباطل.

﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾: المسلمون والكفار[١]. في الخصال في حديث الأغسال عن الباقر عليه السلام: ليلة التقى الجمعان: ليلة بدر[٢].

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على نصر القليل على الكثير، والإمداد بالملائكة.

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾: من المدينة بدل من يوم الفرقان، والعدوة ـ مثلّثة ـ: شطّ الوادي.

﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾: البعدى من المدينة، تأنيث الأقصى، القمّي: يعني قريشاً حيث نزلوا بالعدوة اليمانيّة، ورسول الله صلى الله عليه وآله نزل بالعودة الشاميّة[٣]، وقرئ العِدوة بكسر العين.

﴿وَٱلرَّكْبُ﴾: القمّي: يعني العير الّتي أفلتت[٤].

---

١ ـ العياشي: عن الباقر عليه السلام قال: في تسعة عشر من شهر رمضان يلتقي الجمعان، قلت: ما معنى قوله: «يلتقي الجمعان»؟ قال: يجتمع فيها ما يريد من تقديمه وتأخيره وإرادته وقضائه. منه قدس سره. راجع تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٤، ح ٦٧.

٢ ـ الخصال: ص ٥٠٨، ح ١، باب السبعة عشر «الغسل في سبعة عشر موطناً».

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٨.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٨.

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام يعني أبا سفيان وأصحابه(١).

أقول: والتّفسيران متّحدان، فإنّ أبا سفيان كان مع العير.

﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: في مكان أسفل من مكانكم يقودون العير بالساحل، والفائدة في ذكر هذه المواطن الإخبار عن الحالة الدالّة على قوّة المشركين وضعف المسلمين وإنّ غلبتهم على مثل هذه الحالة أمر إلـهي لا يتيّسر إلّا بحوله وقوّته، وذلك أنّ العدوة القصوى كان فيها الماء، ولا ماء بالعدوة الدنيا، وكانت رخوة تسوخ(٢) فيها الأرجل، وكانت العير وراء ظهورهم مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميّتهم وتحملهم على أن لا يبرحوا مواطنهم، ويبذلوا نهاية نجدتهم، وفيه تصوير ما دبّر الله من أمر وقعة بدر.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾: أي لو تواعدتم أنتم، وهم على موعدة للقتال ثمّ علمتم حالكم وحالهم لخالف بعضكم بعضاً، ثبّطكم قلّتكم عن الوفاء بالوعد وثبطهم(٣) ما في قلوبهم من الرّعب فلم يتّفق لكم من الوفاء ما وفقّه الله.

﴿وَلَـٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾: كان واجباً أن يفعل من إعزاز دينه، وإعلاء كلمته، ونصر أوليائه، وقهر أعدائه.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ﴾: عاينها.

﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾: شاهدها،القمّي: قال: يعلم من بقي أنّ الله نصره(٤).

وقيل: ليصدر كفر من كفر، وإيمان من آمن عن وضوح وبيّنة، وقيام حجّة(٥)، وقرئ حَيِيَ بفك الإدغام.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٥، ح ٦٩.

٢ ـ ساخت قوائمه في الأرض تسوخ سوخاً وتسيخ سيخاً من باب قال وباع: دخلت فيها وغابت. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤٣٥، مادة «سوخ».

٣ ـ ثبّطهم: أي حبسهم بالجبن. يقال: ثبّطه عن الأمر: أي أثقله وأقعده، وثبّطه عن الأُمور: إذا حبسه شغله عنها. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٤٠، مادة «ثبط».

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٨.

٥ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٦.

إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: يعلم كيف يدبّر أُموركم.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً﴾: لتخبر بـه أصـحابك فـيكون تـثبيتاً لهـم وتشجيعاً على عدوّهم.

﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ﴾: لجبنتم.

﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾: أمر القتال وتفرّقت آراؤكم بين الثّبات والفرار.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾: أنعم بالسّلامة من الفشل والتنازع.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: يعلم ما سيكون فيها وما يغيّر أحوالها من الجـرأة والجبن. القمّي: فالمخاطبة لرسول الله ﷺ والمعنى لأصحابه، أراهم الله قريشاً في منامهم أنّهم قليل، ولو أراهم كثيراً لفزعوا[١].

في الكافي: عن الباقر عليه السلام كان إبليس يوم بدر يقلّل المسلمين في أعين الكفّار ويكثّر الكفّار في أعين النّاس فشدّ عليه جبرئيل عليه السلام بالسّيف فهرب منه، وهو يقول: يا جبرئيل إنّي مؤجّل حتّى وقع في البحر، قيل: لأيّ شيء يخاف وهو مؤجّل؟ قال: بقطع[٢] بعض أطرافه[٣].

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

٢ ـ وفي نسخة: [يقطع بعض أطرافه] كما في المصدر.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً﴾: تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ وتثبيتاً لكم، في الجوامع: عن ابن مسعود لقد قلّلوا في أعيننا حتّى قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلاً منهم، فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفاً(٤).

﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ﴾: حتّى قال قائل منهم: إنّما هم أكلة جزور، وقال أبو جهل: ما هم إلّا أكلة رأس لو بعثنا عليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد، كما مرّ ذكره في القصّة، وإنّما قلّلهم في أعينهم ليجترؤوا عليهم قبل اللّقاء، ثمّ كثّرهم فيما بعد اللّقاء لتفجأهم الكثرة فيهابوا، وتقلّ شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسبانهم، وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة(٥)، وعجائب قدرة الله فيها، فإنّ البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلاً، والقليل كثيراً لكن لا على هذا الوجه ولا إلى هذا الحدّ(٦).

﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: إذا حاربتم جماعة كافرة أو باغية، واللّقاء ممّا غلب في القتال.

﴿فَٱثْبُتُواْ﴾: لقتالهم ولا تفرّوا(٧).

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾: في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره.

﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تظفرون بمرادكم من النّصرة والمثوبة، قيل: فيه تنبيه على أنّ العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وأن يلتجيء إليه عند الشّدائد، ويقبل

٣ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٧٧، ح ٤١٩.
٤ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٢٤.
٥ـ وفي نسخة: [الوقعة].
٦ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٦.
٧ـ وفي نسخة: [ولا تفرّقوا].

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾

إليه[١] بشراشره[٢]، فارغ البال، واثقاً بأنّ لطفه لا ينفكّ عنه في شيء من الأحوال[٣].

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾: باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر واُحد.

﴿فَتَفْشَلُواْ﴾: فتضعفوا عن قتال عدوّكم.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: دولتكم، شبّهت الدّولة بالريح في نفوذ أمرها وهبوبها، يقال: هبّت ريح فلان إذا نفذ أمره، وقيل: لم يكن قطّ نصر إلّا بريح يبعثها الله[٤]، وفي الحديث النبوي ﷺ نُصِرْت بالصّبا، وأهلكت عاد بالدّبور[٥].

﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: بالكلاءة والنّصر.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾: يعني أهل مكّة حين خرجوا منها لحماية العير.

﴿بَطَرًا﴾: فخراً وأشراً.

---

١ ـ وفي نسخة: [يقبل عليه بشراشره] كما في المصدر.

٢ ـ يقال ألق عليه بشراشره ـ بالشينين المعجمتين، والرائين المهملتين ـ: أي نفسه حرصاً ومحبّة، واحدها شرشرة. منه قدّس سرّه.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٦، س ٢٣.

٤ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٧، والكشاف: ج ٢، ص ٢٢٧.

٥ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٧، والكشاف: ج ٢، ص ٢٢٧.

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾

﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: ليثنوا عليهم بالشّجاعة والسّماحة، وذلك أنّهم لمّا بلغوا جحفة وأتاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل، وقال: حتّى نقدم بدراً ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان، ونطعم بها من حضرنا من العرب، فذلك بطرهم ورئاؤهم فوافوها فسقوا كأس الحمام[1] مكان الخمر وناحت عليهم النّوائح مكان القيان، فنهى الله المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مراءين.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾: في معادة الرّسول وغيرها بأن وسوس إليهم.

﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾: مجيركم.

﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾: تلاقى الفريقان.

﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: رجع القهقرى، وبطل كيده، وعاد ما خيّل إليهم أنّه مجيرهم سبب هلاكهم.

﴿وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾: يعني جنود الملائكة.

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾: أن يصيبني مكروهاً.

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: قد مضى هذه الآية بيان في سورة آل عمران في قصّة

---

١ ـ الحِمام ـ بالكسر والتخفيف ـ: الموت. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٥١، مادة «حمم».

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٩﴾

بدر، وفي المجمع: عن الباقر والصادق عليهما السلام أنّهم لمّا التقوا كان إبليس في صفّ المشركين آخذاً بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: يا سراقة أتخذلنا على هذه الحال؟ فقال: إنّي أرى ما لا ترون، فقال: والله ما نرى إلّا جواسيس يثرب، فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهزم النّاس، فلمّا قدموا مكّة قال الناس: هزم سراقة فبلغ سراقة فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتّى بلغتني هزيمتكم، فقالوا: إنّك أتيتنا في يوم كذا فحلف لهم، فلمّا أسلموا علموا أنّ ذلك كان الشّيطان[1].

العيّاشي: عن السّجاد عليه السلام لمّا عطش القوم يوم بدر انطلق علي عليه السلام بالقربة يستقي وهو على القليب[2] إذ جاءت ريح شديدة، ثمّ مضت فلبث ما بدا له، ثمّ جاءت ريح أُخرى، ثمّ مضت، ثمّ جاءت أُخرى كادت أن تشغله وهو على القليب، ثمّ جلس حتّى مضى فلمّا رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمّا الريح الأُولى: ففيها جبرئيل مع ألف من الملائكة، والثّانية: فيها ميكائيل مع ألف من الملائكة، والثالثة: فيها إسرافيل مع ألف من الملائكة، وقد سلّموا عليك، وهم مدد لنا وهم الّذين رآهم إبليس فنكص على عقبيه يمشي القهقرى حين يقول: «إنّي أَرَى مَا لَا تَرَوْن» الآية[3].

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: الشّاكون في الإسلام.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٤٩. وفيه: «ما نرى إلّا جعاسيس يثرب». وقال الجوهري: رجل جعسوس مثل جعشوش وهو القصير الدميم. الصحاح: ج ٣، ص ٩١٣، مادة «جعس».

٢ ـ القليب: بئر تحفر فينقلب ترابها قبل أن تطوي كذا في المغرب، وعن الأزهري: القليب عند العرب البئر العادية القديمة مطويّة كان أو غير مطويّة، والجمع قُلب مثل بريد وبُرد. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٤٩، مادة «قلب».

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٥، ح ٧٠.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠﴾

﴿غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾: يعني المسلمين، أي اغترّوا بدينهم حتّى تعرضوا مع قلّتهم لقتال جمّ غفير.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: جواب لهم.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب ينصر الضعيف على القوي، والقليل على الكثير.

﴿حَكِيمٌ﴾: يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل، ويعجز عن إدراكه، وقد مضى لهذه الآية وما بعدها بيان في قصّة بدر.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: ولو رأيت وشاهدت، فإنّ «لو» تجعل المضارع ماضياً عكس إنْ.

﴿إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: ببدر، وقد قرئ تتوفى بالتّاء.

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾: ما أقبل منهم.

﴿وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾: وما أدبر، العيّاشي: مرفوعاً إنّما أرادوا أسْتاهَهُم ان الله كريم يكنى[١].

﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: ويقولون: ذوقوا عذاب الآخرة، وقيل: كانت معهم مقامع من حديد كلّما ضربوا إلتهبت النّار منها[٢].

وفي المجمع: عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّ رجلاً قال له: إنّي حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فبدر رأسه، فقال: سبقك إليه الملائكة[٣].

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٥، ح ٧١.

٢ ـ الكشاف: ج ٢، ص ٢٢٩، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٩٨.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٥١.

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصي.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: وبأنّ الله يعذّب الكفار بالعدل، لأنّه لا يظلم عباده في عقوبتهم، و «ظلّام» للتكثير لأجل العبيد.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون، ودأبهم: عادتهم، وعملهم الذي دأبوا فيه، أي داوموا عليه.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من قبل آل فرعون.

﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: تفسير لدأبهم.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: كما أخذ هؤلاء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: لا يغلبه في دفعه شيء.

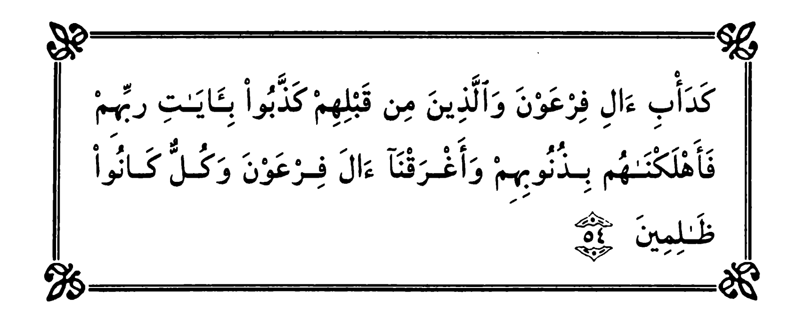
﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما حلّ بهم.

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾: بسبب أنّ الله.

﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا﴾: لا يصحّ في حكمته أن يغيّر.

﴿نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: مبدلاً إيّاها بالنّقمة.

﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾: يبدّلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوء كتغيير قريش حالهم في صلة الرّحم، والكفّ عن تعرّض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم،



والسّعي في إراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والإستهزاء بها، إلى غير ذلك ممّا أحدثوه بعد البعث.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لما يقولون.

﴿عَلِيمٌ﴾: بما يفعلون، في الكافي: عن الصادق عليه السلام إنّ الله بعث نبيّاً من أنبيائه إلى قومه وأوحى إليه أن قل لقومك: أنّه ليس من أهل قرية ولا ناس كانوا على طاعتي فأصابهم فيها سرّاء فتحولوا عمّا أُحبّ إلى ما أكره إلّا تحوّلت لهم عمّا يحبّون إلى ما يكرهون، وليس من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على معصيتي فأصابهم فيها ضرّاء فتحوّلوا عمّا أكره إلى ما أحبّ إلّا تحوّلت لهم عمّا يكرهون إلى ما يحبون[1]، الحديث.

وفيه عنه عليه السلام أنّه كان أبي عليه السلام قال: إنّ الله قضى قضاءً حتماً لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إيّاه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النقمة[2].

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: تكرير للتأكيد، وفي قوله: «بآيات ربهم» زيادة دلالة على كفران النّعم، وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب.

﴿وَكُلٌّ﴾: من غرقى آل فرعون، وقتلى قريش.

﴿كَانُواْ ظَـٰلِمِينَ﴾: أنفسهم بكفرهم ومعاصيهم.

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥، ح ٢٥، باب الذنوب.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢٧٣، ح ٢٢، باب الذنوب.

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أصرّوا على الكفر ورسخوا فيه.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فلا يتوقّع منهم إيمان، القمّي[1]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام نزلت في بني أُميّة، فهم أشرّ خلق الله، هم الذين كفروا في بطن القرآن[2].

﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾: قيل: هم يهود بني قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله على أن لا يمالئوا عليه عدوّاً فنكثوا، بأن أعانوا مشركي مكّة بالسّلاح، وقالوا: نسينا، ثم عاهدهم فنكثوا، ومالئوا عليه الأحزاب يوم الخندق[3].

والقمّي: هم أصحابه الّذين فرّوا يوم أُحد[4].

﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾: لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنّار.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾: تصادفنّهم وتظفرنّ بهم.

﴿فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم﴾: ففرّق عن محاربتك ونكّل عنها بقتلهم والنّكاية فيهم.

﴿مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾: من ورائهم من الكفرة، والتشريد: تفريق على اضطراب.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتعظون.

١ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٩.   ٢ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٥، ح ٧٢.

٣ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٢٣٠.

٤ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٩.

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾: معاهدين.

﴿خِيَانَةً﴾: نقض عهد بأمارات تلوح لك.

﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾: فاطرح إليهم عهدهم.

﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: على طريق مقتصد مستوٍ في العداوة وذلك بأن تخبرهم بنقض العهد إخباراً ظاهراً مكشوفاً يتبيّن لهم أنّك قطعت ما بينك وبينهم ولا تبدأهم بالقتال، وهم على توهّم بقاء العهد، فيكون ذلك خيانة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾: فلا تخنهم بأن تناجزهم القتال من غير إعلامهم بالنّبذ، القمّي: نزلت في معاوية لمّا خان أمير المؤمنين عليه السلام[1].

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: وقرئ بالياء.

﴿سَبَقُوٓاْ﴾: فأتوا من أن يظهر بهم.

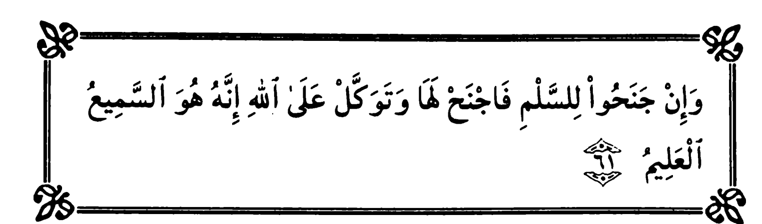
﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزاً من[2] إدراكهم، وقرئ بالفتح بمعنى أنّهم.

﴿وَأَعِدُّواْ﴾: أيّها المؤمنون.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٩.

٢ ـ وفي نسخة: [عن].



﴿لَهُمْ﴾: للكفّار.

﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾: من كلّ ما يتقوى به في الحرب، في الكافي[1]، والعيّاشي: مرفوعاً[2] والعامّة عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّ القوّة: الرّمي[3]. والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام سيف وترس[4].

والقمّي: قال السلاح[5]. وفي الفقيه: عنه عليه السلام منه الخضاب بالسّواد[6].

﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾: والرّباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله.

﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾: تخوفون به، وقرئ بالتّشديد.

﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: كفّار مكّة.

﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾: من غيرهم من الكفرة.

﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾: لا تعرفونهم بأعيانهم، لأنّهم يصلّون ويصومون.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾: يعرفهم، لأنّه المطلع على الأسرار.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: جزاؤه.

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: بتضييع العمل أو نقص الثّواب.

﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾: مالوا.

---

١ ـ الكافي: ج ٥، ص ٤٩ ـ ٥٠، ح ١٢.

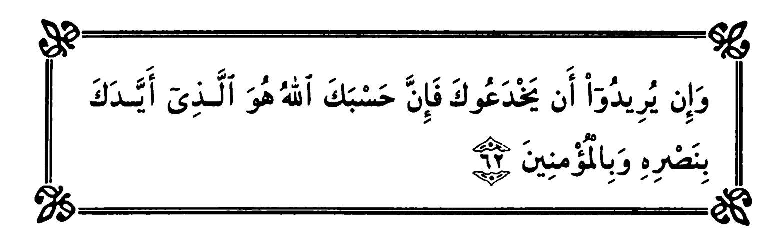
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٦، ح ٧٤.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٠٠، س ٣.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٦، ح ٧٣.

٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٩.

٦ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١ / ص ٧٠، ح ٢٨١ / ٥٧، باب ٢٢ ـ غسل يوم الجمعة، ودخول الحمام، وآدابه، وما جاء في التنظيف، والزينة.



﴿لِلسَّلْمِ﴾: للصلح والإستسلام، وقرئ بالكسر.

﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾: وعاهد معهم، وتأنيث الضمير لحملها على نقيضها الّذي هي الحرب، وقد مضى للآية بيان في قصّة بدر.

والقمّي: قال: هي منسوخة بقوله: «فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُواْ إِلَى السِّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْن»[1]، ونزلت هذه الآية «وَإِنْ جَنَحُواْ» قبل نزول: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَال» وقبل الحرب، وقد كتبت في آخر السورة بعد انقضاء أخبار بدر[2].

وفي الكافي[3]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل ما السّلم؟ قال: الدّخول في أمرنا[4].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ولاتخف من خديعتهم ومكرهم،فإنّ الله عاصمك وكافيك منهم.

﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوالهم.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بنيّاتهم.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ﴾: في الصلح بأن يقصدوا به دفع أصحابك عن القتال حتّى يقوى أمرهم فيبدوكم به من غير استعداد منكم.

﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾: فحسبك الله، القمّي: عن الباقر عليه السلام هؤلاء قوم كانوا معه من قريش[5].

---

١ ـ محمد: ٣٥. ٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٩.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٥، ح ١٦، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٦، ح ٧٥. ٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٩.

وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ﴾: قوّاك.

﴿بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: حتّى صاروا متحابين متوادّين بعد ما كان بينهم من التضاغن والتحارب، في المجمع[1]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام هم الأنصار، وهم الأوس والخزرج، وزاد القمّي كان بين الأوس والخزرج حربٌ شديد وعداوة في الجاهليّة فألّف الله بين قلوبهم ونصر بهم نبيّه صلى الله عليه وآله[2].

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: يعني تناهي عدوانهم[3] إلى حدّ لو أنفق منفق في إصلاح ذات بينهم ما في الأرض من الأموال لم يقدر على الأُلفة والإصلاح.

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾: بالإسلام بقدرته البالغة، فإنّه مالك القلوب يقلّبها كيف يشاء.

﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾: تام القدرة والغلبة لا يعصي عليه ما يريده.

﴿حَكِيمٌ﴾: يعلم أنّه كيف ينبغي أن يفعل ما يريد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾: كافيك.

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: قيل: نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال[4].

١ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٥٦. ٢ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٧٩.

٣ـ وفي نسخة: [عداوتهم].

٤ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٢٣٤.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾: بالغ في حثّهم على القتال.

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: هذه عِدَة من الله بأنّ الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفّار بتأييد الله، وقرئ تكن بالتّاء.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: بسبب أنّهم[1] جهلة بالله واليوم الآخر، يقاتلون على غير احتساب الثّواب، ولا يثبتون ثبات المؤمنين الرّاجين لعلوّ[2] الدّرجات.

﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾: وقرئ بفتح الضّاد.

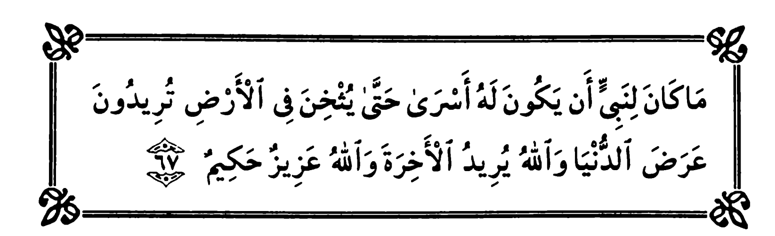
﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ﴾: وقرئ تكن بالتاء.

﴿يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: هذه الآية ناسخة لما قبلها، في الكافي: عن الصادق عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه هذه الآية فقال: نسخ الرّجلان العشرة[3].

---

١ ـ وفي نسخة: [بسبب أنّ الكفّار]. ٢ ـ وفي نسخة: [لعوالي الدرجات].

٣ ـ الكافي: ج ٥، ص ٦٩، ح ١، باب دخول الصوفيّة على أبي عبدالله عليه السلام واحتجاجهم عليه فيما ينهون الناس عنه من طلب الرزق.



والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام من فرّ من رجلين في القتال [من الزّحف فقد] فرّ من الزّحف، ومن فرّ من ثلاثة رجال في القتال من الزّحف فلم يفر[١].

والقمّي: ما يقرب من معنى الحديثين[٢].

قيل: كان فيهم قلّة أوّلاً. فأُمروا بذلك، ثمّ لمّا كثروا خفّف الله عنهم[٣].

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾: بالنّصر والمعونة فلا محالة يغلبون.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يكثر القتل ويبالغ فيه، حتّى يذلّ الكفر ويقلّ حزبه، ويعزّ الإسلام ويستولي أهله، من أثخنه المرض إذا أثقله.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾: حطامها بأخذ الفداء.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: يريد لكم ثواب الآخرة.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: يغلب أولياءه على أعدائه.

﴿حَكِيمٌ﴾: يعلم ما يليق بكلّ حال ويخصّه بها.

قيل: كان هذا يوم بدر فلمّا كثر المسلمون نزل: «فَإمَّا مِنّاً بَعد وإمّا فِدَاءً»[٤][٥]، وقد مضى لهذه الآية وما بعدها بيان في قصّة بدر.

١ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٨، ح ٧٨.

٢ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

٣ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٠١، والكشاف: ج ٢، ص ٢٣٥.

٤ـ محمد: ٤.

٥ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٩٧.

لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾

﴿لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾: أي حكم منه سبق إثباته في اللّوح بإباحة الغنائم لكم.

﴿لَمَسَّكُمْ﴾: لنالكم.

﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾: فيما استحللتم قبل الإباحة من الفداء.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾: من الفدية.

﴿حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في مخالفته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: غفر لكم ذنبكم.

﴿رَّحِيمٌ﴾: أباح لكم ما أخذتم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾: وقرئ الأُسارى.

﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾: خلوص عقيدة، وصحّة نيّة في الإيمان.

﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾: من الفداء.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: قد مضى لهذه الآية بيان في قصّة بدر، وفي الكافي[1]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام إنّها نزلت في العبّاس، وعقيل، ونوفل، وقال: إنّ

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٠٢، ح ٢٤٤.

وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

رسول الله ﷺ: نهى يوم بدر أن يقتل أحد من بني هاشم وأبو البختري فأسروا فأرسل علياً عليه السلام فقال: أنظر مَن هاهنا من بني هاشم، ثمّ قال: فمرّ علي عليه السلام على عقيل بن أبي طالب فحاد عنه، فقال له عقيل: يا ابن امّ عليّ أما والله لقد رأيت مكاني، قال: فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال: هذا أبو الفضل في يد فلان، وهذا عقيل في يد فلان، وهذا نوفل بن الحارث في يد فلان، فقام رسول الله ﷺ: حتّى انتهى إلى عقيل فقال له ﷺ: يا أبا يزيد قتل أبو جهل، فقال: إذاً لا تنازعون في تهامة، فقال له: إن كنتم أثخنتم القوم، وإلّا فاركبوا أكتافهم. قال: فجيء بالعبّاس فقيل له: افد نفسك وافد ابني أخيك، فقال: يا محمد تتركني أسأل قريشاً في كفّي، فقال: إعط ما خلّفت عند امّ الفضل وقلت لها إن أصابني في وجهي هذا شيء فأنفقيه على ولدك ونفسك، فقال له: يا ابن أخي من أخبرك بهذا؟ فقال ﷺ: أتاني به جبرئيل عليه السلام من عند الله، فقال: ومحلوفه ما علم بهذا إلّا أنّا وهي، أشهد أنّك لرسول الله، قال: فرجع الأُسارى[1] كلّهم مشركين إلّا العبّاس، وعقيل، ونوفل، وفيهم نزلت هذه الآية «قُلْ لِمَنْ فِي أَيدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى»[2] الآية.

في قرب الإسناد: عن السجّاد عليه السلام قال: أُتي النّبي ﷺ بمأتي درهم، فقال: يا عبّاس أبسط رداءك وخذ من هذا المال طرفاً فبسط رداءه فأخذ منه طائفة، ثمّ قال رسول الله ﷺ: هذا من الّذي قال الله: «إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً ممّا أخذ منكم»[3] الآية.

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام مثله[4].

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾: نقض ما عاهدوك.

---

١ ـ وفي نسخة: [فرجع الأسرى].

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٨ ـ ٦٩، ح ٧٩.

٣ ـ قرب الإسناد: ص ٢١، ح ٧٣.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٩ ـ ٧٠، ح ٨٠.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾

﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ﴾: بالكفر.

﴿مِن قَبْلُ﴾: القمّي: وإن يريدوا خيانتك في عليّ فقد خانوا الله من قبل فيك[1]، كما مضى في قصّة بدر.

﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾: فأمكنك منهم يوم بدر، فإن أعادوا الخيانة فيمكن منهم[2].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾: فارقوا أوطانهم وقومهم حبّاً لله ولرسوله، وهم المهاجرون من مكّة إلى المدينة.

﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾: فصرفوها.

﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾: فبذلوها.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾: والذين آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم، وهم الأنصار.

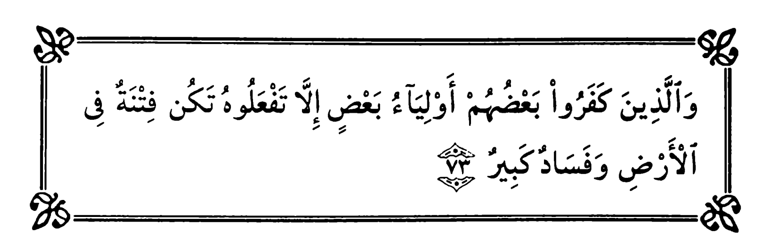
﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: أي يتولّى بعضهم بعضاً في الميراث.

القمّي: لمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة آخى بين المهاجرين والمهاجرين، وبين الأنصار والأنصار، وبين المهاجرين والأنصار، وكان إذا مات الرجل يرثه أخوه في الدين،

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٦٩.

٢ ـ هكذا في الأصل، والصحيح فسيمكّنك منهم.



ويأخذ المال، وكان له ما ترك دون ورثته، فلمّا كان بعد بدر أنزل الله: «النّبي أَوْلَى بِالمُؤْمِنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهاتُهُمْ وأُولُواْ الأَرْحَام بَعْضَهُمْ أَوْلَى بِبَعْض فِي كِتَابِ الله»[١]، الآية، فنسخت آية الأُخوة «بعضهم أولى ببعض»[٢].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام إنّهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الأُولى دون الأقارب حتّى نسخ ذلك بقوله: «وأُولُواْ الأَرْحَام بَعْضَهُمْ أَوْلَى بِبَعْض»[٣].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾: أي من توليهم في الميراث، وقرئ ولايتهم بالكسر تشبيهاً لها بالعمل والصناعة، كالكتابة والإمارة كأنّه بتولية صاحبه يزاول عملاً.

العيّاشي: عنهما عليهما السلام إنّ أهل مكّة لا يولوّن أهل المدينة[٤].

﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾: قيل: معناه وإن طلب المؤمنون الّذين لم يهاجرون منكم النّصرة لهم على الكفار[٥].

﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾: لهم.

﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾: فلا يجوز لكم نصركم عليهم.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: نهى

---

١ ـ الأحزاب: ٦. ٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٠.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٥٦٣، وجوامع الجامع: ج ٢، ص ٣٤.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٠، ح ٨١.

٥ ـ قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج ٢، ص ٣٤.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾

المسلمون عن موالاة الكفّار ومعاونتهم وإن كانوا أقارب، وأوجب أن يتركوا تولي بعضهم بعضاً.

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾: أن لا تفعلوا ما أمرتم به من التّواصل بينكم، وتولّي بعضكم بعضاً حتى في التوارث تفضيلاً لنسبة الإسلام على نسبة القرابة، ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفّار.

﴿تَكُن فِتْنَةٞ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾: تحصل فيها فتنة عظيمة ومفسدة كبيرة لأنّ المسلمين ما لم يكونوا يداً واحدة على أهل الشرك كان الشّرك ظاهراً وتجرّأ أهله على أهل الإسلام ودعوهم إلى الكفر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: لأنّهم حقّقوا إيمانهم بالهجرة والنّصرة والإنسلاخ من الأهل والمال والنفس لأجل الدين.

﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ﴾: لا تبعة له ولا منّة فيه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ﴾: يريد اللّاحقين بعد

السّابقين كقوله: «والّذين جاؤا من بعدهم»[1].

﴿فَأُوْلَـٰئِكَ مِنكُمْ﴾: أي من جملتكم أيّها المهاجرون والأنصار، وحكمهم حكمكم في وجوب موالاتهم ونصرتهم وإن تأخّر إيمانهم وهجرتهم.

﴿وَأُولُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾: واولوا القرابات.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾: بعضهم أولى بميراث بعض من بعض، ومن غيرهم، وهو نسخ للتوارث بالهجرة، والنّصرة كما سبق بيانه.

﴿فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾: في حكمه المكتوب، وفيه دلالة على أنّ من كان أقرب إلى الميت في النسب كان أولى بالميراث.

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام كان علي عليه السلام إذا مات مولىً له وترك قرابته لم يأخذ من ميراثه شيئاً، ويقول: «واُولُواْ الأَرْحَام بَعْضَهُمْ أَوْلَى بِبَعْض»[2].

والقمّي: قال: هذه الآية نسخت قوله: «وَالَّذِينَ عَقَدَت أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ»[3][4].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام لا تعود الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام أبداً، إنّما جرت من عليّ بن الحسين عليه السلام كما قال الله: «واُولُواْ الأَرْحَام بَعْضَهُمْ أَوْلَى بِبَعْض فِي كِتَابِ الله»، فلا يكون بعد عليّ بن الحسين عليهما السلام، إلّا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب[5].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: من المواريث وغيرها، وبالحكمة في إناطتها بنسبة الإسلام والمظاهرة أوّلاً واعتبار القرابة ثانياً إلى غير ذلك، وذكر ثواب قراءة هذه السورة يأتي في آخر سورة التوبة إن شاء الله تعالى والله العالم.

---

١ ـ الحشر: ١٠.

٢ ـ الكافي: ج ٧، ص ١٣٥، ح ٥، باب ميراث ذوي الأرحام مع الموالي.

٣ ـ النساء: ٣٣.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨١.

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦، ح ١، باب ثبات الإمامة في الأعقاب، وأنّها لا تعود في أخ ولا عم ولا غيرهما من القرابات.



سورة التوبة

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢﴾

وهي مدنيّة كلّها، وقال بعضهم: غير آيتين «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ»[1] إلى آخر السورة، وعدد آيها مائة وتسع وعشرون آية، نزلت سنة تسع من الهجرة، وفتحت مكّة سنة ثمان، وحجّ رسول الله صلى الله عليه وآله حجّة الوداع سنة عشر.

في المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام لم ينزل «بسم الله الرحمن الرّحيم» على رأس سورة براءة لأنّ بسم الله للأمان والرّحمة، ونزلت براءة لدفع الأمان والسيف[2].

وفيه[3]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام الأنفال وبراءة واحدة[4].



﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أي هذه براءة والمعنى: أنّ الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين.

إن قيل: كيف يجوز أن ينقض النّبي العهد؟ أُجيب بوجهين:

أحدهما: أنّه صلى الله عليه وآله كان قد شرط عليهم بقاء العهد إلى أن يرفعه الله بوحي.

---

١ ـ التوبة: ١٢٨.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٣، ح ٣.

والثاني: أنّهم قد نقضوا أو همّوا بذلك، فأمر الله أن ينقض عهدهم، وفي المجمع نسب الوجهين إلى الرواية[١].

﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: خطاب للمشركين اُمروا أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاؤوا لا يتعرّض لهم، ثمّ يقتلون حيث وجدوا.

القمّي: عن الرضا عليه السلام فأجّل الله المشركين الّذين حجّوا تلك السّنة أربعة أشهر حتّى يرجعوا إلى مأمنهم، ثمّ يقتلون حيث وجدوا[٢].

وعن الصّادق عليه السلام: نزلت هذه الآية بعد ما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة تبوك[٣] في سنة تسع من الهجرة[٤].

قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا فتح مكّة لم يمنع المشركين الحجّ في تلك السّنة، وكان سنّة من العرب في الحجّ أنّه من دخل مكّة وطاف بالبيت في ثيابه لم يحلّ له إمساكها، وكانوا يتصدّقون بها ولا يلبسونها بعد الطّواف، فكان من وافى مكّة يستعير ثوباً ويطوف فيه ثمّ يردّه، ومن لم يجد عاريّة اكترى ثياباً، ومن لم يجد عارية ولا كرى ولم يكن له إلّا ثوب واحد طاف بالبيت عرياناً، فجاءت امرأة من العرب وسيمة جميلة، فطلبت عاريّة أو كرى فلم تجده، فقالوا لها: إن طفت في ثيابك احتجت أن تتصدّقي بها، فقالت: وكيف أتصدّق بها وليس لي غيرها؟ فطافت بالبيت عريانة، وأشرف لها[٥] النّاس فوضعت إحدى يديها على قبلها واُخرى على دبرها، وقالت:

اليوم يبدوا بعضه أو كله ... فما بدا منه فلا اُحلّه

فلمّا فرغت من الطّواف خطبها جماعة، فقالت: إنّ لي زوجاً، وكانت سيرة رسول

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢ ـ ٣. ٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٢.

٣ ـ تبوك ـ كرسول ـ: وهو موضع بالشام، منه إلى المدينة أربع عشر مرحلة، وإلى دمشق أحد عشر، ومنه غزوة تبوك، وهي غزوة غزاها رسول الله (ص) في تسع من الهجرة، وأقام بها عدّة أيّام، وصالح أهلها على الجزية. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٦٠، مادة «بوك». ٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨١.

٥ ـ هكذا في الأصل، وفي المصدر: «وأشرف عليها الناس».

الله ﷺ قبل نزول سورة براءة أن لا يقاتل إلّا من قاتله، ولا يحارب إلّا من حاربه وأراده، وقد كان نزل عليه في ذلك من الله عزّ وجلّ: «فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمْ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً»[1]. فكان رسول الله ﷺ لا يقاتل أحداً قد تنحّى عنه، واعتزله حتى نزلت عليه سورة براءة وأمره بقتل المشركين من اعتزله ومن لم يعتزله إلّا الّذين قد كان عاهدهم رسول الله ﷺ يوم فتح مكّة إلى مدّة، منهم: صفوان بن أُميّة، وسهيل بن عمرو، فقال الله عزّ وجلّ: «بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ» ثم يقتلون حيث ما وجدوا فهذه أشهر السّياحة، عشرين من ذي الحجّة، والمحرّم، وصفر، وشهر ربيع الأوّل، وعشراً من ربيع الآخر، فلمّا نزلت هذه الآيات من أوّل براءة دفعها رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وأمره بأن يخرج إلى مكّة ويقرأها على النّاس بمنى يوم النّحر فلمّا خرج أبو بكر، نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد لا يؤدّي عنك إلّا رجل منك، فبعث رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام في طلبه فلحقه بالرّوحاء[2] فأخذ منه الآيات فرجع أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول أنزل فيّ شيء؟ قال: إنّ الله أمرني أن لا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو رجل منّي[3].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام كان الفتح في سنة ثمان، وبراءة في سنة تسع، وحجّة الوداع في سنة عشر[4].

وعنه عليه السلام أنّ رسول الله ﷺ بعث أبا بكر مع براءة إلى الموسم ليقرأها على النّاس، فنزل جبرئيل فقال: لا يبلّغ عنك إلّا عليّ عليه السلام فدعا رسول الله ﷺ عليّاً فأمره أن يركب ناقته العضباء وأمره أن يلحق أبا بكر فيأخذ منه براءة ويقرأها على النّاس بمكّة، فقال أبو بكر: أسخطة؟ فقال: لا إلّا أنّه أُنزل عليه: «أنّه لا يبلّغ إلّا رجل منك»، فلمّا قدم علي عليه السلام مكّة

---

١ ـ النساء: ٩٠.

٢ ـ والروحاء: موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة. القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٢٥، مادة «روح».

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٣، ح ٢.

وكان يوم النّحر بعد الظّهر وهو يوم الحجّ الأكبر، قام ثمّ قال: إنّي رسول رسول الله صلى الله عليه وآله إليكم فقرأها عليهم «بَرَآءَةٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ» عشرين من ذي الحجّة، والمحرّم، وصفر، وشهر ربيع الأوّل، وعشراً من شهر ربيع الآخر، قال: لا يطوف بالبيت عريان، ولا عريانة، ولا مشرك، إلّا من كان له عهد من عند رسول الله صلى الله عليه وآله فمدّته إلى هذه الأربعة أشهر[١].

قال: وفي خبر محمّد بن مسلم قال أبو بكر: يا عليّ هل نزل فيّ شيء منذ فارقت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا، ولكن أبى الله أن يبلّغ عن محمّد صلى الله عليه وآله إلّا رجل منه، فوافى الموسم فبلّغ عن الله، وعن رسوله بعرفة، والمزدلفة، ويوم النحر، عند الجمار في أيّام التشريق كلّها ينادي «بَرَاءَةَ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ» الآية، ويقول: ولا يطوفنّ بالبيت عريان[٢][٣].

وفي المجمع: روى أصحابنا أنّ النّبي صلى الله عليه وآله ولّاه أيضاً الموسم وأنّه حين أخذ البراءة من أبي بكر رجع أبو بكر[٤].

وفيه[٥]، والعيّاشي عن الباقر عليه السلام قال: خطب عليّ عليه السلام النّاس واخترط سيفه، فقال: لا يطوفنّ بالبيت عريان، ولا يحجّنّ البيت مشرك، ومن كانت له مدّة فهو إلى مدّته، ومن لم تكن له مدّة فمدّته أربعة أشهر، وكان خطب يوم النّحر فكانت عشرون من ذي الحجّة، ومحرّم، وصفر، وشهر ربيع الأوّل، وعشر من ربيع الآخر[٦].

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللهِ﴾: لا تفوتونه وإن أمهلكم.

﴿وَأَنَّ ٱللهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: مذلّهم بالقتل والأسر في الدّنيا والعذاب في الآخرة.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٣ ـ ٧٤، ح ٤.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٤، ح ٥.
٣ ـ روى العياشي عن الباقر عليه السلام في هذا الباب ص ٧٤، ح ٦ حديثاً يخالف سائر الروايات، رواه عن زرارة عنه عليه السلام، قال: لا والله ما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر ببراءة، أهو كان يبعث بها معه ثمّ يأخذها منه؟ ولكنّه استعمله على الموسم وبعث بها علياً عليه السلام بعد ما فصل أبو بكر عن الموسم فقال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: حين بعثه أنّه لا يؤدي إلّا أنا وأنت. منه قدس سره.
٤ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٣ و ٤.
٥ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٣ و ٤.
٦ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٤ ـ ٧٥، ح ٧.

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾[1]: إيذان وإعلام، وهو كالأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء.

﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾[2]: قيل: يوم العيد لأنّ فيه تمام الحج ومعظم أفعاله، ولأنّ الإعلام كان فيه[3].

والقمّي [4]، والعيّاشي: عن السجاد عليه السلام: الأذان: أمير المؤمنين عليه السلام [5].

القمي[6] وفي حديث آخر: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كنت أنا الأذان في النّاس،

---

١ ـ في المعاني: عن الصادق عليه السلام في «أذان من الله» اسم نَحَلَه الله عزّ وجلّ عليّاً صلوات الله عليه من السماء، وفي تفسير العياشي: عنه عليه السلام في «الأذان»، قال: هو اسم في كتاب الله لا يعلم ذلك أحد غيري، وعن السجاد عليه السلام: وإنّ لعليّ عليه السلام إسماً في القرآن لا يعرفه الناس، ثمّ ذكر الآية. منه قدّس سرّه. انظر معاني الأخبار: ص ٢٩٨، ح ٢؛ وتفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٧٦، ح ١٣ و١٤.

٢ ـ والعياشي: ج ٢، ص ٧٧، ح ٢٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام يوم الحج الأكبر: يوم النّحر. قال: ولو كان يوم عرفة لكان أربعة أشهر ويوماً. منه قدّس سرّه.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٠٥.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٢.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٦، ح ١٤.

٦ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٢.

والأخير مروي في المعاني[1]. والعلل: عن الصادق عليه السلام وزادا، فقيل له: فما معنى هذه اللّفظة،الحجّ الأكبر؟ فقال: إنّما سمّي الأكبر لأنّها كانت سنة حجّ فيها المسلمون والمشركون ولم يحجّ المشركون بعد تلك السنة[2].

وفي الكافي[3]، والمعاني[4]، والعيّاشي: عنه عليه السلام في عدّة أخبار يوم الحجّ الأكبر: هو يوم النّحر، والأصغر: العمرة[5].

وفي بعض أخبار الكافي[6]، والعيّاشي: عنه عليه السلام الحجّ الأكبر: الوقوف بعرفة، ورمي الجمار، والحجّ الأصغر العمرة، وزاد العيّاشي وجمع[7] بعد عرفة[8].

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: بأنّ الله.

﴿بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾: عطف على الضمير في بريء ولا تكرير فيه، لأنّ الأوّل كان إخباراً بثبوت البراءة، وهذا إخبار بإعلامها النّاس.

﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾: من الكفر والغدر.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: عن التّوبة.

﴿فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾: غير سابقين الله ولا فائتين بأسه وعذابه.

---

١ ـ معاني الأخبار: ص ٢٩٦، ح ٥، باب معنى الحج الأكبر والحج الأصغر.

٢ ـ علل الشرائع: ص ٤٤٢، ح ١، باب ١٨٨ ـ العلّة التي من أجلها سمّي الحج الأكبر.

٣ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٩٠، ح ١ و ٢، باب الحج الأكبر والأصغر.

٤ ـ معاني الأخبار: ص ٢٩٥، ح ١، ٢، ٣، ٤، باب معنى الحج الأكبر والحج الأصغر.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٦ و ٧٧، ح ١٦ و ١٩.

٦ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥، ح ١، باب فرض الحج والعمرة.

٧ ـ وجَمْع ـ بالفتح فالسكون ـ: المشعر الحرام وهو أقرب الموقفين إلى مكّة المشرّفة، ومنه حديث آدم عليه السلام ثم انتهى إلى جَمْع فَجَمَع فيها بين المغرب والعشاء، قيل: سمّي به لأنّ النّاس يجتمعون فيه ويزدلفون إلى الله تعالى أي يتقربون إليه بالعبادة والخير والطاعة، وقيل: لأنّ آدم اجتمع فيها مع حواء فازدلف ودنا منها، وقيل: لأنّه يجمع فيه المغرب والعشاء. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣١٥، مادة «جمع».

٨ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٧، ح ١٨.

إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: في الآخرة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: استثناء من المشركين واستدراك، وكأنّه قيل لهم ـ بعد أن أُمروا بنبذ العهد إلى النّاكثين ـ: ولكن الّذين عاهدوا منهم.

﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾: من شروط العهد ولم ينكثوا ولم يقتلوا منكم ولم يضرّوكم قطّ.

﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟﴾: ولم يعاونوا.

﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾: من أعدائكم.

﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾: إلى تمام مدتهم، ولا تجعلوا الوفيّ كالغادر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: تعليل وتنبيه على أنّ تمام عهدهم من باب التّقوى.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾: انقضى.

﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾: التي أُبيح للنّاكثين أن يسيحوا فيها، العيّاشي: عن الباقر عليه السلام هي يوم النّحر إلى عشر مضين من ربيع الآخر[1].

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٧، ح ٢٢.

وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

﴿فَاقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: النّاكثين.

﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾: من حلّ وحرم.

﴿وَخُذُوهُمْ﴾: وأسروهم، والأخيذ: الأسير.

﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾: واحبسوهم وحيلوا بينهم وبين المسجد الحرام.

﴿وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: كلّ ممّر وطريق ترصدونهم به، لئلّا يبسطوا في البلاد.

﴿فَإِن تَابُواْ﴾: عن الشّرك بالإيمان.

﴿وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: تصديقاً لتوبتهم.

﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾: فدعوهم ولا تتعرّضوا لهم بشيء من ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفر لهم ما قد سلف من كفرهم وغدرهم.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: المأمور بالتعرّض لهم.

﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾: استأمنك وطلب منك جوارك.

﴿فَأَجِرْهُ﴾: فآمنه.

﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾: ويتدبّره ويطلّع على حقيقة الأمر، فإنّ معظم الأدلّة فيه.

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾: موضع أمنه إن لم يسلم، القمّي: قال: اقرأ عليه وعرّفه ثمّ لا تتعرّض له حتّى يرجع إلى مأمنه[١].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾: ما الإيمان، وما حقيقة ما تدعوهم إليه فلابدّ من أمانهم حتّى يسمعوا ويتدبّروا.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٣.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨﴾

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾: كيف يكون للمشركين عهد صحيح، ومحال أن يثبت لهم عهد مع إضمارهم الغدر والنّكث، فلا تطمعوا في ذلك.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: يعني ولكنّ الّذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث.

﴿فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾: أي فتربصوا أمرهم، فإن استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ * كَيْفَ﴾: تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد، وحذف الفعل لكونه معلوماً، أي كيف يكون لهم عهد.

﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾: وحالهم أنّهم إن يظفروا بكم.

﴿لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ﴾: لا يراعوا فيكم.

﴿إِلًّا﴾: قرابة أو حلفاً.

﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: عهدا أو حقّاً.

﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بوعد الإيمان، والطّاعة، والوفاء بالعهد..

﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾: ما تتفوّه به أفواههم، استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على

ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

العهد المؤديّة إلى عدم مراقبتهم عند الظّفر.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾: متمرّدون لا عقيدة تزعهم[1]، ولا مروّة تردعهم، وتخصيص الأكثر لما يوجد في بعض الكفار من التعفّف عمّا يثلم العِرض، والتّفادي عن الغدر.

﴿ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: استبدلوا بالقرآن وبيّناته.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عرضاً يسيراً، وهو اتباع الأهواء والشّهوات.

﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾: فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم.

﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾: المتجاوزون الغاية في الظّلم والكفر.

﴿فَإِن تَابُواْ﴾: عن الكفر، ونقض العهد.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾: فهم إخوانكم.

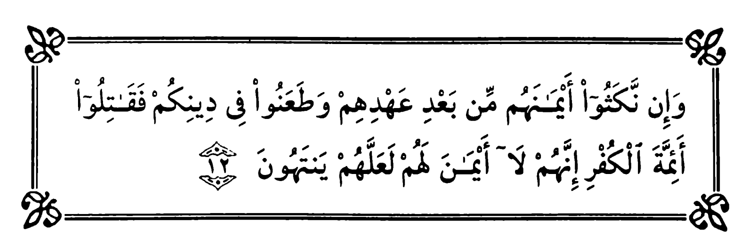
﴿فِى ٱلدِّينِ﴾: لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم.

﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾: ونبيّنها.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: اعتراض للحثّ على تأمّل ما فصّل.

---

١ ـ تزعهم: أي تكفهم وتمنعهم. منه ﵀.



﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾: وعابوه.

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾: أي فقاتلوهم، وضع الظّاهر موضع المضمر إشعاراً بأنّهم صاروا بذلك ذوي الرياسة، والتقدّم في الكفر أحقاء بالقتل.

﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾: على الحقيقة، وإلّا لما طعنوا ولم ينكثوا، وقرئ بكسر الهمزة ورواها في المجمع: عن الصّادق عليه السلام[1] يعني لا عبرة بما أظهروه من الايمان.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾: متعلّق بـ «قاتلوا»، أي ليكن غرضكم في المقاتلة أن ينتهوا عمّا هم عليه، لا إيصال الأذيّة بهم كما هو طريقة المؤذين، وهذا من غاية كرمه سبحانه وفضله.

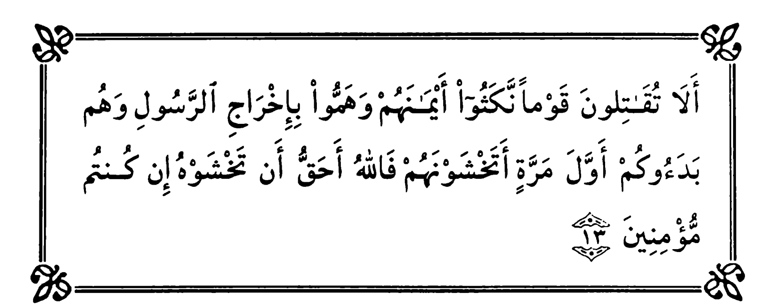
القمّي: نزلت هذه الآية في أصحاب الجمل، وقال أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل: ما قاتلت هذه الفئة النّاكثة إلّا بآية من كتاب الله، يقول الله: «وإن نَكَثُواْ أيْمَانَهُمْ» الآية[2].

وفي قرب الإسناد[3]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام قال: دخل عليّ أُناس من أهل البصرة فسألوني عن طلحة والزّبير، فقلت لهم: كانا من أئمّة الكفر، أنّ عليّاً عليه السلام يوم البصرة لمّا صفّ الخيول قال لأصحابه: لا تعجلوا على القوم حتّى أعذر فيما بيني وبين الله عزّ وجلّ وبينهم، فقام إليه فقال: يا أهل البصرة هل تجدون عليّ جوراً في حكم؟ قالوا: لا، قال: فحيفاً في قسمة؟ قالوا: لا، قال: فرغبة في دنيا أخذتها لي ولأهل بيتي دونكم فنقمتم عليّ فنكثتم بيعتي؟ قالوا: لا، قال: فأقمت فيكم الحدود وعطّلتها عن غيركم؟ قالوا: لا، قال: فما بال بيعتي تنكث وبيعة غيري لا تنكث؟ إنّي ضربت الأمر أنفه وعينه فلم أجد إلّا الكفر، أو السيف ثمّ

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ١٠.   ٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٣.

٣ ـ قرب الإسناد: ص ٩٦، ح ٣٢٧.



ثنّى إلى أصحابه فقال: إنّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: «وإن نكثوا أيمانهم» الآية، ثمّ قال علي عليه السلام: والّذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة، واصطفى محمداً صلى الله عليه وآله بالنّبوّة أنّهم لأصحاب هذه الآية وما قوتلوا منذ نزلت[1].

والعيّاشي عنه عليه السلام من طعن في دينكم هذا فقد كفر، قال الله: «وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمّة الكفر أنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أعذرني الله من طلحة والزّبير، بايعاني طائعين غير مكرهين، ثمّ نكثا بيعتي من غير حدث أحدثته، والله ما قوتل أهل هذه الآية منذ نزلت حتّى قاتلتهم «وإنّ نكثوا ايمانهم»[3]، الآية وفي معناه أخبار كثيرة.

﴿أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْماً﴾: تحريض على القتال.

﴿نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ﴾: التي حلفوها مع الرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا.

﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾: حين تشاوروا في أمره بدار النّدوة حتّى أذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه على ما سبق ذكره في قوله تعالى: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا»[4].

﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: بالمعاداة والمقاتلة، والبادىء أظلم، فما يمنعكم أن تقاتلوهم بمثله.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٧ ـ ٧٨، ح ٢٣.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٩، ح ٢٦.
٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٩، ح ٢٨.
٤ ـ الأنفال: ٣٠.

قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾: أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم؟.

﴿فَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾: فقاتلوا أعداءه، ولا تتركوا أمره.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فإنّ المؤمن لا يخشى إلّا ربّه.

﴿قَـٰتِلُوهُمْ﴾: أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتّوبيخ على تركه.

﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾: وعدٌ لهم إن قاتلوهم بالنّصر عليهم، والتمكّن من قتلهم وإذلالهم.

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾: لمّا لقوا منهم من المكروه، وقد أنجز الله هذه المواعيد كلّها، والآية من دلائل النبوّة، والعيّاشي: عن أبي الأعزّ التميمي قال: كنت واقفاً يوم صفّين إذ نظرت إلى العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلّب وهو شاك في السّلاح إذ هتف به هاتف من أهل الشّام يقال له عرار بن أدهم: يا عبّاس هلمّ إلى البراز ثمّ تكافحا بسيفهما مليّاً لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لامته إلى أن حطّ العباس درع الشّاميّ فأهوى إليه بالسّيف فانتظم به جوانح[1] الشّامي فخرّ الشّامي صريعاً وكبّر النّاس تكبيرة ارتجّت لها الأرض، فسمعت قائلاً يقول: «قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم» الآية، فالتفت فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام[2].

﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾: استئناف إخبار بأنّ بعضهم يتوب عن كفره، وقد

---

١ ـ الجوانح: الأضلاع التي تحت الترائب وهو مما يلي الصدر فالضلوع مما يلي الظهر، الواحدة: جانحة.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٩ ـ ٨٢، ح ٣٠.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

كان ذلك أيضاً.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بما كان وما سيكون.

﴿حَكِيمٌ﴾: لا يفعل إلاّ الحكمة[1].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ﴾: أم منقطعة، وفي الهمزة معنى التّوبيخ، يعني إنّكم لا تتركون على ما أنتم عليه.

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾: ولم يتبيّن المخلصون منكم، وهم المجاهدون في سبيل الله لوجه الله.

﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: يعني المخلصين غير المتّخذين من دونهم بطانة يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم، ولمّا دلّت على أنّه متوقّع.

قيل: أراد بنفي العلم: نفي المعلوم[2].

والقمّي: أي لمّا يرى فأقام العلم مقام الرّؤية، لأنّه قد علم قبل أن يعلموا[3].

وعن الباقر عليه السلام يعني بالمؤمنين آل محمّد صلى الله عليه وآله، والوليجة: البطانة[4].

وفي الكافي: عنه عليه السلام يعني بالمؤمنين الأئمّة عليهم السلام[5].

---

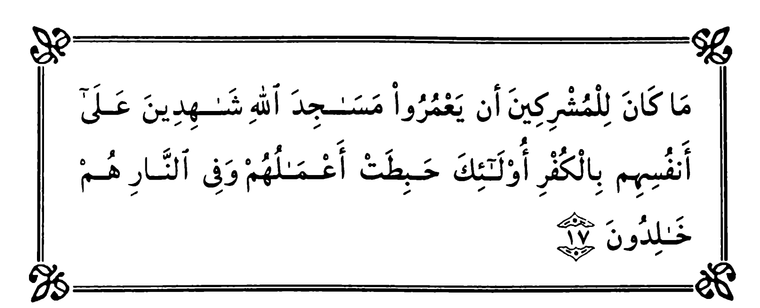
١ ـ وفي نسخة: [لا يفعل إلّا ما فيه الحكمة].

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٠٨.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٣.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٣.

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٥، ح ١٥، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.



وفيه عنه عليه السلام: لا تتخذوا من دون الله وليجة فلا تكونوا مؤمنين، فإنّ كلّ سبب ونسب وقرابة ووليجة وبدعة وشبهة منقطع إلّا ما أثبته القرآن[١].

وفيه عن أبي محمّد العسكري عليه السلام الوليجة: الّذي يقام دون وليّ الأمر، والمؤمنون في هذا الموضع: هم الأئمّة عليهم السلام الّذين يؤمنون على الله فيجيز أمانهم[٢].

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: يعلم غرضكم منه.

﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾: ما صحّ لهم ولا استقام.

﴿أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾: شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام، وقرئ بالتّوحيد.

﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِ﴾: بإظهار الشرك، ونصب الأصنام حول البيت، وفي الجوامع: روي أنّ المسلمين عيّروا أُسارى بدر، ووبّخ علي عليه السلام العبّاس بقتال رسول الله صلى الله عليه وآله، وقطيعة الرّحم، فقال العباس: تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا؟ فقالوا: أولكم محاسن؟ قال: نعم، إنّا نعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحجيج، ونفكّ العاني[٣] فنزلت[٤].

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٥٩، ح ٢٢، باب البدع والرأي والمقائيس.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٥٠٨، ح ٩، باب مولد أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام والرضوان.

٣ ـ العاني: الأسير، ومنه: أطعموا الجائع، وفكّوا العاني. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٠٨. مادة «عنا».

٤ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٤٤.

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وأَقَـامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾: الّتي هي العمارة، والسقاية، والحجابة، وفكّ العناة، التّي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك.

﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ﴾: فيها.

﴿خَـٰلِدُونَ﴾: لأجله.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾: إنّما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلميّة والعمليّة، والعمارة تتناول بناؤها، ورمّ ما استرمّ منها، وكنسها، وتنظيفها وتنويرها بالسّراج، وزيارتها للعبادة والذّكر، ودرس العلم وصيانتها ممّا لم تبن له كحديث الدنيا، وفي الحديث القدسي إنّ بيوتي في الأرض: المساجد، وإنّ زوّاري فيها: عمّارها، فطوبى لعبد تطهّر في بيته، ثمّ زارني في بيتي. فحق على المزور أن يكرم زائره[١]، وفي الحديث النبوي ﷺ يأتي في آخر الزمان ناس من أُمتي يأتون المساجد يقعدون فيها حلقاً ذكرهم الدنيا وحبّ الدنيا، لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة[٢].

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: يعني في أبواب الدّين بأن لا يختار على مرضاة الله رضاء غيره فإنّ الخشية على[٣] المحاذير جبليّة لا يكاد العاقل يتمالك عنها.

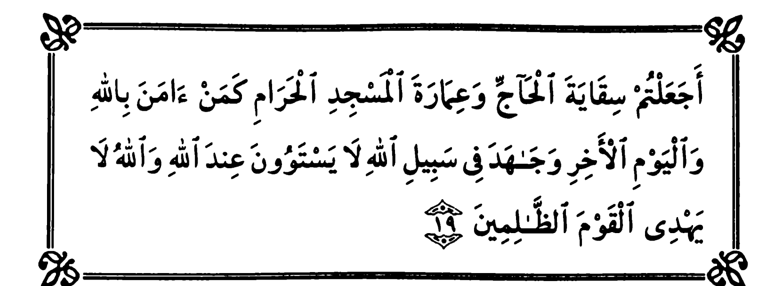
﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾: ذكره بصيغة التوقّع قطعاً لأطماع

---

١ ـ الكشاف: ج ٢، ص ٢٥٤، وتفسير البيضاوي: ج ١، ص ٤٠٩.

٢ ـ الكشاف: ج ٢، ص ٢٥٤، ومن لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ ح ٧٢١/ ٤٣، باب ٣٧ ـ فضل المساجد وحرمتها وثواب من صلّى فيها.

٣ ـ وفي نسخة: [من المحاذير] وهو الأصح.



المشركين في الإهتداء، والإنتفاع بأعمالهم.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ﴾: كإيمان من آمن.

﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أوَجعلتم أهل السّقاية والعمارة كمن آمن، وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام أنّه قرأ سقاة الحاج، وعمرة المسجد الحرام[1].

والقمّي: عنه عليه السلام نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب عليه السلام قوله: «كمن آمن بالله»، الآية[2].

وعنه عليه السلام: نزلت في علي عليه السلام، والعبّاس، وشيبة، فقال[3] العباس: أنا أفضل لأنّ سقاية الحاج بيدي، وقال شيبة: أنا أفضل لأنّ حجابة البيت بيدي، وقال علي عليه السلام: أنا أفضل فإنّي آمنت قبلكما، ثمّ هاجرت وجاهدت، فرضوا برسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله[4].

وفي المجمع: ما يقرب منه، وزاد ضربت خرطكما[5] بالسّيف حتى آمنتما بالله[6].

١ـ مجمع البيان: ج ٥ـ٦، ص ١٤.

٢ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٤.

٣ـ وفي نسخة: [قال] كما في المصدر.

٤ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٤، وفيه: «نزلت في علي، وحمزة، والعباس، وشيبة»، إلى أن قال: «وقال حمزة: أنا أفضل لأنّ عمارة البيت بيدي»، إلى آخره.

٥ـ خَرْطَمَهُ ـ ضرب خرطومه ـ أعوجه. القاموس المحيط: ج ٤، ص ١٠٥، مادة «خرطم»، وفي نسخة: [ضربت خرطومكما].

٦ـ مجمع البيان: ج ٥ـ٦، ص ١٤ ـ ١٥، في شأن نزول الآية، وفيه «خراطيمكما».

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام ما في معناه، وذكر عثمان بن أبي شيبة مكان شيبة[1].

وفي الكافي[2]، والعيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام نزلت في حمزة، وعلي، وجعفر، والعباس، وشيبة إنّهم فخروا بالسّقاية، والحجابة، فأنزل الله، وكان عليّ، وحمزة وجعفر الّذين آمنوا بالله، واليوم الآخر، وجاهدوا في سبيل الله[3].

﴿لَا يَسْتَوُونَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: بالشّرك، والمسوين بينهم وبين المؤمنين.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾: أعظم درجةً وأكثر كرامة ممّن لم يستجمع هذه الصّفات.

﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾: المختصون بالفوز ونيل الحسنى عند الله.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: دائمٌ، وقرئ «يُبْشِرُهُمْ» بالتخفيف، وتنكير المبشر به إشعار بأنّه وراء التّوصيف والتعريف.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: يستحقر دونه كلّ أجر.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٣، ح ٣٤.

٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤، ح ٢٤٥.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٣، ح ٣٥.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ﴾: اختاروه عليه، قيل: لمّا أُمروا بالهجرة فكان يمنعهم منها أقرباؤهم فمنهم من كان يتركها لأجلهم فنزلت[1].

وفي المجمع: عنهما عليهما السلام نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حيث كتب إلى قريش يخبرهم بخبر النّبي صلى الله عليه وآله لمّا أراد فتح مكّة[2].

والعيّاشي عن الباقر عليه السلام الكفر في الباطن في هذه الآية: ولاية الأوّل والثاني، والإيمان: ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام[3].

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: بوضعهم الموالاة في غير موضعها.

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾:

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٠٩، والكشاف: ج ٢، ص ٢٥٧.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ١٦ في شأن نزول الآية.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٤، ح ٣٦.

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾

أقرباؤكم[١]، وقرئ عشيراتكم وعشائركم[٢].

﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: اكتسبتموها.

﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾: وعيد، والأمر عقوبة.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: لا يرشدهم، القمّي: لما أذن أمير المؤمنين عليه السلام بمكّة أن لا يدخل المسجد الحرام مشرك بعد ذلك العام، جزعت قريش جزعاً شديداً، وقالوا: ذهبت تجارتنا، وضاع عيالنا، وخربت دورنا، فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك: «قل» يا محمّد «إن كان آباؤكم»، الآية[٣].

أقول: في الآية تشديد عظيم، وقلّ من يتخلّص عنه، وفي الحديث: لا يجد أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله[٤].

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾: يعني مواطن الحرب، وهي

---

١ ـ ذكر الطبرسي رحمه الله في تفسيره مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص١٦، نقلاً عن ابن عباس: لمّا أمر الله تعالى المؤمنين بالهجرة وأرادوا الهجرة فنهم من تعلقت به زوجته، ومنهم من تعلق به أبواه وأولاده فكانوا يمنعونهم من الهجرة فيتركون الهجرة لأجلهم فبيّن سبحانه أنّ أمر الدين مقدم على النسب وإذا وجب قطع قرابة الأبوين فالأجنبي أولى.

٢ ـ قال الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٢٥٦، س ٩، وقرئ: وعشيرتكم وعشيراتكم، وقرأ الحسن: وعشائركم. فراجع.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٤.

٤ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٤٥. وجعل الكليني رحمه الله في الكافي: ج ٢، ص ١٢٤، باباً مستقلاً بهذا العنوان «الحب والبغض في الله» فراجع.

مواقعها ومواقفها.

وفي الكافي[١]، والعيّاشي[٢]، والقمّي: عن الهادي عليه السلام إنّها كانت ثمانين موطناً[٣].

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: وهو واد بين مكّة والطائف.

﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾: في الجوامع: لمّا التقوا قال رجل من المسلمين: لن نغلب اليوم من قلّة. فساءت مقالته رسول الله صلى الله عليه وآله، قيل: كان قائلها أبو بكر[٤].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام في قوله: «إذ أعجبتكم كثرتكم» إلى قوله: (ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ» قال: أبو فلان[٥].

﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ﴾: الكثرة.

﴿شَيْئاً﴾: من الغنى أو أمر العدوّ، وذلك لما أدركتهم كلمة الإعجاب.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: بسعتها لا تجدون فيها مقرّاً تطمئنّ إليه نفوسكم من شدّة الرّعب.

---

١ ـ الكافي: ج ٧، ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤، ح ٢١، باب النوادر، وإليك نصه: علي بن إبراهيم، عن بعض أصحابه ذكره، قال: لما سمّ المتوكل نذر إن عوفي أن يتصدق بمال كثير فلمّا عوفي سأل الفقهاء عن حد المال الكثير فاختلفوا عليه، فقال بعضهم: ماءة ألف، وقال بعضهم: عشرة آلاف، فقالوا فيه أقاويل مختلفة، فاشتبه عليه الأمر، فقال رجل من ندمائه يقال له صفعان: ألا تبعث إلى هذا الأسود فتسأل عنه، فقال له المتوكل: من تعني ويلك؟ فقال له: ابن الرضا، فقال له: وهو يحسن من هذا شيئاً؟ فقال: إن أخرجك من هذا فلي عليك كذا وكذا وإلّا فاضربني ماءة مقرعة، فقال المتوكل: قد رضيت يا جعفر بن محمود صر إليه وسله عن حدالمال الكثير، فصار جعفر بن محمود إلى أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام فسأله عن حد المال الكثير، فقال: الكثير ثمانون، فقال له جعفر: يا سيدي إنّه يسألني عن العلّة فيه، فقال له أبو الحسن عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: «لقد نصركم الله في مواطن كثيرة» فعددنا تلك المواطن فكانت ثمانين.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٤، ح ٣٧.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

٤ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٤٦.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٤، ح ٣٨.

ثُمَّ أَنْزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾: منهزمين.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام، وهو القتل يعني العذاب(١).

﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: القمّي: كان سبب غزوة حنين أنّه لمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى فتح مكّة أظهر أنّه يريد هوزان وبلغ الخبر هوزان فتهيّئوا وجمعوا الجموع والسّلاح واجتمع رؤساء هوزان إلى مالك بن عوف النّضريّ فرأسوه عليهم، وخرجوا وساقوا معهم أموالهم ونساءهم وذراريهم، ومرّوا حتّى نزلوا بأوطاس، قال: ولمّا بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله اجتماع هوزان بأوطاس جمع القبائل ورغّبهم في الجهاد، ووعدهم النّصر، وأنّ الله قد وعده أن يغنمه أموالهم ونساءهم وذراريهم، فرغب النّاس وخرجوا على راياتهم، وعقد اللّواء الأكبر ودفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام وكلّ من دخل مكّة براية أمره أن يحملها، وخرج في اثني عشر ألف رجل عشر آلاف ممّن كانوا معه(٢).

وفي رواية أبي الجارود عن الباقر عليه السلام قال: وكان معه من بني سليم ألف رجل رئيسهم عبّاس بن مرداس السّلمي، ومن مزينة ألف رجل، قال: فمضوا حتى كان من القوم مسيرة بعض ليلة، قال: وقال مالك بن عوف لقومه: ليصيّر كلّ رجل منكم أهله وماله خلف ظهره، واكسروا جفون سيوفكم واكمنوا في شعاب هذا الوادي، وفي السحر إذا كان في

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٨.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

غلس[١] الصّبح فاحملوا حملة رجل وهدّوا[٢] القوم فإنّ محمّداً لم يلق أحداً يحسن الحرب. قال: فلمّا صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله الغداة انحدر في وادي حنين، وهو واد له انحدار بعيد، وكانت بنو سليم على مقدّمته فخرجت عليهم كتائب هوزان من كلّ ناحية. فانهزمت بنو سليم وانهزم من ورائهم ولم يبق أحد إلّا إنهزم وبقى أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم في نفر قليل، ومرّ المنهزمون برسول الله صلى الله عليه وآله لا يلوون[٣] على شيء، وكان العبّاس آخذاً بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله عن يمينه، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلّب عن يساره، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي يا معشر الأنصار إلى أين؟ أنا رسول الله فلم يلو أحد عليه وكانت نسيبة بنت كعب المازنية تحثو[٤] في وجوه المنهزمين التّراب، وتقول: إلى أين تفرّون عن الله، وعن رسوله؟ ومرّ بها عمر فقالت: يا ويلك ما هذا الّذي صنعت؟ فقال لها: هذا أمر الله. فلمّا رآى رسول الله صلى الله عليه وآله الهزيمة ركّض[٥] نحو عليّ بغلته، فرآه وقد شهر سيفه فقال: يا عبّاس ـ وكان صيّتاً رفيع الصّوت ـ إصعد هذا الظرب[٦] وناد يا أصحاب البقرة، ويا أصحاب الشّجرة إلى أين تفرّون؟ هذا

---

١ ـ الغلس ـ بالتحريك ـ الظلمة آخر الليل، ومنه التغليس، وهو السير بغلس. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٩٠، مادة «غلس».

٢ ـ الهَدَّة: صوت وقع الحائط ونحوه، وهَدَّ البناء يهده: كسره وضَعْضَعَه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٦٨. مادة «هدد».

٣ ـ أي لا يقف أحد لأحد ولا ينتظره، يقال لوى عليه إذا عرج فأقام. قوله تعالى: «لوّوا رؤوسَهُم» أي عطفوها وأمالوها. إعراضاً عن ذلك واستكباراً. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٨٠ ـ ٣٨١، مادة «لوا».

٤ ـ حثا الرجل التراب يحثوه حثواً، ويحثيه حثياً ـ من باب رمى ـ لغة: إذا أهاله بيده، وبعضهم يقول: قبضه بيده ثم رماه، مجمع البحرين: ج ١، ص ٩٥، مادة «حثا».

٥ ـ ركّضت الدابة: إذا ضربتها برجلك. والرّكض: الضرب. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٠٧، مادة «ركض».

٦ ـ الظرب: اسم بركة في طريق مكّة. والظرب من الحجارة ماكان أصله ناتئاً في جبل وإذاكان خلفه الجبل سمّي ظرباً، وقال أبو زياد: الظرب هو جبل محدد في السماء ليس فيه واد ولا شعبة ولا يكون إلّا أسود. معجم البلدان: ج ٤، ص ٥٩.

رسول الله، ثمّ رفع رسول الله ﷺ يده فقال: اللّهمّ لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال يا رسول الله: دعوت بما دعا به موسى عليه السلام حيث فلق الله له البحر ونجّاه من فرعون، ثمّ قال رسول الله ﷺ لأبي سفيان بن الحارث: ناولني كفّاً من حصاً فناوله، فرماه في وجوه المشركين، ثمّ قال: شاهت الوجوه، ثمّ رفع رأسه إلى السّماء وقال: اللّهُمّ إن تهلك هذه العصابة لم تعبد، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد، فلمّا سمعت الأنصار نداء العبّاس عطفوا وكسروا جفون سيوفهم، وهم يقولون: لبيك، ومرّوا برسول الله ﷺ واستحيُوا أن يرجعوا إليه ولحقوا بالرّاية، فقال رسول الله ﷺ للعباس: من هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقال: يا رسول الله هؤلاء الأنصار، فقال رسول الله ﷺ الآن حمى الوطيس[١] ونزل النّصر من الله وانهزمت الهوزان وكانوا يسمعون قعقعة السّلاح من[٢] الجوّ، وانهزموا في كلّ وجه، وغنم الله ورسوله أموالهم ونساءهم وذراريهم، وهو قول الله: «ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين»، قال: وقال رجل من بني نضر بن معاوية يقال له: شجرة بن ربيعة للمؤمنين وهو أسير في أيديهم: أين الخيل والبلق[٣]، والرّجال عليهم الثّياب البيض فإنّما كان قتلنا بأيديهم، وما كنّا نراكم فيهم إلّا كهيئة الشّامة، قالوا: تلك الملائكة[٤].

وفي الكافي: عن الرّضا عليه السلام أنّه سئل ما السّكينة؟ فقال: ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان أطيب ريحاً من المسك، وهي التي أنزلها الله على رسوله بحنين فهزم المشركين[٥].

وعن الصادق عليه السلام: قال: قتل عليّ بن أبي طالب يوم حنين أربعين[٦].

---

١ ـ الوطيس: التنور وهو مثل في شدة الحر، كني به عن اشتداد الحرب. منه رحمه الله. وذكر الطريحي: الوطيس: التنور، وهو كناية عن شدّة الأمر واضطراب الحرب. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٢٣، مادة «وطس».

٢ ـ وفي نسخة: [في].

٣ ـ البلقة بالضم: سواد في بياض والبلق ـ بالتحريك ـ: مثل ذلك. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٤٠، مادة «بلق».

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٨.

٥ ـ الكافي: ج ٥، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧، ح ٣، باب ركوب البحر للتجارة.

٦ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٧٦، ح ٥٦٦.

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾: منهم بالتّوفيق للإسلام.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يتجاوز عنهم ويتفضّل عليهم، روي أنّ أُناساً منهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ وأسلموا، وقالوا: يا رسول الله أنت خير النّاس وأبرّهم، وقد سبي أهلونا وأولادنا وأُخذت أموالنا، وقد سبي يومئذ ستّة آلاف نفس وأُخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى، فقال: اختاروا إمّا سباياكم وإمّا أموالكم، فقالوا: ما كنّا نعدل بالأحساب شيئاً، فقام رسول الله ﷺ وقال: إنّ هؤلاء جاؤوا مسلمين وإنّا خيّرناهم بين الذّراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يردّه فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتّى نصيب شيئاً فلنطعيه مكانه، فقالوا: رضينا وسلّمنا، فقال: إنّي لا أدري لعلّ فيكم من لا يرضى، فمروا عرفائكم فليعرفوا إلينا فعرفوا[١] أنّهم قد رضوا[٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾: لخبث باطنهم.

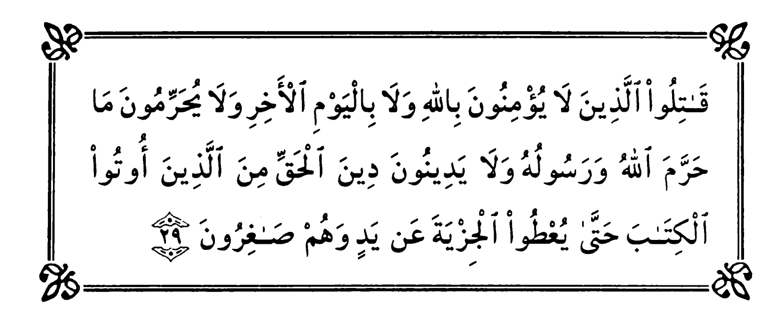
﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: فقراً بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والمنافع.

﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: من عطائه وتفضّله على وجه آخر.

---

١ ـ وفي نسخة: [فليرفعوا إلينا فرفعوا] كما في المصدر.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤١١.



﴿إِن شَآءَ﴾: قيل: قيّده بالمشيئة ليقطع الآمال إلى الله تعالى ولينبّه على أنّه متفضّل في ذلك، وأنّ الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض، وفي عام دون عام، وقد أنجز وعده بأن أرسل السّماء عليهم مدراراً، ووفّق طائفة من أهل اليمن للإسلام فحملوا الطّعام إلى مكّة، ثمّ فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجّه إليهم النّاس من أقطار الأرض[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾: بأحوالكم.

﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يعطي ويمنع.

﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾: يعني لا يؤمنون بهما على ما ينبغي فإنّ إيمانهم كلا إيمان.

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنّة.

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾: الثّابت الذي هو ناسخ سائر الأديان ومبطلها.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: بيان للّذين لا يؤمنون.

﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾: ما يقرر عليهم أن يعطوه، مِنْ جزى دينه، إذا قضاه.

﴿عَن يَدٍ﴾: مواتية غير ممتنعة.

﴿وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾: أذلّاء، يعني تؤخذ منهم على الصّغار والذّلّ. في الكافي[2]،

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤١١.

٢ ـ الكافي: ج ٥، ص ١١، ح ٢، باب وجوه الجهاد.

والتهذيب: عن الباقر عليه السلام بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف إلى أن قال: والسّيف الثّاني على أهل الذمّة، قال الله تعالى: «وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً»[١] نزلت هذه الآية في أهل الذمّة ثمّ نسخها قوله سبحانه «قَاتِلُواْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ ولَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ» الآية، فمن كان منهم في دار الإسلام فلم يقبل منهم إلّا الجزية أو القتل وما لهم فيء، وذراريهم سبي، فإذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم وحرمت أموالهم، وحلّت لنا مناكحتهم، ومن كان منهم في دار الحرب حلّ لنا سبيهم وأموالهم، ولم يحلّ لنا مناكحتهم ولم يقبل منهم إلّا الدخول في دار الإسلام أو الجزية أو القتل[٢].

والعيّاشي: ما يقرب منه[٣].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن المجوس أكان لهم نبي، فقال: نعم أما بلغك كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أهل مكّة أن أسلموا وإلّا فأذنوا بحرب فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن خذ منا الجزية ودعنا على[٤] عبادة الأوثان فكتب إليهم النّبي صلى الله عليه وآله إنّي لست آخذ الجزية إلّا من أهل الكتاب، فكتبوا إليه يريدون بذلك تكذيبه، زعمت أنّك لا تأخذ الجزية إلّا من أهل الكتاب، ثمّ أخذت الجزية من مجوس هَجَر[٥]، فكتب إليهم النّبي صلى الله عليه وآله إنّ المجوس كان لهم نبي فقتلوه، وكتاب أحرقوه أتاهم نبيّهم بكتابهم في اثني عشر ألف جلد ثور[٦].

---

١ ـ البقرة: ٨٣.

٢ ـ تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٣٦، ح ١، باب ٥٩ ـ باب أصناف من يجب جهاده.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٥، ح ٤٢.

٤ ـ وفي نسخة: [إلى].

٥ ـ هجر: بلاد باليمن، وقرية كانت قرب المدينة، واسم لجميع أرض البحرين، منه رحمه الله. وذكر الطريحي: وَهَجَر ـ محرّكة ـ: بلدة باليمن واسم لجميع أرض البحرين، وقرية كانت قرب المدينة تنسب إليها القلال، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٥١٧، مادة «هجر».

٦ ـ الكافي: ج ٣، ص ٥٦٧ ـ ٥٦٨، ح ٤، باب صدقة أهل الجزية.

وفيه[١]، وفي الفقيه[٢]، والتهذيب[٣]، والعلل: عنه عليه السلام إنّه سئل عن النّساء كيف سقطت الجزية ورفعت عنهنّ؟ فقال: لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن قتل النّساء والولدان في دار الحرب إلّا أن تقاتل، وإن قاتلت أيضاً فامسك عنها ما أمكنك ولم تخف خللاً، فلمّا نهى عن قتلهنّ في دار الحرب كان ذلك في دار الإسلام أولى، ولو امتنعت أن تؤدّي الجزية لم يمكن قتلها، فلمّا لم يمكن قتلها رفعت الجزية عنها، ولو امتنع الرجال وأبوا أن يؤدّوا الجزية كانوا ناقضين للعهد وحلّ دماؤهم وقتلهم لأنّ قتل الرجال مباح في دار الشرك، وكذلك المقعد من أهل الشّرك والذمّة والأعمى والشيخ الفاني والمرأة والولدان في أرض الحرب، ومن أجل ذلك رفعت عنهم الجزية[٤].

وفي الكافي[٥]، والفقيه: عنه عليه السلام جرت السنّة أن لا تؤخذ الجزية من المعتوه ولا من المغلوب على عقله[٦].

وفيهما[٧]، والعيّاشي[٨]، والقمّي: عنه عليه السلام أنّه سئل ما حدّ الجزية على أهل الكتاب؟

---

١ ـ الكافي: ج ٥، ص ٢٨ ـ ٢٩، ح ٦، باب وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا. وفيه «نهى عن قتل النساء... إلّا أن يقاتلوا».

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨، ح ١٠٢ / ٨، باب ١٠ ـ الخراج والجزية. وفيه «نهى عن قتل النساء... إلّا أن يقاتلن».

٣ ـ تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٥٦، ح ٢٧٧ / ١، باب ٧١ ـ علّة سقوط الجزية عن النساء. وفيه «نهى عن قتل النساء... إلّا أن يقاتلن».

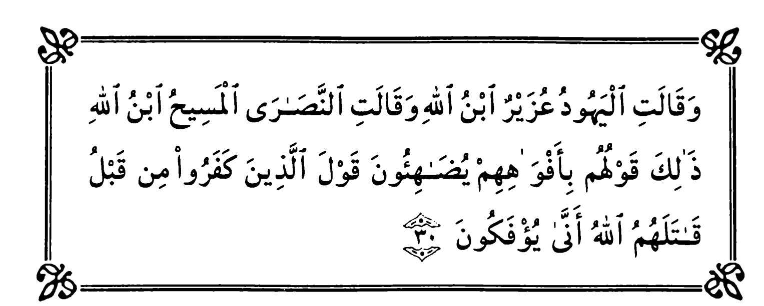
٤ ـ علل الشرائع: ص ٣٧٦، ح ١، باب ١٠٤ ـ العلّة التي من أجلها سقطت الجزية عن النساء والمقعد والأعمى والشيخ الفاني والولدان ورفعت عنهم.

٥ ـ الكافي: ج ٣، ص ٥٦٧، ح ٣، باب صدقة أهل الجزية.

٦ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨، ح ١٠١ / ٧، باب ١٠ ـ الخراج والجزية.

٧ ـ الكافي: ج ٣، ص ٥٦٦ ـ ٥٦٧، ح ١، باب صدقة أهل الجزية. ومن لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٧، ح ٩٨/ ٤، باب ١٠ ـ الخراج والجزية.

٨ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٥، ح ٤١.



وهل عليهم في ذلك شيء موظّف لا ينبغي أن يجوزوا إلى غيره؟ فقال: ذلك إلى الإمام يأخذ من كلّ إنسان منهم ما شاء على قدر ماله، وما يطيق إنّما هم قوم فدوا أنفسهم من أن يستعبدوا أو يقتلوا فالجزية تؤخذ منهم على قدر ما يطيقون له أن يأخذهم به حتّى يسلموا فإنّ الله تبارك وتعالى قال: «حَتّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ» وكيف يكون صاغراً وهو لا يكترث[1] لما يؤخذ منه، لا حتّى يجد ذلّاً لما اُخذ منه فيألم بذلك فيسلم[2].

وفيهما: عن الباقر عليه السلام في أهل الجزية أيؤخذ من أموالهم ومواشيهم شيء سوى الجزية؟ قال: لا[3].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾: إنّما قال ذلك بعضهم ولم يقله كلّهم، في الإحتجاج: عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّه طالبهم فيه بالحجّة، فقالوا: لأنّه أحيى لبني إسرائيل التوراة بعدما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلّا لأنّه ابنه، فقال صلى الله عليه وآله: كيف صار عزير بن الله دون موسى؟ وهو الّذي جاءهم بالتّوراة ورأوا منه من المعجزات ما قد علمتم، فإن كان

---

١ ـ لا يكترث لهذا الأمر: أي لا يعبأ به ولا يباليه، ولا يستعمل إلّا في النفي. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٦٢، مادة «كرث».

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

٣ ـ الكافي: ج ٣، ص ٥٦٨، ح ٧، باب صدقة أهل الجزية، ومن لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨، ح ٩٩/ ٥، باب ١٠ ـ الخراج والجزية.

عزير ابن الله لما ظهر من إكرامه من إحياء التّوراة، فلقد كان موسى بالبنوّة أحق وأولى[١]، الحديث.

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾: وهو أيضاً قول بعضهم، وفي الإحتجاج: عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّه طالبهم بالحجّة فقالوا: إنّ الله لمّا أظهر على يد عيسى عليه السلام من الأشياء العجيبة ما أظهر فقد اتخذه ولداً على جهة الكرامة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: فقد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الّذي ذكرتموه ثم أعاد ذلك كلّه فسكتوا[٢]، الحديث.

﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: اخترعوه بأفواههم لم يأتهم به كتاب ومالهم به من حجّة.

﴿يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: يضاهي قولهم قول الّذين كفروا.

﴿مِن قَبْلُ﴾: كالقائلين بأنّ الملائكة بنات الله.

﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾: في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث أي لعنهم الله فسمّى اللّعنة قتالاً[٣].

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يصرفون عن الحقّ، في المجالس[٤]، والعيّاشي: عن النّبي صلى الله عليه وآله قال: اشتدّ غضب الله على اليهود حين قالوا: عزير ابن الله، واشتدّ غضب الله على النّصارى حين قالوا: المسيح ابن الله، واشتدّ غضب الله على من أراق دمي وآذاني في عترتي[٥].

---

١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ١٧، في ذكر طرف ممّا جاء عن النّبي صلى الله عليه وآله من الجدال والمحاجّة والمناظرة، وما يجري مجرى ذلك، مع من خالف الإسلام وغيرهم.

٢ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ١٨ ـ ١٩، في ذكر طرف ممّا جاء عن النّبي صلى الله عليه وآله من الجدال والمحاجّة والمناظرة، وما يجري مجرى ذلك، مع من خالف الإسلام وغيرهم.

٣ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٢، سطر ١٧، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٤ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٧٧٧، ح ٧، المجلس الحادي والسبعون.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٦، ح ٤٣.

ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ ٱللهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهاً وَٰحِداً لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ ٱللهِ﴾: بأن أطاعوهم في تحريم ما أحلّ الله، وتحليل ما حرّم الله، وفي الكافي[١]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون[٢]. وفي معناه أخبار كثيرة[٣].

﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: بأن أهلّوه للعبادة، القمّي عن الباقر عليه السلام أمّا المسيح فعصوه وعظّموه في أنفسهم حتّى زعموا أنّه إله، وأنّه ابن الله، وطائفة منهم قالوا: ثالث ثلاثة، وطائفة منهم قالوا: هو الله، وأمّا أحبارهم ورهبانهم فإنّهم أطاعوهم وأخذوا بقولهم واتّبعوا ما أمروهم به ودانوا بما دعوهم إليه فاتّخذوهم أرباباً بطاعتهم لهم، وتركهم أمر الله وكتبه ورسله فنبذوه وراء ظهورهم، قال: وإنّما ذكر هذا في كتابنا لكي نتعّظ بهم[٤].

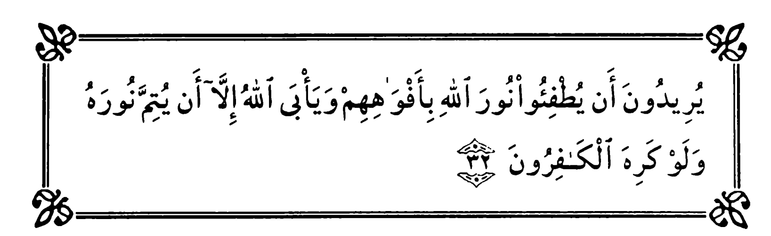
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ﴾: ليطيعوا.

﴿إِلَـٰهاً وَٰحِداً﴾: وهو الله تعالى، وأمّا طاعة الرّسل وأوصيائهم صلوات الله عليهم فهي في الحقيقة طاعته[٥] لأنّهم عن الله يأمرون وينهون.

﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزيه له عن الإشراك.

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٩٨، ح ٧، باب الشرك.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٧، ح ٤٨.
٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٦ ـ ٨٧، ح ٤٥و ٤٧و ٤٩.
٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٩.
٥ ـ وفي نسخة: [طاعة الله].



﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ﴾: يخمدوا.

﴿نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بشركهم وتكذيبهم.

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾: بإعلاء التّوحيد واعزاز الإسلام.

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾: مثّل الله سبحانه حالهم في طلبهم ابطال نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله، وولاية علي عليه السلام بالتّكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم يريد الله أن يبلغه الغاية القصوى من الإضاءة والإنارة ليطفأه بنفخه.

في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية يعني أنّهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله الله ليلبسوا على الخليقة[1] فأعمى الله قلوبهم حتى تركوا فيه ما دلّ على ما أحدثوه فيه وحرفوا منه[2].

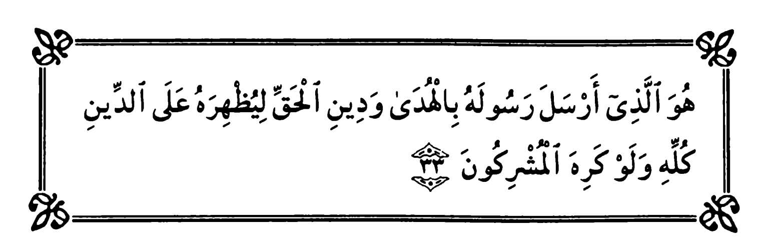
وعنه عليه السلام: وجعل أهل الكتاب القيمين به والعالمين بظاهره وباطنه من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السّماء تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربّها، أي: يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت، بعد الوقت وجعل أعداءها أهل الشّجرة الملعونة الّذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم، فأبى الله إلّا أن يتمّ نوره[3].

---

١ ـ الخليقة: الطبيعة، والجمع الخلائق. وفي حديث الخوارج هم شر الخلق والخليقة. قال بعض الشارحين: الخلق الناس. والخليقة: البهائم. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٥٨، مادة «خلق». وقال الجوهري: الخليقة: الخلق والجمع الخلائق. يقال: هم خليقة الله أيضاً وهو في الأصل مصدر. الصحاح: ج ٤، ص ١٤٧١، مادة «خلق».

٢ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧١، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة. وفيه «جعل أهل الكتاب المقيمين به».

٣ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٦، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.



وفي الإكمال: عن الصّادق عليه السلام وقد ذكر شقّ فرعون بطون الحوامل في طلب موسى عليه السلام كذلك بنو أُميّة وبنو العبّاس لمّا أن وقفوا على أنّ زوال ملك الأُمراء والجبابرة منهم على يد القائم عليه السلام ناصبون العداوة، ووضعوا سيوفهم في قتل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم عليه السلام فأبى الله أن يكشف أمره لواحد من الظّلمة إلّا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون[1].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: ليظهر دين الحقّ على سائر الأديان.

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾: القمّي: نزلت في القائم من آل محمّد عليه وعليهم السلام، وقال: وهو الذي ذكرناه ممّا تأويله بعد تنزيله[2].

وفي الإكمال: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتّى يخرج القائم عليه السلام، فإذا خرج القائم عليه السلام لم يبق كافر بالله العظيم، ولا مشرك بالإمام إلّا كره خروجه حتّى لو كان كافراً أو مشركاً في بطن صخرة لقالت يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله[3].

وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام في هذه الآية هو الّذي أمر رسوله صلى الله عليه وآله بالولاية لوصيّه،

---

١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٣٥٤، ح ٥٠، باب ٣٣، ما روي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام من النص على القائم عليه السلام وذكر غيبته وأنّه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٩.

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٦٧٠، ح ١٦، باب ٥٨ ـ نوادر الكتاب.

والولاية: هي دين الحقّ ليظهره على جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام، والله متم ولاية القائم ولو كره الكافرون[١] بولاية علي عليه السلام، قيل: هذا تنزيل؟ قال: نعم هذا الحرف تنزيل وأمّا غيره فتأويل[٢].

وفيه: في حديث مناجاة موسى عليه السلام ربّه وقد ذكر الله محمّداً صلى الله عليه وآله، قال: فتمّت كلماتي لأظهرن دينه على الأديان كلّها ولأعبدنّ بكلّ مكان[٣].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام وغاب صاحب هذا الأمر بايضاح الغدر له في ذلك لإشتمال الفتنة على القلوب حتّى يكون أقرب النّاس إليه أشدّهم عداوةً، وعند ذلك يؤيّده الله بجنود لم تروها ويظهر دين نبيّه على يديه على الدّين كلّه ولو كره المشركون[٤].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية إنّ ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمّد عليه وعليهم صلوات الله، فلا يبقى أحد إلّا أقرّ بمحمّد صلى الله عليه وآله[٥].

والعيّاشي: عنه عليه السلام ما في معناه قال[٦].

وفي خبر آخر قال: ليظهره الله في الرّجعة[٧].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: أَظَهَرَ ذلك بعد؟ قالوا: نعم، قال: كلّا فوالّذي نفسي بيده حتّى لا تبقى قرية إلّا ونودي فيها بشهادة أن لا إله إلّا الله، ومحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله بكرةً وعشيّاً[٨].

---

١ ـ قيل: هو كالبيان لما قبله، عبّر تارة عنهم بالكافرين وأُخرى بالمشركين تنبيهاً على أنّهم ضمّوا بالكفر الشرك. ويؤيده تبديل الكافرين بالمشركين في حديث الإكمال السابق. منه رحمه الله.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٣٢، ح ٩١، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ٤٤، ذيل ح ٨، حديث موسى عليه السلام.

٤ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٨٢، سطر ١٢، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق في آي متشابهة.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٥.

٦ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٧، ح ٥٠.

٧ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٧، ح ٥١.

٨ ـ بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٦٠، ح ٥٩، باب ٥ ـ الآيات المأوّلة بقيام القائم عليه السلام. وفيه: «إلّا ونودي فيها».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَ ٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾

وعن الصّادق عليه السلام في هذه الآية قال: إذا خرج القائم عليه السلام لم يبق مشرك بالله العظيم، ولا كافر إلّا كره خروجه[1].

وفي المجمع: عن مقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلّا أدخله الله الإسلام إمّا بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل، إمّا يعزّهم فيجعلهم الله من أهله فيعزّوا به، وإمّا يذلّهم فيدينون له[2].

وفي الإكمال[3]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام القائم منّا منصور بالرّعب، مؤيّد بالنّصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله به دينه على الدين كلّه، فلا يبقى في الأرض خراب إلّا عمّر، وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه[4]، الحديث.

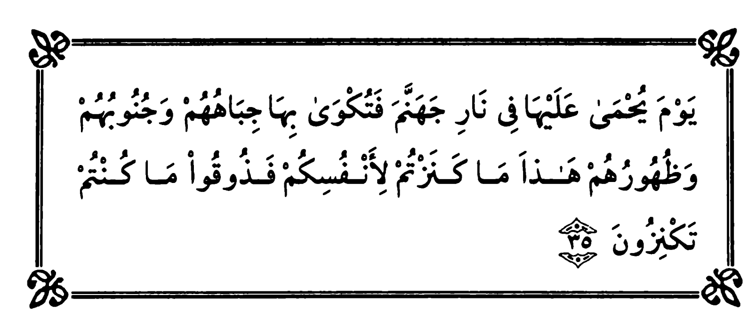
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَ ٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾: يأخذونها من الحرام بالرّشا في الأحكام، وتخفيف الشرائع للعوام.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن دينه.

١ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٧، ح ٥٢. ٢ـ مجمع البيان: ج ٥ـ٦، ص ٢٥.

٣ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٣٣٠ ـ ٣٣١، ح ١٦، باب ٣٢ ـ ما أخبر به أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام من وقوع الغيبة بالقائم عليه السلام، وأنّه الثاني عشر من الأئمّة.

٤ـ لم نعثر عليه.


يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: قيّد الكنز بعدم الإنفاق لئلّا يعمّ من جمع للإنفاق أو بعد إخراج الحقوق.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: وهو الكيّ بها.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾: يوقد النّار ذات حمى شديدة على الكنوز.

﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا﴾: بتلك الكنوز المحماة.

﴿جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾: قيل: إنّما خصّت هذه الأعضاء لأنّهم لم يطلبوا بترك الإنفاق إلّا الأغراض الدنيويّة من وجاهة عند النّاس، وأن يكون ماء وجوههم مصوناً، ومن أكل الطيّبات يتضلّعون[1] منها، ومن لبس ثياب ناعمة يطرحونها على ظهورهم، أو لأنّهم يعبسون وجوههم للفقير، إذا دار[2] يولّونه جنوبهم، وإذا دار أعطوه ظهورهم[3].

أو أنّ الجباه كناية عن مقاديم البدن، والجنوب عن طرفيه، والظهور عن المآخير، يعني به أنّ الكيّ يستوعب البدن كله.

﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾: يعني يقال لهم: هذا ما كنزتم.

---

١ ـ تضلّع الرجل: امتلأ شبعاً وريّاً. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٦٦، مادة «ضلع».

٢ ـ وفي نسخة: [إذا رأوه].

٣ ـ قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج ٢، ص ٥٢، باختلاف يسير.

﴿لِأَنْفُسِكُمْ﴾: لانتفاع أنفسكم، وكان سبب تعذيبها.

﴿فَذُوقُواْ مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾: يعني وباله. القمّي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية إنّ الله حرّم كنز الذّهب والفضّة، وأمر بإنفاقه في سبيل الله، قال: كان أبو ذر الغفاري يغدو كلّ يوم وهو بالشّام فينادي بأعلى صوته بشّر أهل الكنوز بكيّ في الجباه، وكيّ في الجنوب، وكيّ في الظّهور أبداً حتّى يتردّد الحر في أجوافهم[١].

وفي المجمع: عن النّبي صلى الله عليه وآله لمّا نزلت هذه الآية قال: تبّاً للذهب تبّاً للفضّة يكرّرها ثلاثاً، فشقّ ذلك على أصحابه فسأله عمر أيّ المال نتّخذ؟ فقال: لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه[٢].

وفي الخصال: عنه عليه السلام الدّينار والدّرهم أهلكا من كان قبلكم، وهما مهلكاكم[٣].

والقمّي: في حديث قد سبق في سورة البقرة نظر عثمان بن عفّان إلى كعب الأحبار فقال له: يا أبا إسحاق ما تقول في رجل أدّى زكاة ماله المفروضة، هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيء؟ فقال: لا ولو اتّخذ لبنة من ذهب ولبناً من فضّة ما وجب عليه شيء، فرفع أبو ذرّ عصاه فضرب بها رأس كعب، ثمّ قال له: يا ابن اليهوديّة الكافرة ما أنت والنّظر في أحكام المسلمين؟ قول الله أصدق من قولك حيث قال: «والذين يكنزون الذهب والفضّة»، الآية[٤].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام ما زاد على أربعة آلاف فهو كنز أدّى زكاته أو لم يؤدّ، وما دونها فهي نفقة[٥].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية؟ فقال: إنّما عنى بذلك ما جاوز

١ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨٩. ٢ـ مجمع البيان: ج ٥ـ٦، ص ٢٦.

٣ـ الخصال: ص ٤٣، ح ٣٧، باب الإثنين ـ الدينار والدرهم مهلكان.

٤ـ تفسير القمّي ج ١، ص ٥٢. ٥ـ مجمع البيان: ج ٥ـ٦، ص ٢٦.

ألفي درهم[١].

وفي الأمالي: لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: كلّ مال تؤدّي زكاته فليس بكنز، وإن كان تحت سبع أرضين، وكلّ مال لا تؤدّى زكاته فهو كنز وإن كان فوق الأرض[٢].

وفي الكافي[٣]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام موسّع على شيعتنا أن ينفقوا ممّا في أيديهم بالمعروف، فإذا قام قائمنا حرم على كلّ ذي كنز كنزه حتّى يأتيه به فيستعين به على عدوّه، وهو قول الله: «والّذين يكنزون الذهب والفضّة» الآية[٤].

أقول: لعلّ التوفيق بين هذه الأخبار أن يقال: بجواز الجمع لغرض صحيح إلى ألفي درهم أو إلى أربعة آلاف بعد إخراج الحقوق، ومن جملة الحقوق حق الإمام عليه السلام إذا كان ظاهراً وهو ما زاد على ما يكفّ عن صاحبه.

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل في كم تجب الزكاة من المال؟ فقال: الزكاة الظاهرة أم الباطنة تريد؟ فقيل: أُريدهما جميعاً، فقال: أمّا الظّاهرة ففي كلّ ألف خمسة وعشرون، وأمّا الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك[٥].

وعنه عليه السلام إنّما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجّهوها حيث وجّهها الله تعالى ولم يعطكموها لتكنزوها[٦].

وفي التّهذيب: عنه عليه السلام ما أعطى الله عبداً ثلاثين ألفاً وهو يريد به خيراً، وقال: ما جمع رجل قطّ عشرة آلاف درهم من حلّ وقد يجمعها لأقوام إذا أعطى القوت ورزق العمل

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٧، ح ٥٣.

٢ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٥١٩، ح ١١٤٢/ ٤٩، المجلس الثامن عشر.

٣ ـ الكافي: ج ٤، ص ٦١، ح ٤، باب النوادر.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٨٧، ح ٥٤.

٥ ـ الكافي: ج ٣، ص ٥٠٠، ح ١٣، باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق.

٦ ـ الكافي: ج ٤، ص ٣٢، ح ٥، باب وضع المعروف موضعه.

إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

فقد جمع الله له الدّنيا والآخرة[1].

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾: فيما كتبه وأثبته عنده ورآه حكمة وصواباً.

﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: منذ خلق الأجسام، والأزمنة.

﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: يحرم فيها القتال، ثلاثة سرد[2] وهي ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم وواحد فرد وهو رجب.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم[3].

﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾: بهتك حرمتها وارتكاب حرامها.

﴿وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول جميعاً[4].

﴿كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: بشارة وضمان لهم بالنّصرة إن اتّقوا الله.

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٣٢٨، ح ٩٠٧ / ٢٨، باب ٩٣ ـ المكاسب.

٢ ـ السرد: تتابع بعض حلق الدرع إلى بعض، يقال: سرد فلان الصوم إذا ولاه، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٦٨، مادة «سرد».

٣ ـ وفي نسخة: [القيّم].

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٠.

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِئُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾: تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر، كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلّوه وحرّموا مكانه شهراً آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرّد العدد، وقرئ النّسيّ بقلب الهمزة ياءً والإدغام، والنّسي كالرّمي، ونسبه في المجمع إلى الباقر عليه السلام[١]. وفي الجوامع: إلى الصّادق عليه السلام[٢].

﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾: لأنّه تحريم ما أحلّ الله، وتحليل ما حرّمه الله، فهو كفر آخر ضمّوه إلى كفرهم.

﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: ضلالاً زائداً، وقرئ يُضَلُّ عَلى البناء للمفعول.

﴿يُحِلُّونَهُ عَاماً﴾: يحلّون النسيء من الأشهر الحرم سنة، ويحرّمون مكانه شهراً آخر.

﴿وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً﴾: فيتركونه على حرمته.

القمّي: كان سبب نزولها إنّ رجلاً من كنانة كان يقف في المواسم فيقول[٣]: قد أحللت دماء المحلّين طي، وخثعم[٤] في شهر المحرّم وأنسأته وحرّمت بدله صفراً، فإذا كان العام المقبل يقول: قد أحللت صفراً وأنسأته وحرّمت بدله شهر المحرّم، فأنزل الله «إنّما

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٢٨. وفيه عن الصادق عليه السلام، فما ذكره قدس سره عن الباقر ليس بصحيح.

٢ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٥٤.

٣ ـ وفي نسخة: [الموسم] كما في المصدر.

٤ ـ خثعم: أبو قبيلة، وهو خثعم بن أنمار من اليمن، ويقال: هم من مَعَد، وصاروا باليمن. الصحاح: ج ٥، ص ١٩٠٩، مادة «خثعم»، وذكره الطريحي نقلاً عن الجوهري: مجمع البحرين: ج ٦، ص ٥٥.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾

النّسيء» الآية[1].

وقيل: أوّل من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي إنّ آلهتكم أحلّت لكم المحرّم فأحلّوه، ثمّ ينادي في القابل إنّ آلهتكم قد حرّمت عليكم المحرّم فحرّموه[2].

﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: ليوافقوا عدّة الأربعة المحرّم.

﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: فيحلّوا بمواطاة العدّة وحدها ما حرّم الله من القتال.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ﴾: خذلهم الله حتّى حسبوا قبيح أعمالهم حسناً.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: لعدم قبولهم الإهتداء.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: تباطأتم مخلّدين[3] إلى أرضكم والإقامة بدياركم، في الجوامع: كان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطّائف استنفروا في وقت قحط وقيظ[4] مع بُعد

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٩٠.　　　٢ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤١٥.

٣ ـ أخلد: أي مال وركن إلى الدنيا وشهواتها واتبع هواه في إيثار الدنيا، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٤، مادة «خلد».

٤ ـ القيظ: صميم الصيف، وقاظ يوماً: اشتد حره، مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٩٠، مادة «قيظ».

الشقّة[١] وكثرة العدوّ فشقّ ذلك عليهم[٢].

والقمّي: وذلك أنّ رسول الله ﷺ لم يسافر سفراً أبعد ولا أشدّ منه، وكان سبب ذلك أنّ الصّيّافة[٣] كانوا يقدمون المدينة من الشّام معهم الدرموك[٤] والطّعام وهم الأنباط[٥] فأشاعوا بالمدينة أنّ الرّوم قد اجتمعوا يريدون غزو رسول الله ﷺ في عسكر عظيم وأنّ هرقل[٦] قد سار في جنوده، وجلب معهم غسّان[٧]، وجذام[٨]، وبهراء[٩]، وعاملة[١٠]، وقد قدم عساكره البلقاء[١١]، ونزل هو حمص[١٢]، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه ليتهيّؤوا[١٣] إلى تبوك، وهي من بلاد البلقاء، وبعث إلى القبائل حوله وإلى مكّة

---

١ ـ الشقة ـ بالضمّ والكسر ـ: البعد، والناحية يقصدها المسافر، والسفر البعيد، مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٩٤، مادة «شقق».

٢ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٥٥.

٣ ـ صائفة القوم: ميرتهم في الصيف، والصائفة: غزوة الروم لأنّهم يغزون صيفاً لمكان البرد والثلج. الصحاح: ج ٤، ص ١٣٨٩، مادة «صيف».

٤ ـ الدَرمك: دقيق الحواري، الصحاح: ج ٤، ص ١٥٨٣، مادة «درمك».

٥ ـ النبط والنبيط: قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين، والجمع أنباط. يقال: رجل نبطي ونباطي ونباط مثل يمني ويماني ويمان، الصحاح: ج ٣، ص ١١٦٢، مادة «نبط».

٦ ـ هِرَقِلُ: ملك الروم، على وزن خندف، ويقال أيضاً: هِرَقْلُ، على وزن دِمَشْق. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٤٩.

٧ ـ غسان: اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه، منهم بنو جفنة رهط الملوك. غسان اسم قبيلة، الصحاح: ج ٦، ص ٢١٧٤، مادة «غسن».

٨ ـ جُذَام: قبيلة من اليمن نزل بجبال حِسْمَي. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٨٤، مادة «جزم».

٩ ـ بهراء: قبيلة من قضاعة، والنسبة إليهم بهراني مثال بحراني، الصحاح: ج ٢، ص ٥٩٨، مادة «بهر».

١٠ ـ عاملة: حي من اليمن، وهو عاملة بن سبأ ويزعم نساب مُضَرَ أنّهم من ولد قاسط، الصحاح: ج ٥، ص ١٧٧٥، مادة «عمل».

١١ ـ البلقاء: مدينة بالشام، الصحاح: ج ٤، ص ١٤٥١، مادة «بلق».

١٢ ـ حمص: بلد، يذكر ويؤنث، الصحاح: ج ٣، ص ١٠٣٤، مادة «حمص».

١٣ ـ وفي نسخة: [بالتهيّؤ] كما في المصدر.

﴿إِلَّا تَنْفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٣٩﴾

وإلى من أسلم من خزاعة[١] ومزينة[٢] وجهينة[٣] وحثّهم على الجهاد، وأمر رسول الله بعسكره فضرب في ثنية الوداع، وأمر أهل الجِدة أن يعينوا من لا قوّة به، ومن كان عنده شيء أخرجه وحمّلوا وقوراً[٤] وحثّوا على ذلك، ثمّ خطب خطبة ورغّب الناس في الجهاد، قال: وقدمت القبائل من العرب ممّن استنفرهم وقعد عنه قوم من المنافقين وغيرهم[٥].

أقول: وسنذكر بقايا هذه القصّة متفرّقة عند تفسير الآيات الآتية إلى آخر السّورة.

﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾: وغرورها.

﴿مِنَ الْأَخِرَةِ﴾: بدل الآخرة ونعيمها.

﴿فَمَا مَتَـٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِي الْأَخِرَةِ﴾: في جنب الآخرة.

﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾: مستحقر.

﴿إِلَّا تَنْفِرُواْ﴾: إلى ما استنفرتم إليه.

﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾: خيراً منكم، وأطوع.

---

١ ـ خزاعة: هي من الأزد، سموا ذلك لأنّ الأزد لمّا خرجت من مكة لتتفرق في البلاد تخلّفت عنهم خزاعة وأقامت بها. الصحاح: ج ٣، ص ١٢٠٣.

٢ ـ مُزَيْنَة: قبيلة من مضر، وهو مُزينة بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مُضر والنسبة إليهم مزني. الصحاح: ج ٦، ص ٢٢٠٤، مادة «مزن».

٣ ـ جهينة: قبيلة. الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٩٦ والقاموس المحيط: ج ٤، ص ٢١١، مادة «جهن».

٤ ـ الوِقر ـ بالكسر ـ: الحِمْلُ. يقال جاء يحمل وِقره. قد أوقر بعيره، وأكثر ما يستعمل الوِقر في حِمْل البغل والحمار، والوسق في حمل البعير. الصحاح: ج ٢، ص ٨٤٨، مادة «وقر».

٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٠.

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً﴾: إذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئاً فإنّه الغنّي عن كلّ شيء وعن كلّ أمر، أو لا تضرّوا النّبي شيئاً لأنّ الله وعده أن ينصره ويعصمه من النّاس، ووعده الله كائن لا محالة.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب والنّصرة بلا عدد.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾: إن تركتم نصرته فسينصره الله كما نصره.

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾: لم يكن معه إلّا رجل واحد.

﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾: غار ثور، وهو جبل في يمين مكّة على مسيرة ساعة.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ﴾: وهو أبو بكر.

﴿لَا تَحْزَنْ﴾: لا تخف.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾: بالعصمة والمعونة. في الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أقبل يقول لأبي بكر في الغار: اسكن فإنّ الله معنا وقد أخذته الرّعدة وهو لا يسكن، فلمّا رآى رسول الله صلى الله عليه وآله حاله قال له: تريد أن أُريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدثون. وأُريك جعفر وأصحابه في البحر يغوصون، قال: نعم فمسح رسول الله صلى الله عليه وآله بيده على وجهه فنظر إلى الأنصار يتحدّثون، ونظر إلى جعفر وأصحابه في البحر يغوصون،

فأضمر تلك السّاعة أنّه ساحر[١].

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: أمنته الّتي تسكن إليها القلوب.

﴿عَلَيْهِ﴾: في الكافي: عن الرّضا عليه السلام أنّه قرأها «على رسوله» قيل له: هكذا، قال: هكذا نقرؤها، وهكذا تنزيلها[٢].

والعيّاشي: عنه عليه السلام إنّهم يحتجّون علينا بقول الله تعالى: «ثاني اثنين إذ هما في الغار» وما هم في ذلك من حجّة، فوالله لقد قال الله: «فأنزل الله سكينته على رسوله» وما ذكره فيها بخير، قيل: هكذا تقرؤنها؟ قال: هكذا قرأتها[٣].

وعن الباقر عليه السلام: «فأنزل الله سكينته على رسوله»، قال: ألا ترى أنّ السكينة إنّما نزلت على رسوله صلى الله عليه وآله[٤].

وفي الجوامع: نسب القراءة إلى الصّادق عليه السلام أيضاً[٥].

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾: يعني الملائكة، قد سبق فيه كلام في تفسير: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ»[٦] من[٧] سورة الأنفال.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ﴾: العيّاشي: عن الباقر عليه السلام، وهو الكلام الّذي يتكلّم به عتيق[٨]. والقمّي: ما في معناه[٩].

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾: القمّي: هو قول رسول الله صلى الله عليه وآله[١٠].

وقيل: هي التوحيد أو دعوة الإسلام[١١].

أقول: المستفاد ممّا سبق في سورة الأنفال إنّ كلمتهم: ما كانوا يمكرون به من إثباته أو

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٦٢، ح ٣٧٧.
٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٧٨، ح ٥٧١.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٨٨ ـ ٨٩، ح ٥٨.
٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٩، ذيل حديث ٥٨.
٥ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٥٦.
٦ ـ الأنفال: ٣٠.
٧ ـ وفي نسخة: [في].
٨ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٨ ـ ٨٩، ح ٥٨.
٩ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٠.
١٠ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٠.
١١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤١٦.

ٱنفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾

قتله أو إخراجه وكلمة الله: نصره وغلبته عليهم.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: في أمره وتدبيره.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً﴾: القمّي قال: شبّاناً وشيوخاً، يعني إلى غزوة تبوك[1].

﴿وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: بما تيسّر لكم منهما.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً﴾: أي لو كان ما دعوا إليه نفعاً دنيويّاً قريباً سهل المأخذ. القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول: غنيمة قريبة[2].

﴿وَسَفَراً قَاصِداً﴾: متوسّطاً.

﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾: لوافقوك.

﴿وَلَـٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾: المسافة التي تقطع بمشقّة. القمّي: يعني إلى تبوك[3].

وفي التّوحيد[4]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام كان في علم الله لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لفعلوا[5].

---

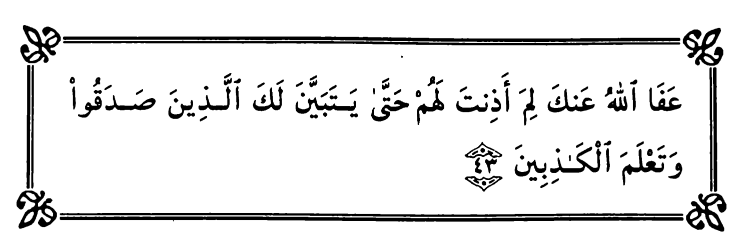
١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٩٠.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٩٠.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٠.

٤ ـ التوحيد: ص ٣٥١، ح ١٥، باب ٥٦ ـ الإستطاعة.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٨٩، ح ٥٩.



﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ﴾: أي المتخلّفون إذا رجعت من تبوك معتذرين.

﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾: يقولون لو كان لنا استطاعة العدّة أو البدن.

﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾: وهذا إخبار بما سيقع قبل وقوعه.

﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: بإيقاعها في العذاب.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: في التّوحيد: عن الصّادق عليه السلام كذّبهم الله في قولهم: «لو استطعنا لخرجنا معكم» وقد كانوا مستطيعين للخروج(١).

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾: في القعود حين استأذنوك واعتلّوا بالأكاذيب وهلّا توقّفت.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾: في الإعتذار.

﴿وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام يقول لتعرف أهل الغدر والّذين جلسوا بغير عذر(٢).

في الجوامع: وهذا من لطيف المعاتبة بدأ بالعفو قبل العتاب، ويجوز العتاب من الله فيما غيره أولى سيّما(٣) للأنبياء، وليس كما قال جار الله: من أنّه كناية عن الجناية، وحاشا سيّد الأنبياء وخير بني حوّاء من أن ينسب إليه الجناية(٤).

وفي العيون: عن الرضّا (عليه الصلاة والسّلام) في جواب ما سأله المأمون من عصمة

١ـ التوحيد: ص ٣٥١، ح ١٦، باب ٥٦ـ الإستطاعة.

٢ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٤.

٣ـ وفي نسخة: [لا سيّما].

٤ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٥٧ ـ ٥٨.

لَا يَسْتَئْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللهُ عَلِيمُ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾

الأنبياء: هذا ممّا نزل بايّاك أعني واسمعي يا جارة خاطب الله تعالى بذلك نبيّه وأراد به أُمّته[1].

﴿لَا يَسْتَئْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾: أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وأنّ الخلّص منهم مبادرون[2] إليه ولا يوقفونه على الإذن فيه، فضلاً عن أن يستأذنوك في التخلّف عنه، أو ليس من عادتهم أن يستأذنوك في التخلّف كراهة أن يجاهدوا.

﴿وَٱللهُ عَلِيمُ بِالْمُتَّقِينَ﴾: شهادة لهم بالتّقوى وعدة لهم بثوابه.

﴿إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ﴾: في التخلّف.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: يتحيّرون، في الخصال: عن أمير المؤمنين عليه السلام من تردّد في الريب سبقه الأوّلون، وأدركه الآخرون، ووطأته سنابك الشّياطين[3].

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٠٢، سطر ١٤، ح ١، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٢ ـ وفي نسخة: [يتبادرون].

٣ ـ الخصال: ص ٢٣٣، ح ٧٤، باب ٤ ـ الأشياء التي كل واحدة منها على أربعة. وفيه «قطعته سنابك الشياطين».

وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ﴾: للخروج.

﴿عُدَّةً﴾: اهبة، العيّاشي: مضمراً يعني بالعدّة: النيّة، يقول: لو كان لهم نيّة لخرجوا[1].

﴿وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾: نهوضهم للخروج إلى الغزو لعلمه بأنّهم لو خرجوا لكانوا يمشون بالنّميمة بين المسلمين.

﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: بطّأهم، وجبّنهم، وكسّلهم، وخذّلهم.

﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾: مع النّساء والصّبيان وهو إذن رسول الله ﷺ لهم في القعود، وفي هذا دلالة على أنّ إذنه لم يكن قبيحاً، وإن كان الأولى أن لا يأذن لهم ليظهر للنّاس نفاقهم.

﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ﴾: بخروجهم.

﴿إِلَّا خَبَالًا﴾: فساداً وشرّاً.

﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَـٰلَكُمْ﴾: ولأسرعوا ركايبهم بينكم بالفساد، القمّي: أي لهربوا عنكم[2].

﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾: يريدون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم والرّعب في

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٩، ح ٦٠.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٤. وفيه: «يهربوا عنكم».

لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾

قلوبكم وإفساد نيّاتكم في غزوتكم.

﴿وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ﴾: أي عيون نمّامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم، أو فيكم قوم يسمعون قول المنافقين ويقبلونه ويطيعونهم، يريد من كان ضعيف الإيمان من المسلمين.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: المصرّين على الفساد، يعلم ضمائرهم وما يتأتّى منهم.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ﴾: تشتيت شملك، وتفريق أصحابك.

﴿مِن قَبْلُ﴾: قيل: يعني يوم أُحد[1]، وقيل: هي وقوفهم على الثّنيّة ليلة العقبة ليفتكوا به[2].

﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾: أي دبّروا لك الحيل والمكائد، واحتالوا في إبطال أمرك.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: وهو تأييدك ونصرك.

﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: وغلّب دينه، وعلّا أهله.

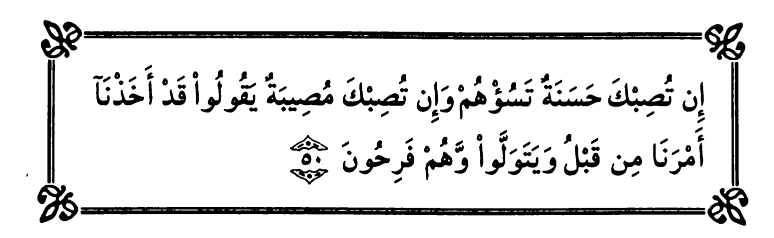
﴿وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾: أي على رغم منهم، والآيتان لتسلية الرّسول ﷺ والمؤمنين على تخلّفهم، وبيان ما ثبّطهم الله لأجله، وهتك أستارهم، وإزاحة إعتذارهم، تداركاً لما فات الرّسول بالمبادرة إلى الإذن.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى﴾: في القعود.

﴿وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾: ولا توقعني في الفتنة، أي العصيان والمخالفة بأن لا تأذن لي فإنّي إن

---

١ و ٢ ـ الكشاف: ج ٢، ص ٢٧٧، ومجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٣٦.



تخلّفت بغير إذنك أثمت، أو في الفتنة بنساء الروم، كما يأتي ذكره.

﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾: أي إنّ الفتنة هي التي سقطوا فيها، وهي فتنة التخلّف وظهور النّفاق.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: أي بهم لأنّ آثار إحاطتها بهم معهم فكأنّهم في وسطها، القمّي: لقي رسول الله ﷺ الجدّ بن قيس فقال له: يا أبا وهب ألا تنفر معنا في هذه الغزوة؟ لعلّك أن تحتفد من بنات الأصفر، فقال: يا رسول الله والله إنّ قومي ليعلمون أنّه ليس فيهم أحد أشدّ عجباً بالنّساء وأخاف إن خرجت معك أن لا أصبر إذا رأيت بنات الأصفر فلا تفتنّي، وإئذن لي أن أُقيم، وقال لجماعة من قومه: لا تخرجوا في الحرّ، فقال ابنه: تردّ على رسول الله ﷺ وتقول ما تقول، ثمّ تقول لقومك: لا تنفروا في الحرّ والله لينزلنّ الله في هذا قرآناً يقرؤه النّاس إلى يوم القيامة، فأنزل الله على رسوله ﷺ في ذلك: «وَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ إئْذَنْ لِي» الآية، ثمّ قال الجدّ بن قيس: أيطمع محمّد أنّ حرب الرّوم مثل حرب غيرهم لا يرجع من حرب هؤلاء أحدٌ أبداً[1].

﴿إِن تُصِبْكَ﴾: في بعض غزواتك.

﴿حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾: لفرط حسدهم.

﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾: تبجّحوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم في التخلّف.

﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾: مسرورون، القمّي: عن الباقر ﷺ أمّا الحسنة: فالغنيمة

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢. وفيه: «لعلك أن تستحفد».

قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾

والعافية، وأمّا المصيبة: فالبلاء والشدّة[1].

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾: ناصرنا ومتولّي أمرنا.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: لأنّ حقّ المؤمن أن لا يتوكّل إلّا على الله.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾: تنتظرون بنا.

﴿إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾: القمّي: يقول الغنيمة والجنّة[2].

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾: إحدى السّوئيين.

﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾: بقارعة من السّماء.

﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: وهو القتل على الكفر.

﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟﴾: ما هو عاقبتنا.

﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾: ما هو عاقبتكم، في نهج البلاغة[3]، وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام وكذلك المرء المسلم البريئ من الخيانة ينتظر إحدى الحسنيين إمّا داعي الله فما عند الله خير له، وإمّا رزق الله فإذا هو ذو أهل، ومال، ومعه دينه ونسبه[4][5].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام إلّا إحدى الحسنيين، قال: أمّا موت في طاعة الله أو إدراك

١ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٢.

٢ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٢.

٣ـ نهج البلاغة: ص ٦٤، الخطبة ٢٣.

٤ـ وفي نسخة: [وحسبه].

٥ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٧، ح ٦، س ١٤، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قُلْ أَنْفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

ظهور الإمام، ونحن نتربّص بهم مع ما نحن فيه من الشدّة أن يصيبهم الله بعذاب من عنده، قال: هو المسخ أو بأيدينا، وهو القتل، قل: تربصوا قال: التربّص: انتظار وقوع البلاء بأعدائهم[1].

﴿قُلْ أَنْفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾: أمر في معنى الخبر، أي لن يتقبّل منكم نفقاتكم، أنفقتم طائعين أو مكرهين.

﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَـٰسِقِينَ﴾: تعليل.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ﴾: وقرىء بالياء.

﴿مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ﴾: أي وما منعهم قبول نفقاتهم إلّا كفرهم، في الكافي: عن الصادق عليه السلام لا يضرّ مع الإيمان عمل، ولا ينفع مع الكفر عمل، ألا ترى أنّه تعالى قال: «وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ» صلى الله عليه وآله[2].

والعيّاشي ما في معناه[3].

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَىٰ﴾: متثاقلين.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾: لأنّهم لا يرجون بهما ثواباً ولا يخافون على

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٨٦، ح ٤٣١.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٦٤، ح ٣، باب إنّ الإيمان لا يضر معه سيئة والكفر لا ينفع معه حسَنة.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٨٩، ح ٦١.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

تركها عقاباً.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ﴾: فإنّ ذلك استدراج ووبال لهم، في المجمع: الخطاب للنّبي صلى الله عليه وآله والمراد: جميع المؤمنين، وقيل: الخطاب للسّامع[1].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بسبب ما يكابدون[2] لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشّدائد والمصائب وليشقّ عليهم إنفاقها في سبيل الله.

﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾: فيموتون كافرين مشتغلين بالتمتّع عن النّظر في العاقبة، وأصل الزّهوق الخروج بصعوبة.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾: لمن جملة المسلمين.

﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾: لكفر قلوبهم.

﴿وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾: يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين من القتل والأسر فيظهرون الإسلام تقيّة.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾: حصناً يلجأون إليه.

﴿أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾: غيراناً.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٣٩.

٢ ـ الكبد ـ بالتحريك ـ: الشدّة والمشقة، من المكابدة للشيء، وهي تحمل المشاق في شيء، مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٣٥، مادة «كبد».

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾

﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾: موضع دخول، القمّي: قال: موضعاً يلجأون[1] إليه[2].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام أسراباً في الأرض[3].

﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ﴾: لأقبلوا نحوه.

﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: أي يعرضون عنكم، يسرعون إسراعاً لا يردّهم شيء كالفرس الجموح.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾: يعيبك، وقرئ يلامزك.

﴿فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾: في قسمتها.

﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾: يعني إنّ رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدّين، في المجمع: عن الباقر عليه السلام بينا رسول الله صلى الله عليه وآله يقسّم قسماً إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التّميمي، وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل... الحديث إلى أن قال: فنزلت[4].

والقمّي: نزلت لمّا جاءت الصّدقات، وجاء الأغنياء وظنّوا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يقسّمها بينهم، فلمّا وضعها في الفقراء تغامزوا رسول الله صلى الله عليه وآله، ولمزوه، وقالوا: نحن الّذين نقوم في الحرب وننفر معه ونقوي أمره، ثم يدفع الصدقات إلى هؤلاء الّذين لا يعينونه ولا

---

١ ـ وفي نسخة: [يلتجؤون إليه] كما في المصدر. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٢٩٨.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٤٠.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٤٠. وفيه: «ابن أبي ذي الخويصرة التميمي».

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

يغنون عنه شيئاً[١].

وفي الكافي[٢]، والمجمع[٣]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّ أهل هذه الآية أكثر من ثلثي النّاس[٤].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: ما أعطاهم الرّسول صلى الله عليه وآله من الغنيمة أو الصّدقة، وذكر الله للتعظيم، والتّنبيه على أنّ ما فعله الرسول صلى الله عليه وآله كان بأمره.

﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾: كفانا فضله.

﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: صدقة أو غنيمة أُخرى.

﴿وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾: في أن يوسّع علينا من فضله، وجواب الشّرط محذوف تقديره لكان خيراً لهم.

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: الزكاة لهؤلاء المعدودين دون غيرهم.

١ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٨.

٢ـ الكافي: ج ٢، ص ٤١٢، ح ٤، باب المؤلفة قلوبهم.

٣ـ مجمع البيان: ج ٥ـ٦، ص ٤١.

٤ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٨٩ـ ٩٠، ح ٦٢.

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللهِ﴾: فرض لهم فريضة.

﴿وَٱللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: يضع الأشياء مواضعها، في الكافي[١]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام الفقير الّذي لا يسأل النّاس، والمسكين أجهد منه، والبائس أجهدهم[٢].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام الفقير: هو المتعفّف الّذي لا يسأل، والمسكين الّذي يسأل[٣].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام أنّه سئل من هم؟ فقال: الفقراء هم الّذين لا يسألون وعليهم مؤونات من عيالهم، والدّليل على أنّهم هم الّذين لا يسألون قول الله عزّ وجلّ في سورة البقرة: «لِلْفُقَرَاء ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِى الأَرض يَحْسَبُهُمْ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ ٱلتَّعَفُّف تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ ٱلنّاسَ إِلْحَافاً»[٤]، والمساكين هم أهل الزمانة من العميان، والعرجان، والجذمين[٥]، وجميع أصناف الزمنى من الرجال، والنّساء، والصّبيان، والعاملين عليها: هو السّعاة والجُباة في أخذها وجمعها وحفظها حتى يؤدّوها إلى من يقسّمها، والمؤلّفة قلوبهم: قوم وحّدوا الله ولم تدخل المعرفة قلوبهم ـ أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله ـ فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتألّفهم، ويعلّمهم كي ما يعرفوا فجعل الله لهم نصيباً في الصّدقات لكي يعرفوا ويرغبوا، وفي الرقاب: قوم قد لزمهم كفّارات في قتل الخطأ وفي الظّهار، وقتل الصّيد في الحرم وفي الأيمان وليس عندهم ما يكفّرون، وهم مؤمنون فجعل الله لهم سهماً في الصّدقات ليكفّر عنهم، والغارمين: قوم قد وقعت عليهم ديون أنفقوها في طاعة الله من غير إسراف فيجب على الإمام أن يقضي ذلك عنهم، ويكفيهم من مال الصّدقات، وفي سبيل الله: قوم يخرجون في الجهاد وليس عندهم ما ينفقون، أو قوم من المسلمين ليس عندهم ما يحجّون به، أو في جميع سبيل الخير فعلى الإمام أن يعطيهم من مال الصّدقات حتّى يتقوّوا به على الحجّ

---

١ ـ الكافي: ج ٣، ص ٥٠١، ح ١٦، باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ٩٠، ح ٦٥، وفيه «الفقير: الذي يسأل، والمسكين: أجهد منه، والبائس: أجهدها».

٣ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٤١.

٤ ـ البقرة: ٢٧٣.

٥ ـ وفي نسخة: [والمجذّمين].

والجهاد، وابن السّبيل: أبناء الطّريق الّذين يكونون في الأسفار في طاعة الله فيقطع عليهم ويذهب مالهم فعلى الإمام أن يردّهم إلى أوطانهم من مال الصّدقات، والصّدقات تتجزّى ثمانية أجزاء فيعطى كلّ إنسان من هذه الثمانية على قدر ما يحتاجون إليه بلا إسراف ولا تقتير، يقوم في ذلك الإمام يعمل بما فيه الصلاح[1].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام ما كانت المؤلّفة قلوبهم قطّ أكثر منهم اليوم، وهم قوم وحّدوا الله وخرجوا من الشّرك ولم تدخل معرفة محمّد صلى الله عليه وآله قلوبهم، وما جاء به فيألفهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ويألفهم المؤمنون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لكي ما يعرفوا[2].

والعيّاشي عنه عليه السلام ما في معناه[3].

وفي الفقيه[4]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن مكاتب عجز عن مكاتبته وقد أدّى بعضها؟ قال: يؤدّى عنه من مال الصدقة، إنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: «وفي الرّقاب»[5].

وفي الكافي[6]، والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّما مسلم أو مؤمن مات وترك ديناً لم يكن في فساد ولا إسراف فعلى الإمام أن يقضيه، فإن لم يقضه فعليه إثم ذلك إنّ الله تعالى يقول: «إنّما الصدقات للفقراء والمساكين» الآية، فهو من الغارمين وله سهم عند الإمام فإن حبسه فإثمه عليه[7].

وفيه عنه عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسّم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي،

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤١٢، ح ٥، باب المؤلّفة قلوبهم. وفيه: «فتألّفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وتألّفهم المؤمنون».

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩١، ح ٧٠.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٧٤، ح ٢٥٨ / ٣، باب ٥٠ ـ المكاتبة.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩٣، ح ٧٦.

٦ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٠٧، ح ٧، باب ما يجب من حق الإمام على الرعية وحق الرعيّة على الإمام.

٧ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩٤، ح ٧٨.

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

وصدقة أهل الحضر في أهل الحضر، ولا يقسّمها بينهم بالسّويّة، وإنّما يقسمها على قدر ما يحضره منهم وما يرى، وليس في ذلك شيء موقّت موظف[1].

وعنه عليه السلام سهم المؤلّفة قلوبهم، وسهم الرّقاب: عامّ، والباقي خاصّ[2].

يعني خاص بالعارف ولا يعطى غيره.

وفي الخصال: عن الباقر عليه السلام لا تحلّ الصّدقة لبني هاشم إلّا في وجهين: إن كانوا عطاشاً فأصابوا ماءاً فشربوا، وصدقة بعضهم لبعض[3][4].

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾: يسمع كلّ ما يقال له ويصدّقه.

﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾: تصديق لهم بأنّه أُذن ولكن لا على الوجه الّذي ذمّوه به بل من حيث أنّه يسمع الخير ويقبله، وقرئ اذن بالتّخفيف.

﴿يُؤْمِنُ بِاللهِ﴾: يصدق به.

﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: يصدّقهم، واللّام للتّفرقة بين التّصديقين، القمّي: قال: كان سبب نزولها أنّ عبدالله بن نفيل كان منافقاً، وكان يقعد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيسمع كلامه

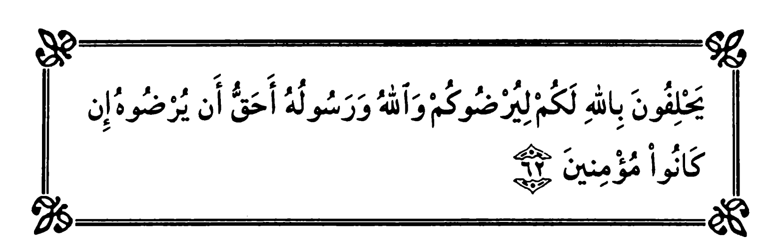
---

٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ٥٥٤، ح ٨، باب الزكاة تبعث من بلد إلى بلد أو تدفع إلى من يقسمها فتضيع.

٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ٤٩٦، ح ١، باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق.

٣ ـ وفي نسخة: [وصدقة بعضهم على بعض] كما في المصدر.

٤ ـ الخصال: ص ٦٢، ح ٨٨، باب الإثنين ـ لا تحل الصدقة لبني هاشم إلّا في وجهين.



وينقله إلى المنافقين، وينمّ عليه فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّ رجلاً من المنافقين ينمّ عليك، وينقل حديثك إلى المنافقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من هو؟ فقال: الرجل الأسود كثير شعر الرأس ينظر بعينين كأنّهما قدران، وينطق بلسان كأنّه لسان شيطان، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره فحلف أنّه لم يفعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد قبلت منك فلا تقعد، فرجع إلى أصحابه فقال: إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله أذن أخبره الله إنّي أنمّ عليه وأنقل أخباره فقبل، وأخبرته أنّي لم أفعل فقبل، فأنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وآله: «ومنهم الّذين يؤذون النّبي ويقولون هو أُذُنٌ قل أُذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين» أي يصدّق الله فيما يقول له: ويصدّقك فيما تعتذر إليه في الظّاهر ولا يصدّقك في الباطن، قوله: «ويؤمن للمؤمنين» يعني المقرّين بالإيمان من غير اعتقاد[1].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام يعني يصدّق الله، ويصدّق المؤمنين لأنّه كان رؤفاً رحيماً بالمؤمنين[2].

﴿ورَحْمَةٌ﴾: أي وهو رحمة، وقرئ بالجر.

﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾: لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكشف سرّه، وفيه تنبيه على أنّه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم بل رفقاً بكم وترحّماً.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: بإيذائه.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾: على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلّفوا.

﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾: لترضوا عنهم، والخطاب للمؤمنين.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٠٠.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩٥، ح ٨٣.

أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾

﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾: بالطاعة والوفاق، وتوحيد الضّمير لتلازم الرّضائين.

﴿إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾: صدقاً، القمّي: نزلت في المنافقين الّذين كانوا يحلفون للمؤمنين أنّهم منهم لكي يرضى عنهم المؤمنون[1].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: يشاقق، من الحدّ لأنّ كلّاً من المخالفين والمنافقين في حدّ غير حدّ صاحبه.

﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ * يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِم﴾: وتهتك عليهم أستارهم.

﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾: القمّي: كان قوم من المنافقين لمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى تبوك يتحدّثون فيما بينهم ويقولون: أيرى محمّد صلى الله عليه وآله أنّ حرب الرّوم مثل حرب غيرهم؟ لا يرجع منهم أحد أبداً، فقال بعضهم: ما أخلقه[2] أن يخبر الله محمّداً بما كنّا فيه وبما في قلوبنا وينزّل

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٠.

٢ ـ فلان خليق بكذا أي جدير. وقوله عليه السلام «ما أخلقك أن تمرض سنة» كأنّ المعنى ما أليق بك وأجدر بك ذلك.

عليه بهذا قرآناً يقرأه النّاس، وقالوا: هذا على حدّ الإستهزاء، وقال رسول الله ﷺ لعمّار بن ياسر: الحق القوم فإنّهم قد احترفوا[١] فلحقهم عمّار فقال لهم: ما قلتم؟ قالوا ما قلنا شيئاً إنّما كنّا نقول شيئاً على حدّ اللعب والمزاح فنزلت[٢].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام نزلت في اثني عشر رجلاً وقفوا على العقبة إئتمروا بينهم ليقتلوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم لبعض: إن فطن نقول: ـ إنّما كنّا نخوض ونلعب ـ وإن لم يفطن نقتله، وذلك عند رجوعه من تبوك فأخبر جبرئيل رسول الله ﷺ بذلك وأمره أن يرسل إليهم ويضرب وجوه رواحلهم فضربها حتّى نحّاهم، فلمّا نزل قال لحذيفة: من عرفت من القوم؟ فقال: لم أعرف منهم أحداً، فقال رسول الله ﷺ فلان بن فلان، حتّى عدّهم، فقال حذيفة: ألا تبعث إليهم فنقتلهم، فقال: أكره أن يقول العرب: لمّا ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم[٣].

وفي الجوامع: توافقوا[٤] على أن يدفعوه عن راحلته إلى[٥] الوادي إذ تسنّم العقبة باللّيل فأمر عمّار بن ياسر بخطام[٦] ناقته يقودها، وحذيفة خلفها يسوقها فبينا هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف[٧] الإبل، وبقعقعة السّلاح، فالتفت فإذا قوم متلثّمون فقال: إليكم يا أعداء الله، وضرب وجوه رواحلهم حتّى نحّاهم[٨]، الحديث، إلى آخر ما ذكره في

مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٥٨. أقول: وفي المقام: أي ما أجدر وأليق أن يخبر الله محمّداً بما كنّا فيه... إلى آخره.

١ ـ انحرف عنه، وتحرّف واحْرَوْرف: أي مال وعدل. الصحاح: ج ٤، ص ١٣٤٣، مادة «حرف». وفي المقام: أي مالوا وعدلوا عن طريق الحق.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٠.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٤٦، في شأن النزول.

٤ ـ وفي نسخة: [تواثقوا] كما في المصدر.

٥ ـ وفي نسخة: [في].

٦ ـ الخطام ـ بالكسر ـ: زمام البعير، لأنّه يقع على الخطم وهو الأنف وما يليه، مجمع البحرين: ج ٦، ص ٥٩، مادة «خطم».

٧ ـ الأخفاف: أي الصوت الخفيف الحاصل من سقوط أخفافها على الأرض وتصدمها بها. منه رحمه الله.

٨ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٧٠ ـ ٧١.

لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾

المجمع أورده عند تفسير «يحلفون بالله ما قالوا»[١]، من هذه السورة كما يأتي.

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لَا تَعْتَذِرُواْ﴾: لا تشتغلوا باعتذاراتكم فإنّها معلومة الكذب.

﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾: قد أظهرتم الكفر.

﴿بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾: بعد إظهاركم الإيمان.

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾: لتوبتهم وإخلاصهم.

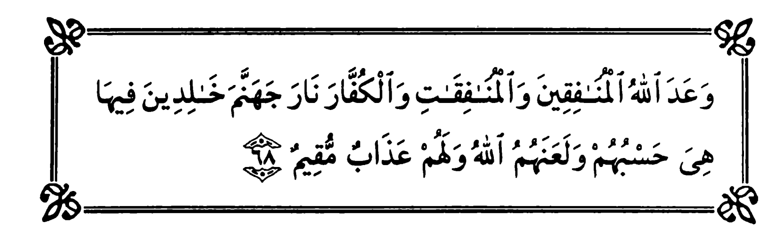
﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾: مصرّين على النّفاق، وقرئ بالنّون فيهما، القمّي: عن الباقر عليه السلام في قوله «لا تعتذروا» قال: هؤلاء قوم كانوا مؤمنين صادقين ارتابوا وشكّوا ونافقوا بعد إيمانهم وكانوا أربعة نفر، وقوله: «إن نعف عن طائفة منكم» كان أحد الأربعة: مختبر بن الحُميَّر فاعترف وتاب، وقال: يا رسول أهلكني اسمي فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله: عبدالله بن عبدالرحمن، فقال: يا ربّ اجعلني شهيداً حيث لا يعلم أين أنا، فقتل يوم اليمامة، ولم يعلم أحد أين قتل فهو الّذي عفى عنه[٢].

﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾: تكذيب لهم فيما حلفوا أنّهم لمنكم،

---

١ ـ التوبة: ٧٤.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.



وتحقيق لقوله: «وَمَا هُمْ مِنْكُمْ». القمي: فحكم[١].

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾: بالكفر والمعاصي.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾: عن الإيمان والطّاعة.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: شحّاً بالخيرات والصدقات.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾: أغفلوا ذكره.

﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: فتركهم عن رحمته وفضله، في التّوحيد[٢]، والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام يعني نسوا الله في دار الدنيا فلم يعملوا بطاعته، فنسيهم في الآخرة أي لم يجعل لهم في ثوابه نصيباً. فصاروا منسيّين عن الخير[٣].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام نسوا الله: تركوا طاعة الله فنيسهم، قال: فتركهم[٤].

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: هم الكاملون في التمرّد والفسوق عن دائرة الخير.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾: عقاباً وجزاءاً، فيه دلالة على عظم عذابها. نعوذ بالله منها.

﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أبعدهم من رحمته، وأهانهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾: لا ينقطع فيها، ويجوز أن يكون المراد به ما يقاسونه من تعب النّفاق وما يخافونه أبداً من الفضيحة.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠١، س ٦. وفيه: «فإنّه محكم».

٢ ـ التوحيد: ص ٢٥٩، ح ٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنويّة والزنادقة.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩٦، ح ٨٦.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩٥ ـ ٩٦، ح ٨٥.

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: أنتم مثلهم.

﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾: بيان لتشبههم بهم، وتمثيل حالهم بحالهم.

﴿فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾: نصيبهم من ملاذ الدنيا.

﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾: ذمّ الأوّلين باستمتاعهم بحظوظهم الفانية، وإلتهائهم بها عن النظر في العاقبة، والسّعي في تحصيل اللذائذ الحقيقيّة الباقية تمهيداً لذمّ المخاطبين لمشابهتهم بهم وإقتفائهم أثرهم.

﴿وَخُضْتُمْ﴾: دخلتم في الباطل.

﴿كَالَّذِى خَاضُوٓاْ﴾: كالخوض الّذي خاضوه.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾: لم يستحقوا عليها ثواباً في الدارين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: الّذين خسروا الدّنيا والآخرة.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾: كيف أُغرقوا بالطّوفان.

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

﴿وَعَادٍ﴾: كيف أُهلكوا بالرّيح.

﴿وَثَمُودَ﴾: كيف أُهلكوا بالرّجفة.

﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: كيف أُهلك نمرود ببعوض، وأُهلك أصحابه.

﴿وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ﴾: قوم شعيب كيف أُهلكوا بالنّار يوم الظلّة.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ﴾: قرى قوم لوط كيف ائتفكت بهم، أي انقلبت وصارت عاليها سافلها، في الكافي: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عن المؤتفكات؟ قال: أُولئك قوم لوط ائتفكت عليهم، أي انقلبت[1].

﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾: يعني الكلّ.

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتعذيب.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: في مقابلة: «المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض»[2].

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾: لا محالة، فإنّ السّين مؤكدّة للوقوع.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب على كلّ شيء لا يمتنع عليه ما يريده.

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٨١، ذيل ح ٢٠٢.　　٢ ـ التوبة: ٦٧.

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

﴿حَكِيمٌ﴾: يضع الأشياء مواضعها.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً﴾: يطيب فيها العيش.

﴿فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾: إقامة وخلود، في المجمع: عن النّبي صلى الله عليه وآله عدن: دار الله الّتي لم ترها عين، ولم تخطر على قلب بشر، لا يسكنها غير ثلاثة: النّبيين، والصدّيقين، والشهداء، يقول الله تعالى: «طوبى لمن دخلك»[١].

وفي الخصال: عنه عليه السلام من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّتي الّتي وعدني ربّي جنّات عدن، قضيب غرسه الله بيده، ثمّ قال له: «كن فيكون»[٢] فليوال علي بن أبي طالب وذريّته عليهم السلام من بعده[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّه سأله يهودي أين يسكن نبيّكم من الجنّة؟ فقال: في أعلاها درجة، وأشرفها مكاناً في جنّات عدن، فقال: صدقت والله إنّه لبخّط هارون وإملاء موسى[٤].

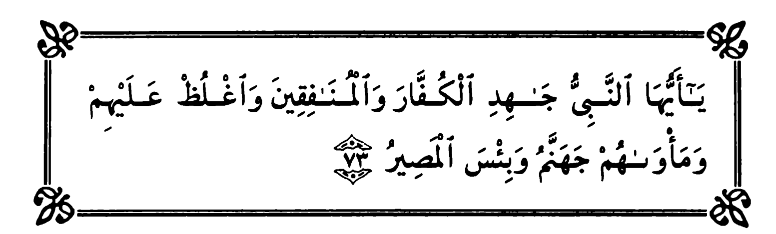
وفي الفقيه: في حديث بلال «جنّة عدن» في وسط الجنان سورها ياقوت أحمر،

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٥٠.   ٢ ـ يـس: ٨٢.

٣ ـ الخصال: ص ٥٥٨، ح ٣٠، أبواب الأربعين وما فوقه، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر بثلاث وأربعين خصلة.

٤ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٣٧، احتجاجه عليه السلام على بعض اليهود وغيره في أنواع شتى من العلوم.



حصباؤها[1] اللّؤلؤ[2].

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: يعني وشيء من رضوانه أكبر من ذلك كلّه، لأنّ رضاه سبب كلّ سعادة، وموجب كلّ فوز، وبه تنال كرامته الّتي أكبر أصناف الثواب.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي الرضوان.

﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: الّذي يستحقر دونه كلّ لذّة وبهجة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾: قيل: بالسّيف[3].

﴿وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾: قيل: بإلزام الحجّة، وإقامة الحدود[4].

القمّي: عن الباقر عليه السلام جاهد الكفّار والمنافقين بإلزام الفرائض[5].

وفي المجمع: في قراءة أهل البيت عليهم السلام جاهد الكفّار بالمنافقين، قالوا لأنّ النّبي صلى الله عليه وآله لم يكن يقاتل المنافقين، ولكن كان يتألّفهم، ولأنّ المنافقين لا يظهرون الكفر، وعلم الله بكفرهم لا يبيح قتلهم إذا كانوا يظهرون الإيمان[6].

وفيه: في سورة التحريم عن الصّادق عليه السلام إنّه قرأ «جاهد الكفّار بالمنافقين» قال: إنّ

---

١ ـ الحصباء: صغار الحصى، واحدها حصبة كقصبة. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤٣، مادة «حصب».

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٩٣، س ٤، ح ٩٠٥/ ٤٣، باب ٤٤، الأذان والإقامة وثواب المؤذنين. وفيه: «وحصاها»

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٢٣، السطر الأخير.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٢٣، السطر الأخير.

٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠١.

٦ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٥٠.

يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَـٰهُمُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْراً لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

رسول الله ﷺ لم يقاتل منافقاً قطّ إنّما كان يتألّفهم[١].

والقمّي أيضاً: إنّما نزلت «يا أيّها النّبي جاهد الكفّار والمنافقين» لأنّ النّبي ﷺ لم يجاهد المنافقين بالسّيف، قاله هنا[٢].

وفي سورة التّحريم عن الصّادق عليه السلام في قوله تعالى: «يا أيّها النّبي جاهد الكفار والمنافقين»[٣] هكذا نزلت فجاهد رسول الله ﷺ الكفّار، وجاهد علي عليه السلام المنافقين، فجاهد عليّ عليه السلام جهاد رسول الله ﷺ[٤].

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾: القمّي: نزلت في الّذين تحالفوا في الكعبة أن لا يردّوا هذا الأمر في بني هاشم، فهي كلمة الكفر، ثمّ قعدوا لرسول الله ﷺ في العقبة وهمّوا بقتله، وهو قوله: «وهمّوا بما لم ينالوا»[٥].

وقال في موضع آخر: فلمّا أطلع الله نبيّه وأخبره حلفوا له أنّهم لم يقولوا ذلك ولم يهمّوا

١ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٣١٩.

٢ـ أي في سورة التوبة، تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠١.

٣ـ التحريم: ٩.

٤ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٧٧.

٥ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠١.

به حتّى أنزل الله تعالى: «يحلفون بالله ما قالوا» الآية[١].

وعن الصّادق عليه السلام: لمّا أقام رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام يوم غدير خمّ كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين، وهم: أبو بكر، وعمر، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، والمغيرة بن شعبة، قال عمر: أما ترون عينيه كأنّهما عينا مجنون يعني النّبي صلى الله عليه وآله السّاعة يقوم ويقول: قال لي ربّي، فلمّا قام قال: يا أيّها النّاس من أولى بكم من أنفسكم، قالوا: الله ورسوله، قال: اللّهمّ فاشهد، ثمّ قال ألا من كنت مولاه فعليّ مولاه، وسلموا عليه بإمرة المؤمنين، فنزل جبرئيل وأعلم رسول الله صلى الله عليه وآله بمقالة القوم فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا فأنزل الله: «يحلفون بالله ما قالوا»[٢].

وفي المجمع: نزلت في أهل العقبة فإنّهم أضمروا أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة حين مرجعهم من تبوك وأرادوا أن يقطعوا أنساع[٣] راحلته ثم ينخسوا به، فأطلعه الله على ذلك، وكان من جملة معجزاته، لأنّه لا يمكن معرفة ذلك إلّا بوحي من الله فبادر رسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة وحده، وعمارو حذيفة أحدهما يقود ناقته والآخر يسوقها، وأمر النّاس كلّهم بسلوك بطن الوادي وكان الّذين همّوا بقتله اثني عشر رجلاً أو خمسة عشر عرفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسمّاهم بأسمائهم، قال: وقال الباقر عليه السلام: كانت ثمانية منهم من قريش، وأربعة من العرب[٤].

أقول: قد مضى بعض هذه القصّة عند تفسير «يَا أَيُّهَا الرَّسُول بَلِّغْ» من المائدة[٥]، وعند تفسير: «إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ»[٦] من هذه السورة.

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام لمّا قال النّبي صلى الله عليه وآله: ما قال في غدير خمّ، وصاروا بالأخبية مرّ المقداد بجماعة منهم يقولون: إذا دنا موته وفنيت أيّامه وحضر أجله أراد أن

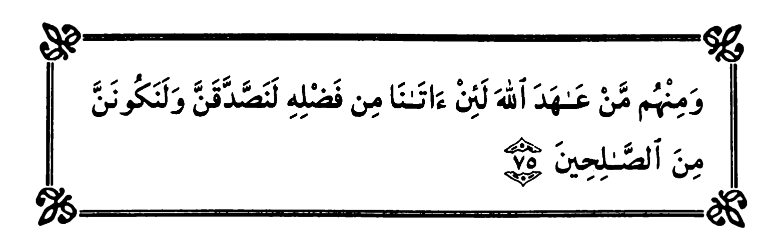
---

١ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٥٨. ٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠١.

٣ ـ النِسعُ ـ بالكسر ـ سير ينسج عريضاً يشد به الرحال، القطعة منه نَسْعَة، ويسمّى نسعاً لطوله، وجمعه نُسَع بالضم، وأنساع. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٩٧، مادة «نسع».

٤ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٥١. وفيه: «إلّا بوحي من الله تعالى فسار».

٥ ـ المائدة ٦٧. ٦ ـ التوبة: ٦٥.



يولّينا عليّاً من بعده، أما والله ليعلمنّ، قال: فمضى المقداد وأخبر النّبي ﷺ به فقال: الصلاة جامعة، قال: فقالوا: قد رمانا المقداد فقوموا نحلف عليه، قال: فجاؤوا حتّى جثوا بين يديه فقالوا: بآبائنا وأُمّهاتنا يارسول الله، والّذي بعثك بالحقّ، والّذي كرّمك بالنّبوّة ما قلناما بلغك، والّذي اصطفاك على البشر، قال: فقال رسول الله[1] ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمّوا» بك يا محمد ليلة العقبة[2].

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾: وما أنكروا وما عابوا.

﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَـٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾: قال: كان أحدهم يبيع الرّؤوس، وآخر يبيع الكراع[3] ويفتل القرامل[4] فأغناهم الله برسوله، ثمّ جعلوا حدّهم وحديدهم عليه[5].

والمعنى إنّهم جعلوا موضع شكر النّعمة كفرانها، وكان الواجب عليهم أن يقابلوها بالشكر.

﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْراً لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ﴾: بالإصرار على النّفاق.

﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾: بالقتل، والنّار.

﴿وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: فينجيهم من العذاب.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَـٰنَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ

---

١ ـ وفي نسخة: [النبي] كما في المصدر.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩٩ ـ ١٠٠، ح ٩٠.

٣ ـ الكراع من الدواب: مادون الكعب، ومن الإنسان مادون الركبة، مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٨٥، مادة «كرع».

٤ ـ القرامل: هي ما تشد المرأة في شعرها من الخيوط: ج ٥، ص ٤٥٣، مادة «قرل».

٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٩٩ ـ ١٠٠، ذيل ح ٩٠.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَـٰهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٧٦ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝٧٧﴾

ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عوف، كان محتاجاً فعاهد الله فلمّا أتاه بخل به[١].

وفي الجوامع: هو ثعلبة بن حاطب، قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال: يا ثعلبة قليل تؤدّي شكره خير من كثير لا تطيقه، فقال: والّذي بعثك بالحقّ لأن رزقني مالاً لأعطينّ كلّ ذي حقّ حقّه، فدعا له فاتّخذ غنماً فنمت كما ينمو الدّود حتّى ضاقت بها المدينة، فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة، وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله المصدّق ليأخذ الصّدقة فأبى وبخل، وقال: ما هذه إلّا أُخت الجزية، فقال صلى الله عليه وآله: يا ويح ثعلبة[٢].

وفي المجمع: روى ذلك مرفوعاً[٣].

﴿فَلَمَّآ ءَاتَـٰهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ﴾: منعوا حقّ الله منه.

﴿وَتَوَلَّواْ﴾: عن طاعة الله.

﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ﴾: فأورثهم البخل نفاقاً متمكّناً في قلوبهم.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾: يلقون الله، في التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام اللّقاء: هو البعث[٤].

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢.
٢ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٧٢.
٣ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٥٣.
٤ ـ التوحيد: ص ٢٦٧، ح ٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنويّة والزنادقة.

أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾: ما أسرّوه في أنفسهم من النّفاق.

﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾: وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: لا يخفى عليه شيء.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾: يعيبون.

﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾: المتطوعين.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: إلّا طاقتهم فيتصدّقون بالقليل، وفي الحديث: أفضل الصّدقة جهد المقل[1].

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾: يستهزؤون.

﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾: جازاهم جزاء السخرية، كذا في العيون عن الرّضا عليه السلام[2].

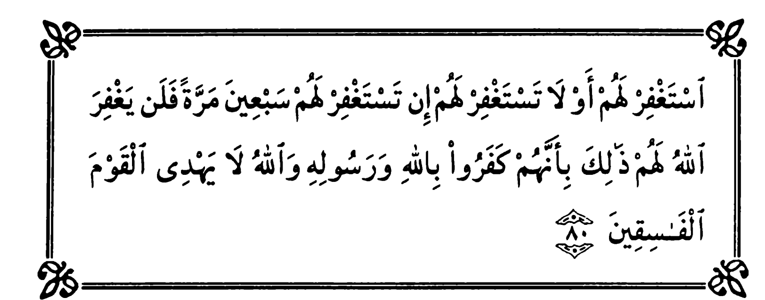
﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: القمّي: جاء سالم بن عمير الأنصاري بصاع من تمر، فقال: يا رسول الله كنت ليلتي أجرّ الجرير[3] حتى عملت بصاعين من تمر. فأمّا أحدهما فأمسكته

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٥٥.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٢٦، ح ١٩، باب ١١ ـ ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار في التوحيد.

٣ ـ الجرير الحبل الذي يجر به البعير، يريد أنّه استقى النّاس على اجرة صاعين، منه قدس سره.



وأمّا الآخر فأقرضته ربّي، فأمر رسول الله ﷺ أن ينثره في الصّدقات، فسخر منه المنافقون، فقالوا: والله إن كان الله لغني عن هذا الصّاع ما يصنع الله بصاعه شيئاً ولكن أبا عقيل أراد أن يذكر نفسه ليعطى من الصّدقات فنزلت[1].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام آجر أمير المؤمنين عليه السلام نفسه على أن يستقي كلّ دلو بتمرة بخيارها فجمع تمراً، فأتى به النّبي ﷺ، وعبدالرحمن بن عوف على الباب فلمزه، أي وقع فيه فنزلت هذه الآية «الّذين يلمزون»[2].

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: لا فرق بين الأمرين في عدم الإفادة لهم.

﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾: قيل: السبعون جار في كلامهم مجرى المثل للتكثير[3].

وروت العامّة أنّه ﷺ قال: والله لأزيدنّ على السّبعين فنزلت: «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِر لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ»[4][5].

وفي لفظ آخر قال: لو علمت أنّه لو زدت على السّبعين مرّة غفر لهم لفعلت[6].

---

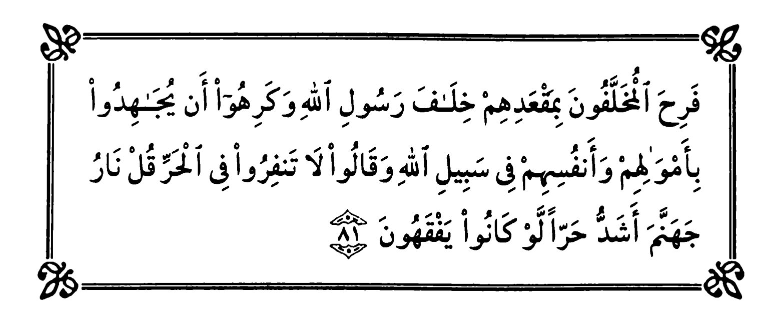
١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٢، بتفاوت. ٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠١، ح ٩٣.

٣ ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٢٩٥.

٤ ـ المنافقون: ٦.

٥ ـ الكشاف: ج ٢، ص ٢٩٤، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٢٥.

٦ ـ الدر المنثور: ج ٣، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥، ومجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٥٥.



والعيّاشي عن الرّضا عليه السلام إنّ الله قال لمحمّد صلى الله عليه وآله: إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم فاستغفر لهم مائة مرّة ليغفر لهم فأنزل الله: «سواء عليهم أستغفرت لهم» الآية، وقال: ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره فلم يستغفر لهم بعد ذلك ولم يقم على قبر أحد منهم[1].

أقول: لا يبعد استغفار النّبي صلى الله عليه وآله لمن يرجو إيمانه من الكفّار، وإنّما لا يجوز استغفاره لمن يئس من إيمانه وهو قوله عزّ وجلّ: « ما كان للنّبي والّذين آمنُوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولى قربى من بعدما تبين لهم أنّهم أصحاب الجحيم»[2] إلى قوله: «تبرأ منه»[3] ويأتي تمام الكلام في هذا المقام عن قريب إن شاء الله تعالى.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: إشارة إلى أنّ اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منّا ولا لقصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصّارف عنها.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾: المتمردين[4] في كفرهم.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾: بقعودهم عن الغزو، وخلفه يقال: أقام خلاف القوم، أي: بعدهم.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٠، ح ٩٢. ٢ ـ التوبة: ١١٣.

٣ ـ التوبة: ١١٤.

٤ ـ مرد يمرد من باب قتل وسرق وكرم: إذا عتى، فهو مارد. و«مردوا على النّفاق» أي عتوا واستمروا عليه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٤٥، مادة «مرد».

فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَآءَ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَئْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَداً وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾

﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: إيثاراً للدّعة والخفض[١] على طاعة الله.

﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ﴾: قاله بعضهم لبعض، وقد سبق قصّة الجدّ بن قيس في ذلك عند تفسير «ومنهم من يقول إئذن لى»[٢] وهذا تفضيح له من الله سبحانه.

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً﴾: وقد آثرتموها بهذه المخالفة.

﴿لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾: إنّ مآبهم إليها وأنّها كيف هي ما اختاروها بإيثار الدّعة على الطّاعة.

﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً﴾: إمّا على ظاهر الأمر، وإمّا إخبار عمّا يؤول إليه حالهم في الدّنيا والآخرة، يعني: فيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً، أخرجه على صيغة الأمر للدلالة على أنّه حتم واجب، ويجوزأن يكون الضّحك والبكاء كنايتين عن السّرور والغمّ.

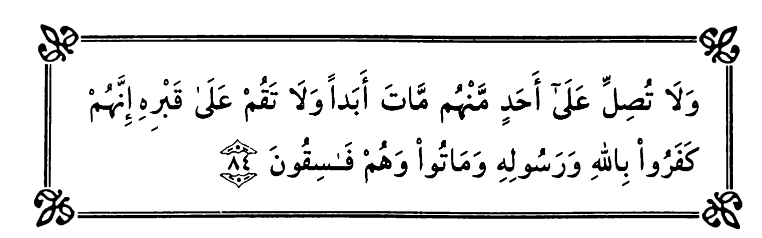
﴿جَزَآءَ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: من الكفر النفاق والتخلّف.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾: فإن ردّك إلى المدينة، وفيها طائفة من المتخلّفين يعني منافقيهم ممّن لم يتب ولم يكن له عذر صحيح في التخلّف.

---

١ ـ الخفض: الراحة والسكون، يقال: هو في خفض من العيش أي في سعة وراحة، مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٠٢، مادة «خفض».

٢ ـ التوبة: ٤٩.



﴿فَاسْتَئْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾: إلى غزوة أُخرى بعد تبوك.

﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾: إخبار في معنى النّهي للمبالغة.

﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: تعليل له، وكان إسقاطهم عن ديوان الغـزاة عقوبة لهم على تخلّفهم أوّل مرّة وهي الخرجة إلى غزوة تبوك.

﴿فَاقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾: أي المتخلّفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنّساء والصّبيان.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾: بأن تدعو له وتستغفر.

﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾: للدعاء له، وفي المجمع: فإنّه عليه السلام كان إذا صلّى على ميّت يقف على قبره ساعة ويدعو له فنهاه الله عن الصّلاة على المنافقين والوقوف على قبرهم والدّعاء لهم ثمّ بيّن سبب الأمرين[1].

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾: القمّي: في آية الإستغفار السّابقة إنّها نزلت لمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ومـرض عـبدالله بـن أُبي وكـان ابـنه عبدالله مؤمناً فجاء إلى النّبي صلى الله عليه وآله وأبوه يجود بنفسه، فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي إنّك إن لم تأت أبي كان ذلك عاراً علينا، فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله والمنافقون عنده فقال له ابنه عبدالله بن عبدالله: يا رسول الله استغفر له، فاستغفر له فقال عمر: ألم ينهك الله يا رسـول الله أن تصلي عليهم أو تستغفر لهم؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله فأعاد عليه، فـقال له: ويـلك إنّي خُيّرت فاخترت إنّ الله يقول: «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مـرّة

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٥٧.

فلن يغفر الله لهم»[١] فلمّا مات عبدالله جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله إن رأيت أن تحضر جنازته، فحضر رسول الله ﷺ وقام على قبره، فقال له عمر: يا رسول الله أولم ينهك الله أن تصلّي على أحد منهم مات أبداً وأن تقوم على قبره؟ فقال له رسول الله ﷺ: ويلك وهل تدري ما قلت له؟ إنّما قلت: اللّهمّ احش قبره ناراً، وجوفه ناراً، واصله النّار، فبدا من رسول الله ﷺ ما لم يكن يحبّ[٢].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام أنّ النّبي ﷺ قال لابن عبدالله بن أبي: إذا فرغت من أبيك فأعلمني، وكان قد توفى فأتاه فأعلمه فأخذ رسول الله ﷺ نعليه للقيام، فقال له عمر: أليس قد قال الله: «ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره»؟ فقال له: ويحك أو ويلك إنّما أقول: اللّهم إملأ قبره ناراً، واملأ جوفه ناراً، وأصله يوم القيامة ناراً[٣].

وفي رواية أُخرى أنّه ﷺ أخذ بيد ابنه في الجنازة ومضى فتصدّى له عمر ثم قال: أما نهاك ربك عن هذا أن تصلّي على أحد مات منهم أبداً؟ أو تقوم على قبره؟ فلم يجبه، فلمّا كان قبل أن ينتهوا به إلى القبر أعاد عمر ما قاله أوّلاً، فقال النّبي ﷺ لعمر عند ذلك: ما رأيتنا صلّينا له على جنازة ولا قمنا له على قبر، ثمّ قال: إنّ ابنه رجل من المؤمنين وكان يحقّ علينا أداء حقّه، فقال عمر: أعوذ بالله من سخط الله، وسخطك يا رسول الله[٤].

أقول: وكان رسول الله ﷺ حيّياً كريماً كما قال الله عزّ وجلّ، «فَيَسْتَحِيَ مِنْكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحِيَ مِنَ ٱلْحَقِّ»[٥]، فكان يكره أن يفتضح رجل من أصحابه ممّن يظهر الإيمان، وكان يدعو على المنافق، ويوري أنّه يدعو له[٦] وهذا معنى قوله ﷺ لعمر: ما رأيتنا صلينا له على جنازة ولا قمنا له على قبر، وكذا معنى قوله ﷺ في حديث القمّي: خيّرت فاخترت[٧]، فورّى ﷺ

---

١ ـ التوبة: ٨٠.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٢. وفيه: «ألم ينهك».

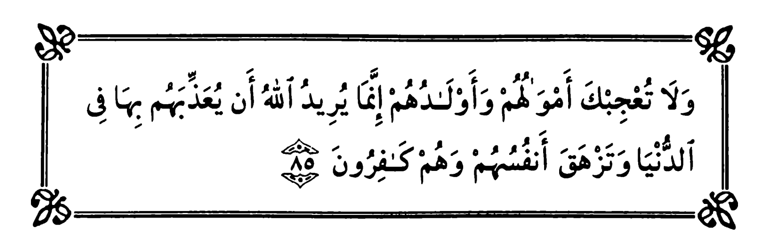
٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠١، ح ٩٤.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٢، ح ٩٥.

٥ ـ الأحزاب: ٥٣.

٦ ـ وفي نسخة: [وكان يدعو على المنافقين ويوري أنّه يدعو لهم].

٧ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٢.



باختيار الإستغفار، وأمّا قوله فيه: «فاستغفر له» فلعلّه استغفر لابنه لمّا سأل لأبيه الإستغفار، وكان يعلم أنّه من أصحاب الجحيم، ويدلّ على ما قلناه قوله عليه السلام: «فبدا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يكن يحب»، هذا إن صحّ فيه حديث القمّي فإنّه لم يستند إلى المعصوم، والإعتماد على حديث العيّاشي هنا أكثر منه على حديث القمّي، لإستناده إلى قول المعصوم دونه، ولأنّ سياق كلام القمّي تارة يدلّ على أنّه كان سبب نزول الآية قصّة ابن أُبي، وأُخرى يدلّ على نزولها قبل ذلك.

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكبّر على قوم خمساً، وعلى قوم آخرين أربعاً فإذا كبّر على رجل أربعاً اتهّم يعني بالنّفاق[1].

وفيه[2]، والعيّاشي: عنه عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا صلّى على ميّت كبّر وتشهّد، ثمّ كبّر وصلّى على الأنبياء، ثمّ كبّر ودعا للمؤمنين، ثمّ كبّر الرّابعة ودعا للميت، ثمّ كبّر وانصرف فلمّا نهاه الله عزّ وجلّ عن الصلاة على المنافقين كبّر وتشهّد، ثمّ كبّر وصلّى على النّبيين، ثمّ كبّر ودعا للمؤمنين، ثمّ كبّر الرّابعة وانصرف ولم يدع للميت[3].

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾: بما يلحقهم فيهامن المصائب والغموم وبمايشقّ عليهمإخراجها من الزّكاة والإنفاق في سبيل الله.

﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾: قد مرّ تفسير الآية، وإنّما كرّرت للتأكيد، أو

---

١ ـ الكافي: ج ٣، ص ١٨١، ح ٢، باب علّة تكبير الخمس على الجنائز.

٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ١٨١، ح ٣، باب علة تكبير الخمس على الجنائز.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٢، ح ٩٦.

وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِاللهِ وَجَـٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾

هذه في فريق غير الأوّل.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِاللهِ وَجَـٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾: ذو الفضل والسّعة.

﴿وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾: الّذين قعدوا لعذر.

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾: جمع خالفة. العيّاشي: عن الباقر عليه السلام قال: مع النّساء[1].

﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: ما في الجهاد وموافقة الرّسول من السّعادة، وما في التخلّف عنه من الشّقاوة.

﴿لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾: إن تخلّف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾: منافع الدارين[2]: النّصر والغنيمة في الدّنيا، والجنّة ونعيمها في الآخرة.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٣، ح ٩٧.
٢ ـ وفي نسخة: [منافع الدين والدنيا].

أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾

﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بالمطالب.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: أهل البدو.

﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾: المعذّرون والمقصّرون ـ من عذر في الأمر ـ م إذا توانى، ولم يجدّ فيه، وحقيقته أن يوهم أنّ له عذراً فيما يفعل، ولا عذر له، ويجوز أن يكون من إعتذر[1] إذا مـهّد العذر بإدغام التّاء في الذّال، ونقل حركتها إلى العين، وهم الّذين يعتذرون بالباطل.

﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: في ادّعاء الايمان فلم يجيبوا ولم يعتذروا.

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: بالقتل والنّار.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾: كالهرمى والزّمنى.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾: لفقرهم.

﴿حَرَجٌ﴾: إثم في التأخير.

﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: بالإيمان والطّاعة في السّرّ والعلانيّة.

---

١ ـ وفي نسخة: [من إعتذار].

وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾: لا جناح عليهم ولا عتاب.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ﴾: يعني معك.

﴿لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾: تسيل.

﴿مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾: أي تسيل دمعها فإنّ «من» للبيان كأنّ العين كلّها دمع فائض.

﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟﴾: لئلّا يجدوا.

﴿مَا يُنفِقُونَ﴾: في مغزاهم، العيّاشي: عنهما عليهما السلام عبدالله بن يزيد بن ورقاء الخزاعي أحدهم[1].

والقمّي: في قصّة غزوة تبوك، وجاء البكّاؤون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف بن سالم بن عمير قد شهد بدراً لا اختلاف[2] فيه، ومن بني واقف مرمي[3] ابن عمير، ومن بني[4] عالية عليّة بن زيد، وهو الّذي تصدق بعرضه وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بالصّدقة فجعل النّاس يأتون بها فجاء عليّة فقال: يا رسول الله ما عندي ما أتصدّق به وقد جعلت عرضي حلاً، فقال له رسول الله: قد قبل الله صدقتك، ومن بني مازن ابن النّجار أبو ليلى عبدالرّحمن بن كعب، ومن بني سلمة عمرو بن غنيمة، ومن بني زرين[5]

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٤ ـ ١٠٥، ذيل ح ١٠٠.

٢ ـ وفي نسخة: [لا خلاف فيه].

٣ ـ وفي نسخة: [هرمي].

٤ ـ وفي نسخة: [حارثة]، وفي الأصل: «بني جارية».

٥ ـ وفي نسخة: [زريق] كما في المصدر.

إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَئْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾

سلمة بن صخر، ومن بني المعز ماضرة بن سارية السّلمي هؤلاء جاءووا إلى رسول الله ﷺ يبكون، فقالوا: يا رسول الله ليس بنا قوّة أن نخرج معك فأنزل الله تعالى فيهم «ليس على الضّعفاء ولا على المرضى» إلى قوله: «ألّا يجدوا ما ينفقون»[1] قال: وإنّما سأل هؤلاء البكّاؤون نعلاً يلبسونها[2].

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَئْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾: قال: كانوا ثمانين رجلاً من قبائل شتّى، والخوالف: النّساء[3].

﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: حتّى غفلوا عن وخامة العاقبة.

﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: مغبّته.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾: في التخلّف.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: من الغزوة.

﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ﴾: بالمعاذير الكاذبة.

﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾: لن نصدّقكم.

---

١ ـ التوبة: ٩٢.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٣.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٣.

سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾

﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾: أعلمنا بالوحي إلى نبيّه بعض أخباركم، وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد.

﴿وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾: أتتوبون عن الكفر؟ أم تثبتون عليه؟

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي إليه، فوضع الوصف موضع الضّمير للدّلالة على أنّه مطلّع على سرّهم وعلنهم، لا يفوت عن عمله شيء من ضمائرهم وأعمالهم.

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالتّوبيخ، والعقاب عليه.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾: فلا تعاتبوهم.

﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾: ولا توبّخوهم.

﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: لا ينفع فيهم التّوبيخ والنّصح والعتاب، ولا سبيل إلى تطهيرهم.

﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾: بحلفهم فتستديموا عليهم بما كنتم تفعلون بهم.

﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾: ولا ينفعهم رضاكم إذا كان الله ساخطاً عليهم، في المجمع: عن النّبي ﷺ من إلتمس رضى الله بسخط النّاس، رضى الله عنه، وأرضى عنه النّاس، ومن إلتمس رضى النّاس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه النّاس[1].

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٦١، السطر الأخير.

ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾

القمّي: لمّا قدم النّبي ﷺ من تبوك كان أصحابه المؤمنون يتعرّضون للمنافقين ويؤذونهم، وكانوا يحلفون لهم أنّهم على الحقّ وليسوا هم بمنافقين لكي يعرضعوا عنهم ويرضوا عنهم فأنزل الله «سيحلفون بالله لكم» الآية[1].

﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾: أهل البدو.

﴿أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾: من أهل الحضر، لتوحشهم، وقساوتهم، وجفائهم، ونشوهم في بعد من مشاهدة العلماء وسماع التّنزيل.

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ﴾: وأحقّ بأن لا يعلموا.

﴿حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: من الشرائع فرائضها وسننها.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: يعلم حال كلّ أحد من أهل الوبر والمدر.

﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقاباً وثواباً.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ﴾: يعدّ.

﴿مَا يُنفِقُ﴾: يصرفه في سبيل الله ويتصدّق به.

﴿مَغْرَماً﴾: غرامة وخسراناً إذ لا يحتسبه عند الله، ولا يرجو عليه ثواباً، وإنّما ينفق رياءاً وتقيّة.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٢ـ٣٠٣.

وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَـٰتٍ عِندَ ٱللهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللهُ فِى رَحْمَتِهِ إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾: دوائر الزّمان، وعقباته، وحوادثه، لينقلب الأمر عليكم فيتخلّص من الإنفاق.

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾: اعتراض بالدّعاء عليهم بنحو ما يترّبصونه، أو إخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم، وقرئ بضم السين.

﴿وَٱللهُ سَمِيعٌ﴾: لما يقولون عند الإنفاق.

﴿عَلِيمٌ﴾: بما يضمرون.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَـٰتٍ﴾: سبب قربات.

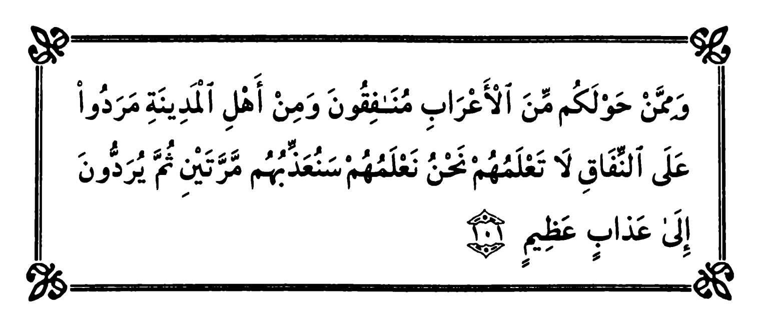
﴿عِندَ ٱللهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾: وسبب دعواته لأنّه كان يدعو للمتصدّقين بالخير والبركة ويستغفر لهم.

﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾: شهادة من الله لهم بصحّة معتقدهم، وتصديق لرجائهم.

﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللهُ فِى رَحْمَتِهِ﴾: وَعَدَلهم بإحاطة الرّحمة عليهم.

﴿إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: تقرير لهم.

﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾: القمّي: هم النّقباء، وأبو ذر،



والمقداد، وسلمان، وعمّار، ومن آمن وصدّق وثبت على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[١].

وفي نهج البلاغة:لا يقع اسم الهجرة على أحد إلّا بمعرفة الحجّة في الأرض، فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ﴾: بالإيمان والطّاعة إلى يوم القيامة، وفي الكافي[٣]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام في حديث فبدأ بالمهاجرين الأوّلين على درجة سبقهم، ثمّ ثنّى بالأنصار، ثمّ ثلّث بالتّابعين باحسان فوضع كلّ قوم على قدر درجاتهم ومنازلهم عنده[٤].

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: بقبول طاعتهم وإرتضاء أعمالهم.

﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: بما نالوا من نعمه الدّينيّة والدّنيويّة.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾: وقرئ من تحتها كما هو في سائر المواضع.

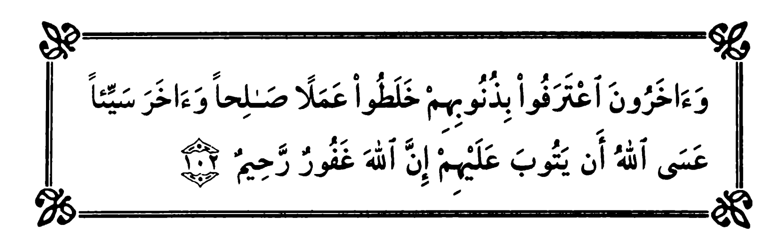
﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾: ممّن حول بلدتكم يعني المدينة.

﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾: عطفٌ على ممّن حولكم.

١ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٣. ٢ـ نهج البلاغة: ص ٢٨٠، الخطب: ١٨٩.

٣ـ الكافي: ج ٢، ص ٤١، ح ١، باب السبق إلى الإيمان.

٤ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٥، ح ١٠٤.



﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: صفة للمنافقين، أي تمهّروا[١] فيه وتمرّنوا[٢].

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾: لا تعرفهم بأعيانهم، وهو تقرير لمهارتهم فيه، يعني يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط تحاميهم مواقع الشكّ في أمرهم.

﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾: ونطلّع على أسرارهم.

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: في الجوامع: هما ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم، وعذاب القبر[٣].

﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: عذاب النّار.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: القمّي[٤]، وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام نزلت في أبي لبابة ابن عبدالمنذر[٥]، وقد سبقت قصته عند تفسير «لا تخونوا الله والرّسول» من سورة الأنفال[٦].

وفي الكافي[٧]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام أُولئك قوم مؤمنون يحدثون في إيمانهم من

---

١ ـ الماهر: الحاذق بكل شيء، يقال: مهر في العلم وغيره وتمهّر بفتحتين فهو ماهر أي حاذق، مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٨٦، مادة «مهر».

٢ ـ مرن الشيء يمرن مروناً، إذا لان، والجمع موارن، مجمع البحرين: ج ٦، ص ٣١٦، مادة «مرن».

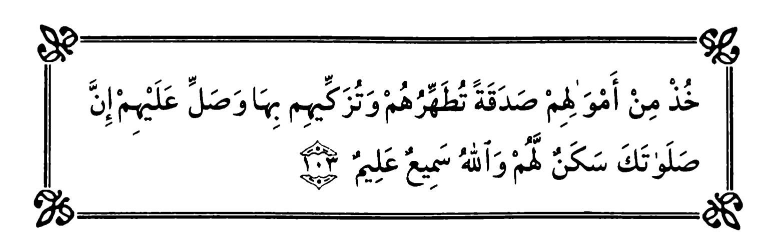
٣ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٨١.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٣.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٦٧.

٦ ـ الأنفال: ٢٧.

٧ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٠٨، ح ٢، باب أصحاب الأعراف.



الذنوب الّتي يعيبها المؤمنون ويكرهونها فأُولئك عسى الله أن يتوب عليهم[1].

والعيّاشي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: ـ عسى ـ من الله واجب وإنّما نزلت في شيعتنا المذنبين[2].

وفي رواية أُخرى: قوماً اجترحوا ذنوباً مثل قتل حمزة وجعفر الطيّار، ثمّ تابوا، ثمّ قال: ومن قتل مؤمناً لم يوفّق للتوبة إلّا أنّ الله لا يقطع طمع العباد فيه، ورجاءهم منه، قال: وقال: هو وغيره إنّ ـ عسى ـ من الله واجب[3].

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾: القمّي: نزلت حين أُطلق أبو لبابة وعرض ماله للتصدّق[4].

﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾: الصّدقة أو أنت.

﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾: أي تنسبهم إلى الزكاء، والتّزكية: مبالغة في التّطهير وزيادة فيه، أو بمعنى الإنماء والبركة في المال.

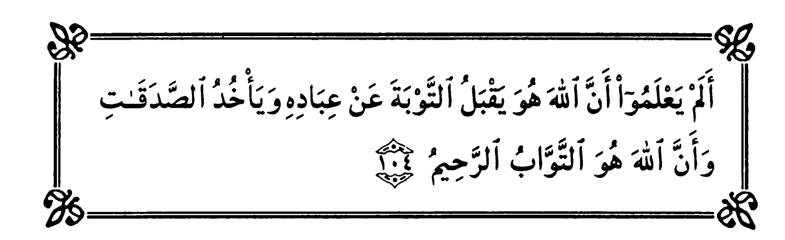
﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: وترّحم عليهم بالدّعاء لهم بقبول صدقاتهم وغيره.

﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾: تسكن إليها نفوسهم، وتطمئنّ بها قلوبهم، وقرئ صلواتك: بالجمع.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: يسمع دعاءك لهم.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٦، ح ١٠٩.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٥، ح ١٠٥.
٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٥ ـ ١٠٦، ح ١٠٦.
٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٤.



﴿عَلِيمٌ﴾: يعلم ما يكون منهم، في المجمع: عن النّبي صلى الله عليه وآله إنّه كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللّهم صلّ عليهم»[١].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية أجارية هي في الأمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قال: نعم[٢].

وفي الكافي: عنه عليه السلام لمّا نزلت آية الزّكاة: «خذ من أموالهم صدقة» وأُنزلت في شهر رمضان فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله مناديه فنادى في النّاس إنّ الله فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصّلاة، ففرض الله عليهم من الذّهب والفضّة، وفرض عليهم الصّدقة من الإبل والبقر والغنم، ومن الحنطة والشّعير والتّمر والزبيب، ونادى بهم في شهر رمضان، وعفى لهم عمّا سوى ذلك، قال: ثمّ لم يفرض[٣] لشيء من أموالهم حتّى حال عليهم الحول من قابل فصاموا وأفطروا فأمر مناديه فنادى في المسلمين أيّها المسلمون زكّوا أموالكم تقبل صلاتكم، قال: ثمّ وجّه عمّال الصّدقة وعمّال الطّسُوق[٤][٥].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾: إذا صحّت.

﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: إذا صدرت عن خلوص النيّة يقبلها قبول من يأخذ شيئاً ليؤدّي بدله، في التّوحيد: عن الصّادق عليه السلام في حديث والأخذ في وجه القبول منه، كما قال:

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٦٨.　　٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٦، ح ١١١.

٣ ـ وفي نسخة: [لم يتعرّض].

٤ ـ الطسوق بالفتح: ما يوضع من الخراج على الجربان. منه رحمه الله.

٥ ـ الكافي: ج ٣، ص ٤٩٧، ح ٢، باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق وفيه: «فنادى فيهم بذلك».

«ويأخذ الصدقات» أي يقبلها من أهلها ويثيب عليها[١].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّ الله يقول ما من شيء إلّا وقد وكّلت به من يقبضه غيري إلّا الصدقة فإنّي أتلقّفها بيدي تلقّفاً[٢] حتّى أنّ الرّجل ليتصدّق بالتّمرة أو بشقّ التمرة فأربّيها له كما يربّي الرّجل فلوه وفصيله فيأتي يوم القيامة وهو مثل أُحد أو أعظم من أُحد[٣].

والعيّاشي عن السجاد عليه السلام ضمنت على ربي أنّ الصّدقة لا تقع في يد العبد حتّى تقع في يد الرّبّ وهو قوله: «هو يقبل التّوبة عن عباده ويأخذ الصدقات»[٤].

وعنه عليه السلام أنّه كان إذا أعطى السائل قبّل يد السّائل، فقيل له: لم تفعل ذلك؟ قال: لأنّها تقع في يد الله قبل يد العبد، وقال: ليس من شيء إلّا وكّل به ملك إلّا الصّدقة فإنّها تقع في يد الله، قال الراوي: أظنّه يقبّل الخبز أو الدّرهم[٥].

وفي الكافي[٦]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام كان أبي إذا تصدّق بشيء وضعه في يد السّائل ثمّ ارتده منه وقبّله وشمّه ثمّ ردّه في يد السّائل[٧].

وفي الخصال: عن أمير المؤمنين عليه السلام إذا ناولتم السائل شيئاً فاسألوه أن يدعو لكم فإنّه يجاب له فيكم ولا يجاب في نفسه لأنهم يكذبون، وليردّ الّذي ناوله يده إلى فيه فيقبّلها فإنّ الله عزّ وجلّ يأخذها قبل أن تقع في يده كما قال عزّ وجلّ: «ألم يعلموا أنّ الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات»[٨].

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: من شأنه قبول توبة التّائبين والتفضّل عليهم.

---

١ ـ التوحيد: ص ١٦٢، ح ٢، باب ١٧ ـ تفسير قوله عزّ وجلّ: «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة».

٢ ـ التلقّف: التلقي. والفلو ـ بالكسر ـ كعِدو وسِمو ـ: ولد الحمار والفرس. والفصيل: ولد الناقة والبقرة. منه قدس سره.

٣ ـ الكافي: ج ٤، ص ٤٧، ح ٦، باب النوادر.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٨، ح ١١٨.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٨، ح ١١٧.

٦ ـ الكافي: ج ٤، ص ٩، ح ٣، باب صدقة الليل.

٧ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٧ ـ ١٠٨، ذيل ح ١١٤.

٨ ـ الخصال: ص ٦١٩، ح ١٠، حديث أربعمائة ـ علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربع مائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه.

وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟﴾: ما شئتم.

﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: خيراً كان أو شرّاً، في الكافي[١]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام أنّه ذكر هذه الآية فقال: هو والله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٢].

وعن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال: والمؤمنون: هم الأئمّة عليهم السلام[٣].

والقمّي: عنه عليه السلام مثله[٤].

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: إيّانا عنى[٥].

وعنه عليه السلام إنّه قرئ عنده هذه الآية فقال: ليس هكذا هي إنّما هي والمأمونون فنحن المأمونون[٦].

وفيه[٧]، والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله أعمال العباد كلّ صباح أبرارها وفجّارها فاحذروها، وهو قول الله تعالى: «وقل اعملوا» الآية[٨].

١ـ الكافي: ج ١، ص ٢٢٠، ح ٥، باب عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

٢ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٠، ح ١٢٧.

٣ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٩، ح ١٢٥.

٤ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٤.

٥ـ لم نعثر عليه في الكافي، والظاهر أنّه سهو من قلمه الشريف بل وجدناه في الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٤٠٩، ح ٩١٨/ ٦٦، المجلس الرابع عشر.

٦ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢٤، ح ٦٢، باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

٧ـ الكافي: ج ١، ص ٢١٩، ح ١، باب عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

٨ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٩، ح ١٢٣.

والعيّاشي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: إنّ الله شاهد في أرضه وإنّ أعمال العباد تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

وفي الكافي: عنه عليه السلام مالكم تسيؤون رسول الله صلى الله عليه وآله، فقيل: كيف نسيؤه؟ فقال: أما تعلمون أنّ أعمالكم تعرض عليه، فإذا رآى معصية فيها ساءه ذلك فلا تسيؤوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسرّوه[٢].

وعن الرضا عليه السلام: أنّه قيل له: اُدع الله لي ولأهل بيتي فقال: أولست أفعل والله إنّ أعمالكم لتعرض عليّ في كلّ يوم وليلة، قال: فاستعظمت ذلك، فقال: أما تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ: «وقل اعملوا فسير الله عملكم ورسوله والمؤمنون»، قال: هو والله عليّ بن أبي طالب[٣].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام إنّ أعمال العباد تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ صباح أبرارها وفجّارها فاحذروها وليستحي أحدكم أن يعرض على نبيّه العمل القبيح[٤].

وعنه عليه السلام[٥]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام ما من مؤمن يموت أو كافر يوضع في قبره حتّى يعرض عمله على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أمير المؤمنين عليه السلام وهلّم جرّا إلى آخر من فرض الله طاعته على العباد. فذلك قوله: «وقل اعملوا فسير الله عملكم ورسوله والمؤمنون»[٦].

﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾: بالموت.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٩، ح ١٢٦.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٢١٩، ح ٣، باب عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام. وفيه: «مالكم تسوؤون رسول الله صلى الله عليه وآله، فقيل: كيف نسوؤه؟.... ـ إلى أن قال ـ: فلا تسوؤوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسرّوه».

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٢١٩، ح ٤، باب عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٤. وفيه: «فاحذروا فليستحي».

٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٤.

٦ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠٩، ح ١٢٤، والنص للأوّل.

وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقَا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالمجازاة.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾: مؤخّرون أي موقوف أمرهم من أرجأته إذا أخّرته، وقرئ مرجون بالواو وهو بمعناه.

﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾: في شأنهم.

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بأفعالهم[١].

﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يفعل بهم، في الكافي[٢]، والعيّاشي عن الباقر عليه السلام[٣]، والقمّي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قوم كانوا مشركين فقتلوا مثل حمزة وجعفر وأشباههما من المؤمنين ثمّ إنّهم دخلوا في الإسلام فوحّدوا الله وتركوا الشّرك ولم يعرفوا الإيمان بقلوبهم فيكونوا من المؤمنين فتجب لهم الجنّة، ولم يكونوا على جحودهم فيكفروا فتجب لهم النّار فهم على تلك الحال إمّا يعذّبهم الله وإمّا يتوب عليهم[٤].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِداً﴾: وقرئ الّذين بدون الواو لأنّه قصّة برأسها، وفي

---

١ ـ وفي نسخة: [بأحوالهم].

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٠٧، ح ١، باب المرجون لأمر الله.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٠، ح ١٣٠.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٤. وفيه: «فهم على تلك الحالة مرجون لأمر الله إمّا يعذبهم وإمّا يتوب عليهم».

الجوامع: روي أنّ بني عمرو بن عوف لمّا بنوا مسجد قبا وصلّى فيه رسول الله ﷺ حسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف[١]، وقالوا: نبني مسجداً نصلّي فيه ولا نحضر جماعة محمّد ﷺ، فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قبا، وقالوا لرسول الله ﷺ: وهو يتجهّز إلى تبوك إنّا نحبّ أن تأتينا فتصلّي لنا فيه، فقال: إنّي على جناح سفر، ولمّا انصرف من تبوك نزلت فأرسل من هدم المسجد وأحرقه وأمر أن يتّخذ مكانه كناسة تلق فيها الجيف والقمامة[٢].

﴿ضِرَاراً﴾: مضارّة للمؤمنين أصحاب مسجد قبا.

﴿وَكُفْراً﴾: وتقوية للكفر الّذي كانوا يضمرونه.

﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: الّذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قبا، أرادوا أن يتفرّقوا عنه، وتختلف كلمتهم.

﴿وَإِرْصَاداً﴾: وإعداداً وترقّباً.

﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾: يعني أبا عامر الرّاهب[٣].

قيل: بنوه على قصد أن يؤمّهم فيه أبو عامر إذا قدم من الشّام[٤].

في الجوامع: أنّه كان قد ترهّب في الجاهليّة، ولبس المسوح، فلمّا قدم النّبي ﷺ المدينة حسده وحزّب عليه الأحزاب، ثم هرب بعد فتح مكّة وخرج إلى الرّوم وتنصّر، وكان هؤلاء يتوقعون رجوعه إليهم وأعدّوا هذا المسجد له ليصلّي فيه، ويظهر على رسول الله ﷺ[٥]، وأنّه كان يقاتل رسول الله ﷺ في غزواته إلى أن هرب إلى الشّام ليأتي من

---

١ ـ غنم بن عوف: بطن من الخزرج، من الأزد، من القحطانيّة، وهم بنو غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج معجم قبائل العرب: ج ٢، ص ٨٣٤.

٢ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٨٤.

٣ ـ وهو من أشراف قبيلة خزرج وله مهارة في علم التوراة والإنجيل وكان يحدّث نعت النبي ﷺ على أهل المدينة فلمّا بعث النبي ﷺ وقدم بالمدينة حسده وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة الذي قتل مع النبي ﷺ يوم أُحد وكان جنباً فغسلته الملائكة.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٧٢ ـ ٧٣.

٥ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٨٤ ـ ٨٥.

قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ومات بقنسرين[١] وحيداً[٢].

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾: ما أردنا ببنائه إلّا الخصلة الحسنى وهي الصلاة والذكر، والتوسعة على المصلّين.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾: في حلفهم، القمّي: كان سبب نزولها أنّه جاء قوم من المنافقين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله أتأذن لنا أن نبني مسجداً في بني سالم للعليل، واللّيلة المطيرة، والشّيخ الفاني، فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على الخروج إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله لو أتيتنا فصليت فيه، قال: أنا على جناح السّفر فإذا وافيت إن شاء الله آتيته فصلّيت فيه، فلمّا أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله من تبوك نزلت عليه هذه الآية في شأن المسجد، وأبي عامر الرّاهب، وقد كانوا حلفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله أنّهم يبنون ذلك للصّلاح والحسنى، فأنزل الله على رسوله «والّذين اتّخذوا مسجداً» الآية، قال: «وإرصاداً لمن حارب الله» يعني أبا عامر الرّاهب كان يأتيهم فيذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه[٣].

وفي تفسير الإمام عليه السلام عند قوله: «وَلَا تَقُولُواْ رَاعِنَا» من سورة البقرة[٤] إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان تأتيه الأخبار عن صاحب دومة الجندل[٥] وكان ملك النّواحي له مملكة

---

١ ـ قنسرين: مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم، ومازالت عامرة آهلة إلى أن كانت سنة ٣٥١ وغلبت الروم على مدينة حلب وقتلت جميع ماكان بربضها فخاف أهل قنسرين وتفرقوا في البلاد.

وقيل: كان خراب قنسرين في سنة ٣٥٥ قبل موت سيف الدولة بأشهر كان قد خرج إليها ملك الروم وعجز سيف الدولة عن لقائه فأمال عنه فجاء إلى قنسرين وخرّبها وأحرق مساجدها ولم تعمر بعد ذلك. معجم البلدان: ج ٤، ص ٤٠٤.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٣٢.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٥.

٤ ـ البقرة: ١٠٤.

٥ ـ دُومَة الجندل ـ بضم أوّله وفتحه ـ: حصن، وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيّ وعليها سور يُتحصّن به، وفي داخل السور حصن منيع يقال له مارد، وهو حصن أُكيدر الملك بن عبدالملك، وكان النّبي صلى الله عليه وآله وجه إليه خالد بن الوليد من تبوك، وقال: ستلقاه يصيد الوحش، وجاءت بقرة وحشيّة فحككت قرونها بحصنه فنزل إليها ليلاً ليصيدها فهجم عليه خالد فأسره، وقتل أخاه حسان بن عبدالملك وافتتحها خالد عنوة، وذلك في سنة تسع للهجرة، ثم إنّ النّبي صلى الله عليه وآله صالح أُكيدر على دومة وآمنه وقرره عليه وعلى أهله الجزية، وكان نصرانيّاً فأسلم

عظيمة ممّا يلي الشّام وكان يهدّد رسول الله ﷺ بقصده، وقتل أصحابه، وكان أصحاب رسول الله ﷺ خائفين وجلين من قبله، قال: ثمّ أنّ المنافقين اتفقوا وبايعوا لأبي عامر الرّاهب الّذي سمّاه رسول الله ﷺ الفاسق وجعلوه أميراً عليهم وبخعوا[١] له بالطّاعة، فقال لهم: الرّأي أن أغيب عن المدينة لئلّا أُتّهم إلى أن يتمّ تدبيركم، وكاتبوا أُكيدر ـ صاحب دومة الجندل ـ ليقصد إلى المدينة فأوحى الله تعالى إلى محمّد ﷺ وعرّفه ما أجمعوا عليه من أمره، وأمره بالمسير إلى تبوك. وكان رسول الله ﷺ كلّما أراد غزواً ورّى بغيره إلّا غزاة تبوك فإنّه أظهر ما كان يريده، وأمرهم أن يتزودوا لها، وهي الغزاة التي افتضح فيها المنافقون وذمّهم الله تعالى في تثبّطهم عنها، وأظهر رسول الله ﷺ ما أوحى الله تعالى إليه إنّ الله سيظهره بأُكيدر حتّى يأخذه ويصالحه على ألف أُوقية ذهب في رجب ومائتي حُلّة وألف أُوقيّة في صفر ومائتي حلّة وينصرف سالماً إلى ثمانين يوماً، فقال لهم رسول الله: إنّ موسى وعد قومه أربعين ليلة وإنّي أعدكم ثمانين ليلة أرجع سالماً غانماً ظافراً بلا حرب يكون ولا يشتكي[٢] أحد من المؤمنين، فقال المنافقون: لا والله ولكنّها آخر كسراتها[٣] التي لا ينجبر بعدها إنّ أصحابه ليموت بعضهم في هذا الحرّ، ورياح البوادي، ومياه المواضع المؤذية الفاسدة، ومن سلم من ذلك فبين أسير في يد أُكيدر، وقتيل وجريح، واستأذنه المنافقون بعلل ذكروها بعضهم يعتلّ بالحرّ وبعضهم بمرض بجسده، وبعضهم بمرض في عياله، وكان يأذن لهم فلمّا أصبح وصحّ عزم رسول الله ﷺ على الرّحلة إلى تبوك. عمد هؤلاء المنافقون فبنوا خارج المدينة مسجداً، وهو مسجد الضّرار يريدون الإجتماع فيه، ويموّهون أنّه للصلاة وإنّما كان ليجتمعوا فيه لعلّة الصلاة فيتمّ تدبيرهم، ويقع هناك ما يسهل به لهم ما يريدون، ثمّ جاء جماعة منهم إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله إنّ بيوتنا قاصية عن مسجدك فإنّا نكره الصلاة في غير جماعة، ويصعب علينا الحضور وقد بنينا مسجداً فإن رأيت أن تقصده وتصلّي فيه لنتيّمن ونتبرّك بالصلاة في موضع

أخوه حُرَيث فأقرّه النّبي ﷺ على ما في يده. معجم البلدان: ج ٢، ص ٤٨٧.

١ ـ بخع بالحق بخوعاً ـ كمنع ـ: أقرّ به، وخضع له. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٩٧، مادة «بخع».

٢ ـ وفي نسخة: [يشتاك] كما في المصدر. ٣ ـ وفي المصدر: «آخر كرّاته التي لا ينجبر بعدها».

مصلّاك فلم يعرّفهم رسول الله ﷺ ما عرّفه الله تعالى من أمرهم ونـفاقهم، وقـال: إئـتوني بحماري فأتي باليعفور فركبه يريد نحو مسجدهم فكلّما بعثه هو وأصحابه لم ينبعث، ولم يمش، فإذا صرف رأسه عنه إلى غيره سار أحسن سيره وأطيبه، قالوا: ولعلّ هذا الحمار قد رأى من الطريق شيئاً كرهه ولذلك لا ينبعث نحوه، فقال رسول الله ﷺ: إئتوني بفرس فركبه فلمّا بعثه نحو مسجدهم لم ينبعث، وكلّما حرّكوه نحوه لم يتحرّك حتّى إذا فتلوا رأسه إلى غيره سار أحسن سير، فقالوا: لعلّ هذا الفرس قد كره شيئاً في هذا الطريق، فقال: تعالوا نمش إليه فلمّا تعاطى هو ومن معه المشي نحو المسجد جفّوا في مواضعهم، ولم يقدروا على الحركة وإذا همّوا بغيره مـن المواضع خفّت حركاتهم، ونقيت أبدانهم وبسطت قلوبهم، فقال رسول الله ﷺ: هذا أمر قد كرهه الله وليس يريده الآن وأنا على جناح سفر فأمهلوني حتى أرجع إن شاء الله، ثمّ أنظر في هذا نظراً يرضاه الله، وجدّ في العزم على الخروج إلى تبوك، وعـزم المـنافقون عـلى اصـطلام مخلّفيهم إذا خرجوا فأوحى الله تعالى إليه يا محمد إنّ العلي الأعلى يقرؤك السلام ويقول: إمّا أن تخرج أنت ويقم علي، وإمّا أن يخرج عليّ وتقيم أنت، فقال رسول الله ﷺ: ذاك لعليّ عليه السلام فقال: علي عليه السلام: السّمع والطّاعة لأمر الله وأمر رسوله، وإن كنت أحبّ أن لا أتخـلّف عـن رسـول الله ﷺ في حال من الأحوال، فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، فقال: رضيت يا رسول الله، فقال له رسول الله: يا أبا الحسن إنّ أجر خروجك معي في مقامك بالمدينة، وإنّ الله قد جعلك أُمّة وحدك كما جعل إبراهـيم أُمّـة تمـنع جماعة المنافقين والكفّار هيبتك عن الحركة على المسلمين، فلمّا خرج رسول الله ﷺ وشيّعه عليّ عليه السلام خاض المنافقون وقالوا: إنّما خلّفه محمّد ﷺ بالمدينة لبغضه له وملاله منه، وما أراد بذلك إلّا أن يبيّته المنافقون فيقتلوه، فاتصّل ذلك برسول الله ﷺ فقال عليّ عليه السلام: أتسمع مـا يقولون يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ما يكفيك إنّك جلدة ما بين عينيّ، ونور بصري، وكالرّوح في بدني، ثمّ سار رسول الله ﷺ بأصحابه، وقام عـليّ بـالمدينة، فكـان كـلّما دبّـر المنافقون أن يوقعوا بالمسلمين فزعوا من عليّ وخافوا أن يقوم معه عليهم يدفعهم عن ذلك، وجعلوا يقولون فيما بينهم: هي كرّة محمّد التي لا يؤوب منها، ثم ذكر عليه السلام قصّة رسول الله ﷺ

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾

مع أُكيدر وأخذه له وصلحه معه على ما مرّ ذكره، ثمّ قال: وعاد رسول الله ﷺ غانماً ظافراً وأبطل الله كيد المنافقين، وأمر رسول الله ﷺ بإحراق مسجد الضّرار فأنزل الله تعالى: «والّذين اتخذوا مسجداً ضراراً» الآيات ثمّ ذكر إنّ أبا عامر الرّاهب كان عجل هذه الأُمّة كعجل قوم موسى وأنّه دمّر الله عليه وأصابه بقولنج وبرص وفالج ولقوة[1] وبقي أربعين صباحاً في أشدّ عذاب ثمّ صار إلى عذاب الله[2].

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً﴾: أي لا تصلّ فيه أبداً، يقال: فلان يقوم باللّيل أي يصلّي.

﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: من أيّام وجوده، في الكافي: عن الصادق[3]، والعيّاشي: عنهما عليهما السلام[4]، والقمّي: يعني مسجد قبا[5].

قيل: أسّسه رسول الله ﷺ وصلّى فيه أيّام مقامه بقبا[6].

﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾: أولى بأن تصلّي فيه، العيّاشي: قال: يعني من مسجد النّفاق، وكان على طريقه رجل إذا أتى مسجد قبا فقام فينضح بالماء والسدر ويرفع ثيابه عن ساقيه

---

١ ـ اللَّقْوَة ـ بالفتح ـ: داء بالوجه. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٨٠، مادة «لقا». وقال الجوهري: اللقوة: داء في الوجه، الصحاح: ج ٦، ص ٢٤٨٥. وفي المصباح المنير: اللقوة: داء يصيب الوجه، ص ٥٥٨.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٤٨١ ـ ٤٨٨، ح ٣٠٩.

٣ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٩٦، ح ٢، باب بناء مسجد النبي ﷺ.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١١١، ح ١٣٦.

٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٥.

٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٣٢.

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾

ويمشي على حجر في ناحية الطّريق ويسرع المشي ويكره أن يصيب ثيابه منه شيء فسألته هل كان النّبي ﷺ يصلي في مسجد قبا؟ قال: نعم[١].

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾: العيّاشي: عن الصادق عليه السلام هو الإستنجاء بالماء[٢].

والقمّي: كانوا يتطّهرون بالماء[٣].

وفي المجمع: عن الباقر والصادق عليهما السلام يحبون أن يتطهروا بالماء عن الغائط والبول[٤].

وعن النّبي ﷺ أنّه قال لأهل قبا: ماذا تفعلون في طهركم؟ فإنّ الله قد أحسن عليكم الثّناء، قالوا نغسل أثر الغائط، فقال: أنزل الله فيكم «والله يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِرِينَ»[٥].

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾: بنيان دينه.

﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾: على قاعدة محكمة هي الحقّ الذي هو التّقوى من الله وطلب مرضاته بالطّاعة.

﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾: على قاعدة هي أضعف القواعد وأقلّها بقاءاً، وهو الباطل والنّفاق الّذي مثله مثل «شفا جرف هار» في قلّة الثّبات، والشّفا: الشّفير، وجرف الوادي: جانبه الّذي ينحفر أصله بالماء وتجرفه السّيول، والهار:

---

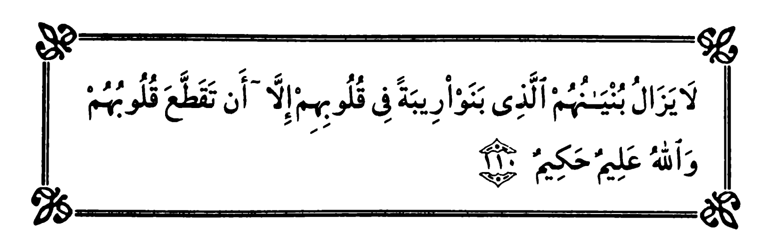
١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١١ ـ ١١٢، ح ١٣٦.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٢، ح ١٣٧.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٥.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٧٣.

٥ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٧٣.


لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

الهاير الّذي أشفى على السّقوط والهدم، وقرئ أُسِّسَ على البناء للمفعول، وجرف بالتّخفيف.

﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾: لمّا جعل الجرف والهار مجازاً عن الباطل قيل: فانهار به في نار جهنّم، والمعنى: فهوى به الباطل في نار جهنّم، فكأنّ المبطل أسّس بنياناً على شفير جهنّم فطاح به إلى قعرها، القمّي: عن الباقر عليه السلام مسجد الضّرار الّذي أُسّس على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنّم[1].

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: إلى ما فيه صلاح ونجاة.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ﴾: يعني مسجد الضّرار.

﴿رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾: سبب شكّ وازدياد نفاق في قلوبهم لا يضمحلّ أثره، ثمّ لمّا هدمه رسول الله صلى الله عليه وآله رسخ ذلك في قلوبهم، وازداد بحيث لا يزول رسمه.

﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾: قطعاً بحيث لا يبقى لها قابليّة الإدراك والإضمار، في الجوامع عن الصّادق عليه السلام إنّه قرأ «إلى أن تقطّع قلوبهم»[2].

والقمّي: يعني «حتّى تقطع قلوبهم»[3]. وقرئ تقطع بمعنى ينقطع.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بنيّاتهم.

﴿حَكِيمٌ﴾: فيما أمر بهدم بنائهم، القمّي: فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله مالك بن دخشم الخزاعي، وعامر بن عدي أخا بني عمرو بن عوف على أن يهدموه ويحرّقوه فجاء مالك فقال لعامر: انتظرني حتى أخرج ناراً من منزلي فدخل وجاء بنار وأشعل في سعف النّخل ثم

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٥. ٢ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٨٦.
٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٥.

إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

أشعله في المسجد فتفرقوا، وقعد زيد بن حارثة حتّى احترقت البنية ثمّ أمر بهدم حائطه[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾: تمثيل لإثابة الله إيّاهم بالجنّة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله.

﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾: استئناف لبيان ما لأجله الشّرى، وقرئ بتقديم المبني للمفعول.

﴿وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾: وعد ذلك على نفسه وعداً ثابتاً مثبتاً في الكتب الثّلاثة.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾: أي لا أحد أوفى بعهده من الله.

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾: فافرحوا به غاية الفرح إذ بعتم فانياً بباق، وزائلاً بدائم.

﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾: رفع على المدح أي هم التّائبون، وفي قراءة الباقر والصّادق عليهما السلام التّائبين إلى قوله والحافظين رواها في المجمع عنهما عليهما السلام جرّاً على

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٥. وفيه: «مالك بن الدجشم الخزاعي».

الصفة للمؤمنين[١].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّه تلي عنده «التّائبون العابدون»، فقال: لا، إقرأ «التّائبين العابدين» إلى آخرها، فسئل عن العلّة في ذلك، فقال: اشترى من المؤمنين التّائبين العابدين[٢].

﴿ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: في الكافي: عن الصّادق عليه السلام لمّا نزلت هذه الآية «إنّ الله اشترى من المؤمنين» قام رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا نبي الله أرأيتك الرّجل يأخذ سيفه فيقاتل حتّى يقتل إلّا أنّه يقترف من هذه المحارم أشهيد هو؟ فأنزل الله على رسوله «التّائبون العابدون» الآية فبشّر النبي صلى الله عليه وآله المجاهدين من المؤمنين الّذين هذه صفتهم وحليتهم بالشّهادة والجنّة، وقال: «التائبون»: من الذنوب، «العابدون»: الذين لا يعبدون إلّا الله ولا يشركون به شيئاً، «الحامدون»: الّذين يحمدون الله على كلّ حال في الشدّة والرّخاء، «والسّائحون»: الصّائمون، «الرّاكعون السّاجدون»: الّذين يواظبون على الصلوات الخمس، «الحافظون»: لها والمحافظون عليها بركوعها وسجودها والخشوع فيها وفي أوقاتها الآمرون بالمعروف بعد ذلك، والعاملون به، والنّاهون عن المنكر، والمنتهون عنه، قال: فبشّر من قتل وهو قائم بهذه الشّروط بالشّهادة والجنّة الحديث[٣].

أقول: إنّما فسّر السّياحة بالصّيام لقول النّبي صلى الله عليه وآله: سياحة أُمّتي الصيام[٤].

وعنه عليه السلام لقي عبّاد البصري عليّ بن الحسين عليهما السلام في طريق مكّة فقال له: يا علي بن

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٧٤.

٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨، ح ٥٦٩، تفسير بعض آيات القرآن.

٣ ـ الكافي: ج ٥، ص ١٥، ح ١، باب من يجب عليه الجهاد ومن لا يجب.

٤ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٣٤.

الحسين تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحجّ ولينته إنّ الله يقول: «إنّ الله اشترى من المؤمنين» الآية، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: أتمّ الآية فقال: «التائبون العابدون» الآية، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: إذا رأينا هؤلاء الّذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحجّ[١].

والقمّي: لقى الزّهري علي بن الحسين عليه السلام إلى آخر الحديث[٢].

العيّاشي: قال: هم الأئمّة عليهم السلام[٣].

والقمي: قال نزلت الآية في الأئمّة عليهم السلام لأنّه وصفهم بصفة لا تجوز في غيرهم فالآمرون بالمعروف: هم الّذين يعرفون المعروف كلّه صغيره وكبيره ودقيقه وجليّه[٤]، والنّاهون عن المنكر: هم الّذين يعرفون المنكر كلّه صغيره وكبيره، والحافظون لحدود الله: هم الّذين يعرفون حدود الله صغيرها وكبيرها، ودقيقها وجليّها[٥] ولا يجوز أن يكون بهذه الصّفة غير الأئمّة عليهم السلام[٦].

وفي نهج البلاغة: أنّه ليس لأنفسكم ثمن إلّا الجنّة فلا تبيعوها إلّا بها[٧].

وفيه: فلا أموال بذلتموها للّذي رزقها ولا أنفس خاطرتم بها للّذي خلقها[٨].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن قول الله تعالى «إنّ الله اشترى» الآية فقال: يعني في الميثاق، ثمّ قرأت عليه «التّائبون العابدون»، فقال: لا إقرأها «التّائبين العابدين» إلى آخر الآية، فقال: إذا رأيت هؤلاء فعند ذلك هؤلاء اشترى منهم أنفسهم وأموالهم يعني في الرّجعة[٩].

---

١ ـ الكافي: ج ٥، ص ٢٢، ح ١، باب الجهاد الواجب مع من يكون.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٦.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٣، ح ١٤٢.

٤ ـ وفي نسخة: [جليله].

٥ ـ وفي نسخة: [جليلها].

٦ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٦.

٧ ـ نهج البلاغة: ص ٥٥٦، قصار الحكم: ٤٥٦.

٨ ـ نهج البلاغة: ص ١٧٤، ١١٧ ـ ومن كلام له عليه السلام يوبّخ البخلاء بالمال والنفس.

٩ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٢ ـ ١١٣، ح ١٤٠.

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: بموتهم على الشّرك أو بوحي من الله أنّهم لن يؤمنوا.

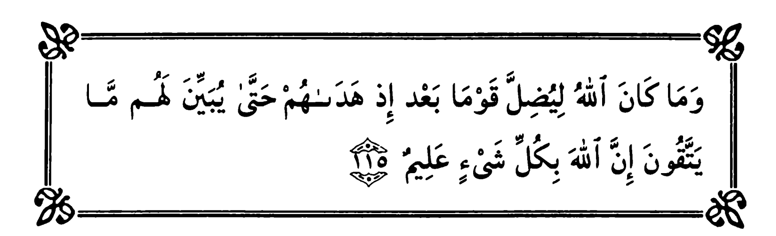
﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾: قطع استغفاره، العيّاشي: عن الصادق عليه السلام إنّه قال: ما يقول النّاس في قول الله عزّ وجلّ: «وما كان استغفار إبراهيم لأبيه»؟ فقيل: يقولون: إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له، قال: ليس هو هكذا، إنّ أبا إبراهيم وعده أن يسلم فاستغفر له، فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله تبرأ منه[1].

وفي رواية أُخرى لمّا مات تبيّن له أنّه عدوّ لله فلم يستغفر له[2].

أقول: لا ينافي هذا التّفسير ما رواه القمّي: إنّ إبراهيم عليه السلام قال لأبيه: إن لم تعبد الأصنام أستغفرت لك، فلمّا لم يدع الأصنام تبرّأ منه[3]، وذلك لجواز وقوع كلا الوعدين وكون استغفار إبراهيم عليه السلام له مشروطاً بإسلامه، وكون المراد بالوعد في هذه الآية وعد أبيه إيّاه، ويدلّ على وعد إبراهيم إيّاه قوله تعالى: «إلّا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك»[4]

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٤، ح ١٤٦.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٤، ح ١٤٨.
٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٦.
٤ ـ الممتحنة: ٤.



﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾: في الكافي: عن الباقر[١]، وفي المجمع عن الصادق عليه السلام: الأوّاه: هو الدّعّاء[٢].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام الأوّاه: المتضرّع إلى الله في صلاته، وإذا خلا في قفرة[٣] من الأرض، وفي الخلوات[٤].

وقيل: هو الّذي يكثر التأوّه والبكاء، والدّعاء، ويكثر ذكر الله عزّ اسمه[٥].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ﴾: ليخذل.

﴿قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾: للإسلام.

﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾: ما يجب إتقاؤه، في الكافي[٦]، والعيّاشي[٧]، والتوحيد: عن الصّادق عليه السلام حتّى يعرّفهم ما يرضيه وما يسخطه[٨].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: يعلم أمرهم في الحالين.

١ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٦٦، ح ١، باب فضل الدعاء والحث عليه.

٢ـ مجمع البيان: ج ٥ـ٦، ص ٧٧.

٣ـ القفر من الأرض: المفازة التي لا ماء فيها ولا نبات، والجمع قفار، ودار قفر وقفار: أي خالية من أهلها، واقفرت الدار: خلت. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٦٣، مادة «قفر».

٤ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٦.

٥ـ قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج ٢، ص ٨٩.

٦ـ الكافي: ج ١، ص ١٦٣، ح ٣، باب البيان والتعريف ولزوم الحجّة.

٧ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٥، ح ١٥٠.

٨ـ التوحيد: ص ٤١١، ح ٤، باب ٦٤ـ التعريف والبيان والحجّة والهداية.

إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: يعني ولا يتأتى ولاية ولا نصرة إلّا من الله فتوجّهوا بشراشركم[1] إليه وتبرّؤوا عمّا عداه.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾: في الإحتجاج: عن الصّادق[2]، وفي المجمع: عن الرضا عليه السلام إنّهما قرءا لقد تاب الله بالنّبي على المهاجرين[3].

والقمّي: عن الصّادق عليه السلام هكذا نزلت[4].

وفي الإحتجاج: عن أبان بن تغلب، فقلت له يا ابن رسول الله إنّ العامّة لا تقرأكما عندك، قال: وكيف تقرأ يا أبان؟ قال: قلت: إنّها تقرأ لقد تاب الله على النّبي والمهاجرين والأنصار، فقال: ويلهم وأيّ ذنب كان لرسول الله صلى الله عليه وآله حتّى تاب الله منه إنّما تاب الله به على أُمّته[5].

---

١ ـ الشراشر: الأثقال، الواحدة شُرشُرة، يقال: ألق عليه شراشره، أي نفسه، حرصاً ومحبّة. الصحاح: ج ٢، ص ٦٩٦، مادة «شرر».

٢ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٩٨، باب ذكر طرف ممّا جرى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله من اللجاج والحجاج في أمر الخلافة من قبل من استحقها ومن لم يستحق.

٣ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٨٠.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٤.

٥ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٩٨، باب ذكر طرف ممّا جرى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله من اللجاج والحجاج في أمر

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾: القمّي: في قصّة تبوك هم أبو ذر، وأبو خيثمة، وعميرة بن وهب الّذين تخلّفوا ثمّ لحقوا برسول الله ﷺ، وقال: تخلّف عن رسول الله ﷺ قوم من أهل ثبات وبصائر لم يكن يلحقهم شكّ ولا ارتياب، ولكنّهم قالوا: نلحق برسول الله، منهم أبو خيثمة وكان قويّاً وكان له زوجتان وعريشان[١] فكانتا زوجتاه قد رشتا عريشيه، قال: لا والله ما هذا بإنصاف، رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر قد خرج في الضحّ[٢] والرّيح وقد حمل السّلاح يجاهد في سبيل الله، وأبو خيثمة قويّ قاعد في عريشه وامرأتين حسناوين، لا والله ما هذا بإنصاف ثم أخذ ناقته فشدّ عليها رحله فلحق برسول الله ﷺ ونظر النّاس إلى راكب على الطّريق فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة فكان أبا خيثمة، أقبل فأخبر النّبي ﷺ بما كان فجزاه خيراً ودعا له، وكان أبو ذرّ ؓ تخلّف عن رسول الله ﷺ ثلاثة أيّام، وذلك أنّ جمله كان أعجف[٣] فلحق بعد ثلاثة أيّام ووقف عليه جمله في بعض الطريق فتركه، وحمل ثيابه على ظهره فلمّا ارتفع النّهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا ذرّ، فقالوا: هو أبو ذرّ، فقال رسول الله ﷺ: أدركوه بالماء فإنّه عطشان، فأدركوه بالماء ووافى أبو ذرّ رسول الله ﷺ، ومعه أداوة فيها ماء فقال رسول الله ﷺ له: يا أبا ذر معك ماء وعطشت؟ فقال: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي انتهيت إلى صخرة وعليها ماء السّماء فذقته فإذا هو عذب بارد، فقلت لا أشربه حتّى يشربه حبيبي رسول الله، فقال رسول الله ﷺ له: يا أبا ذرّ رحمك الله تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، وتدخل

الخلافة من قبل من استحقها ومن لم يستحق.

١ ـ العريش: ما يستظل به، يبنى من سعف النخل مثل الكوخ فيقيمون فيه مدّة إلى أن يصرم النّخل، والعريش: خيمة من خشب وثمام، والجمع عُرُش مثل قليب وقلب، مجمع البحرين: ج٤، ص١٤٣، مادة «عرش».

٢ ـ الضحّ: الشمس. ويقال: جاء فلان بالضح والريح، أي بما طلعت عليه الشمس وما جرت عليه الريح، يعني من الكثرة، الصحاح: ج ١، ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ مادة «ضحح».

٣ ـ الأعجف: المهزول، والأنثى: عجفاء. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٩٢ مادة «عجف».

الجنّة وحدك، يسعد بك قوم من العراق يتولّون غسلك، وتجهيزك، ودفنك[١].

وفي الجوامع: والعسرة: حالهم في غزوة تبوك كان يعتقب العشرة على بعير واحد وكان زادهم الشّعير المسوس، والتّمر المدوّد، والإهالة السّنخة[٢] وبلغت الشدّة بهم إلى أن اقتسم التمرة اثنان، وربّما مصّها الجماعة ليشربوا عليها الماء، وكانوا في حمازة[٣] القيظ[٤]، وفي الضّيقة الشّديدة من القحط وقلّة الماء[٥].

﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾: عن الثّبات على الإيمان ومن اتّباع الرّسول في تلك الغزوة، وقرء يزيغ بالياء[٦]، قيل: إنّ قوماً منهم همّوا بالإنصراف من[٧] غزاتهم بغير استئذان فعصمهم الله حتّى مضوا مع النبي صلى الله عليه وآله[٨].

القمّي: وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله بتبوك رجل يقال له: المضرّب، لكثرة ضرباته التي أصابته ببدر واُحد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: عد لي أهل العسكر، فعدّدهم، فقال: هم خمسة وعشرون ألف رجل، سوى العبيد والتّباع، فقال: عدّ المؤمنين فعدّدهم، فقال: خمسة وعشرون رجلاً[٩].

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: الله.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

٢ ـ السنخة ـ بالمهملة والنون والخاء المعجمة ـ: المتغيّرة الريح. منه قدس سره. وقال الجوهري: وسَنِخَ الدهن ـ بالكسر، لغة في زَنَخَ إذا فسد وتغيّرت ريحه. الصحاح: ج ١، ص ٤٢٤، مادة «سنخ».

٣ ـ بالحاء المهملة والزاء المعجمة: شدته. منه قدس سره.

٤ ـ القيظ: صميم الصيف، وقاظ يوماً: اشتد حره، مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٩٠، مادة «قيظ».

٥ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٩٠. وفيه: «كانوا في حمارّة القيظ». قال الطريحي: وحمارّة القيظ ـ بتشديد الراء لا غير ـ: شدة حرّه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٧٦، مادة «حمر».

٦ ـ قرأ حمزة، وحفص عن عاصم يزيغ بالياء، وهي قراءة الأعمش. والباقون تزيغ بالتاء. راجع مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٧٨ في القراءة.

٧ ـ وفي نسخة: [عن].

٨ ـ قاله الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٨٠.

٩ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٦.

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: تداركهم برأفته ورحمته.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾: العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام هم كعب بن مالك، ومرارة بن الرّبيع، وهلال بن أُميّة[1].

وفي المجمع: عن السجّاد، والباقر، والصادق عليهم السلام إنّهم قرأوا «خالفوا»[2].

والقمّي: قال العالم عليه السلام: إنّما نزل وعلى الثّلاثة الّذين خالفوا، ولو ـ خُلِّفُوا ـ لم يكن عليهم عتب[3].

في الكافي[4]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام لو كانوا خُلِّفوا لكانوا في حال طاعة[5][6].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: أي مع سعتها، وهو مثل لحيرتهم في أمرهم كأنّهم لا يجدون في الأرض موضع قرار.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾: أي قلوبهم من فرط الوحشة، والغمّ.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٥، ح ١٥١. ٢ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٧٨.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨. ٤ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٧٧، ح ٥٦٨.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ٢، ص ١١٥، ح ١٥٢.

٦ ـ وأمّا ما في رواية العياشي، والكافي: إنّ الثلاثة عثمان وصاحباه وأنّ الله سلّط عليهم الخوف فما سمعوا صوت كافر [حافر] ولا قعقعة حجر إلّا قالوا أتيناه فأقالهم الله وما تابوا فلعله تأويل للآية وإجراء لها فيهم. منه قدس سره.

راجع نفس المصدر السابق فيهما.

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: وعلموا.

﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: من سخطه[١].

﴿إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: ثمّ رجع عليهم بالقبول، في المعاني: عن الصادق عليه السلام هي الإقالة[٢].

﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾: ليعودوا إلى حالتهم الأُولى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرّة، وقد مضى تحقيق معنى التوبة من الله ومن العبد في سورة البقرة[٣].

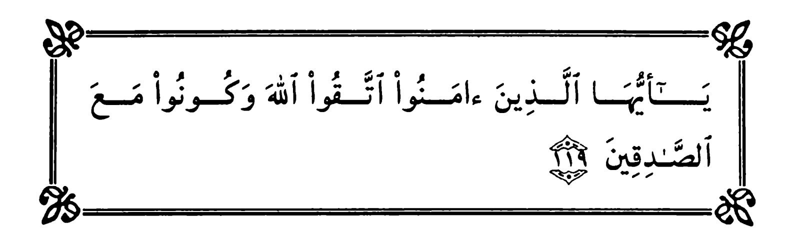
والقمّي: في قصّة غزوة تبوك وقد كان تخلّف عن رسول الله قوم من المنافقين، وقوم من المؤمنين مستبصرين لم يعثر عليهم في نفاق، منهم: كعب بن مالك الشّاعر، ومرارة بن الرّبيع، وهلال بن أُميّة الواقفي، فلمّا تاب الله عليهم، قال كعب: ما كنت قطّ أقوى منّي في ذلك الوقت الذي خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى تبوك، وما اجتمعت لي راحلتان إلّا في ذلك اليوم فكنت أقول: أخرج غداً أخرج بعد غد، فإنّي قوي وتوانيت وبقيت بعد خروج النّبي صلى الله عليه وآله أيّاماً أدخل السّوق ولا أقضي حاجة فلقيت هلال بن أُميّة، ومرارة بن الرّبيع، وقد كانا تخلّفا أيضاً فتوافقنا أن نبكر إلى السّوق ولم نقض حاجة، فما زلنا نقول: نخرج غداً وبعد غد حتّى بلغنا إقبال رسول الله صلى الله عليه وآله فندمنا، فلمّا وافى رسول الله صلى الله عليه وآله استقبلناه نهنّئه بالسّلامة، فسلّمنا عليه، فلم يرد علينا السّلام، فأعرض عنّا، وسلّمنا على إخواننا فلم يردّوا علينا السّلام، فبلغ ذلك أهلونا فقطعوا كلامنا، وكنّا نحضر المسجد فلا يسلّم علينا أحد ولا يكلّمنا فجاءت نساؤنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلن: قد بلغنا سخطك على أزواجنا أفنعتزلهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تعتزلنهم ولكن لا يقربوكنّ، فلمّا رآى كعب بن مالك وصاحباه ما قد حلّ بهم، قال: ما يقعدنا بالمدينة ولا يكلّمنا رسول الله صلى الله عليه وآله ولا إخواننا ولا أهلونا فهلمّوا

---

١ ـ وفي نسخة: [من سخط الله].

٢ ـ معاني الأخبار: ص ٢١٥، ح ١، باب توبة الله عزّ وجلّ على الخلق.

٣ ـ البقرة: ذيل الآية ٣٧.



نخرج إلى هذا الجبل فلا نزال فيه حتّى يتوب الله علينا أو نموت، فخرجوا إلى ذناب جبل بالمدينة فكانوا يصومون، وكان أهلوهم يأتونهم بالطّعام فيضعونه ناحية، ثمّ يولّون عنهم فلا يكلّمونهم، فبقوا على هذه الحالة أيّاماً كثيرة يبكون باللّيل والنّهار، ويدعون الله أن يغفر لهم، فلمّا طال عليهم الأمر، قال لهم كعب: يا قوم قد سخط الله علينا، ورسوله قد سخط علينا، وإخواننا قد سخطوا علينا، وأهلونا سخطوا علينا، فلا يكلّمنا أحد فلم لا يسخط بعضنا على بعض، فتفرّقوا في اللّيل وحلفوا أن لا يكلّم أحد منهم صاحبه حتّى يموت أو يتوب الله عليه فبقوا على هذه ثلاثة أيّام كلّ منهم في ناحية من الجبل لا يرى أحد منهم صاحبه ولا يكلّمه فلمّا كان في اللّيلة الثّالثة، ورسول الله ﷺ في بيت أُمّ سلمة نزلت توبتهم على رسول الله ﷺ قال: «حَتّى إذا ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ الأَرْض بِمَا رَحُبَتْ» حيث لم يكلّمهم رسول الله ﷺ، ولا إخوانهم، ولا أهلوهم، فضاقت المدينة عليهم حتّى خرجوا منها، وضاقت عليهم أنفسهم حيث حلفوا أن لا يكلّم بعضهم بعضاً فتفرّقوا وتاب الله عليهم لمّا عرف صدق نياتهم[١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام إيّانا عنى[٢].

وعن الرضا عليه السلام الصّادقون: هم الأئمّة عليهم السلام والصّديقون بطاعتهم[٣].

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٨.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٠٨، ح ١، باب ما فرض الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ من الكون مع الأئمّة عليهم السلام.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٠٨، ح ٢، باب ما فرض الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ من الكون مع الأئمّة عليهم السلام.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٢٠﴾

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام قال مع آل محمد عليهم السلام[١].

والقمّي: قال: هم الأئمّة عليهم السلام[٢].

وفي الإكمال: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قال في جمع من المهاجرين والأنصار أيّام خلافة عثمان أسألكم بالله أتعلمون أنّه لمّا نزلت هذه الآية قال سلمان: يا رسول الله عامّة هذه الآية أم خاصّة؟ فقال عليه السلام: أمّا المأمورون فعامّة المؤمنين أُمروا بذلك، وأمّا الصّادقون فخاصّة لأخي علي وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة، قالوا: اللّهمّ نعم[٣].

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام إنّه قرأ «من الصّادقين»[٤].

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾: بل عليهم أن يصحبوه على البأساء والضرّاء، ويكابدوا معه الشدائد برغبة ونشاط كما فعله أبو ذرّ وأبو خيثمة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾: شيء من العطش.

﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تعب.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٨١.
٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٧.
٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٧٨، ح ٢٥، باب ٢٤ ـ ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في النص على القائم عليه السلام.
٤ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٨٠، في القراءة.

وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾: مجاعة.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: في طريق الجهاد.

﴿وَلَا يَطَـُٔونَ﴾: لا يدوسون بأرجلهم، وبحوافر خيولهم، وأخفاف رواحلهم.

﴿مَوْطِئاً﴾: موضعاً.

﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾: وطأهم إيّاه ويضيق صدورهم بتصرّفهم في أرضهم.

﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً﴾: بقتل أو أسر أو نهب.

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ﴾: واستوجبوا الثّواب عند الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً﴾: أرضاً في مسيرهم، والوادي: كلّ منعرج[1] ينفذ فيه السّيل. فشاع بمعنى الأرض.

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾: ذلك الإنفاق وقطع الوادي.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: بذلك.

﴿أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: جزاء أحسن أعمالهم، أو أحسن جزاء أعمالهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾: وما استقام لهم أن ينفروا جميعاً لنحو غزو

---

١ ـ منعرج الوادي: منعطفه. منه ﷺ. وقال الجوهري: وانعرج الشيء أي انعطف. ومُنْعَرَج الوادي: مُنْعَطَفُهُ يمنة ويسرة. الصحاح: ج ١، ص ٣٢٨، مادة «عرج».

وطلب علم كما لا يستقيم لهم أن يتثبطوا[١] جميعاً.

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ﴾: فهلّا نفر من كلّ جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة.

﴿طَآئِفَةٌ﴾: جماعة قليلة.

﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾: ليتكلّفوا الفقاهة فيه، ويتجشّموا[٢] مشاقّ تحصيلها.

﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾: فيه دلالة على أنّه ينبغي أن يكون غرض المتفقّه أن يستقيم ويقيم. لا الترّفع على النّاس والتّبسّط[٣] في البلاد.

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾: إرادة أن يحذروا عمّا ينذرون منه، في العلل: عن الصّادق عليه السلام أنّه قيل له: إنّ قوماً يروون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اختلاف أُمّتي رحمة، فقال عليه السلام: صدقوا، فقيل: إن كان إختلافهم رحمة فإجتماعهم عذاب؟ قال عليه السلام: ليس حيث تذهب وذهبوا، إنّما أراد قول الله عزّ وجلّ: «فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ» الآية فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويختلفوا إليه فيتعلّموا، ثمّ يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم إنّما أراد إختلافهم من البلدان لا إختلافاً في دين الله، إنّما الدين واحد[٤].

وفي الكافي: قيل للصّادق عليه السلام: إذا حدث على الإمام حدث كيف يصنع النّاس؟ فقال: أين قول الله عزّ وجلّ: «فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَة» الآية، قال: قلت: فما حالهم؟ قال: هم في عذر ماداموا في الطّلب، وهؤلاء الّذين ينتظرونهم في عذر حتّى يرجع إليهم أصحابهم[٥].

---

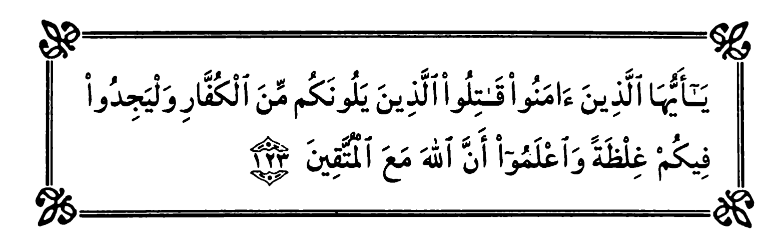
١ ـ وفي نسخة: [أن يثبّطوا]. قال الطريحي: فثبّطهم: أي حبسهم بالجبن، يقال: ثبّطه عن الأمر: أي أثقله وأقعده. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٤٠، مادة «ثبط».

٢ ـ التجشّم: وهو التكلّف على المشقّة. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٩، مادة «جشم».

٣ ـ بسط الشيء: نشره، وتبسّط في البلاد، أي سار فيها طولاً وعرضاً. الصحاح: ج ٣، ص ١١١٦، مادة «بسط» والمراد هنا الإشتهار في البلاد.

٤ ـ علل الشرائع: ص ٨٥، ح ٤، باب ٧٩ ـ العلّة التي من أجلها صار بين الناس الإئتلاف والإختلاف.

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ٣٧٨، ح ١، باب ما يجب على الناس عند مضي الإمام.



والعيّاشي: عنه عليه السلام ما في معناه[١].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام كان هذا حين كثر النّاس فأمرهم الله أن ينفر منهم طائفة، ويقيم طائفة للتفقّه، وأن يكون الغزو نوباً[٢].

أقول: يعني يبقى مع النّبي صلى الله عليه وآله طائفة للتفقّه وإنذار النافرة فيكون النّفر للغزو والقعود للتفقّه.

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام[٣]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام تفقّهوا في الدّين فإنّه من لم يتفقّه منكم في الدّين فهو أعرابيّ، إنّ الله يقول في كتابه: «ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم»[٤].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾: أُمِرُوا بقتال الأقرب منهم فالأقرب، نظيره «وَأَنْذِر عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ»[٥]، فإنّ الأقرب أحق بالشفقة والإستصلاح، في الكافي[٦]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام قال: الدّيلم[٧].

والقمّي: يجب على كلّ قوم أن يقاتلوا من يليهم ممّن يقرب من الإمام ولا يجوزوا ذلك الموضع[٨].

---

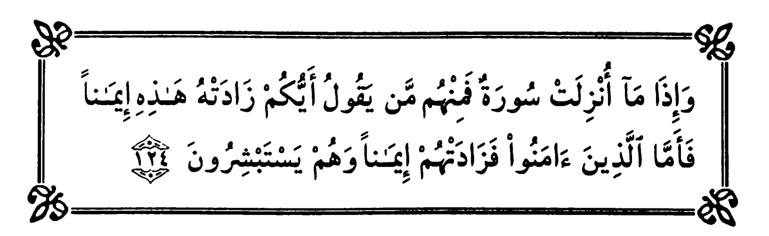
١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٧، ح ١٥٩. ٢ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٨٣.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٣١، ح ٦، باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٨، ح ١٦٢. ٥ ـ الشعراء: ٢١٤.

٦ ـ لم نعثر عليه في الكافي والظاهر أنّه سهو من قلمه الشريف، بل وجدناه في تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٧٤، ح ٣٤٥/ ٢٣، باب ٧٩ ـ النوادر. ٧ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٨، ح ١٦٣.

٨ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٧.



﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: شدّة وصبراً على القتال، القمّي: أي إغلظوا لهم القول والقتل[1].

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: بالحراسة والإعانة.

﴿وَإِذَا مَآ أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم﴾: فمن المنافقين.

﴿مَّن يَقُولُ﴾: إنكاراً واستهزاءاً.

﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ﴾: السورة.

﴿إِيمَـٰناً فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰناً﴾: بزيادة العلم الحاصل من تدبّر السّورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها.

﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بنزولها، لأنّه سبب زيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم، القمّي: وهو ردّ على من يزعم أنّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص[2].

وفي الكافي[3]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمّه عليها وفرّقه فيها ثمّ بيّن عليه السلام ذلك، قيل: قد فهمت نقصان الإيمان وتمامه فمن أين جاءت زيادته، قال: قول الله عزّ وجلّ: «وَإِذَا مَا أُنزِلَت سُورَةٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ» الآية، وقال: «وَزِدْنَاهُمْ هَدَىً»[4]، ولو كان كلّه واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر، ولا استوت النّعم فيه، ولا استوى النّاس وبطل

١ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٧. ٢ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٨.

٣ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٧، ذيل ح ١، باب في أنّ الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلّها.

٤ـ الكهف: ١٣.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾

التّفضيل، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّة، وبالزّيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله، وبالنقصان دخل المفرّطون النّار[١]. وقد مضى هذا المعنى زيادة بيان في سورة الأنفال[٢].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾: القمّي[٣]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام يقول: شكّاً إلى شكّهم[٤].

﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾: واستحكم ذلك فيهم حتّى ماتوا عليه.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾: يعني المنافقين.

﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾: يبتلون بأصناف البليّات أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيعاينون ما يظهر عليهم من الآيات، والقمّي: يمرضون[٥].

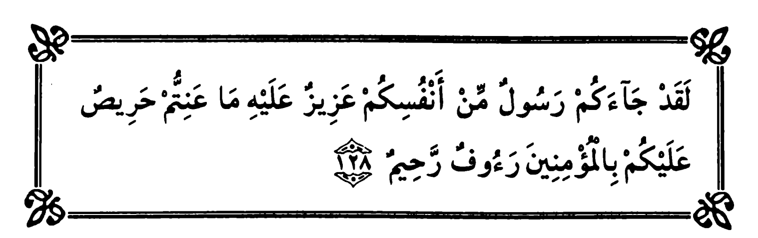
﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾: من نفاقهم.

﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: لا يعتبرون.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: تغامزوا بالعيون، إنكاراً لها

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٢٤، ح ١٢.
٢ ـ الأنفال: ذيل الآية ٤.
٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٨.
٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٨، ح ١٦٤.
٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٨.



وسخريّة، أو غيظاً لما فيها من عيوبهم[1].

﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: أي يقولون: هل يراكم من أحد من المسلمين إن قمتم وانصرفتم؟ فإنّا لا نصبر على استماعه، وترامقوا[2] يتشاورون في تدبّر[3] الخروج والإنسلال، فإن لم يرهم أحد قاموا وإن يرهم أحد أقاموا.

﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ﴾: تفرّقوا مخافة الفضيحة.

﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾: عن الإيمان والإنشراح به بالخذلان، والقمّي: عن الحقّ إلى الباطل باختيارهم الباطل على الحقّ[4].

وقيل: ويحتمل الدعاء[5].

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسبب أنّهم.

﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: لسوء فهمهم وعدم تدبّرهم.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾: من جنسكم عربي، القمّي: مثلكم في الخلقة، قال: ويقرأ «مِنْ أَنْفَسِكُمْ» أي من أشرفكم[6].

في الجوامع: قيل: هو قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام[7].

---

١ ـ اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٣٧.

٢ ـ رمقه بعينه رمقاً ـ من باب قتل ـ: أطال النظر إليه. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٧٣، مادة «رمق».

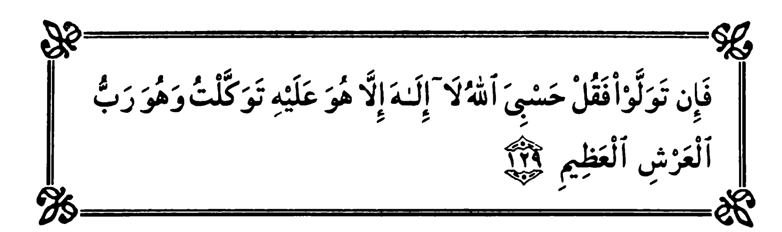
٣ ـ وفي نسخة: [تدبير].

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٨.

٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٣٨.

٦ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٨.

٧ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ٩٤.



﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾: شديد شاقّ.

﴿مَا عَنِتُّمْ﴾: عَنَتكم ولقاؤكم المكروه، والقمّي: ما أنكرتم وجحدتم[1].

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾: على إيمانكم، وصلاح شأنكم حتى لا يخرج أحد منكم عن الإستسعاد بدينه الذي جاء به.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: منكم ومن غيركم.

﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: عن الإيمان بك.

﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾: استعن بالله فإنّه يكفيك أمرهم وينصرك عليهم.

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: فلا أرجو غيره ولا أخاف إلّا منه.

﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾: في التّوحيد: عن الصّادق عليه السلام أي الملك العظيم[2].

العيّاشي: عنه عليه السلام «رسول من أنفسكم» قال: فينا، «عزيز عليه ما عنتم» قال: فينا، «حريص عليكم» قال: فينا، «بالمؤمنين رؤف رحيم» قال: يشركنا المؤمنون في هذه الرابعة، وثلاثة لنا[3].

وفي رواية أُخرى: فلنا ثلاثة أرباعها، وليشعتنا ربعها[4].

وفي الكافي: عنه عليه السلام هكذا أنزل الله تعالى «لقد جاءنا رسول من أنفسنا عزيز عليه

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٨.

٢ ـ التوحيد: ص ٣٢١، ح ١، باب ٥٠ ـ العرش وصفاته.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٨، ح ١٦٥.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٨، ح ١٦٦.

ما عنتنا حريص علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم»[١].

في ثواب الأعمال[٢]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام من قرأ سورة الأنفال وسورة البراءة في كلّ شهر لم يدخله نفاق أبداً، وكان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وزاد العيّاشي: ويأكل يوم القيامة من موائد الجنّة مع شيعته حتّى يفرغ النّاس من الحساب[٣].

* * *

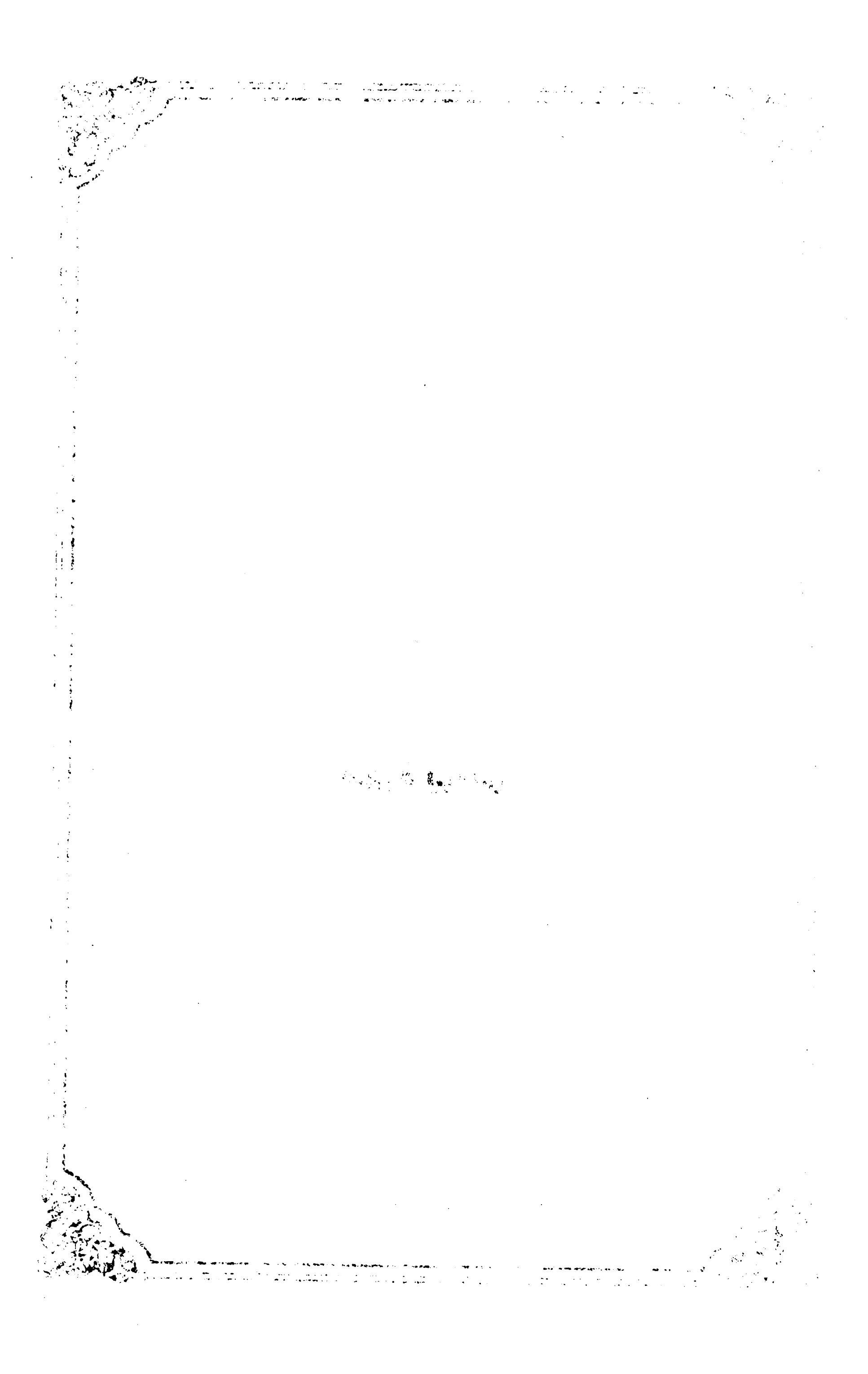
١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٧٨، ح ٥٧٠.

٢ ـ ثواب الأعمال: ص ١٠٦، باب ثواب من قرأ سورة الأنفال وسورة التوبة.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٣.



سورة يونس



بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

سورة يونس: هي مكيّة في قول الأكثرين، وروي عن ابن عباس، وقتادة إلّا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، «فإن كنت في شكٍّ»[١] إلى آخرهنّ، عدد آيها مائة وتسع آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر﴾: القمّي: «الٓر» هو من حروف الإسم الأعظم المنقطع[٢] في القرآن، فإذا ألّفه الرّسول أو الإمام فدعا به أُجيب[٣].

أقول: وقد سبق مثله في تأويل «الٓم» في أوّل سورة البقرة، وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام و «الٓر» معناه أنا الله الرّؤف[٤].

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾: ذي الحكمة، أو المحكم آياته.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾: إنكار لتعجبّهم من أنّه عزّ

---

١ ـ يونس: ٩٤.
٢ ـ وفي نسخة: [المتقطّع].
٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٨.
٤ ـ معاني الأخبار: ص ٢٢، ح ١، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن.

وجلّ بعث بشراً رسولاً، كما سبق ذكره في سورة الأنعام أو من أنّه سبحانه بعث يتيماً غير ذي جاه ومال وبسطة، وهذا من فرط حماقتهم، وقصور نظرهم على الأمور العاجلة، وجهلهم بحقيقة الوحي والنّبوّة.

﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: أي سابقةً وفضلاً، سميّت قدماً لأنّ السّبق بها كما سميت النّعمة يداً لأنّها باليد تعطى، وإضافتها إلى الصدق لتحقّقها والتنبيه على أنّهم إنّما ينالونها بصدق القول والنيّة.

في المجمع: عن الصادق عليه السلام إنّ معنى: «قدم صدق» شفاعة محمد صلى الله عليه وآله[1].

وفي الكافي[2]، والعيّاشي[3]، والقمّي: عنه عليه السلام هو رسول الله صلى الله عليه وآله[4].

أقول: وهذا يرجع إلى ذلك[5].

وفي الكافي[6]، والعياشي: عنه عليه السلام بولاية أمير المؤمنين عليه السلام[7].

أقول: وهذا لأنّ الولاية من شروط الشّفاعة، وهما متلازمتان.

﴿قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا﴾: يعنون الكتاب وما جاء به الرّسول صلى الله عليه وآله.

﴿لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾: وقرئ لساحر[8] على أنّ الإشارة إلى الرّسول، وفيه اعتراف

١ـ مجمع البيان: ج ٥ـ٦، ص ٨٩.

٢ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٦٤، ح ٥٥٤.

٣ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٠، ح ٥.

٤ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٩.

٥ـ أي ما ورد في الكافي، والعياشي، والقمي بأنّ المراد من «قدم صدق» هو رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّه يرجع إلى ما ورد في المجمع والعياشي عن الصادق عليه السلام بأنّ المراد هو شفاعة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله للتلازم بينهما لأنّ من اعترف بشفاعة محمد صلى الله عليه وآله فهو معترف برسالته أيضاً.

٦ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢٢، ح ٥٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٧ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١١٩، ح ٤.

٨ـ قرأ ابن كثير وأهل الكوفة «لساحر» بالألف، واستدلّ عليه بقوله تعالى: «قال الكافرون هذا ساحر كذّاب»، ص: ٤، وقرأ الباقون: «لسحر» بكسر السين وبغير ألف، واستدل عليه بقوله تعالى: «قالوا هذا سحر وإنّا به كافرون»، الزخرف: ٣٠، فمن قرأ «ساحر» أراد الرجل، ومن قرأ «سحر» أراد الذي أُوحي «سحر». مجمع البيان: ج ٥ـ٦، ص ٨٧، في القراءة، والحجّة.

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾

بأنّهم صادفوا منه أُموراً خارقة للعادة معجزة إيّاهم عن المعارضة.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: قد سبق تفسيره في سورة الأعراف عند ذكر آية السّخرة[1].

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يقدّره ويقضيه ويرتّبه في مراتبه على أحكام عواقبه، والتدبّر النّظر في أدبار الأُمور لتجيء محمودة العاقبة، والأمر أمر الخلق كلّه.

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾: تقرير لعظمته وعزّ جلاله وردّ على من زعم أنّ آلهتهم تشفع لهم عند الله.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾: أي الموصوف بتلك الصّفات المقتضية للأُلوهيّة والربوبيّة.

﴿رَبُّكُمْ﴾: لا غير إذ لا يشاركه أحد في شي من ذلك.

﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾: وحده، لا تشركوا به شيئاً.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: يعني أنّه أدنى تذكّر ينبّه على الخطأ فيما أنتم عليه، وعلى أنّه المستحقّ للعبادة لا ما تعبدونه.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾: إليه رجوعكم في العاقبة فاستعدوا للقائه.

---

١ ـ الأعراف: ٥٤.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّاً﴾: وعد وعداً حقّاً.

﴿إِنَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾: بعدله أو بعدالتهم في أُمورهم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾: قيل: غيّر النّظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب، والتنبيه على أنّ المقصود بالذّات من الإبداء والإعادة هو الإثابة، وأمّا العقاب فواقع بالعرض وأنّه تعالى يتولّى إثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعيّنه، وأمّا عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم(١).

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾: وقرئ بهمزتين حيث وقع.

﴿وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾: وقدّر القمر ذا منازل، أو قدّر مسيره منازل، وهذا كقوله سبحانه: «وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ»(٢).

﴿لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾: حساب الأوقات من الأشهر والأيّام واللّيالي.

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: الّذي هو الحكمة البالغة.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

٢ ـ يـٰس: ٣٩.

إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾

﴿يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: وقرئ بالياء[1]، فإنّهم المنتفعون بالتأمّل فيها.

﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾: العواقب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يتوقّعونه لإنكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عمّا وراءها.

﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: من الآخرة لغفلتهم عنها.

﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾: وسكنوا إليها سكون من لا يزعج عنها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ﴾: ذاهبون عن تأمّلها ذاهلون عن النّظر فيها.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: بما واظبوا عليه وتمرّنوا به من المعاصي.

---

١ ـ قرأ أهل البصرة، وابن كثير، وحفص، والعجلي: «يفصّل» بالياء، والباقون «نفصّل» بالنون. مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ٩١، في القراءة.

دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ﴾: بسبب إيمانهم للإستقامة على سلوك الطّريق المؤدي إلى الجنّة.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: لأنّ التمسّك بسبب السّعادة كالوصول إليها.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾: دعاؤهم فيها اللّهم إنّا نسبّحك تسبيحاً، العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن التّسبيح؟ فقال: اسم من أسماء الله تعالى، ودعوى أهل الجنّة[1].

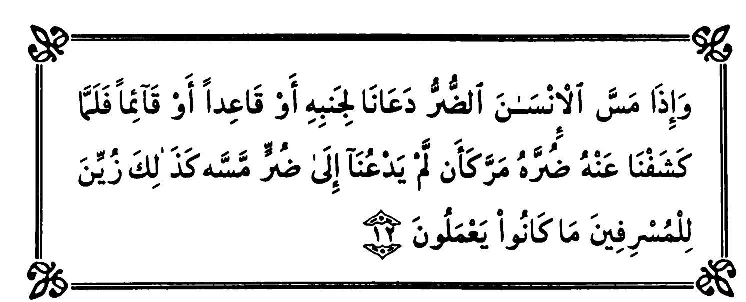
﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾: وخاتمة دعائهم.

﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾: الّذي دعوا به عند ضجر أو بطر كقولهم: «رفعني الله من بينكم»، وكقولهم: «فأمطر علينا حجارة من السماء، أو الشرّ الّذي استحقّوه».

﴿ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾: كما يعجّل لهم بالخير ويجيبهم إليه حين استعجلوه، قيل: وضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم في الخير حتّى

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٠، ح ٩.



كان استعجالهم به تعجيل لهم[١].

﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾: لأُميتوا وأُهلكوا، وقرئ «لقضىٰ» على البناء للفاعل[٢].

القمّي: قال: لو يعجّل الله لهم الشرّ كما يستعجلون الخير لقضي إليهم أجلهم، أي فرغ من أجلهم[٣].

﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: يعني لا نعجّل لهم الشرّ ولا نقضي إليهم أجلهم بل نمهلهم إمهالاً.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾: لدفعه مخلصاً فيه.

﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾: أي مضطجعاً.

﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾: يعني أنّه لا يزال داعياً في جميع حالاته لا يفتر حتّى يزول عنه الضرّ.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾: على طريقته الأُولى قبل أن مسّه الضرّ أو مرّ عن موقف الدّعاء والتضرّع لا يرجع إليه.

﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ﴾: كأنّه لم يدعنا.

﴿إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾: كشف الضرّ.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٤١، س ٨.

٢ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٤١. ٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٩.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك التزيين.

﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: من الإنهماك في الشّهوات والإعراض عن العبادات عند الرّخاء.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾: بالتّكذيب.

﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ﴾: بالحجج الدالّة على صدقهم.

﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾: لفساد استعدادهم وخذلان الله لعلمه بإصرارهم على الكفر وأنّه لا فائدة في إمهالهم بعد أن لزمهم الحجّة بإرسال الرّسل.

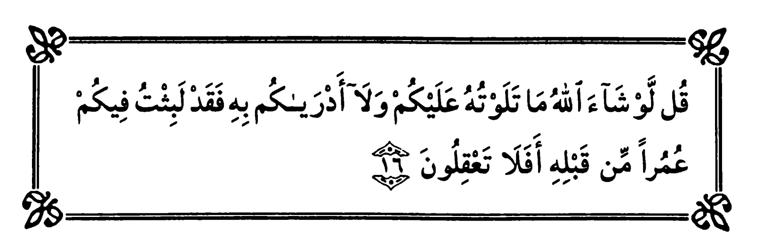
﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: كل مجرم.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: استخلفناكم في الأرض.

﴿مِن بَعْدِهِمْ﴾: من بعد القرون التي أهلكناهم.

﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: خيراً أو شرّاً.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ﴾: قرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذمّ عبادة الأوثان، والوعيد لعابديها.



﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾:[1] بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة، وتسقط ذكر الآلهة، وذمّ عبادتها.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ﴾: ما يصحّ لي.

﴿أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ﴾: من قبل نفسي من غير أن يأمرني بذلك ربّي.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: ليس إليّ تبديل ولا نسخ.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾: في التبديل والنّسخ من عند نفسي[2].

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾: ولا أعلمكم الله به على لساني، وقرئ ولأدراكم بلام التّأكيد أي ولأعلمكم به على لسان غيري، يعني أنّ تلاوته ليست إلّا بمشيئة الله وإحداثه أمراً عجيباً خارقاً للعادة، وهو أن يخرج رجل أُمّي لم يتعلّم ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه العلماء فيقرأ عليكم كتاباً بهر[3] بفصاحته كلّ كلام فصيح مشحوناً بعلم ما كان وما يكون.

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾: فقد أقمت فيما بينكم ناشئاً وكهلاً مقدار أربعين سنة فلم تعرفوني متعاطياً شيئاً من نحو ذلك فتتّهموني باختراعه.

---

١ ـ في الكافي، والقمي، والعياشي: عن الصادق عليه السلام، قالوا: أو بدّل عليّاً عليه السلام. منه قدس سره. النص للأوّل، راجع الكافي: ج ١، ص ٤١٩، ح ٣٧، وتفسير القمي: ج ١، ص ٣١٠، س ٣، وتفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٠، ح ١٠ ـ ١١.

٢ ـ العياشي: عن الصادق عليه السلام قال لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إِنّي أخافُ إِنْ عَصِيتُ رَبّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» حتى نزلت سورة الفتح، فلم يعد إلى ذلك الكلام. منه قدس سره، راجع تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٠ ـ ١٢١، ح ١٢.

٣ ـ البَهْر: الغلبة، يقال: بَهَرَ القمرُ الكواكب، كمنع: إذا أضاءَ وغلب ضوؤه ضوءَها. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٣١، مادة «بهر».

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفلا تستعملون عقولكم بالتدبّر والتفكّر لتعلموا أنّه ليس إلّا من عند الله.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ * وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللهِ﴾: يتشفع لنا فيما يهمّنا من أُمور الدنيا والآخرة.

﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أتخبرونه بما ليس بمعلوم للعالِم بجميع المعلومات، يعني بما ليس بموجود.

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: وقرئ بالتّاء. القمّي: كانت قريش يعبدون الأصنام ويقولون إنّما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى فإنّا لا نقدر على عبادة الله. فردّ الله عليهم، فقال: قل لهم يا محمّد: «أتنبئون الله بما لا يعلم» أي ليس يعلم فوضع حرفاً مكان حرف، أي ليس له شريك يعبد[1].

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٠.

وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: يعني قبل بعث نوح عليه السلام كانوا على الفطرة لا مهتدين ولا ضلّالاً كما مضى بيانه في سورة البقرة[1] عند تفسير هذه الكلمة.

﴿فَاخْتَلَفُواْ﴾: باتباع الهوى، أو ببعثة الرسل فتبعهم طائفة وأضراب أخرى.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: بتأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة.

﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: عاجلاً.

﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: ولتميّز المحقّ من المبطل، ولكنّ الحكمة أوجبت أن تكون هذه الدّار للتّكليف والإختبار، وتلك للثّواب والعقاب.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: أي من الآيات التي اقترحوها.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: هو المختصّ بعلمه، ولكلّ أمر أجل.

﴿فَانتَظِرُوٓاْ﴾: لنزول ما اقترحتموه.

﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾: لما يفعل الله بكم.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾: صحّة وسعة.

﴿مِّن بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾: كمرض وقحط.

﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾: فاجؤوا وقوع المكر منهم.

---

١ ـ البقرة: ٢١٣.

هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾: بالطعن والإحتيال في دفعها، قيل: قحط أهل مكّة سبع سنين حتّى كادوا يهلكون، ثمّ لمّا رحمهم الله بالمطر طفقوا[1] يقدحون في آيات الله، ويكيدون رسوله[2].

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾: منكم قد دبّر عقابكم قبل أن تدبّروا كيدكم، والمكر: إخفاء الكيد، وهو من الله تعالى الإستدراج، والجزاء على المكر.

﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾: إعلام بأنّ ما يظنّونه خافياً غير خاف على الله وتحقيق للإنتقام.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾: يحملكم على السّير ويمكّنكم منه بتهيئة أسبابه.

﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: في السّفن.

﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾: بمن فيها، عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة كأنّه يذكر لغيرهم ليتعجّب من حالهم.

﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: ليّنة الهبوب.

﴿وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾: بتلك الريح.

﴿جَآءَتْهَا﴾: جاءت السفن.

---

١ ـ طفق يفعل كذا يَطْفَقُ طَفَقاً: أي جعل يفعل كذا. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٠٧، مادة «طفق».

٢ ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ٢، ص ٣٣٧.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: شديدة الهبوب.

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من أمكنة الموج.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾: أي أُهلكوا يعني سدّت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاطت به العدو، وهو مثل في الهلاك.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: لأنّهم لا يدعون حينئذ غيره معه.

﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: على إرادة القول.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ﴾: إجابة لدعائهم.

﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: فَاجَؤوا الفساد فيها، وسارعوا إلى ما كانوا عليه.

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: مبطلين فيه، وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة فإنّها إفساد بحقّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾: فإنّ وباله عليكم أو أنّه على أمثالكم وأبناء جنسكم.

﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: منفعة الحياة الدّنيا لا تبقى ويبقى عقابها، وهو خبر بغيكم أو خبر محذوف، وقرئ بالنّصب أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا، العيّاشي: عن الصّادق عليه السلام ثلاث يرجعن على صاحبهنّ: النّكث، والبغي، والمكر، ثمّ تلا هذه الآية[١].

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢١، ح ١٣.

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: حالها العجيبة في سرعة تقضّيها، وذهاب نعيمها بعد اقبالها، واغترار النّاس بها.

﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾: من الزّروع والبقول والحشيش.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: زينتها.

﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾: وتزينت بأصناف النّبات وأشكالها وألوانها المختلفة كعروس أخذت من ألوان الثّياب والزّين فتزينت بها.

﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾: متمكّنون من حصدها ورفع غلّتها.

﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾: ضربتها عاهة وآفة بعد أمنهم وإيقانهم أن قد سلم.

﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا﴾: فجعلنا زرعها.

﴿حَصِيدًا﴾: شبيهاً بما يحصد من الزّرع من أصله.

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾: كأن لم يوجد زرعها فيما قبله، والأمس: مثل في الوقت القريب، والممثل به في الآية مضمون الحكاية، وهو زوال خضرة النّبات فجأة وذهابه حطاماً بعد ما كان غضّاً والتفّ وزيّن الأرض حتّى طمع فيه أهله وظنّوا أنّه قد سلم من الآفات، لا الماء و«إن» وليه حرف التّشبيه لأنّه من التّشبيه المركّب.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فإنّهم المنتفعون به.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾: أي دار الله، في المعاني: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: إنّ السّلام: هو الله عزّ وجلّ، وداره التي خلقها لعباده وأوليائه: الجنّة[١].

﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾: بالتوفيق.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: الذي هو طريقها.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: المثوبة الحسنى.

﴿وَزِيَادَةٌ﴾: وما يزيد على المثوبة تفضلاً، القمّي: هي النّظر إلى رحمة الله[٢].

وعن الباقر عليه السلام أمّا الحسنى: فالجنّة، وأمّا الزيادة: فالدنيا، ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به في الآخرة، ويجمع لهم ثواب الدنيا والآخرة[٣].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام الزيادة: غرفة من لؤلؤة واحدة، لها أربعة أبواب[٤].

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾: ولا يغشاها.

﴿قَتَرٌ﴾: غبرة فيها سواد.

﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: أثر هوان.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها.

١ـ معاني الأخبار: ص ١٧٦ ـ ١٧٧، ح ٢، باب معنى دار السلام. وفيه: «وداره التي خلقها لأوليائه: الجنّة».

٢ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١١. ٣ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١١.

٤ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ١٠٤.

وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِماً أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَـآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا﴾: أي أن تجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها، وفيه دلالة على أنّ المراد بالزيادة: الفضل.

﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾: لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه، أو ماهم من عند الله من يعصمهم كما يكون للمؤمنين.

﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِماً﴾: لفرط سوادها وظلمتها، وقرئ قطعاً بسكون الطاء.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام هؤلاء أهل البدع والشبهات والشهوات يسوّد الله وجوههم ثمّ يلقونه، قال: ويلبسهم الذلّة والصغار[1].

وفي الكافي[2]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام أما ترى البيت إذا كان الليل كان أشد سواداً، فكذلك هم يزدادون سواداً[3].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾: يعني الفريقين.

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ﴾: ألزموا مكانكم لا تبرحوا حتّى تنظروا

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١١.

٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣، ح ٣٥٥.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٢، ح ١٧، وفيه: «وجوههم».

فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَـٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

ما يفعل بكم.

﴿أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: ففرّقنا بينهم وقطّعنا الوصل التي كانت بينهم، والقمّي: يبعث الله ناراً تزيّل[1] بين الكفار والمؤمنين[2].

﴿وَقَالَ شُرَكَـآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾: لأنّهم إنّما عبدوا في الحقيقة أهواءَهم التي حملتهم على الإشراك لا ما أشركوا به أو الشياطين حيث أمروهم أن يتخذوا لله أنداداً فأطاعوهم.

﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: فإنّه العالم بكنه الأمر.

﴿إِن كُنَّا﴾: أنّه كنّا.

﴿عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ * هُنَالِكَ﴾: في ذلك المقام.

﴿تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾: تختبر ما قدّمت من عمل فتعاين نفعه وضرّه، وقرئ تتلو أي تقرء من التلاوة أو تتبع من التّلو.

﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَـٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾: ربّهم الصّادق ربوبيّته، المتولّي لأمرهم على الحقيقة، لا ما اتخذوه مولى.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: وضاع عنهم.

﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: يدّعون أنّهم شركاء الله وأنّهم تشفع لهم.

---

١ ـ زَيَّلْتَهُ فَتَزَيَّل: أي فرّقته فتفرّق. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٨٩، مادة «زيل».

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٢.

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: جميعاً بأسباب سماويّة وأرضيّة.

﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾: أمّن يستطيع خلقهما وتسويتهما وحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من أدنى شيء.

﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾: من يحيي ويميت.

﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: ومن يلي تدبير أمر العالم.

﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾: إذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه.

﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: عقابه في عبادة غيره.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾: أي المتولّي لهذه الأُمور المستحقّ للعبادة: هو ربّكم الثابت ربوبيّته لأنّه الّذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبّر أُموركم.

﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾: يعني: لا واسطة بينهما، فمن تخطّأ[1] الحقّ وقع في الضّلال.

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾: عن الحقّ.

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: وحكمه.

---

١ ـ وفي نسخة: [فمن تخطى الحق].

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾: تمرّدوا في كفرهم وخرجوا من[1] الرّشد.

﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بدل من الكلمة، أي حقّ عليهم انتفاء الإيمان أو أُريد بالكلمة العدة بالعذاب، وهو[2] تعليل، وقرئ كلمات.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: جعل الإعادة كالإبداء في الإلزام بها لظهور برهانها وإن لم يساعدوا عليها ولذلك أُمر الرسول بأن ينوب عنهم في الجواب.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: بنصب الحجج وإرسال الرّسل، والتّوفيق للنّظر والتدبّر.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾: لا يهتدي، وقرئ بفتح الهاء وتشديد الدال وبالكسر والتّشديد.

﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾: يهديه غيره، القمّي: عن الباقر عليه السلام فأمّا من يهدي إلى الحقّ فهو محمّد وآل محمد عليهم السلام من بعده، وأمّا من لا يهدي إلاّ أن يُهدى، فهو من خالف من قريش وغيرهم أهل بيته من بعده[3].

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: بالباطل.

---

١ ـ وفي نسخة: [عن الرّشد].   ٢ ـ وفي نسخة: [وهذا تعليل].

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٢.

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾: فيما يعتقدون.

﴿إِلَّا ظَنًّا﴾: مستنداً إلى خيالات فاسدة.

﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: من الإعتقاد الحقّ.

﴿شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: وعيد على اتباعهم الظنّ وإعراضهم عن البرهان.

﴿وَمَا كَانَ﴾: ما صحّ وما استقام.

﴿هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أن يكون افتراء من الخلق.

﴿وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب المنزلة لأنّه معجز دونها وهو عيار عليها شاهد لصحتها.

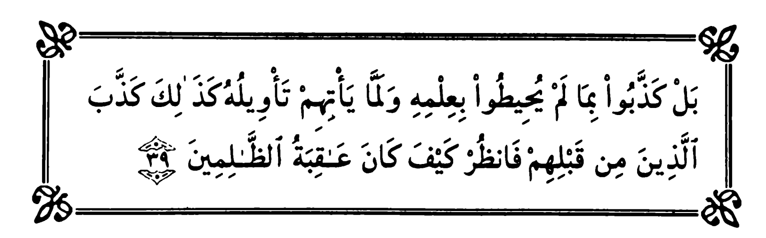
﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: وتبيين ما شرع وفرض من الأحكام من قوله كتاب الله عليكم.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ﴾: بل أيقولون؟

﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اختلقه.

﴿قُلْ﴾: إن افتريته كما زعمتم.

﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾: في البلاغة، وحسن النّظم على وجه الإفتراء فإنّكم مثلي في



العربيّة والفصاحة.

﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾: أن تدعوه للإستعانة به على الإتيان بمثله.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: سوى الله فإنّه وحده قادر على ذلك لا غير.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: إنّه افتراء.

﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾: بل كذّبوا بالقرآن قبل أن يعلموا كنه أمره، ويقفوا على تأويله ومعانيه. لنفورهم عمّا يخالف ما ألفوه من دين آبائهم ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب، أي عاقبته حتّى يتبيّن لهم أهو كذب أم صدق، يعني أنّه كتاب معجز من جهتين: إعجاز نظمه، وما فيه من الإخبار بالغائبات فسارعوا إلى التكذيب قبل أن ينظروا في بلوغه حدّ الإعجاز، وقبل أن يختبروا إخباره بالمغيّبات. العياشي: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن الأُمور العظام من الرّجعة وغيرها. فقال: إنّ هذا الذي تسألوني عنه لم يأت أوانه قال الله: «بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله»[١]، ومثله: عن الصّادق عليه السلام[٢].

والقمّي: قال: نزلت في الرّجعة كذّبوا بها أي أنّها لا تكون[٣].

في الكافي[٤]، والمجمع[٥]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام إنّ الله خصّ هذه الامّة بآيتين

١ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٢، ح ٢٠.　　٢ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٢، ح ١٩.

٣ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٢.

٤ـ الكافي: ج ١، ص ٤٣، ح ٨، باب النهي عن القول بغير علم.

٥ـ مجمع البيان: ج ٥ـ٦، ص ١١٠.

وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾

من كتابه ألّا يقولوا ما لا يعلمون، وأن لا يردوا ما لا يعلمون، ثمّ قرأ «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلّا الحقّ»[١] وقوله: «بَل كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ»[٢][٣].

﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أنبيائهم.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: وعيد لهم بما عوقب به من قبلهم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ﴾: في نفسه ويعلم أنّه حقّ ولكنّه يعاند، أو ومنهم من يؤمن به في المستقبل.

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ﴾: في نفسه لفرط غباوته وقلّة تدبّره أو فيما يستقبل ويصرّ على الكفر، القمّي: عن الباقر عليه السلام هم أعداء محمّد وآل محمّد عليهم السلام من بعده[٤].

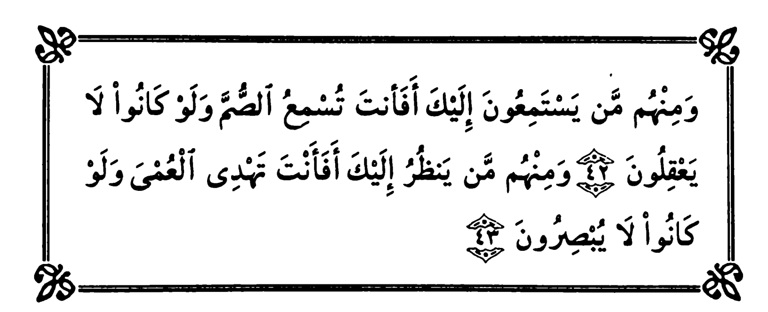
﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾: بالمعاندين أو المصرّين.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾: وإن يئست من إجابتهم وأصرّوا على تكذيبك.

﴿فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: لا تؤاخذون بعملي ولا أُؤاخذ بعملكم، يعني تبرأ منهم وخلّهم فقد أعذرت إليهم، قيل: هي

---

١ ـ الأعراف: ١٦٩.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٣، ح ٢٢.
٣ ـ لفظ الحديث رواية العياشي، والمعنى مشترك. منه قدّس سرّه.
٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٢.



منسوخة بآية القتال[١].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: إذا قرأت القرآن وعلّمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالأصم الذي لا يسمع.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾: تقدر على إسماعهم.

﴿وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: ولو انضمّ إلى صممهم عدم تعقّلهم، وفيه تنبيه على أنّ حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه، ولهذا لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتّى إلّا بإستعمال العقل السليم في تدبّره، وعقولهم لمّا كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومشايعة الألف والتقليد تعذر أفهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق[٢].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾: ويعاينون دلالات نبوّتك ولكن لا يصدّقون.

﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾: تقدر على هدايتهم.

﴿وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: وإن انضمّ إلى عدم البصر عدم البصيرة فإنّ المقصود من الإبصار هو الإعتبار والإستبصار، والعمدة في ذلك البصيرة، ولذلك يحدس الأعمى المستبصر ويتفطّن ما لا يدركه البصير الأحمق والآية مؤكّدة للأمر بالتبرّي والإعراض عنهم.

---

١ ـ قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج ٢، ص ١١٣.

٢ ـ النعيق: صوت الراعي بغنمه، وقد نَعَقَ الراعي بغنمه ينعق بالكسر نَعِيقاً ونُعاقاً ونَعَقاناً: أي صاح بها وزجرها. الصحاح: ج ٤، ص ١٥٥٩، مادة «نعق».

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْئاً وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ
بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾
وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ
ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْئاً﴾: لا ينقصهم شيئاً ممّا يتّصل بمصالحهم من الحواسّ والعقول.

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بإفسادها وتفويت منافعها عليهم، في الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّ الله الحليم العليم إنّما غضبه على من لم يقبل منه رضاه، وإنّما يمنع من لم يقبل منه عطاءه، وإنّما يضلّ من لم يقبل منه هداه[1] الحديث.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: وقرئ بالياء.

﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾: يستقصرون مدّة لبثهم في الدنيا أو القبور هول ما يرون.

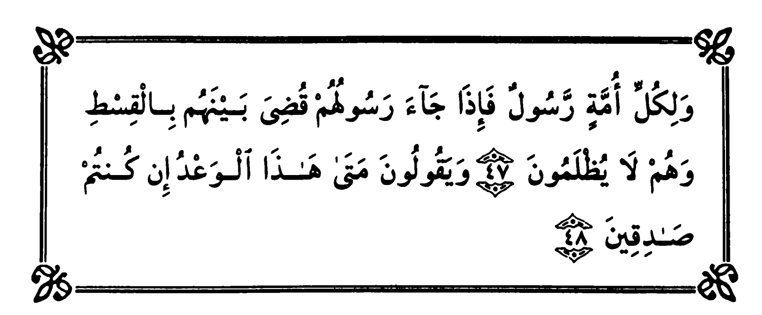
﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يعرف بعضهم بعضاً كأنّهم لم يتفارقوا إلّا قليلاً، قيل: إنّ ذلك عند خروجهم من القبور ثمّ ينقطع التعارف لشدّة الأمر عليهم[2].

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ * وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٥٢ ـ ٥٣، رسالة أبي جعفر عليه السلام إلى سعد الخير.

٢ ـ قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج ٢، ص ١١٤. وفيه: «ثم ينقطع التعارف بينهم لشدّة الأمر عليهم».



﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٤٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٨﴾

﴿ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر، القمّي: من الرّجعة وقيام القائم عليه السلام[1].

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل أن نريك.

﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: فنريكه في الآخرة.

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾: مجازٍ عليه ذكر الشّهادة وأراد مقتضاها ولذلك رتّبها على الرجوع بثمّ أو المراد يشهد على أفعالهم يوم القيامة.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾: بالبيّنات فكذّبوه أو يوم القيامة ليشهد عليهم.

﴿قُضِىَ بَيْنَهُم﴾: بين الرسول ومكذّبيه.

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل، فأُنجي الرسول، وعذّب المكذّبون.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: العيّاشي: عن الباقر عليه السلام تفسيرها في الباطن أنّ لكلّ قرن من هذه الأُمّة رسولاً من آل محمّد ـ صلوات الله عليهم ـ يخرج إلى القرن الذي هو إليهم رسول وهم الأولياء، وهم الرسل، وأمّا قوله: «فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط» فإنّ معناه أنّ رسل الله يقضون بالقسط وهم لا يظلمون[2].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: استعجال لما وعدوا من العذاب، أو استبعاد له.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: شاركوا النّبي والمؤمنين في الخطاب.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٢.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٣، ح ٢٣.

قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرّاً وَلَا نَفْعاً إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُ بَيَٰتاً أَوْ نَهَاراً مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرّاً وَلَا نَفْعاً﴾: فكيف أملك لكم الضرّ.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أن أملكه أو ما شاء الله وقوعه فيقع.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: لهلاكهم.

﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: إذا جاء ذلك الأجل أنجز وعدكم، العياشي: عن الصادق عليه السلام هو الذي سمّي لملك الموت في ليلة القدر[١].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني.

﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُ﴾: الذي تستعجلونه.

﴿بَيَٰتاً﴾: وقت بيات واشتغال بالنّوم.

﴿أَوْ نَهَاراً﴾: حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم.

﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: أيّ شيء من العذاب يستعجلونه وليس شيء منه يوجب الإستعجال، وضع المجرمون موضع الضّمير للدلالة على أنّهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا لمجيء العذاب لا أن يستعجلوه، القمّي: عن الباقر عليه السلام هذا عذاب ينزل في آخر الزمان على فسقة أهل القبلة، وهم يجحدون نزول العذاب عليهم[٢].

وفي المجمع: عنه عليه السلام ما في معناه[٣].

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٣، ح ٢٤.
٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٢.
٣ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ١١٥.

أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِ﴾: بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان به.

﴿ءَآلْـَٔـٰنَ﴾: على إرادة القول، أي قيل لهم: إذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم.

﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾: تكذيباً واستهزاءاً.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: من الكفر والمعاصي.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾: ويستخبرونك.

﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾: أحقّ ما تقول من الوعد والوعيد وغير ذلك، وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام ما تقول في علي عليه السلام[1].

وفي المجالس[2]، والعياشي: عن الباقر عليه السلام ويستنبئك أهل مكّة عن عليّ إمام هو[3].

والقمّي: مثله[4].

﴿قُلْ إِى﴾: نعم.

﴿وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: فائتين إيّاه.

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٣٠، ح ٨٧، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٢ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٥٣٥ ـ ٥٣٦، ح ٧ المجلس السادس والتسعون.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٣، ح ٢٥.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٣.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: من خزائنها وأموالها.

﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾: لجعلته فدية لها من العذاب.

﴿وَأَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ﴾: لأنّهم بهتوا بما عاينوا ممّا لم يحتسبوه من فظاعة الأمر وهوله. القمّي: ظلمت يعني آل محمّد ـ صلوات الله عليهم ـ حقّهم لافتدت به، يعني في الرّجعة[1].

في المجمع[2]، والقمّي[3]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل ما ينفعهم إسرار النّدامة وهم في العذاب؟ قال: كرهوا شماتة الأعداء[4].

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾: أي بين الظالمين والمظلومين.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: تقرير لقدرته تعالى على الإثابة والعقاب.

﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: لا خلف فيه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لأنّ علمهم لا يتجاوز الظّاهر من الحياة الدنيا.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٣.

٢ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ١١٦.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٣.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢٣، ح ٢٦.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

﴿هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد، في الإهليلجة: عن الصّادق عليه السلام إنّه شفاء من أمراض الخواطر، ومشتبهات الأُمور[1].

وفي الكافي: في الحديث القدسي من نفث[2] الشيطان[3].

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام عن أبيه عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّه شكا إليه رجل وجعاً في صدره فقال استشف بالقرآن فإنّ الله يقول: «وشفاء لما في الصدور»[4].

والقمّي: قال: بعد ذكر الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والقرآن[5].

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾: أي إن فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا. ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: من حطام الدنيا، وقرئ بالتاء، في المجمع[6]، والجوامع:

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ٣، ص ١٥٢، ح ١، باب ٥ ـ الخبر المروي عن المفضل بن عمر في التوحيد المشتهر بالأهليلجة.

٢ ـ النفث: شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل لأنّ التفل لا يكون إلّا ومعه شيء من الريق، والنفث نفخ لطيف بلا ريق، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٦٦، مادة «نفث».

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٠٠، ح ٧، كتاب فضل القرآن.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٤، ح ٢٧.

٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٣.

٦ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ١١٧.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾

عن الباقر عليه السلام فضل الله: رسول الله، ورحمته: عليّ بن أبي طالب[1].

وزاد القمّي: فبذلك فليفرح شيعتنا هو خير ممّا أُعطوا أعداءنا من الذّهب والفضّة[2].

والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام ما في معناه[3].

وفي المجالس: عن النّبي صلى الله عليه وآله فضل الله: نبوّة نبيّكم، ورحمته: ولاية علي بن أبي طالب، فبذلك: قال: بالنبوّة والولاية، فليفرحوا: يعني الشيعة، هو خير ممّا يجمعون: يعني مخالفيهم من الأهل والمال والولد في دار الدنيا[4].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام ما يقرب منه[5].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾: أخبروني.

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾: حلال كلّه.

﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا﴾: فجعلتم بعضه حراماً وبعضه حلالاً مثل «هَـٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ» «مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا»[6].

﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾: في التحريم والتحليل فتقولون: ذلك بحكمه.

﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾: في نسبة ذلك إليه.

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ١١٧.   ٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٣.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٤، ح ٢٨.

٤ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠، ح ١٣، المجلس الرابع والسبعون.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٤، ح ٢٩.   ٦ ـ الأنعام: ١٣٨ ـ ١٣٩.

وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ ٱللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ﴾: أي شيء ظنّهم.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: أيحسبون أن لا يجازوا عليه؟ وهو تهديد عظيم حيث أبهم الأمر.

﴿إِنَّ ٱللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: بما فعل بهم من ضروب الأنعام.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: نعمه.

﴿وَمَا تَكُونُ﴾: يا محمّد.

﴿فِي شَأْنٍ﴾: في أمر.

﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ﴾: من الشّأن.

﴿مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ﴾: أنتم جميعاً.

﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: تخوضون فيه وتندفعون.

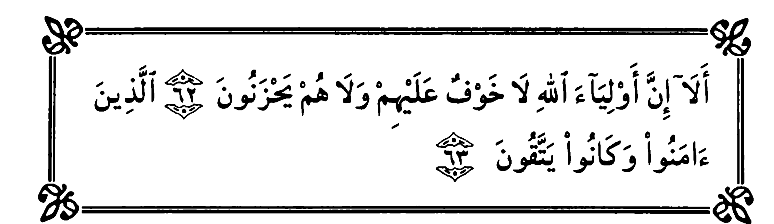
في المجمع: عن الصادق[1] والقمّي: قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا قرأ هذه الآية بكى بكاءً شديداً[2].

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾: وما يبعد وما يغيب عن علمه، وقرئ بكسر الزّاي.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ١١٩.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٣ ـ ٣١٤.



﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: ما يوازن نملة صغيرة أو هباء.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: إستئناف مقرّر لما قبله، وقرئ بالرّفع فيهما.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: من لحوق مكروه.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: بفوات مأمول.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾: بيان لأولياء الله أو استئناف خبره ما بعده، العيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام هم نحن، وأتباعنا ممّن تبعنا من بعدنا طوبى لنا، وطوبى لهم، وطوباهم أفضل من طوبانا، قيل: ما شأن طوباهم أفضل من طوبانا؟ ألسنا نحن وهم على أمر؟ قال: لا، أنّهم حمّلوا ما لم تحمّلوا، وأطاقوا ما لم تطيقوا[1].

وفي الإكمال: عن الصادق عليه السلام طوبى لشيعة قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطيعين له في ظهوره، أُولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون[2].

وفي الجوامع عن النّبي صلى الله عليه وآله إنّه سئل عن أولياء الله؟ فقال: هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني في السّمت[3] والهيئة[4].

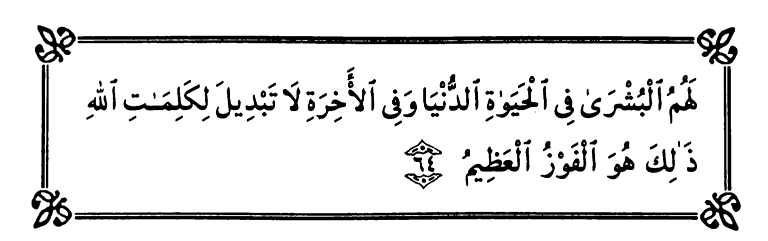
---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٤، ح ٣٠. وفيه: «قال: لا، لأنّهم حمّلوا».

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٣٥٧، ح ٥٤، باب ٣٣ ـ ما روي عن الصادق عليه السلام من النص على القائم عليه السلام وذكر غيبته وأنّه الثاني عشر من الأئمّة عليهم السلام.

٣ ـ السّمت: عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السّكينة والوقار، وحسن السيرة والطريقة، واستقامة المنظر والهيئة. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٠٦، مادة «سمت».

٤ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ١١٩.



وفي الكافي: عن الصّادق عليه‌السلام عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام، وبطنه من الطعام، وعنّى نفسه بالصّيام والقيام، قالوا بآبائنا وأُمّهاتنا يا رسول الله هؤلاء أولياء الله؟ قال: إنّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لولا الآجال التي كتبت عليهم لم تقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثّواب[١].

والعيّاشي: عن الباقر عليه‌السلام قال: وجدنا في كتاب علي بن الحسين عليهما‌السلام «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ» إذا أدّوا فرائض الله، وأخذوا بسنن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله، وتورّعوا عن محارم الله، وزهدوا في عاجل زهرة الدنيا، ورغبوا فيما عند الله، واكتسبوا الطيّب من رزق الله لا يريدون التفاخر والتكاثر، ثمّ أنفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة. فأولئك الذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا ويثابون على ما قدّموا لآخرتهم[٢].

وفي المجمع: عن السجاد عليه‌السلام مثله[٣].

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾: في الكافي[٤]، والفقيه عن النّبي صلى‌الله‌عليه‌وآله[٥]، والقمّي: «البشرى في الحياة الدنيا»: هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن فيبشر

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢٣٧، ح ٢٥، باب المؤمن وعلاماته وصفاته.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٤، ح ٣١. ٣ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ١٢٠.

٤ ـ الكافي: ج ٨، ص ٩٠، ح ٦٠ ـ حديث الأحلام والحجّة على أهل ذلك الزمان.

٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٧٩ ـ ٨٠، ح ٣٥٦/ ١١، باب ٢٣ ـ غسل الميّت.

بها في دنياه[١].

وزاد في الفقيه: وأمّا قوله «في الآخرة»: فإنّها بشارة المؤمن عند الموت يبشر بها عند موته، إنّ الله عزّ وجلّ قد غفر لك ولمن يحملك إلى قبرك[٢].

والقمّي: «وفي الآخرة»: عند الموت، وهو قوله تعالى: «ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ»[٣][٤].

وفي الجوامع: عن النّبي صلى الله عليه وآله هي في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه، أو يرى له، وفي الآخرة الجنّة[٥].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية يبشرّهم بقيام القائم، وبظهوره، وبقتل أعدائهم، وبالنّجاة في الآخرة، والورود على محمّد وآله الصّادقين على الحوض[٦].

وعن الصادق عليه السلام إنّ الرّجل إذا وقعت نفسه في صدره يرى رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول له أنا رسول الله أبشر، ثمّ يرى علي بن أبي طالب عليه السلام فيقول له: أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبّه، أنا أنفعك اليوم، قال: وذلك في القرآن قوله عزّ وجلّ: «الذين آمنوا وكان يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة»[٧].

وفيه[٨]، والعيّاشي: في معناه أخبار أُخر[٩].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام إنّما أحدكم حين يبلغ نفسه هاهنا ينزل عليه ملك الموت

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٤.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٧٩ ـ ٨٠، ح ٣٥٦ / ١١، باب ٢٣ ـ غسل الميت.

٣ ـ النحل: ٣٢.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٤.

٥ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ١١٩. وفيه: «أو ترى له».

٦ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠، ذيل ح ٨٣، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٧ ـ الكافي: ج ٣، ص ١٣٣، ح ٨، باب ما يعاين المؤمن والكافر.

٨ ـ الكافي: ج ٣، ص ١٣٢ ـ ١٣٣، ح ٥ و ٧، باب ما يعاين المؤمن والكافر.

٩ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٥، ح ٣٣.

وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ شُرَكَـآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾

فيقول له: أمّا ما كنت ترجو فقد أُعطيته، وأمّا ما كنت تخافه فقد أمنت منه ويفتح له باب إلى منزله من الجنّة، ويقال له: أُنظر إلى مسكنك من الجنّة، وأُنظر هذا رسول الله وأمير المـؤمنين والحسن والحسين ـ صلوات الله عليهم ـ رفقاؤك وهو قول الله: «الذين آمنوا وكانوا يتقون»[١]، الآية.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللهِ﴾: لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده، وهو اعتراض.

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى كونهم مبشّرين في الدّارين.

﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾: تكذيبهم وتدبيرهم في إبطال أمرك وسائر ما يتكلّمون به في شأنك.

﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾: إنّ القهر والغلبة جميعاً لله لا يملك أحد شيئاً منها غيره، فهو يغلبهم وينصرك عليهم: «إنّا لننصر رسلنا»[٢].

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لما يقولون.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بما يعزمون فيكافئهم بذلك.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾: من الملائكة والثّقلين، وإذا كان هؤلاء عبيداً له وهم في مملكته لا يصلح أحد منهم للإلهيّة مع كونهم عقلاء مميّزون فما لا

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٤ ـ ١٢٥، ح ٣٢.

٢ ـ غافر: ٥١.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللهُ وَلَداً سُبْحَـٰنَهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ بِهَـٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

يميّز ولا يعقل أحقّ أن لا يكون شريكاً له.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ شُرَكَـآءَ﴾: اقتصر على أحدهما، اي شركاء على الحقيقة وإن كانوا يسمونها شركاء أو المعنى وما يتّبعون يقيناً، فحذف لدلالة ما بعده عليه.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: إلاّ ظنّهم أنّهم شركاء.

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يقدّرون تقديراً باطلاً، ويجوز أن يكون «ما» استفهاميّة يعني وأيّ شيء يتّبعون؟ أو موصولة عطفاً على «مَنْ» بمعنى ولله ما يتّبعونه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِراً﴾: تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته ليدلّهم على تفرّده باستحقاق العبادة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: سماع تدبّر وتفهّم.

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللهُ وَلَداً﴾: يعني بنتاً.

﴿سُبْحَـٰنَهُ﴾: تنزيه له وتعجّب من كلمتهم الحمقاء.

﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾: لا يحتاج إلى إتخاذ الولد.

﴿لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: تقرير لغناه.

﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ بِهَـٰذَآ﴾: ما عندكم من حجّة بهذا القول.

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم لما نفي

قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾

عنهم الحجّة جعلهم غير عالمين فدلّ ذلك على أنّ كلّ قول ليس عليه برهان فهو جهل ليس بعلم.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: باتخاذ الولد وإضافة الشّريك إليه.

﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾: لا ينجون من النّار، ولا يفوزون بالجنّة.

﴿مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾: افتراؤهم تمتّع في الدنيا يسير، يقيمون به رئاستهم في الكفر.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: بالموت فيلقون الشّقاء المؤبّد.

﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾: بسبب كفرهم.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾: عظم وشقّ.

﴿عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾: مكاني أو إقامتي بينكم مدّة مديدة، أو قيامي على الدّعوة.

﴿وَتَذْكِيرِى﴾: إيّاكم.

﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾: فبه وثقت.

﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾: فاعزموا على ما تريدون.

﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾: مع شركاءكم واجتمعوا على السّعي في إهلاكي.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: مستوراً واجعلوه ظاهراً مكشوفاً من غمّه إذا

فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾

ستره، والقمّي: لا تغتمّوا[1].

﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ﴾: أدّوا إليّ ذلك الأمر الّذي تريدون بي، والقمّي: ثمّ ادعوا عليّ[2].

﴿وَلَا تُنظِرُونَ﴾: ولا تمهلوني.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم عن تذكيري.

﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾: يوجب توليكم لثقله عليكم، واتهامكم إيّاي لأجله.

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾: ما ثوابي على الدّعوة والتّذكير.

﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾: لا تعلّق له بكم يثيبني به آمنتم به أو توليتم.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين لحكمه لا أُخالف أمره، ولا أرجو غيره.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: فأصرّوا على تكذيبه بعد ما ألزمهم الحجّة، وكان تكذيبهم له في آخر المدّة الطّويلة كتكذيبهم في أوّلها.

﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: من الغرق.

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ﴾: خلفاء لمن هلك بالغرق.

﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: بالطوفان.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٤.
٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٤.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ۝٧٤ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝٧٥﴾

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾: تعظيم لما جرى عليهم، وتحذير لمن كذّب الرّسول عن مثله وتسلية له.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ﴾: أرسلنا من بعد نوح.

﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾: يعني هوداً، وصالحاً، وإبراهيم، ولوطاً، وشعيباً، كلًّا إلى قومه.

﴿فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم.

﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾: فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدّة تصمّمهم على الكفر.

﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِ مِن قَبْلُ﴾: يعني في الذرّ، وقد مضت الأخبار في هذا المعنى في سورة الأعراف[1].

﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾: بالخذلان لإنهماكهم في الضّلال واتباع المألوف.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم﴾: من بعد هؤلاء الرسل.

﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾: وحزبه.

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بالآيات التسع.

---

١ ـ الأعراف ذيل الآية: ١٧٢ ـ ١٧٣.

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَـٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

﴿فَاسْتَكْبَرُواْ﴾: عن اتباعهما.

﴿وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ﴾: معتادين الإجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربّهم، واجترؤوا على ردّها.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾: وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشكّ[1].

﴿قَالُوٓاْ﴾: من فرط تمرّدهم.

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر.

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾: إنّه لسحر حذف محكي القول لدلالة ما قبله وما بعده عليه، والمعنى: أتعيبون الحقّ وتطعنون فيه؟

﴿أَسِحْرٌ هَـٰذَا﴾: استئناف بانكار ما قالوه وليس بمحكي القول لأنّهم بتّوا القول.

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ﴾: من تمام كلام موسى.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾: لتصرفنا.

﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾: من عبادة الأصنام.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي الملك فيها لاتصّاف الملوك بالكبر.

---

١ ـ اقتباس من أنوار التنزيل، ج ١، ص ٤٥٤، س ٢٠، وفيه: «بتظاهر المعجزات الباهرة المزيلة للشك».

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾

﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾: مصدّقين فيما جئتما به.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾: حاذق فيه، وقرئ ساحر[1].

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ * فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾: أي الذي جئتم به، لا ما سمّيتموه سحراً، وقرئ السحر بقطع الألف ومدّها على الإستفهام، فـ«ما» استفهاميّة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾: سيمحقه ويظهر بطلانه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: لا يثبّته ولا يقويّه.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾: يثبّته.

﴿بِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾: بأوامره، وقضاياه.

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ * فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾: في مبدء أمره.

---

١ ـ وفي نسخة: [سحّار]. وقال الطبرسي: قرأ أهل الكوفة غير عاصم بكل سحّار بالتشديد، والباقون ساحر على وزن فاعل، وقرأ أبو جعفر، وأبو عمرو: السحر بقطع الألف ومدّها على الإستفهام، والباقون السحر موصولة على الخبر. مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ١٢٥، في القراءة.

وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾

﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾: إلّا أولاد من قوم موسى يعني بني إسرائيل، أو قوم فرعون. قيل: دعاهم فلم يجيبوه خوفاً من فرعون إلّا طائفة من شبّانهم[١].

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾: أي حزب آل فرعون.

﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾: أن يعذّبهم فرعون.

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: لقاهر فيها.

﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: في الكبر والعتوّ والظّلم والفساد حتّى ادّعى الرّبوبيّة واسترق أسباط الأنبياء.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾: لمّا رأى تخوّف المؤمنين به.

﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾: فثقوا به وأسندوا أمركم إليه، واعتمدوا عليه.

﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾: مستسلمين لقضاء الله مخلصين له، وليس هذا تعليق الحكم بشرطين فإنّ المعلّق بالايمان وجوب التوكّل فإنّه المقتضى له والمشروط بالإسلام حصوله، فإنّه لا يوجد مع التخليط، ونظيره إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت.

﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: لأنّهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك أُجيبت دعوتهم.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾: موضع فتنة.

﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي لا تسلطّهم علينا فيفتنونا عن ديننا أو يعذّبونا. في المجمع

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٥٥.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٨٦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٧﴾

عنهما عليهما السلام[1]، والعيّاشي: مقطوعاً لا تسلّطهم علينا فتفتنهم بنا[2].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام إنّ قوم موسى استعبدهم آل فرعون وقالوا: لو كان هؤلاء كرامة كما يقولون ما سلّطنا عليهم، وقال موسى لقومه: «يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُم ءامَنْتُمْ» الآية[3].

أقول: هذه الرواية تفسير الرواية الأُولى.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: من كيدهم واستعبادهم إيّانا.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾: اتخذا مباءة أي مرجعاً.

﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً﴾: ترجعون إليها للعبادة.

﴿وَٱجْعَلُواْ﴾: أنتما وقومكما.

﴿بُيُوتَكُمْ﴾: تلك البيوت.

﴿قِبْلَةً﴾: مصلّى.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فيها[4]. القمّي: عن الكاظم عليه السلام لمّا خافت بنو إسرائيل جبابرتها أوحى الله إلى موسى وهارون «أَنْ تَبَوءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً»، قال: أُمروا أن يصلّوا في بيوتهم[5].

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بالنّصرة في الدنيا والجنّة في العقبى، في العلل[6]، والعيّاشي:

---

١ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ١٢٨.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٧، ح ٣٨.
٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٤.
٤ ـ أي في بيوتكم.
٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٥.
٦ ـ علل الشرائع: ص ٢٠١ ـ ٢٠٢، ح ٢، باب ١٥٤ ـ العلّة التي من أجلها سد رسول الله صلى الله عليه وآله الأبواب كلّها

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطب النّاس فقال: أيّها النّاس إنّ الله عزّ وجلّ أمر موسى وهارون أن يبنيا لقومها بمصر بيوتاً، وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب، ولا يقرب فيه النّساء إلّا هارون وذريّته، وأنّ علياً منّي بمنزلة هارون من موسى فلا يحلّ لأحد أن يقرب النّساء في مسجدي، ولا يبيت فيه جنباً إلّا علي وذريّته، فمن ساءه ذلك فهاهنا وضرب بيده نحو الشّام[1]، وفي العيون: ما يقرب منه[2].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾: ما يتزيّن به من اللّباس والفرش والمراكب ونحوها.

﴿وَأَمْوَٰلًا﴾: وأنواعاً من المال.

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾: القمّي: أي يفتنوا النّاس بالأموال ليعبدوه ولا يعبدوك واللّام للعاقبة[3].

﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: أهلكها وامحقها.

﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: واقسها، واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: لمّا لم يبق له طمع في إيمانهم اشتدّ غضبه

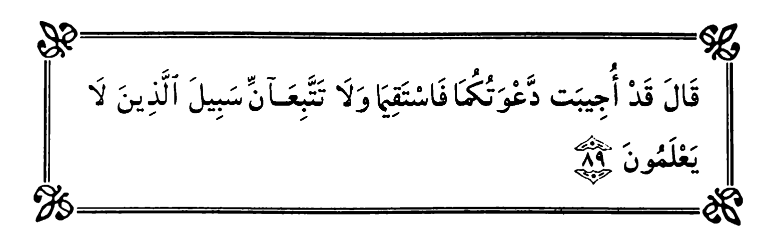
---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٧، ح ٣٩.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٣٢، ح ١، باب ٢٣ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأمّة.

إلى المسجد وترك باب علي عليه السلام.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٥.



عليهم فدعا الله عليهم بما علم أنّه لا يكون غيره ليشهد عليهم أنّهم لا يستحقون إلّا الخذلان، وأن يخلّي بينهم وبين إضلالهم، ومعنى الطمس على الأموال: تغييرها عن جهتها إلى جهة لا ينتفع بها، قيل: صارت جميع أموالهم حجارة[١].

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾: يعني موسى وهارون، قيل: كان موسى داعياً وهارون يؤمّن فسمّاهما داعيين[٢].

في الكافي: عن النّبي ﷺ دعا موسى وأمّن هارون وأمّنت الملائكة. قال الله تعالى: «قد أُجيبت دعوتكما» ومن غزا في سبيل الله أُستجيب له كما استجيب لكما يوم القيامة[٣].

﴿فَاسْتَقِيمَا﴾: فأثبتا على ما أنتما عليه من الدّعوة، وإلزام الحجّة، ولا تستعجلا فإنّ ما طلبتما كائن، ولكن في وقته.

في الكافي[٤]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام كان بين قول الله عزّ وجلّ: «قد أُجيبت دعوتكما» وبين أخذ فرعون أربعون سنة[٥].

وفي الخصال: عن الباقر عليه السلام أملى[٦] الله لفرعون ما بين الكلمتين[٧] أربعين سنة، ثمّ

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ١٢٦.

٢ ـ قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج ٢، ص ١٢٦.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٥١٠، ح ٨، باب من تستجاب دعوته.

٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٨٩، ح ٥، باب من أبطأت عليه الإجابة.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٧، ح ٤٠.

٦ ـ أملى الله له: أمهله وطوّله. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٩٧، مادة «ملا».

٧ ـ أي قوله تعالى: «أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ» النازعات: ٢٤، وقوله: «مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى» القصص: ٣٨.

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾

أخذه الله نكال الآخرة والأولى، وكان بين ما قال الله لموسى وهارون: «قد أُجيبت دعوتكما» وبين أن عرّفه الإجابة أربعين سنة، ثمّ قال: قال جبرئيل عليه السلام نازلت ربي في فرعون منازلة شديدة فقلت: يا رب تدعه وقد قال: «أنا ربكم الأعلى»؟[1] فقال: إنّما يقول: مثل هذا عبد مثلك[2].

﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾: قرئ بتخفيف النّون.

﴿سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: طريق الجهلة في الإستعجال وعدم الوثوق، والإطمئنان بوعد الله.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾: عبرنا بهم حتّى جاوزوه سالمين.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾: لحقهم.

﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْياً وَعَدْواً﴾: باغين وعادين، العيّاشي مرفوعاً: لمّا صار موسى في البحر أتبعه فرعون وجنوده، قال: فتهيّب فرس فرعون أن يدخل البحر فتمثّل له جبرئيل على رَمَكة[3] فلمّا رأى فرس فرعون الرمكة أتبعها فدخل البحر هو وأصحابه فغرقوا[4].

١ـ النازعات: ٢٤.

٢ـ الخصال: ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠، ح ١١، باب أملى الله تبارك وتعالى لفرعون بين كلمتيه أربعين سنة. أبواب الأربعين وما فوقه.

٣ـ الرمك والرَمَكَة ـ بالتحريك فيهما ـ: الأنثى من البراذين. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٦٩، مادة «رمك».

٤ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٧ ـ ١٢٨، ح ٤١.

ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ﴾: وقد قرئ بالكسر على الإستئناف.

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِى ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيل وَأَنَا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: كرّر المعنى الواحد ثلاث مرّات بثلاث عبارات حرصاً على القبول، ثمّ لم يُقبل منه حيث أخطأ وقته، وقاله في وقت الإلجاء، وكانت المرّة الواحدة كافية وقت الإختيار، وبقاء التكليف.

﴿ءَآلْـَٔـٰنَ﴾: تؤمن وقد آيست من نفسك ولم يبق لك إختيار.

﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾: قبل ذلك، مدّة عمرك.

﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: الضّالين المضلّين عن الإيمان، القمّي: عن الصّادق عليه السلام ما أتى جبرئيل عليه السلام رسول الله إلّا كئيباً حزيناً ولم يزل كذلك منذ أهلك الله فرعون فلمّا أمره الله بنزول هذه الآية «وَقَدْ عَصَيتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِيْنَ» نزل عليه وهو ضاحك مستبشر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أتيتني يا جبرئيل إلّا وتبيّنت الحزن من وجهك حتّى السّاعة، قال: نعم يا محمّد صلى الله عليه وآله لمّا غرّق الله فرعون «قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِى ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوٓا إِسْراءِيل وَأَنَا مِنَ ٱلْمُسْلِمينَ»، فأخذت حَمَأة فوضعتها في فيه ثمّ قلت له: «ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ» وعملت ذلك من غير أمر الله عزّ وجلّ ثمّ خفت أن تلحقه الرّحمة من الله عزّ وجلّ ويعذّبني الله على ما فعلت، فلمّا كان الآن وأمرني الله عزّ وجلّ أن أُؤدّي إليك ما قلته أنا لفرعون أمنت وعلمت أنّ ذلك كان لله تعالى رضاً[1].

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾: ننقذك عارياً من الرّوح ممّا وقع فيه قومك من البحر،

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٦.

ونلقيك على نجوة من الأرض، وهي المكان المرتفع ليراك بنو إسرائيل.

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾: لمن وراءك وهم بنو إسرائيل.

﴿ءَايَةً﴾: علامة يظهر لهم عبوديّتك ومهانتك، وإنّ ما كنت تدّعيه من الرّبوبيّة محال إذ كان في أنفسهم أنّ فرعون أجلّ شأناً من أن يغرق.

القمّي: أنّ موسى أخبر بني إسرائيل أنّ الله قد أغرق فرعون فلم يصدّقوه فأمر الله عزّ وجلّ البحر فلفظ به على ساحل البحر حتّى رأوه ميّتاً[١]، ويأتي تمام الكلام فيه.

﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ﴾: لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها، في العيون: عن الرضا عليه السلام أنّه سئل لأيّ علّة غرّق الله تعالى فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيده؟ قال: لأنّه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم الله تعالى ذكره في السلف والخلف قال الله تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوآ ءَامَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا»[٢]، وقال عزّ وجلّ: «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَـٰنِهَا خَيْراً»[٣]، وهكذا فرعون لمّا أدركه الغرق قال: «ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِى ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوٓا إِسْرَاءِيلَ وَأَنَا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ»، فقيل له: «ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً» وقد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد وقد لبسه على بدنه فلمّا غرق ألقاه الله تعالى على نجوة من الأرض ببدنه ليكون لمن بعده علامة فيرونه مع تثقّله بالحديد على مرتفع من الأرض، وسبيل الثّقيل أن يرسب ولا يرتفع، فكان ذلك آية وعلامة، ولعلّة أُخرى أغرقه الله عزّ وجلّ وهي: أنّه استغاث بموسى لمّا أدركه الغرق ولم يستغث بالله تعالى فأوحى الله عزّ وجلّ إليه يا موسى لم تُغث فرعون لأنّك لم تخلقه ولو استغاث بي لأغثته[٤].

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٦.
٢ ـ غافر: ٨٤ ـ ٨٥.
٣ ـ الأنعام: ١٥٨.
٤ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٧٧ ـ ٧٨، ح ٧، باب ٣٢ ـ في ذكر ما جاء عن الرضا عليه السلام من العلل.

والقمّي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية إنّ بني إسرائيل قالوا: يا موسى ادع الله تعالى أن يجعل لنا ممّا نحن فيه فرجاً، فدعا فأوحى الله إليه أن سر بهم، قال: يا رب البحر أمامهم، قال: امض فإنّي آمره أن يطيعك فينفرج لك، فخرج موسى ببني إسرائيل وأتبعهم فرعون حتّى إذا كاد أن يلحقهم ونظروا إليه قد أظلّهم قال موسى للبحر: انفرج لي، قال: ما كنت لأفعل، وقالت بنو إسرائيل لموسى غررتنا وأهلكتنا فليتك تركتنا يستعبدنا آل فرعون ولم نخرج الآن نقتل قتلة، قال: «كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّى سَيَهْدِينِ»[١]، واشتدّ على موسى ما كان يصنع به عامّة قومه، وقالوا: يا موسى« إنّا لمدركون»[٢]، زعمت أنّ البحر ينفرج لنا حتى نمضي ونذهب وقد رهقنا[٣] فرعون وقومه وهم هؤلاء تراهم قد دنوا منّا، فدعا موسى ربّه فأوحى الله إليه «أن اضرب بعصاك البحر»[٤] فضربه فانفلق البحر فمضى موسى وأصحابه حتّى قطعوا البحر وأدركهم آل فرعون فلمّا نظروا إلى البحر قالوا لفرعون: أما تعجب ممّا ترى؟ قال: أنا فعلت هذا فمرّوا وامضوا فيه فلمّا توسّط فرعون ومن معه أمر الله البحر فأطبق عليهم فغرّقهم أجمعين فلمّا أدرك فرعون الغرق، قال: «ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلٰـهَ إِلَّا ٱلَّذِى ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوٓا إِسْرٰءِيل وَأَنَا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ» يقول الله عزّ وجلّ: «ءَآلْـٰٔنَ وَقَدْ عَصَيتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ» يقول: كنت من العاصين « فَالْيَوْم نُنَجِيّك بِبَدِنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفكَ آيَة» قال: إنّ قوم فرعون ذهبوا جميعاً[٥] في البحر فلم يُرَ منهم أحد هو وافى البحر إلى النّار، وأمّا فرعون فنبذه الله عزّ وجلّ وحده فألقاه بالسّاحل لينظروا إليه وليعرفوه ليكون لمن خلفه آية ولئلّا يشكّ أحدٌ في هلاكه أنّهم كانوا اتخذوه ربّاً فأراهم الله عزّ وجلّ إيّاه جيفةً ملقاة بالساحل ليكون لمن خلفه عبرةً وعظة، يقول الله: «وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلنَّاسِ عَنْ آيَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ»[٦].

---

١ ـ الشعراء: ٦٢.
٢ ـ الشعراء: ٦١.
٣ ـ رَهَقْتُ الشيء ـ من باب تعب ـ: قربت منه. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٧٥، مادة «رهق».
٤ ـ الشعراء: ٦٣.
٥ ـ وفي نسخة: [أجمعين]، وهكذا في المصدر.
٦ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٥ ـ ٣١٦.

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: منزلاً صالحاً مرضيّاً وهو الشّام ومصر.

القمّي: ردّهم إلى مصر وغرّق فرعون(١).

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: من اللذائذ.

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾: في أمر دينهم وما تشعبوا شعباً.

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾: بدين الحق وقرؤوا التوراة وعلموا أحكامها، أو في أمر محمد صلّى الله عليه وآله إلّا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظافر معجزاته.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: فيميّز المحقّ من المبطل بالإنجاء والإهلاك.

﴿فَإِن كُنتَ(٢) فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٦.

٢ ـ قيل: المعنى إذا وقع لك شك فرضاً وتقديراً فاسأل علماء أهل الكتاب فإنّهم يحيطون علماً بصحّة ما أُنزل إليك.

وقيل: بل خوطب رسول الله صلّى الله عليه وآله والمراد أُمته، والمعنى فإن كنتم في شك.

وقيل: الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك، كقولهم: إذا عزّا أخوك فهن. ولا يخفى ما في هذه الأقوال من التهافت، فإنّ أهل الكتاب كيف يصدّقونه، وهو في شك من أمره وإن لم يصدقونه فهم إذن يدعونه إلى دينهم وما أُنزل من الوحي إنّما أُنزل إليه ولم ينزل إلى الأُمّة فكيف تخاطب به الأُمّة. منه رحمه الله.

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾

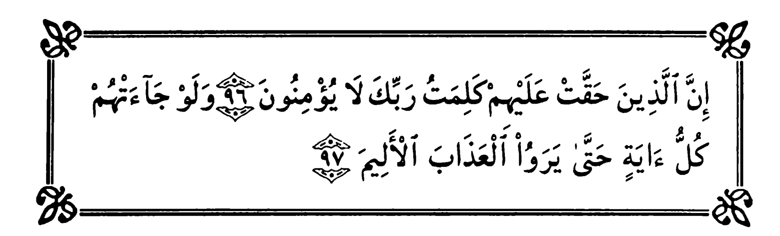
لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: في العلل[١]، والعيّاشي: عن الهادي عليه السلام أنّه سأله أخوه موسى عن هذه الآية حين كتب إليه يحيى بن أكثم يسأله عن مسائل فيها أخبرني من المخاطب بالآية فإن كان المخاطب به النّبي صلى الله عليه وآله وليس قد شكّ فيما أنزل الله إليه، وإن كان المخاطب به غيره فعلى غيره إذن أُنزل الكتاب، قال موسى: فسألت أخي علي بن محمد عليه السلام عن ذلك فقال: المخاطب بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن في شكّ ممّا أنزل الله ولكن قالت الجهلة كيف لا يبعث إلينا نبيّاً من الملائكة ليفرّق بينه وبين غيره في الإستغناء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق فأوحى الله إلى نبيّه: «فَسْـَٔلِ الّذين يقرءُونَ ٱلكِتَٰبَ مِنْ قَبْلِكَ» بمحضر من الجهلة هل بعث الله رسولاً قبلك إلّا وهو يأكل الطّعام ويمشي في الأسواق ولك بهم أُسوة وإنّما قال: «فإن كنت في شكّ» ولم يكن ولكن ليتبعهم كما قال: «فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ»[٢]، ولو قال: «تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم» لم يكن يجيبون للمباهلة وقد عرف أنّ نبيّه صلى الله عليه وآله مؤدّ عنه رسالته، وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النّبي صلى الله عليه وآله أنّه صادق فيما يقول ولكن أحبّ أن ينصف من نفسه[٣].

---

١ ـ علل الشرائع: ص ١٢٩، ح ١، باب ١٠٧ ـ العلّة التي من أجلها قال الله عزّ وجلّ لنبيه صلى الله عليه وآله «فَإِنْ كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ».

٢ ـ آل عمران: ٦١.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٨، ح ٤٢.



وفي العلل: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا أشكّ ولا أسأل(١).

والقمّي: عن الصادق عليه السلام لمّا أُسري برسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء، وأوحى الله إليه في علي عليه السلام ما أوحى: من شرفه، ومن عظمته عند الله، ورد إلى البيت المعمور، وجمع له النّبيين وصلّوا خلفه عرض في نفس رسول الله صلى الله عليه وآله من عظم ما أوحى إليه في علي عليه السلام فأنزل الله: «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْ قَبْلِكَ». يعني الأنبياء، فقد أنزلنا إليهم في كتبهم من فضله ما أنزلنا إليك في كتابك «لَقَدْ جَاءَكَ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِين ۞ وَلَا تَكُونَنّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِين» فقال الصادق عليه السلام: فوالله ما شكّ وما سئل(٢).

والعيّاشي: ما يقرب منه(٣)، وفي معناه أخبار أُخر ويأتي نظيرها في سورة الزخرف(٤) إن شاء الله، وعلى كلتا الروايتين فالخطاب من قبيل إيّاك أعني واسمعي يا جارة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾: ثبتت.

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: بأنّهم يموتون على الكفر.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: إذ لا يكذّب كلامه، ولا ينتقص قضاؤه.

﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع

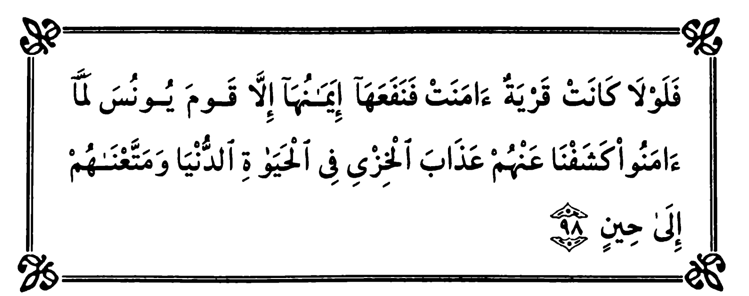
---

١ ـ علل الشرائع: ص ١٣٠، ح ٢، باب ١٠٧ ـ العلّة التي من أجلها قال الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ».

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٦ ـ ٣١٧.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٨، ح ٤٣.

٤ ـ ذيل الآية: ٤٥، من سورة الزخرف.



فرعون، القمّي: الّذين جحدوا أمير المؤمنين عليه السلام عرضت عليهم الولاية وفرض الله عليهم الإيمان بها فلم يؤمنوا بها[١].

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾: فهلّا كانت قرية من القرى التي أهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب، ولم تؤخّر إليها كما أخّر فرعون إلى أن أدركه الغرق.

﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ﴾: بأن يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها.

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾: لكن قوم يونس.

﴿لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾: أوّل ما رأوا إمارة العذاب ولم يؤخرّوه إلى حلوله.

﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: ويجوز أن يكون الجملة في معنى النّفي لتضمن حرف التخصيص معناه فيكون الإستثناء متّصلاً كأنّه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلّا قوم يونس.

في الجوامع: وكان يونس قد بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذّبوه فذهب عنهم مغاضباً فلمّا فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجّوا وبكوا فصرف الله عنهم العذاب، وكان قد نزل وقرب منهم[٢].

والعيّاشي: عن أبي عبيدة الحذّاء، عن الباقر عليه السلام قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ جبرئيل عليه السلام حدّثه أنّ يونس بن متى عليه السلام بعثه الله إلى قومه وهو ابن ثلاثين سنة وكان رجلاً تعتريه الحدّة وكان قليل الصّبر على قومه والمداراة لهم، عاجزاً

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٧.

٢ ـ جوامع الجامع: ج ٢، ص ١٢٩.

عمّا حُمّل من ثقل حمل أوقار النبوّة وأعلامها وانّه تفسّخ[1] تحتها كما يتفسّخ الجذع تحت حمله وأنّه أقام فيهم يدعوهم إلى الإيمان بالله والتّصديق به واتّباعه ثلاثاً وثلاثين سنة، فلم يؤمن به ولم يتبعه من قومه إلّا رجلان اسم أحدهما روبيل، واسم الآخر تنوخا، وكان روبيل من أهل بيت العلم والنبوّة والحكمة، وكان قديم الصحبة ليونس بن متّى عليه‌السلام من قبل أن يبعثه الله بالنبوّة، وكان تنوخا رجلاً مستضعفاً عابداً زاهداً منهمكاً في العبادة، وليس له علم ولا حكم، وكان روبيل صاحب غنم يرعاها ويتقوّت منها، وكان تنوخا رجلاً حطّاباً يحتطب على رأسه ويأكل من كسبه، وكان لروبيل منزلة من يونس غير منزلة تنوخا لعلم روبيل وحكمته، وقديم صحبته، فلمّا رآى يونس أنّ قومه لا يجيبونه ولا يؤمنون ضجر وعرف من نفسه قلّة الصّبر فشكا ذلك إلى ربّه وكان فيما شكا أ ن قال: يا ربّ إنّك بعثتني إلى قومي ولي ثلاثون سنة، فلبثت فيهم أدعوهم إلى الإيمان بك، والتّصديق برسالتي، وأُخوّفهم من عذابك ونقمتك ثلاثاً وثلاثين سنة، فكذّبوني ولم يؤمنوا بي، وجحدوا نبوّتي واستخفّوا برسالتي، وقد توعّدوني وخفت أن يقتلوني، فأنزل عليهم عذابك فإنّهم قوم لا يؤمنون، قال: فأوحى الله إلى يونس أنّ فيهم الحمل والجنين والطّفل، والشّيخ الكبير، والمرأة الضعيفة، والمستضعف المهين، وأنا الحكم العدل، سبقت رحمتي غضبي، لا أُعذّب الصّغار بذنوب الكبار من قومك، وهم يا يونس عبادي وخلقي وبريّتي في بلادي، وفي عيلتي أحبّ أن أتأنّاهم وأرفق بهم وأنتظر توبتهم، وإنّما بعثتك إلى قومك لتكون حفيظاً عليهم تعطف عليهم بسجال[2] الرحمة الماسّة منهم، وتأنّاهم برأفة النبوّة، وتصبر معهم بأحلام الرسالة، وتكون لهم كهيئة الطبيب المداوي العالم بمداواة الدواء، فخرجت بهم ولم تستعمل قلوبهم

---

١ ـ الفسخ: الضعف، والجهل، والطرح، وإفساد الرأي، والنقض، والتفريق، والضعيف العقل والبدن، كالفسخة، ومن لا يظفر بحاجته، ولا يصلح لأمره كالفسيخ، القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٦٦، مادة «فسخ».

٢ ـ السجل ـ كفلس ـ: الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء قل أو كثر. وقوله: «وسجال عطيّتك» من هذا المعنى على الإستعارة، مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٩٤. مادة «سجل».

أقول: وهكذا في المقام يكون المعنى على الإستعارة.

بالرّفق ولم تسسهم بسياسة المرسلين، ثمّ سألتني عن سوء نظرك العذاب لهم عند قلّة الصبر منك، وعبدي نوح كان أصبر منك على قومه، وأحسن صحبة وأشدّ تأنيّاً في الصبر عندي، وأبلغ في العذر، فغضبت له حين غضب لي، وأجبته حين دعاني، فقال يونس: يا ربّ إنّما غضبت عليهم فيك، وإنّما دعوت عليهم حين عصوك، فوعزّتك لا أتعطّف عليهم برأفة أبداً ولا أنظر إليهم بنصيحة شفيق بعد كفرهم وتكذيبهم إيّاي وجحدهم نبوّتي فأنزل عليهم عذابك فإنّهم لا يؤمنون أبداً، فقال الله تعالى: يا يونس إنّهم مائة ألف أو يزيدون من خلقي يعمرون بلادي ويلدون عبادي ومحبّتي إن أتأنّاهم للّذي سبق من علمي فيهم وفيك، وتقديري وتدبيري غير علمك وتقديرك وأنت المرسل، وأنا الرب الحكيم، وعلمي فيهم يا يونس باطن في الغيب عندي لا يعلم ما منتهاه وعلمك فيهم ظاهر لا باطن له، يا يونس قد أجبتك إلى ما سألت من إنزال العذاب عليهم وما ذلك يا يونس بأوفر لحظّك عندي ولا أحمد لشأنك وسيأتيهم عذاب في شوّال يوم الأربعاء وسط الشّهر بعد طلوع الشمس فأعلمهم ذلك، قال: فسرّ ذلك يونس ولم يسؤه ولم يدر ما عاقبته فانطلق يونس إلى تنوخا العابد وأخبره بما أوحى الله إليه من نزول العذاب على قومه في ذلك اليوم، وقال له: إنطلق حتى أُعلمهم بما أوحى الله إليّ من نزول العذاب، فقال تنوخا: فدعهم في غمرتهم ومعصيتهم حتّى يعذّبهم الله، فقال له يونس: بل نلق روبيل فنشاوره فإنّه رجل عالم حكيم من أهل بيت النّبوّة فانطلقا إلى روبيل فأخبره يونس بما أوحى الله إليه من نزول العذاب على قومه في شوّال يوم الأربعاء في وسط الشهر بعد طلوع الشمس، فقال له: ما ترى؟ إنطلق بنا حتّى أُعلمهم بذلك، فقال له روبيل: ارجع إلى ربّك رجعة نبيّ حكيم، ورسول كريم، واسأله أن يصرف عنهم العذاب فإنّه غنّي عن عذابهم، وهو يحبّ الرّفق بعباده وما ذلك بأضر لك عنده، ولا أسرى لمنزلتك لديه، ولعلّ قومك بعد ما سمعت ورأيت من كفرهم وجحودهم يؤمنون يوماً فصابرهم وتأنّاهم، فقال له تنوخا: ويحك يا روبيل ما أشرت على يونس وأمرته به بعد كفرهم بالله وجحدهم لنبيّه وتكذيبهم إيّاه وإخراجهم إيّاه من مساكنه وما همّوا به من رجمه، فقال روبيل لتنوخا: اسكت فإنّك رجل عابد لا علم لك، ثمّ أقبل على

يونس فقال: أرأيت يا يونس إذا أنزل الله العذاب على قومك أنزله فيهلكهم جميعاً أو يهلك بعضاً ويبقي بعضاً، فقال له يونس: بل يهلكهم جميعاً وكذلك سألته ما دخلتني لهم رحمة تعطّف فأُراجع الله فيهم وأسأله أن يصرف عنهم، فقال له روبيل: أتدري يا يونس لعلّ الله إذا أنزل عليهم العذاب فأحسّوا به أن يتوبوا إليه ويستغفروا فيرحمهم فإنّه أرحم الرّاحمين، ويكشف عنهم العذاب من بعد ما أخبرتهم عن الله تعالى أنّه ينزل عليهم العذاب يوم الأربعاء فتكون بذلك عندهم كذّاباً، فقال له تنوخا: ويحك يا روبيل لقد قلت عظيماً يخبرك النّبي المرسل أنّ الله أوحى إليه أنّ العذاب ينزل عليهم، فتردّ قول الله تعالى وتشكّ فيه، وفي قول رسوله إذهب فقد حبط عملك، فقال روبيل لتنوخا: لقد فسد رأيك ثمّ أقبل على يونس فقال: أنزل الوحي والأمر من الله فيهم على ما أُنزل عليك فيهم من إنزال العذاب عليهم، وقوله الحقّ أرأيت إذا كان ذلك فهلك قومك كلهم وخربت قريتهم أليس يمحو الله اسمك من النبوّة وتبطل رسالتك وتكون كبعض ضعفاء النّاس، ويهلك على يديك مائة ألف من النّاس؟ فأبى يونس أن يقبل وصيّته فانطلق ومعه تنوخا إلى قومه فأخبرهم أنّ الله أوحى إليه أنّه منّزل العذاب عليهم يوم الأربعاء في شوّال وسط الشهر بعد طلوع الشمس فردّوا عليه قوله وكذّبوه وأخرجوه من قريتهم إخراجاً عنيفاً. فخرج يونس ومعه تنوخا من القرية وتنحيّا عنهم غير بعيد، وأقاما ينتظران العذاب وأقام روبيل مع قومه في قريتهم حتّى إذا دخل عليهم شوّال صرخ روبيل بأعلى صوته في رأس الجبل إلى القوم أنا روبيل الشّفيق عليكم الرّحيم بكم إلى ربّه قد أنكرتم عذاب الله هذا شوّال قد دخل عليكم وقد أخبركم يونس نبيّكم ورسول ربّكم أنّ الله أوحى إليه أنّ العذاب ينزل عليكم في شوّال في وسط الشّهر يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس، ولن يخلف الله وعده ورسله. فانظروا ماذا أنتم صانعون؟ فأفزعهم كلامه فوقع في قلوبهم تحقيق نزول العذاب فأجفلوا[1] نحو روبيل،

---

١ ـ أجفل القوم: أي هربوا مسرعين، وانجفل القوم، أي انقلعوا كلهم فمضوا. الصحاح: ج٤، ص١٦٥٧، مادة «جفل».

وقالوا له: ماذا أنت مشير به علينا يا روبيل؟ فإنّك رجل عالم حكيم لم نزل نعرفك بالرقّة علينا والرّحمة لنا، وقد بلغنا ما أشرت به على يونس فمرنا بأمرك وأشر علينا برأيك، فقال لهم روبيل: فإنّي أرى لكم وأشير عليكم أن تنظروا وتعمدوا إذا طلع الفجر يوم الأربعاء في وسط الشهر أن تعزلوا الأطفال عن الأمّهات في أسفل الجبل في طريق الأودية، وتقفوا النساء في سفح الجبل، ويكون هذا كلّه قبل طلوع الشّمس فعجّوا عجيج الكبير منكم والصغير بالصّراخ والبكاء والتضرّع إلى الله والتّوبة إليه والإستغفار له، وارفعوا رؤوسكم إلى السماء، وقولوا: ربنا ظلمنا وكذّبنا نبيّك وتبنا إليك من ذنوبنا وإن لا تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين المعذّبين، فاقبل توبتنا وارحمنا يا أرحم الراحمين، ثمّ لا تملّوا من البكاء والصّراخ والتضرّع إلى الله، والتوبة إليه حتّى توارى الشمس بالحجاب أو يكشف الله عنكم العذاب قبل ذلك، فأجمع رأي القوم جميعاً على أن يفعلوا ما أشار به عليهم روبيل، فلمّا كان يوم الأربعاء الذي توقّعوا العذاب تنّحى روبيل عن القرية حيث يسمع صراخهم ويرى العذاب إذا أُنزل، فلمّا طلع الفجر يوم الأربعاء فعل قوم يونس ما أمرهم روبيل به فلمّا بزغت الشمس أقبلت ريح صفراء مظلمة مسرعة لها صرير[١] وحفيف[٢] فلمّا رأوها عجّوا جميعاً بالصّراخ والبكاء والتضرّع إلى الله وتابوا إليه واستغفروه، وصرخت الأطفال بأصواتها تطلب أُمّهاتها، وعجّت سخال البهائم تطلب الثّدي، وسعت الأنعام تطلب الرّعا فلم يزالوا بذلك، ويونس وتنوخا يسمعان صيحتهم وصراخهم ويدعوان الله بتغليظ العذاب عليهم، وروبيل في موضعه يسمع صراخهم وعجيجهم ويرى ما نزل وهو يدعو الله بكشف العذاب عنهم، فلمّا أن زالت الشمس وفتحت أبواب السماء وسكن غضب الرب تعالى رحمهم الرّحمان، فاستجاب دعاءهم، وقبل توبتهم، وأقالهم عثرتهم، وأوحى إلى إسرافيل أن اهبط إلى قوم يونس فإنّهم قد عجّوا إليّ بالبكاء والتضرّع وتابوا إليّ واستغفروني فرحمتهم وتبت عليهم وأنا الله التواب

---

١ ـ الصَرَّة: الضَجَّة والصيحة. الصحاح: ج ٢، ص ٧١٠، مادة «صَرَرَ».

٢ ـ حَفَّ الفرس أيضاً يحف حفيفاً، وأحففته أنا، إذا حملته على أن يكون له حفيف، وهو دوي جريه. وكذلك حفيف جناح الطائر. الصحاح: ج ٤، ص ١٣٤٥، مادة «حفف».

الرحيم، أسرع الى قبول توبة عبدي التائب من الذنب، وقد كان عبدي يونس ورسولي سألني نزول العذاب على قومه وقد أنزلته عليهم وأنا الله أحقّ من وفى بعده وقد أنزلته عليهم ولم يكن اشترط يونس حين سألني أن أُنزّل عليهم العذاب أن أُهلكهم فاهبط إليهم فاصرف عنهم ما قد نزل بهم من عذاب، فقال اسرافيل: يا ربّ إنّ عذابك قد بلغ أكنافهم وكاد أن يهلكهم وما أراه إلّا وقد نزل بساحتهم فإلى أين أصرفهم؟ فقال الله كلّا إنّي قد أمرت ملائكتي أن يصرفوه ولا ينزلوه عليهم حتّى يأتيهم أمري فيهم، وعزيمتي فاهبط يا إسرافيل عليهم واصرف عنهم، واصرف به إلى الجبال وناحية مفاض العيون، ومجاري السيول في الجبال العاتية العادية المستطيلة على الجبال فأذلها به وليّنها حتى تصير ملتئمة حديداً جامداً فهبط إسرافيل ونشر أجنحته فاستاق بها ذلك العذاب حتّى ضرب بها تلك الجبال التي أوحى الله إليه أن يصرفه إليها، قال أبو جعفر عليه السلام: وهي الجبال التي بناحية الموصل اليوم فصارت حديداً إلى يوم القيامة، فلمّا رآى قوم يونس أنّ العذاب قد صرف عنهم هبطوا إلى منازلهم من رؤوس الجبال وضمّوا إليهم نساءهم، وأولادهم وأموالهم وحمدوا الله على ما صرف عنهم، وأصبح يونس وتنوخا يوم الخميس في موضعهما الذي كانا فيه لا يشكّان أنّ العذاب قد نزل بهم وأهلكهم جميعاً لما خفيت أصواتهم عنهما، فأقبلا ناحية القرية يوم الخميس مع طلوع الشّمس ينظران إلى ما صار إليه القوم، فلمّا دنوا من القوم واستقبلهم الحطّابون والحمّارة[١] والرّعاة بأعناقهم ونظروا إلى أهل القرية مطمئنين، قال يونس لتنوخا: يا تنوخا كذبني الوحي وكذبت وعدي لقومي لا وعزّة ربي لا يرون لي وجهاً أبداً بعد ما كذّبني الوحي فانطلق يونس هارباً على وجهه مغاضباً لربّه ناحية بحر ايلة[٢] مستنكراً فراراً من أن يراه أحد من قومه فيقول له: يا كذّاب فلذلك قال الله: «وَذَا ٱلنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ

---

١ ـ الحمّارة: أصحاب الحمير في السفر، الواحد حمّار، مثل جمّال وبغّال. الصحاح: ج ٢، ص ٦٣٦، مادة «حمر».

٢ ـ أيلة: جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع، ومدينة بين ينبع ومصر. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٣٢، مادة «إيل».

نَقْدِرَ عَلَيْهِ»[١]، الآية ورجع تنوخا إلى القرية فلقي روبيل، فقال له: يا تنوخا أيّ الرّأيين كان أصوب وأحقّ أرأيي أو رأيك؟ فقال له تنوخا: بل رأيك كان أصوب ولقد كنت أشرت برأي العلماء والحكماء، وقال له تنوخا: أما إنّي لم أزل أرى إنّي أفضل منك لزهدي وفضل عبادتي حتى استبان فضلك لفضل علمك، وما أعطاك ربّك من الحكمة مع التقوى أفضل من الزهد والعبادة بلا علم، فاصطحبا فلم يزالا مقيمين مع قومهما، ومضى يونس على وجهه مغاضباً لربّه فكان من قصّته ما أخبره الله به في كتابه فآمنوا فمتعناهم إلى حين، قال أبو عبيدة: قلت لأبي جعفر عليه السلام: كم كان غاب يونس عن قومه حتّى رجع إليهم بالنبوّة والرسالة فآمنوا به وصدّقوه؟ قال: أربعة أسابيع سبعاً منها في ذهابه إلى البحر، وسبعاً في بطن الحوت، وسبعاً تحت الشّجرة بالعراء[٢]، وسبعاً منها في رجوعه إلى قومه، فقلت له: وما هذه الأسابيع شهوراً أو أيّام أو ساعات؟ فقال: يا أبا عبيدة إنّ العذاب أتاهم يوم الأربعاء في النّصف من شوال وصرف عنهم من يومهم ذلك فانطلق يونس مغاضباً فمضى يوم الخمس سبعة أيّام في مسيره إلى البحر، وسبعة أيّام في بطن الحوت، وسبعة أيّام تحت الشجرة بالعراء، وسبعة أيّام في رجوعه إلى قومه، فكان ذهابه ورجوعه ثمانية وعشرين يوماً، ثمّ أتاهم فآمنوا به وصدّقوه واتّبعوه فلذلك قال الله: «فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ»[٣].

وعنه عليه السلام: إنّ يونس لمّا أذاه قومه دعا الله عليهم فأصبحوا أوّل يوم ووجوههم صفر، وأصبحوا اليوم الثاني ووجوههم سود، قال: وكان الله واعدهم أن يأتيهم العذاب حتّى نالوه برماحهم ففرّقوا بين النّساء وأولادهنّ، والبقر، وأولادها، ولبسوا المسوح والصّوف، ووضعوا الحبال في أعناقهم والرماد على رؤوسهم وضجّوا ضجّة واحدة إلى ربّهم، وقالوا:

---

١ ـ الأنبياء: ٨٧.

٢ ـ العراء ـ بالمدّ: فضاء لا يتوارى فيه شجر أو غيره، ويقال: العراء ـ وجه الأرض. مجمع البحرين: ج ١، ص ٢٨٨، مادة «عرا».

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٩ ـ ١٣٥، ح ٤٤.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٩٩﴾

آمنّا بإله يونس فصرف الله عنهم العذاب، وأصبح يونس وهو يظنّ أنّه هلكوا فوجدهم في عافية[1].

وفي العلل: عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل لأي علّة صرف الله العذاب عن قوم يونس وقد أظلّهم ولم يفعل كذلك بغيرهم من الأُمم؟ قال: لأنّه كان في علم الله أنّه سيصرفه عنهم لتوبتهم، وإنّما ترك إخبار يونس بذلك لأنّه عزّ وجلّ أراد أن يفرغه لعبادته في بطن الحوت فيستوجب بذلك ثوابه وكرامته[2].

وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّ جبرئيل استثنى في هلاك قوم يونس ولم يسمعه يونس[3].

والقمّي: وافق العياشي في ذكر القصّة إلّا أنّه اختصرها وذكر في اسم العابد مليخا مكان تنوخا وأورد في آخرها أشياءً أُخر[4] نوردها في سورة الصافات[5] إن شاء الله تعالى، ويأتي بعض قصّته في سورة الأنبياء[6] أيضاً إن شاء الله تعالى.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾: بحيث لا يشذّ منهم أحد.

﴿جَمِيعاً﴾: مجتمعن على الإيمان لا يختلفون فيه.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٣٦، ح ٤٦.

٢ ـ علل الشرائع: ص ٧٧، ح ١، باب ٦٦ ـ العلّة التي من أجلها صرف الله عزّ وجلّ العذاب عن قوم يونس وقد أظلّهم ولم يصرف العذاب عن أُمّة قد أظلّهم غيرهم.

٣ ـ لم نعثر عليه في الكافي، والظاهر إنّه من سهو قلمه الشريف، بل وجدناه في تفسير القمي: ج ٢، ص ٧٤.

٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٧ ـ ٣١٩.

٥ ـ ذيل الآيات: ١٣٩ ـ ١٤٨.

٦ ـ ذيل الآية: ٨٧.

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾: وقرئ بالنون.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: في العيون: عن الرضا عليه السلام إنّه سأله المأمون عن هذه الآية فقال: حدثني أبي عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: إنّ المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من النّاس على الإسلام لكثر عددنا وقوينا على عدوّنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما كنت لألقى الله تعالى ببدعة لم يحدث إليّ فيها شيئاً، وما أنا من المتكلّفين فأنزل الله عليه يا محمّد: «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً» على سبيل الإلجاء والإضطرار في الدنيا كما يؤمن عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقّوا منّي ثواباً ولا مدحاً ولكنّي أُريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرّين ليستحقّوا منّي الزّلفى والكرامة ودوام الخلود في جنّة الخلد «أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ» وأمّا قوله: «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ» فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها ولكن على معنى إنّها ما كانت لتؤمن إلّا بإذن الله وإذنه أمره لها بالإيمان ما كانت متكلّفة متعبّدة، وإلجاؤه إيّاها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبّد عنها، فقال المأمون: فرّجت عنّي فرّج الله عنك[1].

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: من عجائب صنعه ليدلّكم على

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٣٥، ح ٣٣، باب ١١ ـ ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار في التوحيد.

فَهَل يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوٓا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

وحدته وكمال قدرته.

﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يتوقع إيمانهم و «ما» نافية أو استفهاميّة للإنكار، في الكافي[١]، والقمّي: عن الصّادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية، فقال: الآيات: الأئمّة عليهم السلام، والنّذر: الأنبياء عليهم السلام[٢].

﴿فَهَل يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ﴾: مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم، إذ لا يستحقّون غيرها.

﴿قُلْ فَانتَظِرُوٓا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾: لذلك، العيّاشي: عن الرضا عليه السلام إنّ انتظار الفرج من الفرج، إنّ الله يقول: «انْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِنَ ٱلْمُنْتَظِرِينَ»[٣].

﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾: وقرئ بالتخفيف.

﴿رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: عطف على محذوف دلّ عليه ما قبله كأنّه قيل: نهلك الأمم ثمّ ننجّي رسلنا ومن آمن معهم.

﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: وقرئ بالتشديد، أي مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم حين نهلك المشركين، وحقّاً علينا اعتراض يعني حقّ ذلك علينا حقّاً، في المجمع[٤]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام ما يمنعكم أن تشهدوا على من مات منكم على هذا

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٠٧، ح ١، باب أنّ الآيات التي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه هم الأئمة عليهم السلام.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٢٠.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٣٨، ح ٥٠.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦، ص ١٣٨، س ٢٦.

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّـٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

الأمر أنّه من أهل الجنّة إنّ الله تعالى يقول: «كَذَٰلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ»[1].

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾: وصحته.

﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّـٰكُمْ﴾: وهو الحقيق بأن يُخاف ويُرجى ويُعبد وإنّما خصّ التوفّي بالذّكر للتهديد.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدّقين بالتّوحيد فهذا ديني.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾: عطف على أن أكون غير أنّ صلة أن محكيّة بصيغة الأمر، والمعنى أُمرت بالإستقامة والسداد في الدين بأداء الفرائض والإنتهاء عن القبائح.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾: إن دعوته.

﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾: إن خذلته.

﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾: فإن دعوته.

﴿فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: فإنّ الشّرك لظلم عظيم، القمّي: مخاطبة للنّبي صلى الله عليه وآله

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٣٨، ح ٥١.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾

والمعنيّ النّاس[1].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: وإن يصبك به.

﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾: يدفعه.

﴿إِلَّا هُوَ﴾: إلّا الله.

﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ﴾: فلا دافع.

﴿لِفَضْلِهِۦ﴾: الّذي أراده به، قيل: ذكر الإرادة مع الخير والمسّ مع الضّر مع تلازم الأمرين للتّنبيه على أنّ الخير مراد بالذّات وإنّ الضّرّ إنّما مسّهم لا بالقصد الأوّل ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على أنّه متفضّل بما يريد بهم من الخير لا إستحقاق لهم عليه ولم يستثن لأنّ مراد الله لا يمكن ردّه[2].

﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾: بالخير.

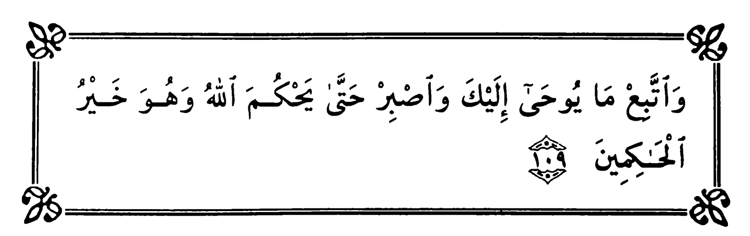
﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: فتعرّضوا لرحمته بالطّاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾: ولم يبق لكم عذر.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٢٠.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠.



﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: اختار الهدى بالإيمان والطاعة.

﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾: لأنّ نفعه لها.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾: اختار الضلال بالجحود.

﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: لأنّ وباله عليها.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بحفيظ موكول إليّ أمركم، وحملكم على ما أُريد، إنّما أنا بشير ونذير.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾: بالإمتثال والتّبليغ.

﴿وَٱصْبِرْ﴾: على دعوتهم واحتمال أذاهم.

﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾: لك بالنّصر عليهم والغلبة.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾: لأنّه لا يحكم إلّا بالحق والعدل.

في ثواب الأعمال: عن الصادق عليه السلام من قرأ سورة يونس في كلّ شهرين أو ثلاثة لم يخف عليه أن يكون من الجاهلين، وكان يوم القيامة من المقرّبين[1].

إلى هنا ينتهي الجزء الثالث حسب تجزئتنا، ويليه الجزء الرابع إن شاء الله وأوّله سورة هود، وذلك في غرّة جمادي الثاني سنة ١٤١٦ هـ.

قم المقدّسة

السيد محسن الحسيني الأميني

* * *

---

١ ـ **ثواب الأعمال:** ص ١٠٦، ثواب من قرأ سورة يونس.

الفهرس

﴿سورة الأنعام﴾
(٦)

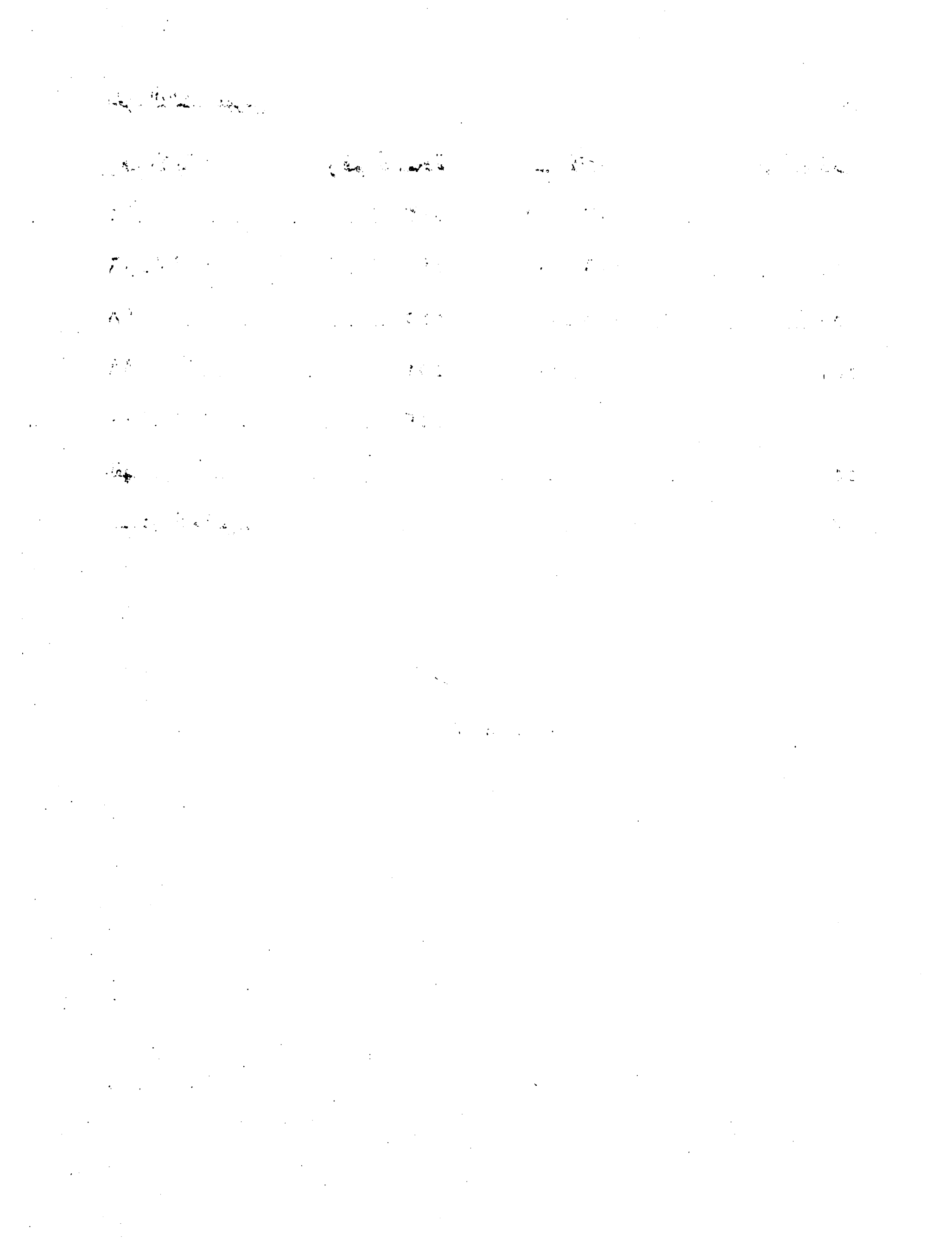
﴿سورة الأعراف﴾
(٧)

﴿سورة الأنفال﴾
(٨)

﴿سورة التوبة﴾
(٩)

﴿سورة يونس﴾
(١٠)





مصادر التحقيق

١ ـ الإحتجاج: لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، منشورات القدس ـ إيران.

٢ ـ إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي، منشورات دار الفكر ـ بيروت.

٣ ـ إرشاد القلوب: للشيخ أبو محمّد الحسن بن محمّد الديلمي، منشورات الشريف الرضي، إيران ـ قم.

٤ ـ أسرار الصلاة: للشهيد قدس سره.

٥ ـ الإعتقادات في دين الإماميّة: للشيخ الصدوق، منشورات محلاتي إيران ـ قم.

٦ ـ اعلام الورى لأعلام الهدى: للشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران ـ قم.

٧ ـ اقبال الأعمال: للسيد ابن طاووس، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٨ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: منشورات الأعلمي، بيروت ـ لبنان.

٩ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: منشورات دار الثقافة، إيران ـ قم.

١٠ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لعبدالله بن عمر البيضاوي، اُفست إيران.

١١ ـ بحار الأنوار: للعلامة المجلسي، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

١٢ ـ البرهان في تفسير القرآن: للعلامة السيد هاشم البحراني، منشورات اسماعيليان، إيران ـ قم.

١٣ ـ بصائرالدرجات: للشيخ محمّد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، إيران ـ طهران.

١٤ ـ تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي، منشورات دار الهداية، تحقيق مصطفى حجازي.

١٥ ـ التبيان: للشيخ الطوسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦ ـ تحف العقول: لابن شعبة الحراني، منشورات النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم.

١٧ ـ تفسير أبي السعود: للقاضي أبي السعود، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٨ ـ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، منشورات مدرسة الإمام المهدي، إيران ـ قم.

١٩ ـ تفسير البغوي: لحسين بن مسعود الفرّاء البغوي، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٢٠ ـ تفسير روح البيان: للعلّامة الشيخ إسماعيل حقي، طبع بيروت.

٢١ ـ تفسير روح المعاني: للعلّامة الآلوسي البغدادي، منشورات دار إحياء التراب العربي، بيروت.

٢٢ ـ تفسير العياشي: لمحمّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعيّاشي، منشورات المكتبة العلميّة الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٢٣ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للعلّامة حسن بن محمّد بن حسين القمّي النيسابوري، منشورات دار الجيل ـ بيروت.

٢٤ ـ تفسير فرات الكوفي: لفرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق محمّد كاظم، إيران.

٢٥ ـ تفسير القرآن العظيم: لإسماعيل بن كثير، منشورات دار القلم.

٢٦ ـ تفسير القرآن الكريم: لصدر المتألهين الشيرازي، منشورات بيدار، إيران ـ قم.

٢٧ ـ تفسير القمّي: لعلي بن إبراهيم القمّي، منشورات دار الكتاب للطباعة والنشر، إيران ـ قم.

٢٨ ـ تفسير الكبير للفخر الرازي: الطبعة الثالثة، إيران ـ قم.

٢٩ ـ تفسير الكبير المسمّى البحر المحيط: لأبي حيّان، منشورات مؤسسة التاريخ العربي دار إحياء التراث العربي.

٣٠ ـ التوحيد: للشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ـ قم.

٣١ ـ تهذيب الأحكام: للشيخ الطوسي، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٣٢ ـ ثواب الأعمال: للشيخ الصدوق، منشورات الشريف الرضي، إيران ـ قم.

٣٣ ـ جامع الأُصول: لابن أثير الجزري، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٣٤ ـ جامع البيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، منشورات دار الجيل ـ بيروت.

٣٥ ـ الجامع الصغير للإمام السيوطي: منشورات دار الفكر، بيروت.

٣٦ ـ الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، منشورات دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣٧ ـ جوامع الجامع: للشيخ الطبرسي، منشورات جامعة طهران، إيران ـ طهران.

٣٨ ـ الخرائج والجرائح: لقطب الدين الراوندي، منشورات مؤسسة الإمام المهدي عليه‌السلام إيران ـ قم.

٣٩ ـ الخصال: للشيخ الصدوق، نشر جماعة المدرسين، إيران ـ قم.

٤٠ ـ الدر المنثور: للإمام السيوطي، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران ـ قم.

٤١ ـ ديوان الإمام علي أمير المؤمنين عليه‌السلام ، منشورات الشريف الرضي ـ قم.

٤٢ ـ الذريعة: للشيخ أغا بزرك الطهراني، منشورات دار الأضواء، بيروت.

٤٣ ـ روضة الواعظين: للفتال النيسابوري، منشورات الرضي، إيران ـ قم.

٤٤ ـ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: للمحدث الشيخ عباس القمي، دار الاسوة للطباعة والنشر، إيران ـ قم.

٤٥ ـ سنن أبي داود: لأبي داود السجستاني، منشورات دار إحياء السنّة النبويّة.

٤٦ ـ سنن الترمذي: لمحمّد بن عيسى بن سورة، منشورات دار الفكر ـ بيروت.

٤٧ ـ سنن النسائي: لأحمد بن شعيب النسائي، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٤٨ ـ شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران ـ طهران.

٤٩ ـ الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهري، منشورات دار العلم للملايين، بيروت.

٥٠ ـ صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري، منشورات دار إحياء التراث العربي، لبنان ـ بيروت.

٥١ ـ الصحيفة الكاملة السجاديّة: لزين العابدين وسيّد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٥٢ ـ عدة الاصول: للشيخ الطوسي، منشورات مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر، إيران.

٥٣ ـ علل الشرائع: للشيخ الصدوق، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٤ ـ عوالي اللآلي العزيزيّة: لابن أبي جمهور، منشورات العراقي ـ إيران.

٥٥ ـ عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام: للشيخ الصدوق، منشورات جهان، إيران ـ طهران.

٥٦ ـ كتاب الغيبة: للشيخ الطوسي، منشورات مكتبة بصيرتي، إيران ـ قم.

٥٧ ـ كتاب الفهرست للنديم: لأبي الفرج محمّد بن إسحاق المعروف بالنديم.

٥٨ ـ القاموس المحيط: للشيخ الفيروزآبادي، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٥٩ ـ الكافي: للشيخ الكليني، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٦٠ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: منشورات أدب الحوزة، إيران.

٦١ ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: للعلّامة أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي فتح الإربلي، منشورات دار الكتاب الإسلامي، بيروت ـ لبنان.

٦٢ ـ كمال الدين وتمام النعمة: للشيخ الصدوق، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ـ قم.

٦٣ ـ كنز العمال: للعلّامة علي التقي الهندي، منشورات مؤسسة الرسالة، لبنان.

٦٤ ـ لسان العرب: لابن منظور، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٥ ـ مجازات النبويّة: للشريف الرضي، منشورات مكتبة البصيرتي، إيران ـ قم.

٦٦ ـ مجمع البحرين: للشيخ الطريحي، منشورات المكتبة المرتضويّة، إيران ـ قم.

٦٧ ـ مجمع البيان: للشيخ الطبرسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٨ ـ المجموع شرح المهذب: للإمام النوري، منشورات دار الفكر ـ بيروت.

٦٩ ـ محجة البيضاء: للفيض الكاشاني، منشورات جماعة العلماء بقم، إيران ـ قم.

٧٠ ـ المحاسن: لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي، منشورات المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، إيران ـ قم.

٧١ ـ مستدرك وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، إيران ـ قم.

٧٢ ـ مصابيح السنة: لحسين بن مسعود الفراء البغوي، منشورات دار المعرفة بيروت.

٧٣ ـ مصباح الشريعة: للإمام الصادق عليه السلام، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٧٤ ـ مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: للشيخ الطوسي، منشورات إسماعيل الأنصاري، إيران.

٧٥ ـ المصباح المنير: للفيومي، منشورات دار الهجرة، إيران ـ قم.

٧٦ ـ معاني الأخبار: للشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، إيران ـ قم.

٧٧ ـ معجم البلدان: للشيخ الحموي الرومي البغدادي، منشورات دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٧٨ ـ مفاتيح الغيب: لصدر الدين الشيرازي، منشورات مركز الثقافي، إيران.

٧٩ ـ مناقب آل أبي طالب: لأبي جعفر رشيد الدين محمّد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، منشورات مؤسسة انتشارات علامة، إيران ـ قم.

٨٠ ـ من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٨١ ـ الميزان في تفسير القرآن: للعلّامة الطباطبائي، منشورات إسماعيليان، إيران ـ قم.

٨٢ ـ نور الثقلين: للعلّامة الحويزي، منشورات دار الكتب العلميّة إسماعيليان، إيران ـ قم.

٨٣ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمّد الجزري، ابن الأثير، منشورات المكتبة الإسلاميّة، بيروت.

٨٤ ـ نهج البلاغة: للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق صبحي صالح، منشورات دار الهجرة، إيران ـ قم.

٨٥ ـ الوافي: للفيض الكاشاني، منشورات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، اصفهان ـ إيران.

٨٦ ـ وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات المكتبة الإسلاميّة، إيران ـ طهران.